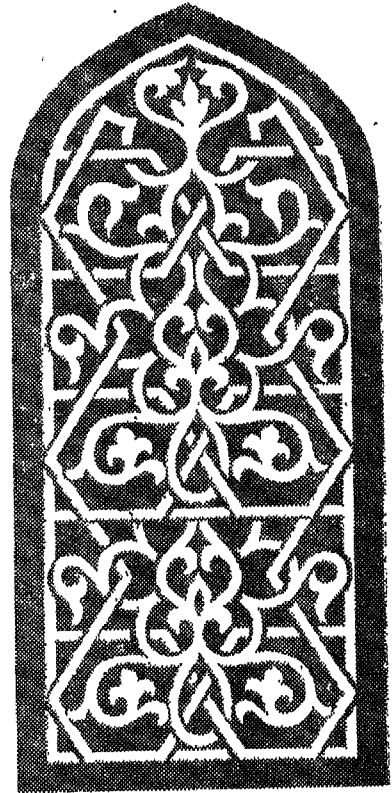


مساجد مصر وأولياؤها الصالحون

الجزء الأول

جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية

الدكتورة سعاد ماهر محمد



يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الاءراآ والاشراف الفئ
عبء السلام الشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا ، وامنحنا العون
حتى نقيم بهذا الكتاب أثرا يوضح آثار الأبرار . وعملا صالحا يباركه
ذكر الصالحين الأخيار الذين يسر الله لهم فأقاموا هذه المساجد يذكر
فيها اسم الله كثيراً ، عبادة ودراسة وتقربا وتنويراً ، فلهم من الله حسن
الجزاء ومننا أطيب الثناء .

مقدمة

الحضارة أسمى وأبقى ما للأمة من تراث ، ولقد كان للعرب وللذين دخلوا في الإسلام تراث ومشاركة وإبداع منذ أقدم العصور ، ولكنه لم يصبح عميقاً شاملاً مضيئاً وهاجاً إلا بالإسلام ، الذي أمتدت فتوحه من الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، مستقراً في بعض بلدانها ، ماراً أو مجاوراً بعضها الآخر . وكان لهؤلاء وهؤلاء علوم وفنون فأدخلوها فيه ومزجوا بين علومه وعلومهم ، وهنا سطع نور الإسلام بما أقام للعلم من دولة ، وللفنون من طلاوة وللصناعات من نهضة ، ولأسباب الحياة من أمن وتقدم وسعادة .

والحضارة المادية ونعني بها الآثار الباقية ، هي أصدق قبلاً أقوى دليلاً من الحضارة المروية أو المكتوبة أو المأخوذة بالفهم والاستنتاج ، إذ لو ظفر علماء الحضارات بأعيانها وبواعثها لاجتمع لهم منها أدلة قائمة ، وموارد عامرة ، بأصول البحث عن الحضارات الإسلامية من أقدمها إلى أحدثها ، وذخيرة ذخيرة حافلة بوجود المقابلة بين كل حضارة منها ، وسائر أخواتها في أطوارها المتتابعة .

وإذا كان علماء تاريخ الحضارة ، يعتمدون في دراساتهم على مخلفات الأمم من التحف المنقولة من الأمتعة والأدوات وما إليها ، ليتعرفوا بها أحوالها وعاداتها ، وما كانت عليه في حياتها ومعيشتها اليومية ، ويقيسوا بها درجاتها من التقدم والتخلف ، أو من الأصالة والتقليد ، ومبلغ اتصال هذا كله بالقدرة على تجويد الصناعة ، وتنويع حاجة المعيشة ، وحسن الفطنة والذوق السليم والمهارة الفنية . أقول إذا كانت التحف المنقولة لها هذا القدر عند علماء تاريخ الحضارة وهو قدر كبير ، فليس من شك في أن التحف الثابتة ، ونعني بها العمار

والمباني ، لها قدر أكبر وأكبر في استنباط الحقائق الثابتة التي لا تهاب ولا تحابي ،
ومن ثم فقد أضحت العمارة وما يماثلها من آثار قائمة في مقدمة ما يحرص علماء
تاريخ الحضارات على استنطاقها والاستماع إليها وعلى الوقوف على ما تخفى
وما تعلن عند تدوينهم تراث الأقدمين .

وإذا كانت العمارة هي السجل الذي يستقى منه تاريخ الأقدمين بما فيه من
تقدم وإزدهار ، أو تدهور وتخلف ، فإن العمارة الإسلامية ، وخاصة الدينية
منها قد سجلت لنا تاريخ الدول المتعاقبة وأعطتنا صورة صادقة عن منشأها .
ذلك أن العقيدة الإسلامية ، التي تغلغت في نفوس معتنقيها لساحتها وللملاءمتها
لطبيعة النفس البشرية ولحرصها على الإسعاد في الدارين ، ارتبطت إرتباطاً وثيقاً
بعمارة المساجد التي يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة
ولم يخش إلا الله .

ويعمرها الزاهدون ، والمتصوفون ، والذاكرون الله كثيراً ، والعارفين
بالله . ويعمرها حلقات الدرس من فقه وحديث ومنطق وكلام . ومجالس الأدب
من نحو وبلاغة ونقد ، وندوات الاجتماع التي تتعرض لسائر العلوم .

ويعمرها العلماء والفقهاء والأئمة والأدباء ويقوى بها الضعيف ، والغريب ،
ويأنس إليها ابن السبيل والمسكين ، ويرفع صوته فيها الأمر بالمعروف ، والنهي
عن المنكر ، والداعي إلى الخير .

فالمساجد دين وخلق وهدى ونور وصومعة الناسك ومدرسة المدارس ،
ودينياً وقوة ، ودرك للعزة في الأولى والفوز العظيم في الآخرة .

وإذا أضفنا إلى كل ما تقدم أن يد الإصلاح والترميم كانت لا تتوانى
ولا تنهون في ربء أى صدى يطرأ على المساجد القديمة ، أدركنا مدى ما تزخر
به العمارة الإسلامية من أهمية . وإذا كان هذا هو حال العمارة في العالم الإسلامي
أجمع فإن مصر تزخر بعدد من العماير يكفي لتسجيل أحداثها اليومية خلال
الأربعة عشر قرناً التي مرت عليها منذ أعتناقها الدين الإسلامي الحنيف . ويكفي

للتدليل على ذلك أن نذكر أن مدينة القاهرة وحدها تحتوى على (٦٦٠) أثراً مسجلاً ، هذا إلى المشاهد والأضرحة التى يبلغ عددها بضعة الآلاف .

لذلك فقد وجدت لزاماً على وأنا أشغل كرسى العمارة الإسلامية بجامعة القاهرة ، أن أتناول بالبحث والدراسة تاريخ هذه العمار ، خاصة وأنه ليس فى كتب العرب من المحدثين من تناول هذا الموضوع قبلى ، اللهم إلا المرحوم حسن عبد الوهاب فى كتابه « تاريخ المساجد الأثرية » وأنه مما يؤكد على هذا البحث أن هذا الكتاب قد نفذت طبعته من الأسواق منذ أمد بعيد . هذا إلى أننى لم أكتف بتاريخ المساجد فحسب بل تناولت كذلك تاريخ المشاهد والأضرحة والمزارات وتراجم أصحابها التى كان لهم أثر يذكر فى تاريخ البلاد سواء أكان من الناحية السياسية أو العلمية أو الاجتماعية أو كان صاحبه من أولياء الله الصالحين .

ولذلك فقد أسميت كتابى « مساجد مصر وأولياؤها الصالحون » الذين تنشرح بذكرهم الصدور ، وتعمر القلوب ، وتتوثب الهمم ، لما فيها من عظة حافذة ، وعبرة بالغة ولما لهم علينا من حق يشرفنا أداؤه ويسعدنا قضاءه .

وقد بدأت بدراسة عمارة المسجد منذ البداية فتناولت عمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتدرجت فى تسلسل زمنى حتى وصلت فى الجزء الأول إلى العصر الفاطمى ، وسيتبع ذلك بمشيئة الله تعالى الجزء الثانى الذى سيتناول عمائر العصر الأيوبى وجزءاً من العصر المملوكى والجزء الثالث سيتناول باقى العصر المملوكى ، والجزء الرابع سيتناول العصر العثمانى ، هذا إذا كان فى العمر بقية .

وقد رأيت أن أجمع فى دراسة هذه العمار بين ترجمة المنشىء أو صاحب الضريح والتاريخ السياسى للفترة التى أنشىء فيها الأثر ، كما تناولت فى كثير من الأحيان دراسة تاريخ البلد أو الحى الذى يوجد فيه الأثر . وأتبعته هذه الدراسة بوصف معمارى للأثر منذ نشأته والاصلاحات والترميمات التى أجريت له خلال العصور . وأتماماً للفائدة فقد زودت الكتاب بمجموعة من الرسوم

التخطيطية وبعدهد كبير من اللوحات الملونة والبيضاء والسوداء بلغ عددها (٢١٠) لوحة .

وعنيت عناية خاصة بعمل مجموعة من ثبت الفهارس وخصصت بعضها لوصف اللوحات والأشكال وصفاً تفصيلياً دقيقاً ، وأخرى لأسماء الأعلام ، وثالثة لأسماء الأماكن والبقاع ورابعة للمراجع العربية والأجنبية ، هذا بالإضافة إلى فهرس الموضوعات .

ويعد ،

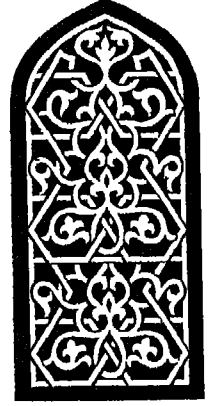
هناك كلمة شكر وعرفان بالفضل والجميل أود أن أعبئها لمن كان له الفضل في إبراز هذا الكتاب إلى حيز الوجود بهذا المظهر المشرف ، إلا وهو السيد الفاضل الأستاذ توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كما أتقدم بشكري وامتناني إلى الأستاذ عبد السلام الشريف عميد معهد النقد الفني الذي أضيى على الكتاب من فنه وذوقه الرفيع الشيء الكثير ، كذلك أدين بالشكر والتقدير إلى الأستاذ إبراهيم ناصف مدير إدارة المراجعة بمجلس الأمة سابقاً لمعاونته الصادقة .

كما لا يفوتني أن أقدم شكري لكل من عاونني في طبع هذا الكتاب وأخص بالذكر منهم الأستاذ فؤاد هيبه .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل ، ، ،

سعاد ماهر محمد

الجزيرة في رمضان ١٣٩١ هـ - أكتوبر سنة ١٩٧١



تطور العمائر الإسلامية الدينية بتطور وظائفها

من الثابت أن الفن الإسلامي التشكيلي قام على أسس من فنون البلاد التي فتحتها المسلمون أو خضعت لهم ذلك أن طبيعة شبه الجزيرة العربية الصحراوى ، وانتقال البدو من مكان إلى آخر سعياً وراء الكلاً والمرعى لم يكن ليساعد على قيام فنون تشكيلية اللهم إلا في أطراف شبه الجزيرة كالمناذرة المتاخمين للدولة الساسانية والغساسنة المجاورين للدولة البيزنطية ، واليمن في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، حيث قامت فنون ضارعت فنون معاصريهم من الفرس والرومان .

على أن الفاتح العربي لم يقبل كل ما وجدته من تلك الفنون على ما هو عليه بل استبعد منها ما كرهه الدين أو مالا يوافق مزاجه الخاص ، ثم جمع ما اختاره منها وصهره في بوتقة بعد أن طبعه بطابعه الخاص ألا وهو الكتابة العربية . وهكذا نستطيع القول أن الفن الإسلامي أخذ قوامه الروحي من وسط شبه الجزيرة العربية ، أما قوامه المادى فقد تم صوغه في أماكن أخرى كان للفن فيها قوة وحياة .

ولعل أبرز فروع الفن الاسلامي التي تأثرت بالجانب الروحي ، هي العمارة ، التي غنى المسلمون الأوائل أن تكون مهمتها الأولى خدمة الدين ، ومن ثم فقد تطورت العمائر الدينية تطورا سريعا ساير ركب الحضارة الإسلامية الفتية ، فتعددت أشكالها وأساليبها تبعا لتعدد وتغير وظائفها .

وقد بدأت العمارة الإسلامية ببناء المساجد والأربطة والمدارس والمصليات والخوانق والأسبلة والتكايا . على أننا إذا أردنا أن نتتبع تطور العمارة الإسلامية وجدنا المسجد حجر الزاوية فيها .

ولقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى المدينة هو بناء مسجد للمسلمين في مريد التمر الذي بركت فيه ناقته . وكان بناؤه بدائيا بسيطا ، وكانت مساحته ٧٠ × ٦٠ ذراعا وجدرانه من اللبن ، سقف جزء منه بسعف النخيل وترك الجزء الآخر مكشوبا وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل .

وقد نهج المسلمون هذا النهج في بناء مسجد البصرة سنة ١٤ هـ ومسجد الكوفة سنة ١٧ هـ ، كما اتبع عمرو بن العاص هذه السنة في بناء مسجده في مدينة القسطنطينية سنة ٢١ هـ . وكانت مساحته وقت انشائه ٥٠ × ٣٠ ذراعا وجدرانه من اللبن وأعمدته من جذوع النخل وتسوده البساطة . وكانت مساجد البصرة والكوفة ومصر خالية من المحاريب المجوفة ومن المنابر والمآذن على غرار مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما أراد عمرو بن العاص أن يتخذ له منبرا في مسجده ، كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلا له : « أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك » فكسره ، ولم يقتصر اتباع السنة في ذلك الوقت على بناء المساجد فحسب بل تعداه إلى الدور والمنازل ، فقد حدث بعد وقوع الحريق بمدينة الكوفة أن أرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب وقد استأذنه في البناء باللبن فقال عمر : « افعلوا ولايزيدن أحد على ثلاثة أبيات (غرف) ولا تطاولوا في البنيان وألزموا السنة تلتزمكم الدولة » .

وكان المسلمون في العصر الاسلامي الأول يقتصرون على استعمال كلمة المسجد لأماكن

العبادة . والمسجد لغة هو الموضع الذى يسجد فيه ، فلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وزاد عدد المسلمين بزيادة من دخل فى الإسلام من أهل البلاد التى فتحها المسلمون تعددت المساجد فى البلد الواحد ، كما تعددت الألفاظ التى تطلق على أماكن العبادة فأصبح هناك مسجد وجامع . والجامع هو نعت للمسجد لأنه مكان اجتماع الناس ويطلق على المسجد الكبير .

وفى ذلك يقول المقرئى :

« ولما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبى موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ، ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة . وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك أيضا ، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده ، وكانت صلاة الجمعة تؤدى فى المسجد الجامع^(١) .

ومن ثم فقد أصبح للفظ الجامع مدلول سياسى فى عهد الدولة الأموية ، فقد عرف بالجامع ، المسجد الذى يؤم فيه الخليفة أو من ينوب عنه المسلمين فى صلاة الجمعة أى أن لفظ الجامع أصبح يطلق على مسجد الدولة الرسمى الذى كان يعرف باسم المسجد الجامع .

وبطبيعة الحال لم يبق تخطيط المسجد على ما كان عليه فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، بل أخذ يتطور ويساير ركب الحضارة الاسلامية ، فقد رأت الدولة الأموية أن لاتقل مبانيها ، الدينية بصفة خاصة ، قيمة وقدرا عن المعابد المسيحية واليهودية فى مصر والشام ومن ثم فقد بنى المسجد الأموى بتخطيط وأسلوب يختلف عن تخطيط المساجد الاولى ، وكان ذلك لضرورة اقتضتها ظروف الدولة الجديدة والشعوب ذات الحضارات والفنون التشكيلية المتقدمة التى دخلت فى الاسلام وأصبحت تكون عناصر هامة فى الإمبراطورية الإسلامية الناشئة .

هذا ولم تقتصر وظيفة المسجد فى المجتمع الاسلامى الجديد على تأدية الصلاة فحسب

(١) المقرئى ج ٢ ص ٢٤٦ .

بل كان يؤدي عدة وظائف أخرى لعل أهمها الناحية الثقافية ، ففي أرواقته وحول أعمدته تعددت حلقات الدروس والوعظ والارشاد . كما كانت تعقد فيه الجلسات لفض المنازعات الدينية والمدنية . كذلك كان به بيت المال كما كان الحال في المسجد الأموي وجامع عمرو وفيه كان جلوس متولى الحسبة . من هذا يفهم أن المساجد في العهد الأموي وأوائل العصر العباسي على أقل تقدير ، كانت تمثل دور الحكومة في مفهومنا الحديث إلى جانب وظيفتها الأساسية الدينية . وبديهي وقد أصبح المسجد يؤدي خدمات ووظائف متعددة تختلف باختلاف الشعوب والبيئات أن تتعدد الأساليب المعمارية في بناء المساجد وأن اتخذت جميعها مقومات العمارة الإسلامية وجوهرها فقد كانت معظم المساجد حتى القرن الرابع الهجري تحتوي على صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أو من جهتين على أن يكون أكبر الأيوانات هو رواق القبلة لأهميته ، كما احتوى كل مسجد على محراب أو أكثر ومنبر ومثناة وفي كثير من الأحيان على ميضأة .

أما تخطيط المسجد ، فكان غالباً مربعاً في العراق وإيران ومستطيلاً في مصر والشام وشمال أفريقيا . وتعليل ذلك سهل ميسور ، فمآكن العبادة السابقة على الإسلام في بلاد ما بين النهرين كانت ذات تخطيط مربع ونعني بها (الآتش جاه) أي بيت النار . أما في غرب العالم الإسلامي حيث كانت تسوده المسيحية فكانت كنائسهم معظمها ذات تخطيط مستطيل .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بدأت تظهر في شرق العالم الإسلامي أسماء جديدة لمآكن العبادة عرفت بالمدارس ، ثم انتشرت في غرب العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري وهذا التغير في الاسم لا بد وأن يكون لحكمة اقتضتها الوظيفة الجديدة أو الدافع المباشر .

كذلك صاحب التغير في الاسم تغيرات جوهرية في التخطيط المعماري . وقد اختلف علماء الآثار والمؤرخون في وظيفة العماثر التي عرفت بالمدارس ، ولعل أقربها تلك المناقشة الحادة التي دارت في الندوة العالمية لالقية القاهرة حول هذا الموضوع ، وهو هل كانت المدارس

في أول نشأتها تؤدي وظيفة المدرسة أو هو مجرد تشابه في الاسم لا في الوظيفة . لذلك رأيت قبل أن أتكلم عن نشأة المدرسة ووظيفتها أن أذكر شيئاً عن أنواع الثقافات التي عني المسلمون بها في العصور الوسطى . ونستطيع أن أجمل هذه الثقافات في قسمين كبيرين ، الأول ويشمل دراسة علوم الإقليميين ، وقد أطلق العرب عليها اسم علوم الأوائل وتشمل الرياضيات والطبيعة وعلم الفلك والفلسفة وعلم الديانات وما إليها وكانت تدرس في عمائر تسمى (دار العلم) . أما القسم الثاني من الثقافة فيشتمل على العلوم الإسلامية التي تقوم أساساً على القرآن وما جاء فيه من الأحكام والحديث النبوي ومن هذين المصدرين تشعبت دراسات أخرى دينية وقضائية واجتماعية .

ومدينة نيسابور هي أول مدينة إسلامية أطلقت كلمة مدرسة على (دار العلم) وكان ذلك في عهد محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري ، فقد انشئت المدرسة البيهقية والسعيدية ومدرسة أبو سعيد الاسطرابلي ومدرسة أبو اسحق الاصفهاني المتوفى سنة ٤١٨ هـ . وقد ظلت هذه المنشآت عمائر محلية مدة خمسين عاماً ثم قضى عليها تماماً بعد قتل وزير طغرل بك ، إلا أنها بعثت من جديد على يد نظام الملك أعظم رجل تولى الوزارة في عهد السلاجقة قاطبة ، بل وأعظم وزراء الشرق في عصره فقد ظل وزيراً لثلاثة من السلاطين هم طغرل بك والبل وارسلان وملك شاه . وقد استطاع بثاقب فكره وبعد نظره أن يستفيد من هذه المنشآت الثقافية والدينية في نشر المذهب السني ومناهضة المذهب الشيعي ، وهكذا أصبحت المدارس منشآت عامة بعد أن كانت خاصة ، يتخرج فيها الموظفون الذين يتولون إدارة الشؤون الإدارية وما إليها في دولة السلاجقة .

وقد أنشأ نظام الملك الكثير من المدارس الأولى منها في نيسابور وذلك في منتصف القرن الخامس الهجري وأعقبها في بغداد وطوس وبصرة واصفهان وهرات والبلخ . وقد حذا حذوه كثير ممن خلفه من السلاجقة وانتشرت المدارس في كل الولايات السلجوقية .

وما فعله نظام الملك في إيران وجنوب العراق فعله الاتابكة في الموصل ودمشق وفعله نور الدين وصلاح الدين في شمال العراق وسوريا ومصر . وهكذا نرى هؤلاء الأمراء ذوي

الأصل الكردى أو المغولى والمعتصبيين للمذهب السنى ، هم الذين نشروا المدارس فى غرب العالم الإسلامى .

نخلص من هذا أن الشيعة هم أول من أنشأ العمائر الثقافية التى كانت تعرف من قبل باسم دار العلم ، كما أنهم أول من أطلق عليها اسم المدرسة ، والغرض الأساسى من انشائها هو تدريس ونشر المذهب الشيعى . وكان ذلك فى القرن الرابع الهجرى إبان حكم محمود الغزنوى . وفى القرن الخامس الهجرى نشر الأمراء الاكراد والمغول ذووا المذهب السنى هذه المدارس فى غرب العالم الإسلامى كما جعلوها منشآت عامة تشرف عليها الدولة على خلاف مدارس الشيعة الخاصة فى القرن الرابع الهجرى .

وما قيل عن العالم الإسلامى عامة يمكن أن يقال عن مصر خاصة ، فكما نشأت المدارس فى شرق العالم الإسلامى على يد الشيعة على أنها معاهد خاصة ، نشأت فى مصر على يد السنيين كمعاهد خاصة كذلك . فقد جاء فى ابن ميسر أن الوزير رضوان ابن الولخشى أنشأ مدرسة فى الاسكندرية سنة ٥٣٢ هـ لنشر المذهب الشافعى .

ويقول ابن خلكان^(١) أن ابن سلار وزير الخليفة الفاطمى الظافر أنشأ مدرسة سنة ٥٤٦ هـ فى الاسكندرية كذلك . ويذكر القلقشندى^(٢) أن مسرور أنشأ مدرسة سنوية بالقاهرة فى عهد الدولة الفاطمية ، فلما جاء صلاح الدين إلى مصر نشر هذه المنشآت الثقافية وجعلها عامة بعد أن كانت خاصة من قبله . وكان غرضه الأول من ذلك هو القضاء على المذهب الشيعى مذهب الفواطم وذلك بنشر المذهب السنى عن طريق المدارس .

أما عن التخطيط المعمارى للمدرسة فمن الثابت أن التخطيط الأول كان عبارة عن إيوان واحد فى جهة القبلة ، أما الاضلاع الثلاثة الأخرى فكانت تحتوى على غرف للطلبة وذلك لأن المدارس كان معظمها مخصصا لمذهب واحد . فقد أحصى الأستاذ كزويل^(٣)

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣ ، ج ٢ ص ١٣ ، ١٤

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥٦ .

(٣) Creswell : The Muslim Architecture of Egypt. Vol. II P. 104 - 34.

(٣)

ثمانين مدرسة في سوريا بينها ٣٣ مدرسة مخصصة للمذهب الحنفي و ٣١ للمذهب الشافعي وتوسع للحنبلة للمالكية ومن بينها ست مدارس لمذهبين هما الشافعية والحنفية .

أما عن تاريخ المدارس فقد أمدنا المقريري^(١) بمعلومات على جانب عظيم من الأهمية فقد أحصى عدد المدارس الموجودة حتى عصره أي في القرن (١٥) وتبلغ (٧٢) مدرسة وقد قام الأستاذ كزويل بترتيبها ترتيباً زمنياً ، ودرس الموجود منها حتى الآن فتبين له أن المدارس الأولى كانت ذات ايوان واحد لأنها كانت مخصصة للمذهب واحد . وأول مدرسة خصصت لمذهبين كانت المدرسة الفاضلية التي أنشأها صلاح الدين سنة ٥٨٠ هـ هما المذهب الشافعي والمالكي ، وذلك بعد بناء المدرسة الأسدية ، أول مدرسة خصصت لمذهبين في سوريا باثني عشرة عاما . وتعتبر المدرسة الكاهلية المبنية سنة ٦٢٢ هـ والتي ما تزال باقية وإن كانت في حالة خربة ، أقدم مدرسة ذات ايوانين باقية حتى الآن . وما يؤيد أن المدرسة الكاملة كانت تحتوى على ايوانين فقط ، أن الجانب الشمالي الشرقي من المدرسة يشغله الآن حمام يعرف باسم حمام السلطان وعلى خريطة الحملة الفرنسية يعرف باسم حمام بيسارى الذى خل محل قصر الأمير بيسارى الذى يرجع تاريخ انشائه إلى سنة ٦٥٩ هـ .

والمدرسة الصالحية التي أنشأها الصالح نجم الدين سنة ٦٣٩ والتي احتلت جزءا من قصور الفاطميين ، إذ يقول المقريري أنها تقع بخط بين القصرين من القاهرة وأنها من جملة القصر الكبير الشرقى وهى مع احتوائها على أربعة ايوانات للمذاهب السنية الأربعة إلا أن تخطيطها يعتبر في الواقع تكرارا للمدرسة ذات الإيوانين ، إذ أنها تتكون من مجموعتين تفصل بينهما حارة الصالحية الآن ويجمعهما مدخل المدرسة الرئيسى الذى تعلوه المثدنة .

وكان المقريري دقيقا في وصفه للمدرسة إذ يقول عنها :

فبنى الملك الصالح نجم الدين أيوب هاتين المدرستين ، فابتدأ بهدم موضع هذه المدارس في قطعه من القصر في ١٥ ذو الحجة سنة ٦٣٩ وفى سنة ٦٤١ هـ رتب فيها دروسا أربعة

(١) الخطط ج ٤ ص ١٩١ - ٢٥٦ .

للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة وهو أول من عمل بمصر دروساً أربعة في مكان واحد .
ودخل في هذه المدرسة باب القصر المعروف بالزهومة وموضحة قاعة شيخ الحنابلة الآن .

والجزء الباقي من هذه المدرسة الآن هو المجموعة الجنوبية التي تتكون من ايوانين الشافعية في الشرق والمالكية في الغرب ، أما المجموعة الثانية التي تتكون من ايوان الحنفية في الشرق وايوان الحنابلة الذي حل محل باب الزهومة في الغرب فقد بنيت مكانها مجموعة من الحوانيت وإن كانت واجهة المجموعة ما تزال موجودة وبحالة لا بأس بها .

وتعتبر المدرسة الصالحية أول مدرسة في مصر ذات أربعة ايوانات ولكنها ليست متعامدة كما أنها ليست أول مدرسة في العالم الإسلامي درست المذاهب الأربعة فقد سبقتها المدرسة المستنصرية^(١) في بغداد بعشر سنوات والتي خصصت للمذاهب الأربعة بالإضافة إلى دارين احدهما للحديث وأخرى للقرآن ، أي للقراءات السبع . وبرغم تخصيص هذه المدرسة للمذاهب الأربعة إلا أن تخطيطها غير متعامد كما أنها لا تشبه تخطيط المدرسة الصالحية .

على أننا نستطيع القول بأن أول مدرسة في مصر اختوت على أربعة ايوانات متعامدة هي المدرسة الظاهرية التي بناها السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦١ هـ وتمت في سنة ٦٦٢ هـ وتشغل قاعة الخيم وباب الذهب من القصر الشرق الكبير^(٢) . وللأسف لم يبق من هذه المدرسة غير ايوان واحد هو الايوان الجنوبي الشرقى وبه المحراب وكتلة من الواجهة مساحتها ١١×٥ متراً ملاصقة لضريح الملك الصالح نجم الدين أيوب بسوق النحاسين بشارع المعز لدين الله (الصاغة) . فقد تهدمت المدرسة سنة ١٨٨٢ عندما شق طريق بيت القياضى . وقد ترك لنا المقرئى من التفاصيل الدقيقة ما يؤيد ما ذهب إليه أبحاث الأثرين في القرن العشرين فهو يقول : وجلس أهل الدروس كل طائفة في ايوان منها ، الشافعية بالايوان القبلى ، والحنفية بالايوان البحرى ، وأهل الحديث بالايوان الشرقى والقراء بالقراءات السبع بالايوان الغربى » .

Creswell : The Muslim Architecture of Egypt. Vol. II p. 124.

(١)

(٢) المقرئى : ج ٤ ص ٢١٦ .

على أن أول مدرسة خصصت للمذاهب الأربعة في مصر وذات تخطيط متعامد هي المدرسة الناصرية، التي تقع بجوار القبة المنصورية من شرقيها كما هو موضعها الآن تماما . فقد أمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري بإنشاء هذه مدرسة ، فابتدى في وضع أساسها وارتفع بناؤها عن الأرض إلى نحو الطراز المذهب الذي بظاهرها ثم خلع كتبغا من الملك وعاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة للمرة الثانية سنة ٦٩٨ هـ فأمر بأكملها فكملت سنة ٧٠٣ هـ ونسبت إليه . وإلى هذه المدرسة نقلت واجهة كنيسة بعكا كان قد استولى عليها السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠ هـ ، ونقلها إلى القاهرة الأمير علم الدين سنجر الشجاعى .

وإذا جاز لنا أن نقول أن المدارس إنما انتشرت في مصر في العصر الأيوبي لمحاربة المذهب الشيعى ونشر المذهب السنى ، فإن تصميم مدرسة السلطان^(١) حسن بن محمد بن قلاوون التي بدأ انشاؤها سنة ٧٥٧ هـ يدل دلالة واضحة على أنها أنشئت بقصد الثقافة والعلم بالإضافة إلى الدعوة إلى السلطان . وتتكون المدرسة من أربعة ايوانات متعامدة تحيط بالصحن خصصت للمذاهب الأربعة وبجانب كل من الايوانات الأربعة مدرسة .

وتبلغ مساحة المدرسة الحنفية المجاور لإيوان الحنفية بالمدرسة المذكورة على سبيل المثال ٨٩٨ مترا مربعا . ويتكون تخطيط المدارس الأربعة جميعها من صحن تتوسطه فسقية ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الواجهات . وقد قرر السلطان حسن لهذه المدارس مدرسين ومراقبين وعين لهم مرتبات^(٢) . كما قرر لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا ومائة طالب وعين طبيبين احدهما باطنى والآخر كحال يحضران كل يوم بالمسجد لداومة من يحتاج إلى علاج من الموظفين والطلبة ، ورتب ثالثا جراحا ، وقد أرصد في وقفته مرتبات الأساتذة والطلبة والموظفين وقيمة ما يصرف لهم من المأكل كل ليلة جمعة وما يصرف لهم في الأعياد .

(١) هرتس باشا : تاريخ جامع السلطان حسن ص ١٥ .

(٢) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٨٤ .

وهناك رأى للدكتور أحمد فكرى لم يسبق إليه ، خاصا بوظيفة المدرسة ، جاء فى البحث الذى تقدم به سيادته للندوة العالمية وموضوعه خصائص عمارة العصر الأيوبي ، فقد أثبت أن وظيفة المدرسة الرئيسية لم تكن هى التدريس فحسب ، فقد كانت المساجد تتخذ للتدريس منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك فى مسجد قباء ، وفى مصر كانت الدروس تلقى فى جامع عمرو وفى الجامع الطولونى والأزهر والحاكم ، بل أن وظيفة المدرسة الرئيسية فى العصر الأيوبي كانت أعداد أماكن ملحقة بموضع التدريس لسكنى طبقة مختارة من المدرسين والطلاب . وأتى إذ أوافق أستاذنا الدكتور أحمد فكرى على ما ذهب إليه من الناحية المعمارية وهو أن المساجد الجامعة التى كانت تلقى فيها الدروس على أقل تقدير منذ القرن الثانى للهجرة ، لم تكن فيها أماكن لسكنى المدرسين والطلاب ، إلا أننى رأى أن السبب الأساسى فى نشأة العمائر التى عرفت باسم المدرسة لم يكن فى الواقع القصد منها إيجاد أماكن للمدرسين والطلبة ، وإنما يرجع إلى عامل سياسى دينى مذهبي ، القصد منه هو نشر المذهب المخالف للمذهب الدولة الرسمى متخذين من المدرسة ستارا يستترون وراءه . فالمدرسة البيهقية والسعيدية ومدرسة أبو اسحق الاصفهاني التى أنشئت فى عهد محمود الغزنوى فى القرن الرابع الهجرى فى نيسابور كان القصد منها نشر المذهب الشيعى . المناهض للمذهب الدولة العباسية السنى . كما أن اطلاق اسم المدرسة على تلك العمائر التى أنشئت فى مصر فى عهد الدولة الفاطمية فى القرن الخامس الهجرى على يد الوزير رضوان بن الولخش وابن سلال فى الاسكندرية وابن مسرور فى القاهرة لنشر المذهب السنى كان القصد منه مناوأة مذهب الدولة الفاطمية الشيعى . فلما جاءت الدولة الأيوبية بعد دولة الفواطم وجدت فى هذه المنشآت المسماة بالمدارس بغيتها فى نشر المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى فأكثرت من بنائها حتى بلغ ما أنشئ من المدارس فى العهد الأيوبي وحده أربعاً وعشرين مدرسة فى القاهرة واثنين فى الفيوم وجعلت منشآت عامة بعد أن كانت منشآت خاصة فى العهد الفاطمى ، ثم أخذت فى تطوير عمارتها حتى أصبحت تبنى بكل مطالب المدرسة من صلاة وتدريس وإيجاد أماكن للمدرسين . وقد اكتمل التخطيط المعماري للمدرسة فى العصر المملوكى ومن أحسن الأمثلة لها مدرسة السلطان حسن بن محمد ابن قلاوون سنة ٧٥٧ هـ التى سبق الإشارة إليها .

ومن العمائر الدينية الهامة عند المسلمين الخانقاوات التي انتشرت في القرن الرابع للهجرة والتي جعلت لايواء الصوفية المنقطعين للعبادة . أما عن نشأة الصوفية فيذكر المقرئزي^(١) نقلا عن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، أن المسلمين بعد رسول الله لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لأفضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولمن أدرك أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة بالتابعين ، وقيل لخواص الخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ، وانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله باسم التصوف واشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة وغلبت التسمية على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية .

وهناك رأى آخر في نشأة التصوف في الإسلام بورده المقرئزي ولكنه لايقره قال :
« المتصوفون ينسبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ورأى ثالث قال :
« أنه من الصفاء » .

أما عن إقامة مبان لإقامة هؤلاء المنقطعين ، فإن أول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم مصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره .

وهكذا نرى عمائر الزهاد نشأت منذ القرن الأول للهجرة ولكنها انتشرت في شرق العالم الإسلامي في القرن الرابع ، أما في مصر فقد انتشرت المباني المخصصة لإقامة الزهاد المنقطعين للعبادة الذين عرفوا بالمتصوفين في العصر الأيوبي ، فقد أنشأ صلاح الدين الأيوبي أول دار لهم . وقد عرفت هذه الدور في مصر كما عرفت في مشرق العالم الإسلامي باسم الخانقاة أو الخانكة ، وهي كلمة فارسية معناها البيت وقيل أصلها خونقاة أي الموضع

(١) المقرئزي ج ٤ ص ٢٧١ .

الذى يأكل فيه الملك . وعرفت خانقاة صلاح الدين باسم الخانقاة الصالحية وهى بخط^(١) رجة باب العيد من القاهرة وكانت أولا داراً تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء . فلما تولى صلاح الدين عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من خارج البلاد ووقفها عليهم فى سنة تسع وستين وخمسة ورتب لهم معاشهم .

نتبين من الفقرة السابقة التى أوردها المقرئى ، أن خانقاة الصالحية كانت عبارة عن دار فاطمية قديمة اتخذت داراً للصوفية وبذلك نستطيع القول أن الخانقاة وجدت فى العصر الأيوبي أما اتخاذ تخطيط معمارى خاص بها فلم يظهر إلا فى العصر المملوكى ولعل أقدم الأمثلة لها وأكملها الخانقاة التى بناها ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى قبل أن يلى السلطنة وهو أمير إذ بدأ فى بنائها سنة ٧٠٦ هـ وبني بجانبها رباطا كبيرا يتوصل إليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاة قبة لكى يدفن بها . ومن جملة شبابيك القبة كما يقول المقرئى الشباك الذى حمه الأمير أبو الحارث البساسيرى من بغداد لما غلب الخليفة العباسى القائم بأمر الله ووضع الوزارة الفاطمية ، واستمر فيها إلى أن عمّر بيبرس الخانقاة المذكورة فجعله بالقبة .

وتقع الخانقاة بحى الجمالية وهى من جملة دار الوزارة الكبرى وتبلغ مساحتها فداناً وثلاث فدان ، وتتكون الخانقاة من صحن على جانبيه الشرقى والغربى ايوانان معقودان وهى فى ذلك تشبه المدارس ذات الايوانين . أما الجانبان الآخران فقد أنشئ بهما خلوات للصوفية بعضها فوق بعض .

ومن العمائر التى انتشرت فى العصر الأيوبي الأضرحة التى اتخذت شكلا معيناً وهو مربع مغطى بقبة . على أن إقامة الأضرحة ليست حدثاً فى العصر الأيوبي ، فقد أقامت الدولة الفاطمية الكثير من الأضرحة وقصرتها على أهل البيت وكبار رجال الدولة من الشيعة مثل السيدة نفيسة ورقية وعاتكة والجعفرى وبدد الجمالى وعرفت بالمشاهد أسوة بما أطلق على أضرحة الائمة من العلويين . فلما جاءت الدولة الأيوبية رأت أن تحول الأنظار عن أضرحة

(١) المقرئى ج ٤ ص ٢٧٣ .

الشيعة وذلك ببناء أضرحة لائمة السنة . فأقامت أم السلطان الملك الكامل قبة الإمام الشافعي سنة ٦٠٨ هـ وأجرت عليها الماء من بركة الحبش ومنذ ذلك الوقت أقبل الناس على بناء مقابر موتاهم بجوار الإمام الشافعي وعرفت تلك المنطقة المجاورة بالقرافة الصغرى . ويعتبر ضريح الإمام الشافعي أكبر الأضرحة في مصر على الاطلاق وأقدم قبة خشبية بمصر وذلك إذا استبعدنا الأضرحة بالمدارس والخانقاوات ، إذ تبلغ مساحة الضريح ٤٠٠ متر مربع تقريبا وارتفاعه ٢٩ مترا . ومن الطريف أن قبة الإمام الشافعي يعلوها عشاري طولها متران ونصف ، وقد اختلف المؤرخون والأثريون في تفسير وجود العشاري فوق القبة ، فقال البعض أنها أعدت لوضع الحبوب للطيور والبعض الآخر قال أنها رمز على أن الإمام الشافعي بحر العلوم والمعارف اعتمادا على قصائد الشعر التي احتوت هذا المعنى والتي نذكر منها بعض أبيات من قصيدة البوصيري صاحب البردة :

بقبة قبر الشافعي سفينة رست في بناء محكم فوق جلمود

ومد غاص طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذلك الضريح على الجودي

وقال أبو الفتح موسى بن ملهم في القرن الرابع عشر :

مرت على قبة الشافعي فعامين طرفي عليها العشاري

فقلت لصحبي لاتعجبوا فإن المراكب فوق البحار

على أني أرى بالإضافة إلى المعنى السابق أنه أريد بالإضافة إلى وصفه بالعلم بأنه بحر العلوم والمعرفة أنه لا يقل عن أئمة الشيعة الذين قصروا الفواطم لفظ الإمامة عليهم درجة ومنزلة .

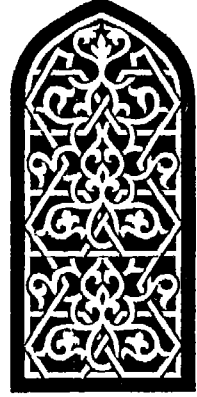
ومن الأضرحة الهامة في العصر الأيوبي ضريح السادات الثعالبة ، والخلفاء العباسيين وضريح شجر الدر ، ثم ضريح الصالح نجم الدين أيوب الذي يمكن اعتباره أول ضريح الحق بمدرسة ، ثم أصبحت القاعدة بعد ذلك الحاق القباب بالمدارس والمساجد والخانقاوات .

أما في العصر العثماني فقد اختلف تصميم المساجد اختلافا كبيرا عن العماثر الدينية السابقة فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة . وهنا لانستطيع القول أن الوظيفة هي الدافع في تغيير تخطيط المساجد العثمانية بل هو دافع سياسي أرادت به الدولة العثمانية صبغ الولايات التابعة لها بتبعية فنية لتأكيد التبعية السياسية .

فقد اتخذ العثمانيون من طراز المصليات السلجوقية في القرن الخامس الهجري أساسا لعماثرهم الهامة^(١) . وكان قوام التخطيط العثماني هو القبلة الكبيرة المبنية من الحجر عادة وتحيط بها من جميع الجهات فيما عدا جهة القبلة ايوانات محمولة على أكتاف تعلوها قباب ضخمة . ومن أحسن الأمثلة لذلك مسجد سنان باشا ومسجد محمد علي بالقلعة الذي يعتبر نسخة من مسجد السلطان أحمد باسطنبول .

ومن العماثر الدينية الأخرى في العصر العثماني غير المساجد التكايا التي حلت محل الخانقاوات في العصر العثماني إذ أنها تؤدي نفس الوظيفة أي أنها خاصة بإقامة المنقطعين للعبادة ، ولكنها تطورت بعد ذلك وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من لعثمانيين الوافدين على البلاد ، ومن هنا قيل عنها أنها مأوى تنايل السلطان ، أي الكسالى الذين لا عمل لهم . أما من حيث التخطيط فهي مجموعة من الطرز والأساليب المعمارية فهي أساسا تشبه تخطيط المنزل الإسلامي ذي الصحن المتسع وتحيط به مجموعة من الايوانات والقاعات المتسعة ومسجد . وبالأدوار العليا توجد غرف للمبيت ثم يلحق بالتكية مطبخ ودورات مياه ومنزل لشيخ التكية .

(١) نجد وصفا مفصلا لمصلى بارسبان بالقرب من أصفهان للمقدسي في كتاب « أحسن التقاسيم » .



المسجد

المسجد بالكسر اسم لمكان السجود ، والمسجد بالفتح جبهه الرجل حيث يصيبه السجود والمسجد بكسر الميم الخُمره وهى الحصير الصغير^(١) . وهناك أحاديث متواترة أخرجها الحفاظ فى كتب السيرة والفقه كالشيخين فى الصحيحين والبيهقى^(٢) . تدل على أن النبي كان يصلى على الخُمره ، وهى حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليه ، تنسج من السعف ، فى الحديث لأُم سلمة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لها : ناولينى الخُمره . وجاء فى تاج العروس : « يقال صلى فلان على الخمره ، لأن خيوطها مستورة بسعفها . ويقول الشهرستانى^(٣) فى وصف الخمره هى مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه

(١) التصحيف للمسكرى .

(٢) السنين للبيهقى ج ٣ ص ٤٢١ .

(٣) الملل والنحل ص ٦ .

في سجوده من حصير ، أو نسيجة خوص ونحوه من النبات . ثم يضيف ، ولاتكون الخمرة إلا في هذا المقدار ، وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها .

أما عن المسجد شرعا ، فهو الموضع الذي يسجد فيه ، قال الزركشي^(١) وكذا الزجاج ، كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، لقوله صلى الله عليه وسلم : وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وفي هذا يقول القاضي عياض^(٢) ، وهذا من خصائص هذه الأمة ، لأن من قبلنا ، كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته . وقال القرطبي : هذا ما خص الله به نبيه ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة ، كالبيع (جمع بيعة) وهو معبد اليهود والنصارى . وكان عيسى عليه السلام يسبح في الأرض ويصلي حيث حيث أدركته الصلاة « ويعلق الزركشي على ذلك فيقول : فكأنه قال : جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل له طهورا » وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبي هريرة في عد الطهور والمسجد في حكم الواحد .

ويفسر الزركشي السبب في اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة فيقول : لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقليل : مسجد ولم يقولوا مرعب ، ثم أن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلي المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه ، وكذلك الرُّبُط والزوايا والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك .

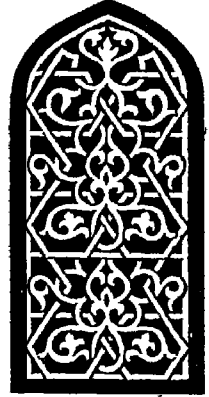
أما لفظ الجامع فوصف للمسجد الكبير ، فقد قال هشام بن عمار : لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة ، وكتب إلى سعد

(١) اعلام الساهد باحكام المساجد ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧ .

ابن أبي وقاص وهو على الكوفة يمثل ذلك وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر يمثل ذلك وكتب إلى أمراء أجناد الشام ، فكان الناس متمسكين بأمر عمرو وعهده . »

يتضح لنا من هذا النص أن الجامع هو المسجد الذي تؤدي فيه الجماعة صلاة الجمعة ولذا عرف بالجامع . ولما تأسست الدولة الأموية أصبح المسجد الجامع يشكل ظاهره سياسية على جانب كبير من الأهمية فقد كان على كل أمير أو عامل من عمال الأقاليم إقامة مسجد جامع يمثل مسجد الدولة الرسمي ، وإذا عرفنا أن ذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة في المسجد الجامع يكون شارة من شارات الخلافة ، وأن عدم ذكر اسمه يعني خلعه ، تبين لنا الدور السياسي بالإضافة إلى الدور الديني الذي كان وما يزال يلعبه المسجد الجامع .



المسجد النبوي

رأيت قبل أن أتناول مساجد مصر الأثرية بالبحث والدراسة أن أبدأ بالمسجد الذي بنيت على غراره المساجد الأولى في الإسلام (مسجد البصرة والكوفة والفسطاط) ذلكم هو مسجد سيد الخلق أجمعين ، مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة .
(موضع منبره ، وجوار مقبره ، ومقام مصلاه ، ودار آخرته ، وأولاه^(١)) وبجانبه حجرته المعظمة التي ضمت أعظمه . والله القائل^(٢) :

ياخير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والاكمل
نفس الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(١) مسالك الابصار ص ٢٣ .

(٢) جاء في المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٠٠ هـ (هامش مسالك الابصار ص ١٣٤) : أن محمد بن حرب الهلالي أتى قبر النبي (صلعم) فزاره وجلس بمذائه فجاء اعرابي فزاره ثم قال : ياخير الرسل أن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه « ولو أنهم ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله ثوابا رحيمًا » . وقد جئتكم مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربى وأنشأ يقول البيتين السابقين .

لقد أجمع المؤرخون وكتاب السير على أن أول مسجد بنى في الإسلام هو مسجد قباء ، الذى يقال له مسجد التقوى ، لقوله تعالى فيه « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » . ويروى أبو سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : هو مسجدى ، أى مسجد المدينة . ويرى السهيلي^(١) فى قوله عز وجل : (من أول يوم) يقتضى أن يكون مسجد قباء ، لأن تأسيسه كان من أول يوم حل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم دار هجرته ، ويقول الحافظ^(٢) بن حجر ، أن السر فى جوابه صلوات الله عليه ، دفع توهم أن التقوى مقصورة على مسجد قباء . وقد ذكر ابن اسحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسسه لبنى عمر بن عوف ثم انتقل إلى المدينة .^١ ويضيف ابن أبي خيثمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسسه كان هو أول من وضع حجرا فى قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم أخذ الناس فى البنيان .

وذكر الخطابي عن الشموس^(٣) بنت النعمان ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر قد صهره^(٤) إلى بطنه ، فيضعه ، فيأتى الرجل يريد أن يقله ، فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قباء راكباً وماشياً ، فيصلى فيه ركعتين (متفق عليه) . وفى رواية أخرى : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً وكان ابن عمر يفعله .

على أنى أرى أن أول مسجد ثابت التاريخ والمعالم هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بمدينة يثرب ، فقد كانت المدينة المنورة تعرف قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) مسالك الأبصار ص ١٢٨ .

(٢) وفاء الوفاج ٢ ص ١٦ .

(٣) مسالك الأبصار ص ١٢٨ .

(٤) صهرة أى أدناه إلى بطنه (اللسان ج ٦ مادة صهر) .

إليها باسم يثرب فقد ورد اسمها بهذه التسمية في القرآن الكريم في قوله تعالى (وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا) . وكانت يثرب من بين مدن الحجاز المتحضرة ، وهى تقع إلى شمال مكة في مستوى من الأرض يحدها من الشمال جبل أحد وتمتاز معظم أراضيها بخصوبة التربة ، ومن خصائصها : كما يقول ياقوت الحموى طيب الريح ، وللعطر فيها فضل رائحة لاتوجد في غيرها . ولما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا قال : اللهم أنك قد أخرجتني من أحب أرضك إليَّ فأنزلي أحب أرض إليك . وإذا لم تكن للمدينة المنورة إلا القليل من التاريخ قبل هجرة النبي إليها ، فقد أصبحت مهبط ماتبقى من الوحي ، وصارت عاصمة الإسلام ، ومقر الخلفاء الراشدين ، وإليها تشد الرحال حجا وزيارة وتبركا .

قال أنس (١) : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل في علو المدينة في حى بنى عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أنه أرسل إلى ملائكة بنى النجار ، فجاءوا متقلدين سيوفهم ، وهنا يضيف أنس فيقول : فكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر في ردفه وملائكة بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب « قال : « وكان يصلى حيث أدركته الصلاة ويصلى في مرابض الغم » .

ثم أنه أمر بالمسجد ، فأرسل إلى ملائكة بنى النجار فقال : يا بنى النجار تأمنوننى بحائطكم هذا ، فقالوا : لا والله ، ما نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى .

قال أنس : وكان فيه نخل وقبور المشركين وخرب ، فأمر النبي بالنخل فقطع ، وبقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت قال : وصفوا النخل قبله ، وجعلوا عضاديته حجارة . قال فكانوا يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وهم يقولون (عن البخارى ومسلم) :

اللهم أنه لاخير إلا خير الآخرة فأنصر الأنصار والمهاجره

وفي رواية للزهري^(٢) قال : بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع

(١) مسالك الأبيصار ، ابن فضل الله العمري ص ١٢٣

(٢) اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٢٣

مسجده ، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين . وكان مربدا^(١) لسهل وسهيل^(٢) غلامين يتيمين من الأنصار ، وكانا في حجر أسعد بن زراره ، فسام^(٣) الرسول صلى الله عليه وسلم فيه فقال : بل نبيه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير . ويضيف الزهري فيقول : وكان يصلى فيه ويجمع أسعد بن زراره قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور للمشركين .

وجاء في عمدة القارى : وجعل قبلته من اللبن وقيل ، من حجارة وجعلها إلى بيت المقدس .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس في صلاته فيستقبل وسط جدار الكعبة الممتد من الركن اليماني إلى الركن الجنوبي الشرقي وهو الذى فيه الحجر الأسود ، وبين الركنين (٢٠) ذراعا ، ولهذا لم يظهر توجه الرسول في الصلاة إلى بيت المقدس إلا بعد هجرته إلى المدينة . وكان اليهود يعملون منذ هاجر الرسول إلى المدينة على اجتذاب المسلمين إلى جانبهم . ولما خاب أملهم في ذلك أخذوا يتحدثون أنه من واجب الرسول أن يذهب إلى بيت المقدس كما فعل الأنبياء من قبل ، وتساءلوا : لم يتبع قبلتهم ويخالف دينهم ؟

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي : كانت هذه القبلة في شمالى المسجد ، لأنه صلى الله عليه وسلم صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس ، فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة . (أنظر شكل رقم ١) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يود أن يصرف إلى الكعبة فصار إذا ما صلى يرفع رأسه إلى السماء ويدعو الله سبحانه وتعالى أن تكون قبلته قبل البيت الحرام ، فنزلت عليه هذه

(١) المربد والبيدر والجرين : الموضع الذى يجعل فيه الزرع والتمر للتيس (هامش الزركشى ص ٢٢٣) .
(٢) شهد سهيل بدرا والمشاهد كلها ومات في خلافة عمر ، ولم يشهد سهل بدرا وشهد غيرها ومات سهل قبيل (السهيل في الروض ١٠١٢ - هامش الزركشى) .
(٣) سام : ساوم ، وهى المجاذبة في البيع والشراء .

الآية^(١) « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون » .

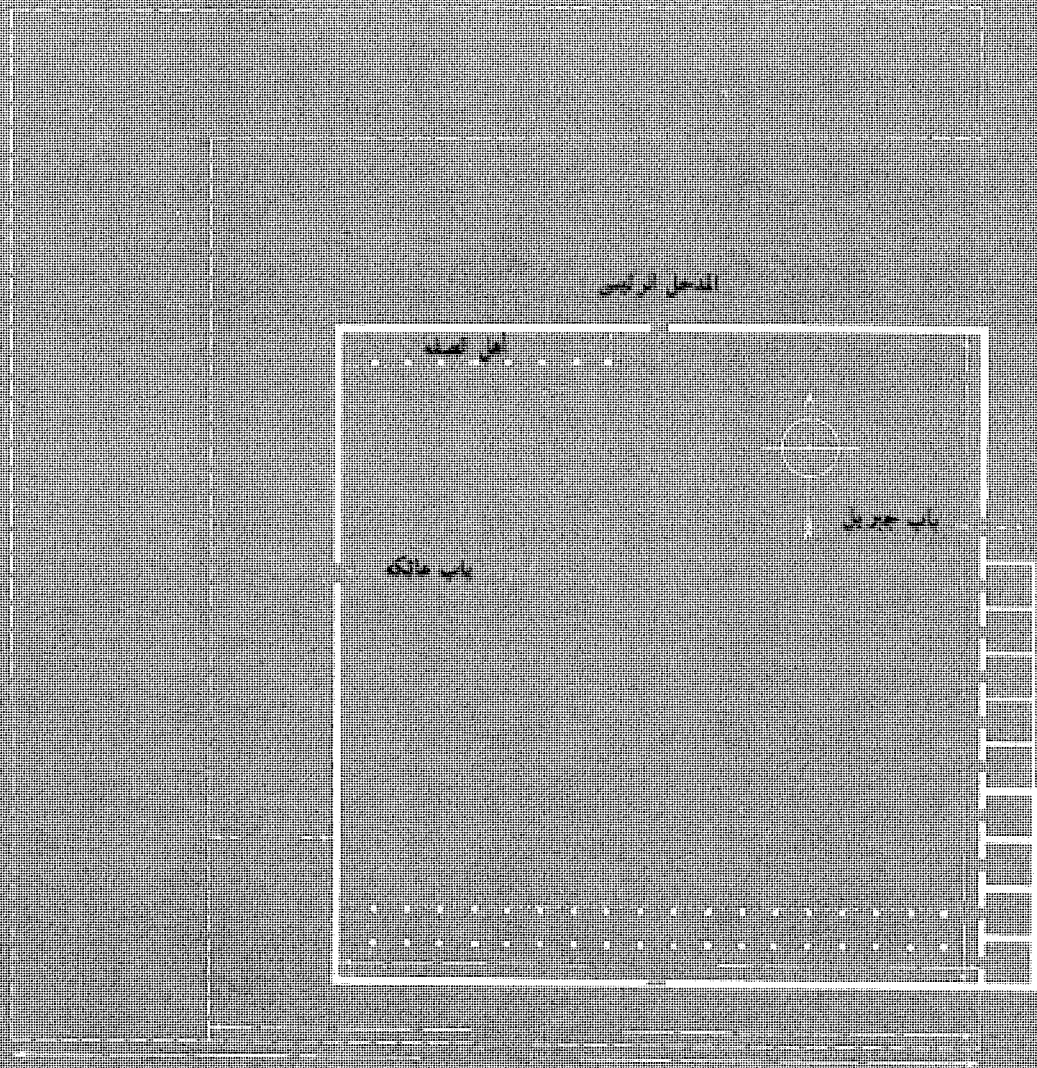
ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد نزل ضيفا في بني سلمة ، بضواحي المدينة فلما حان الظهر صلى بأصحابه ركعتين ثم أمره الله سبحانه وتعالى بأن يتخذ الكعبة قبلة له فاستدار إليها واستقبل الميزاب^(٢) من الكعبة . فسمى هذا المسجد الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه مسجد القبلتين . ولما صرف الرسول صلى الله عليه وسلم القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في (١٥ شعبان سنة ٢ هـ) اشتد استياء اليهود منه وقالوا له : يا محمد ما أولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

وقد استغرقت عمارة المسجد سبعة شهور قضاه الرسول صلى الله عليه وسلم في ضيافة أبي خالد الأنصاري ، وخط الرسول لأصحابه الخطط في الأرض التي وهبها لهم الأنصار . وقد أذن الرسول لفقراء المسلمين الذين ليس لهم منازل ولا عائلات أن يناموا في المسجد . وكان عليه الصلاة والسلام ، يدعو طائفة منهم ليلا لتناول الطعام ، ويكلف أصحابه باطعام الآخرين ، وقد عُرف ذلك الفريق من المسلمين بأهل الصفة لاقامتهم بالمسجد على هيئة صفوف .

أما عن مساحة المسجد فيقول خارجه بن زيد : بنى الرسول صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين ذراعا في ستين ذراعا أو يزيد . وبنيت جدرانها الأربعة باللبن وسقف جزء منه بسعف النخيل والطين . وترك الجزء الآخر مكشوبا ، وجعلت عمد المسجد من جذوع

(١) سورة البقرة آية (١٤٤) .

(٢) يمتد الميزاب من سطح الكعبة بين الركنين الشامي والغربي .



شكل رقم (١) مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

النخل . وكان للمسجد ثلاثة أبواب ، باب جبريل وباب النساء وباب الرحمة وما زالت هذه الأبواب تعرف باسمها حتى الآن .

وعن عبد الله بن عمر قال : إن المسجد كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه من الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وكانت جنوع النخل نخرت فأعاد عمده خشبا . ويضيف أبو سعيد الخدري فيقول : وأمر عمر ببناء المسجد وقال : أكنُ الناس من المطر . وإياك أن تُحمرَّ أو تصفرَّ فتفتن الناس .

ثم غيره عثمان ، كما رواه البخارى في صحيحه ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جدرانه بالحجارة المنقوشة والقصة^(١) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج . ويضيف خارجه بن زيد فيقول : فلما كان عثمان ، زاد فيه ، جعل طول المسجد مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين . وجعل أبوابه ستة كما كانت في زمن عمر . وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المسلمين فيه ومنها حجرة عائشة (وهى التى دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباها رضى الله عنهما) . فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخاذ المساجد على القبور ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين حرفوهما حتى التقيا ، كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر . ولهذا قالت السيدة عائشة رضى الله عنها « ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا » .

ولما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة (٨٨ - ٩٦ هـ) بعث إلى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة يأمره بعمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وإدخال مساكن أمهات المؤمنين فيه ومن بينها حجرة السيدة عائشة ، كما طلب إليه أن يشتري الدور التى فى نواحيه ليتسع المسجد ويكون طوله مائتى ذراع وعرضه فى مقدمه مائتين وفى مؤخره مائة وثمانون

(١) القصة : الجص والجير .

وأمدّه بالفعلة والبنائين من الشام ، وكان الوليد قد طلب إذاك من امبراطور الروم أن يساعده في تجديد عمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فبعث إليه مائة عامل ومائة ألف مثقال من الذهب ومقادير كبيرة من الفسيفساء نقلت على أربعين جملا . وكان أول من أحدث المحراب المجوف في مسجد الرسول بل في العالم الإسلامي كله ، هو عمر بن عبد العزيز ، وقد جاء في كتاب (وفاء الوفا بأخبار^(١) دار المصطفى) أن أقباط مصر بنوا مقدم المسجد وبنى الروم جوانبه ومؤخره ، فكان المحراب إذن في الجزء الذى بناه أقباط مصر . وروى ابن زبالة^(٢) عن محمد بن عمار عن جده قال « لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب الموالي فقال لهم تعالوا احضروا بنيان قبلكم ، لاتقولوا غير عمر قبلتنا ، فجعل لاينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا . » ويضيف السهمودى^(٣) فيقول : « وعمل صالح بن كيسان الأساس بالحجارة والجدران بالحجارة والقصة (الجص) ، وجعل عمد المسجد من الحجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ليس عليها عقود ، ومدت فوقها سقف خشبية . وأصبح لبيت الصلاة خمسة أروقة بكل منها صف من سبعة عشر عمودا . وجعل عمر بن عبد العزيز سقايف الشام (كناية عن الضلع الشمالى) أربعة أروقة بكل منها صف من سبعة عشر عمودا ، وأحاط عمر الصحن بمسقفه شرقية وأخرى في غربية وأقام عمر بن عبد العزيز فوق هذه البوائك شرفات تحيط بصحن المسجد من جوانبه الأربعة وبينها فرج شبه طاقات الشباك . وقيل أن عمر ابن عبد العزيز جعل للمسجد أربع مآذن في كل زاوية منه منارة ، وكذلك جعل في بيت الصلاة مقصورة من ساج بدلا من المقصورة التى جعلها عثمان من حجارة » .

أما في العصر العباسى فيقول ابن زبالة^(٤) ويحيى ، أن المسجد لم يزل على حال ما زاد فيه الوليد إلى أن هم أبو جعفر المنصور بالزياده فيه ، ثم توفى ، ولم يزد فيه ، حتى زاد

(١) السهمودى ص ٢٧

(٢) وفاء الوفا للسهمودى ص ٣٦٨

(٣) المرجع السابق .

(٤) المدخل إلى مساجد القاهرة لاحمد فكرى ص ١٧٨ .

فيه المهدي . وعهد ببناء هذه الزيادة إلى عبد الله بن عاصم ، وعبد الملك بن شبيب الغساني ، ومات ابن عاصم فولى المهدي مكانه عبد الله بن موسى الحمصي . وكان ذلك في سنة ستين ومائة ، وتمت أعمال البناء بعد سنتين أو بعد خمس ، وقيل كانت زيادة المسجد من ناحية الشام قدر مائة ذراع^(١) . كما زخرف المهدي مؤخر المسجد بالفسيفساء وكانت آثارها باقية حتى عهد السهمودي^(٢)

وقد جاء في مسالك الأبصار^(٣) أن الخليفة المأمون زاد فيه سنة اثنتين ومائتين واثنتي عشرة وبنائه ونقش فيه . ويذكر السهمودي هذه الزيادة نقلا عن المراجع السابقة عليه ، ولكنه يشك في هذه الرواية ويؤكد أنه لم يزد فيه . ويذكر البلاذري^(٤) ، أن الخليفة المتوكل أمر بحرمه مسجد المدينة في سنة ٢٣٧ هـ . ويقول ابن رسته^(٥) ، أن الخليفة المعتضد بالله أمر بتجديد عمارة المسجد سنة ٢٨٣ هـ .

استقرت حدود المسجد النبوي ونظمه على حالها في عهد المهدي إلى أن احترق سنة ٦٥٤ هـ في عهد السلطان المملوكي أيبك التركماني وكان ابن جبير قد زاره قبل ذلك في سنة ٥٨٠ هـ وترك لنا وصفا دقيقا ، هو في الواقع وصف حالة المسجد في عهد الخليفة المهدي^(٦) أي سنة ١٦٥ هـ .

وقد توالى يد التجديد والترميم والزخرفة في المسجد النبوي طوال العصر المملوكي فقد جُدد في السنة التالية لاحتراقه سنة ٦٥٥ هـ كما عُمِّر سنة ٧٠٥ هـ وزيد في أروقة القبلة رواقين .

ولعل من أهم التجديدات التي أجريت للمسجد في العصر المملوكي تلك العمارة التي قام

(١) يقول أحمد فكري في كتابه المدخل إلى مساجد القاهرة ص ١٧٩ (أن صحتها خمس وستين ذراعاً) .

(٢) السهمودي ص ٣٨٠

(٣) المسالك والممالك ص ١٢٨

(٤) فتح البلدان ص ٦ ، ٧

(٥) أحمد فكري ص ١٧٩ .

(٦) الاعلاق النفسية لابن رسته ص ٧٤

بها السلطان الاشراف قايتباي فقد جاء في حوادث سنة ٨٨٦ هـ في كتاب بدائع^(١) الدهور مانصه : « وفيه جاءت الأخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، بأنه في ليلة ثالث عشر من رمضان سقطت صاعقة عظيمة في أواخر الليل على المسجد النبوي الشريف ، فأحترقت منه المنارة التي تقع تجاه الحجرة النبوية واحترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والأعمدة والأبواب وما سلم من ذلك إلا القبة الشريفة وبعض حيطان المقصورة » ويضيف ابن اياس فيقول : وقتل المؤذن الذي كان على المثذنة وقت نزول الصاعقة ، وقتل جماعة أيضا ممن كان بالحرم الشريف ، فكتب بذلك محضر وثبت على يد قضاة المدينة . « فلما سمع السلطان قايتباي ذلك بكى وبكى كل من كان معه ، وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت في هذا المكان الشريف ، وأخذ الشعراء ينشدون :

لم يحترق حرم النبي لحادث يخشى عليه ولادهاه العار

فشرع السلطان في تجديد المسجد الشريف ، فعين الخواجه شمس الدين محمد ابن الزمن بأن يتوجه إلى المدينة المنورة ، وأرسل معه عدة من البنائين والنجارين والمراجمين وغير ذلك ، وأمر بهدم القبة الشريفة وإعادتها وتجديدها وتجديد غيرها من الحديد المخرم وكانت قبل ذلك من الخشب (أي القبة) ، كما جدد المآذن والمنبر . ثم توجه ابن الزمن إلى هناك وشرع في البناء حتى انتهى من العمل في أواخر سنة سبع وثمانمائة ، فجاء في غاية الحسن ومن أجل الأبنية وأعظمها ، حتى قيل أن السلطان صرف على بنائه نحو من مائة ألف دينار ، وجدد معالنه وتناهى في زخرفته إلى الغاية . كما أنشأ هناك مدرسة مطلة على الحرم النبوي . «

وجاء في حوادث^(٢) سنة ٨٨٨ هـ « وفي شعبان عرض السلطان المقصورة الجديدة التي صنعها للحجرة النبوية الشريفة ، فنصبها بالحوش في أول الشهر المذكور ، وكانت زنة المقصورة أربعمائة قنطار من الحديد ، فحملت إلى المدينة على سبعين جملا . كما أرسل

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ابن اياس ص ٥٠٧

(٢) ابن اياس ص ٥١٧

مع المقصورة مصحفاً كبيراً حمل على جمل بمفرده « ويصفه ابن اياس فيقول : « وكان المصحف من نوادر زمانه ، كتبه شاهين النورى (أشهر خطاطى عصره) ومات قبل أن يكمله ، فأكملة الشيخ خطاب ، وذلك بأمر السلطان » . وينهى ابن اياس عبارته بقوله : « وهو باق إلى الآن فى الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام » . ومعنى هذا أن المصحف ظل باقيا حتى عصر ابن اياس حتى نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى على أقل تقدير .

وكانت مصر هى التى تقوم بعمارة المسجد النبوى ، أو بالحظ الأكبر منها فى تلك العهود ، فلما آلت الخلافة لآل عثمان باسطنبول وجه سلاطين الدولة العثمانية إلى المسجد عناية فائقة فى القرن العاشر للهجرة عمره السلطان سليم الثانى وشيد به محرابا جميلا لا يزال قائما إلى اليوم غرب المنبر النبوى . وفى القرن الثالث عشر للهجرة بنى السلطان محمود القبة الخضراء . وفى الربع الأخير من القرن الثالث عشر فى عهد السلطان عبد الحميد ، لوحظ أن المسجد بحاجة إلى عمارة بعد أن انقضى على عمارة قايتباى أربعة قرون ، فكان المهندسون يهدمون جزءا من المسجد ويقيمون مكانه ما يحل محله ، ثم يهدمون بعده جزءا غيره ، حتى تمت عمارة المسجد كله سنة ١٢٧٧ . وقد زيد فى الجدار الشمالى ما كفى لبناء مخازن ومكاتب وأحواض للوضوء . وشيدت المئذنة المجيدية على الطراز العثمانى ، وبلغت نفقات هذه العمارة ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات المجيدية .

ويقول ابن فضل الله العمري^(١) : وذرع ما بين المنبر ومقام النبي صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى فيه حتى وفاته أربع عشرة ذراعا وشبر ، وذرع ما بين المنبر والقبر ثلاث وخمسون ذراعا وشبر .

أما عن المنبر فلم يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منبرا فى أول الأمر ، بل كان إذا خطب يوم الجمعة وقف إلى جانب جذع من جذوع النخل المسقوف عليها المسجد ، فلما شق عليه القيام شاور أصحابه فى أن يتخذ منبرا ، فوافقوه على ذلك ، وأقيم منبر من شجر

(١) المسالك والممالك ص ١٢٩

الأثمل ، وقد جاء في سند ابن حنبل أن هذا المنبر كان يتكون من درجتين ومقعد . والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس على المقعد (أى الدرجة العليا) واضعا قدميه على الدرجة الثانية . ولما تولى أبو بكر صار يجلس على الدرجة الثانية ويضع قدميه على الدرجة الثالثة ، وخلفه عمر بن الخطاب فكان يجلس على الدرجة الأولى ويضع قدميه على الأرض . ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما بين منبري وبين روضة من رياض الجنة » .

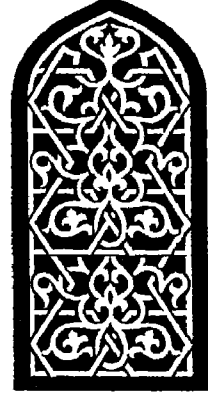
* * *

وتقع بيوت زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم في الجانب الشرقى من المسجد ، قال السهيلي : كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم تسعة ، بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة بالجريد أيضا . ويضيف الحافظ أبو عبد الله الذهبي : لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه فعل ذلك إنما كان يزيد بيتا حينئذ لسوّدّه أم المؤمنين . ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة في شوال سنة اثنتين ، وكانه صلى الله عليه وسلم بناها في أوقات مختلفة والله أعلم .

وقال الحسن بن أبي الحسن : كنت أدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي وكان لكل بيت حجرة ، وكانت حجرته ، عليه السلام ، أكسبه من شعر مربوطة في خشب عرعر . وجاء في تاريخ البخارى أن بابَه صلى الله عليه وسلم كان يقرع بالأظافر ، أى لاحتق له .

ولما توفى أزواجه صلى الله عليه وسلم خلطت البيوت والحجر بالمسجد وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته .

زيارة الأضرحة في المواسم والأعياد



لقد جرت العادة في مصر وسائر بلاد العالم الإسلامي تقريبا أن يزور الناس قبور الأهل وأضرحة آل البيت وأولياء الله الصالحين في المواسم والأعياد الدينية وقد زاد اهتمام الناس بهذا التقليد القديم حتى أن وزارة الأوقاف رأت أن تساهم بدورها في احياء هذا التقليد فشاركت في إحياء ذكرى أصحاب هذه الأضرحة التي يزيد عدد المشهور منها على الألف . بإقامة احتفالات في مواعيد معينة عرفت بالموالد .

وقبل أن نبدأ الحديث عن تاريخ نشأة هذا التقليد وعن تطور بناء الأضرحة في الإسلام وما يقام فوقها من القباب والأقباء وما يجاورها من المساجد والزوايا والربط ، رأيت أن نعرف أولا حكم الدين في زيارة القبور عامة وأضرحة الأولياء بصفة خاصة ، ثم نتبع نشأة إقامة المباني والعمائر على المقابر في العالم الإسلامي عامة ومصر بصفة خاصة .

جاء في كتاب الفقه^(١) على المذاهب الأربعة ، أن زيارة القبور مندوبة (أى يحرص عليها

(١) الفقه على المذاهب الأربعة [- عبادات - وزارة الأوقاف] ص ٥٠٦ .

للاتعاظ وتذكر الآخرة) ، وتتأكد يوم الجمعة ويوما قبلها ويوماً بعدها عند الحنفية والمالكية أما الحنابلة فقالوا أن الزيارة لا تتأكد في يوم دون يوم ، أى أنها مندوبة في كل أيام الأسبوع . وعند الشافعية أن الزيارة تتأكد من عصر يوم الخميس إلى طلوع شمس يوم السبت .

على أنه ينبغي عند زيارة القبور أن يشتغل الزائر بالدعاء والتضرع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت . فإن ذلك ينفع الميت على الأصح ، وما يندب قوله عند زيارة القبور (اللهم رب الأرواح الباقية والأجسام البالية والشعور المتزقة ، والجلود المتقطعة والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، أنزل عليها روحا منك ، وسلاما مني) وما ورد أيضا أن يقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون) .

ولم يكتف أئمة الشريعة الإسلامية السمحة بالحث على زيارة القبور القريبة فحسب بل وعلى البعيدة أيضا فقالوا : يندب السفر لزيارة الموتى خصوصا مقابر الصالحين . أما زيارة الروضة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية (فهي من أعظم القرب) ، وكما تندب الزيارة للرجال : (تندب أيضا للنساء العجائز اللاتي لا يخشى منهن الفتنة) أما الحنابلة والشافعية فيقولون بالكراهة والتحريم . على أن الأئمة قد حددوا للزيارة أحكامها : ينبغي أن تكون الزيارة مطابقة لأحكام الشريعة ، فلا يطوف حول القبر ولا يقبل حجرا ، ولا تعبته ولا خشبا ، ولا يطلب من المزور (أى الولي أو الشيخ) شيئا إلى غير ذلك) .

أما عن مباني القبور ، فقد نشأت في العمارة الإسلامية دون غيرها عمائر أقيمت على المقابر عرفت بالقباب ، وقد كانت القبة في أول أمرها عنصرا معماريا أريد به اظهار أهمية بعض أجزاء المسجد ، كما هو الحال في المسجد الأموي بدمشق ومسجدى الأزهر والحاكم في مصر . ففي المسجد الأموي تتقدم المجاز - الذى يقسم أروقة القبلة إلى قسمين - قبة حجرية ، تبدو وكأنها رأس طائر أجنحته الأروقة العرضية وجسمه المجاز ، ولذلك أطلق عليها مؤرخو العصور الوسطى اسم قبة النسرة أو قبة النصر . أما الجامع الأزهر والحاكم وهما من مساجد العصر الفاطمى فإن رواقيهما الأخيرين في ايوان القبلة في طرفيهما قبتان

بينهما قبة ثالثة فوق المحراب . ومن الواضح أن هذه القباب لم يكن لها وظيفة فى بناء المسجد سوى اظهار أهمية الجزء الذى تعلوه .

وبتطور العمارة الإسلامية تطورت كذلك القبة وأصبحت لها وظيفة هامة ، هى تغطية المساحات المربعة . وذلك للاستغناء عن استعمال الأخشاب التى تستوردها مصر من الخارج ومن ناحية أخرى للإشارة إلى أهمية هذا الجزء من المبنى . وقد أقبل المسلمون على استعمال القباب فى تغطية المبنى المقام على قبور الشخصيات البارزة مثل الملوك والسلطين ، أو قبور أولياء الله الصالحين حتى اطلق اسم الجزء على الكل وصارت كلمة (قبة) اسما للضريح كله ، ومن هنا جاء المثل السائر (تحت القبة شيخ) .

على أن أقدم ضريح فى الإسلام أُقيمت عليه قبة يرجع إلى القرن الثالث الهجرى وقد عرف هذا الضريح باسم (قبة الصليبية) . ويوجد فى مدينة سمارا بالعراق على الضفة الغربية لنهر دجلة إلى الجنوب من قصر العاشق . ويتكون الضريح من مئمتين ، مئمتين خارجى و آخر داخلى وفى الوسط توجد غرفة مربعة ، فهو بذلك يشبه فى تخطيطه إلى حد كبير قبة الصخرة فى الأردن . وقد بنى فى أركان الغرفة الأربعة . مقرنصات حولت المربع إلى مئمتين أُقيمت فوقه القبة . ويقول الطبرى ، أن أم الخليفة العباسى استأذنت فى بناء ضريح منفصل لولدها فأذن لها ، إذ كانت العادة قبل ذلك أن يدفن الخليفة فى قصره . فأقامت قبة الصليبية فى شهر ربيع الثانى سنة ٢٨٤ ، وقد ضم الضريح إلى جانب المنتصر الخليفة المعتز والمهتدى . وتعتبر قبة الصليبية أول قبة فى الإسلام . ويليهما من حيث التاريخ ضريح اسماعيل السامانى المبنى سنة ٢٩٦ هـ فى مدينة بخارى ، ثم ضريح الإمام على فى النجف الذى بناه الحمدانيون سنة ٣١٧ هـ ، ثم ضريح محمد بن موسى فى مدينة (قم) بإيران سنة ٣٦٦ هـ ثم ضريح (السبع بنات) فى الفسطاط سنة ٤٠٠ هـ . وقد احتفظت لنا جبانة أسوان بمجموعة كبيرة من الأضرحة ذات القباب التى يرجع تاريخ معظمها إلى العصر الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى .

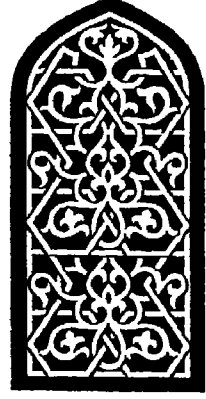
أما عن تاريخ نشأة زيارة القبور فيحدثنا أبو هريرة رضى الله عنه فيقول : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال استأذنت ربي أن استغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزورها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت وفى رواية تذكركم الآخرة .

وروى عن السيدة فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تزور قبر عمها حمزة فى بعض الأيام وتبكي عنده . وقيل عن عائشة رضى الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبدالرحمن ابن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما .

ولم يقتصر المسلمون فى مصر بزيارة القبور على إقامة المباني والأضرحة عليها فحسب بل صنعوا فى آداب زيارتها وترتيبها المصنفات الطوال ، منها كتاب شمس الدين محمد بن الزيات المعروف (الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة) . فقد جاء فى فصل ابتداء الزيارة وترتيبها ما يأتى :

أما ابتداءنا بالزيارة فمن المشهد النفيسى ، لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض ، وأردت بذلك أصح المشاهد كما رواه السادة العلماء رضى الله عنهم ولم أر أحدا من أرباب التاريخ صحح مشهدا بغير القرافة من مشاهد أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه إلا المشهد النفيسى ، لأنها أقامت به فى أيام حياتها وحضرت قبرها بيدها رضى الله عنها .

جبل المقطم وما به من المساجد والزوايا



من مظاهر القاهرة الطبيعية الهامة ، جبل المقطم الذى يقع فى الجهة الشرقية منها . وقد حدث هذا الجبل فى العصور الجيولوجية القديمة نتيجة التواء طبقات الأرض شرقى نهر النيل فى شبه قوس متوسط الارتفاع تقرب قمته من القلعة حيث يبلغ ارتفاعه نحو ٢٤٠ مترا ويصل ارتفاع بعض أجزائه عند المعادى ٣٧٥ مترا . وينتهى طرف القوس شمالا عند مصر الجديدة وجنوبا عند المعادى ويبدو جبل المقطم وهو يطل على قرافة الإمام الشافعى وقرافة الخفير وكأنه شاطئ بحر قديم تركت مياهه آثار انسحابها التدريجى خطوطا واضحة فى ثنايا الجبل . وإلى الجنوب من مدينة القاهرة يوجد كثير من الوديان بجبل المقطم أهمها وادى التية وادى دجلة بالقرب من المعادى وادى أبو سالى وادى الرشيد ، وادى جراوى وادى حوف بمنطقة حلوان ، ولايزيد طول هذه الوديان عن ١٥ أو ٢٠ كيلو مترا . وقد نتج عن وجود هذه الوديان بالقرب من القاهرة أنها أصبحت عرضة لاجتياح السيول لها فى كثير من الأحيان . ويمتاز جبل المقطم بوجود ظواهر طبيعية متنوعة فى هضابه

أهمها وجود طبقات من الصخور النارية مثل محاجر أبي زعل البازلتية والجبل الأحمر والغابة المتحجرة والعيون الساخنة القديمة والأملاح القلوية .

وقد أفاض مؤرخو مصر في العصور الوسطى في وصف جبل المقطم وأطنبوا في مدحه ونسبوا إليه الكثير من القصص التي تصل في كثير من الأحيان إلى حد الأساطير . . وقد رأينا أن نذكر بعضا منها لطرافتها ولتقف إلى حد ما على أسلوب الكتابة العلمية في ذلك الوقت من تاريخنا . .

يقول البكري : المقطم بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الطاء المهملة وفتحها جبل بمصر يوارون فيه موتاهم . أما المقرئ فيذكر في سبب تسميته بالمقطم القصة التالية : أن مصرام ملك مصر أراد استخراج معدن الذهب والزرجد والفيروزج وغير ذلك من المعادن الموجودة بمصر بطريقة الصنعة (أى بطريقة الكيمياء) فجعل أمرها إلى رجل يقال له مقيطام الحكيم كان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقى فسمى به ، واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه فقبل له جبل المقطم . على أن جمهور العلماء ذكروا أن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع فكأنه لما كان منقطع الشجر والنبات سمي مقطما .

ويقول ابن الزيات أن جبل المقطم كان أكثر الجبال أنهارا وأشجارا ونباتا فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام ، أوحى إلى الجبال ، أئى مكلم نبيا من أنبيائى على جبل منكم ، فتناول كل جبل وتشامخ إلا جبل طور سيناء فإنه تواضع وتصاغر ، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه ، لم فعلت ذلك وهو به أعلم ، قال اجلالا لك يارب ، فأوحى الله تعالى إلى الجبال أن وجود كل جبل بشئ مما عليه فجاد له كل جبل بشئ مما عليه إلا المقطم فإنه جاد له بجميع ما كان عليه من الشجر والنبات والمياه فصار كما ترون أقرع . قال ، فلما علم الله سبحانه وتعالى ذلك منه ، أوحى إليه لاعوضنك عما كان على ظهرك ولاجعلن في سفحك غراس الجنة .

وحكى الامام الليث بن سعد ، أن المقوقس سأل عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه جبل المقطم بسبعين ألف دينار ، فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله

عنه ، فرد عليه عمر قائلا : سله لما أعطاك ما أعطاك فيه وهو لا يزرع ولا يستنبط منه ماء . فسأل عمرو بن العاص المقوقس عن ذلك فقال : أنا نجد في سفحه في الكتب القديمة أنه يدفن فيه غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين فرد عليه قائلا : أنا لا أعرف غراس الجنة إلا للمؤمنين ، فاجعلها مقبرة لمن مات قبلك من المسلمين .

وهناك رواية أخرى تشبه في مضمونها القصة السابقة ، رواها سفيان بن وهب الخولاني قال : بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح جبل المقطم وكان معنا المقوقس إذ قال له عمرو : ما بال جبلكم أقرع لانبات فيه على نحو جبال الشام ، قال : لا أدري ولكن الله سبحانه وتعالى أغنى أهله بهذا النيل ، وأنا لنجد في الكتب القديمة ما هو خير من ذلك يا عمرو ، فسأله عمرو : وما هو ؟ قال : ليدفن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لأحساب عليهم ، فقال عمرو : اللهم اجعلني منهم .

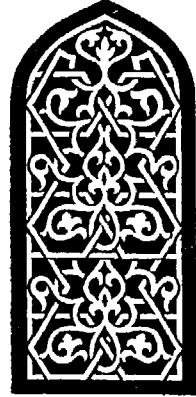
وقد روى عن كعب الأحبار ، أنه سأل رجلا يريد مصر فقال : اهد لي ترابا من سفح مقطمها فاتاه الرجل بجراب فلما حضرت كعبا الوفاة أمر أن يفرش تحت جنبه في قبره .

ومن الروايات التي يذكرها مؤرخو العصور الوسطى في سبب تقديس مسيحي مصر لجبل المقطم ورغبة المقوقس في شرائه للاحتفاظ به ، الرواية التي ذكرها القضاعي ، وهي أن سيدنا عيسى عليه السلام مر هو وأمه السيدة مريم على هذا الجبل فقالت له أمه يابني مررنا بجبال كثيرة مارأينا أكثر أنوارا من هذا الجبل ، قال : يا أماه يدفن هنا أمة من أمة أحمد أنحى ، فهذا الجبل غراس الجنة ورياضها .

ويقول المقرئزي ، أن السبب في تسمية وادي مسجد موسى عليه السلام بجبل المقطم إنما سمي بذلك لأن سيدنا موسى عليه السلام كان يناجي ربه بذلك الوادي .

ويقول الكندي في كتابه ، فضائل مصر ، أنه لما أخبر عمرو بن العاص المقوقس برد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالاحتفاظ بجبل المقطم وعدم بيعه قال له المقوقس : ما على هذا صالحتي ، فقطع له عمرو قطيعا نحو بركة الحبش (جنوب مصر القديمة) يدفن فيها النصارى .

جبل المقطم وما به من الأودية والمساجد



كانه طبيعياً أن يلجأ الزهاد والمتصوفون إلى جبل المقطم يتخذون من سفحه مقاما ومن أوديته مناما بعد أن عرفوا تقديس الديانات السماوية السابقة على الإسلام له ، وتكريم المسلمين أيضا . وأما عن الأودية التي به فمن أهمها وادي المستضعفين الذي كان يسبح فيه الشهور والسنين شيخ العارفين وسلطان المحبين الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض فاستمع إليه إذ يقول : كنت في أول تجريدي استأذن والدي واطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل (أى المقطم) وآوى فيه وأقيم في هذه السياحة مدة ليال والهائم أعود إلى والدي لأجل بركته ومراعاة قلبه . وكان والدي يومئذ خليفة الحاكم العزيز بالقاهرة ومصر (العادل أخو صلاح الدين) وكان من أكابر أهل العلم والعمل فيجد سرورا يرجوعى إليه . وكان رحمه الله يلزمنى بالجلوس في مجالس الحكم ثم اشتاق إلى التجريد فاستأذنه وأعود إلى السياحة في وادي المستضعفين بالجبل وما برحت أفعل ذلك مدة إلى أن سئل والدي أن يكون قاضى القضاة فامتنع ونزل عن الحكم واعتزل الناس وانقطع إلى الله تعالى في الجامع الأزهر إلى أن توفي ، فعدت إلى التجريد والسياحة وسلوك طريق الحقيقة .

وهناك وادى الدجلة القرقوبى على قرن الجبل المقطم المطل على كهف السودان بناه أبو الحسن القرقوبى الذى وفد على مصر من العراق سنة خمس عشرة وأربعمائة فى عهد الدولة الفاطمية . وكان موضع وادى الدجلة قبل بنائه محراب قديم مبنى من الحجر يعرف بمحراب ابن الفقاعى الرجل الصالح ، وعلى يسار المحراب يوجد كهف عرف بكهف السودان يقال أن قوما من السودان نقروه وتعبدوا فيه ، ويقال له كذلك كهف السادة ، وفى القرن الخامس الهجرى زاد الأندلسى البزاز فى أسفله مواضع نقرها فى الجبل وبنى علوها كما شق مجازا يسلك منه إلى الكهف ونقر الدرج التى يصعد عليها الى الوادى ويقال أنه انفق على هذه الأعمال أكثر من ألف دينار . وقد سجل هذه الأعمال على حجر نقش عليه تاريخ البدء والانتهاى منها جاء فيها (وكان ابتداءه بالبناء مستهل المحرم سنة احدى وعشرين وأربعمائة وفرغ منه فى شعبان من السنة نفسها . ومن الأودية المشهورة كذلك الوادى الذى توجد به المغارة التى يقال لها مغارة ابن العارض وهو أبو بكر جد مسلم القارى . ومن الاودية التى ورد ذكرها فى تراجم المتصوفين وادى الملك وادى اللبلاية ووادى هس ووادى الشياطين .

أما ما بنى بجبل المقطم من المساجد فلعل أقدمها المسجد المعروف بالتنور ويقال أنه عرف بهذا الاسم لأنه بنى مكان تنور فرعون الذى كان توقد له فيه النار فإذا رأى أهل مصر النار عرفوا بركوبه فيجتمعون له . وقيل أن النار كانت توقد بالطرفا واللبان والصندروس ليرتفع الوباء عن أهل مصر . ومن القصص التى تروى عن مكان هذا المسجد ما ذكره القضاعى إذ يقول : وجدت فى كتاب قديم أن يهوذا بن يعقوب عليهما السلام ، لما دخل اخوته على أخيهم يوسف عليه السلام فى قصة الصواع دخل إلى مكان بذروه فأقام به وكان مقابل التنور ، ثم خلا ذلك المكان إلى أيام الدولة الطولونية فأتخذ ابن طولون علماً بفضله هذا هذا المكان فأمر بعمارة المسجد والمنار وجعل فيه صهريجاً يخزن فيه الماء كما حبس عليه الأحباس . ويقال أيضاً أن تنور فرعون لم يزل بحاله حتى هدمه أحد قواد أحمد بن طولون يقال له وصيد .

ومن المساجد الهامة هناك مسجد اللؤلؤة الذى ماتزال آثاره باقية حتى الآن ويقال أن مكانه كان مشهوراً بإجابة الدعاء فلما أخبر الحاكم بفضله بنى عليه مسجداً وسماه

اللؤلؤة وكان بناؤه في سنة ست وأربعمائة . والمسجد مقام بالقرب من مقام اليسع وروبييل شقيق شيبان الراعي وهو من مشاهد الرؤيا لأنه من الثابت تاريخيا أنه لم يدفن بمصر إلا يوسف عليه السلام .

وهناك مسجد دكة القضاة ، قال القضاعي هي دكة مرتفعة عن المساجد في الجبل كان القضاة بمصر يخرجون إليها لرؤية الالهة وخاصة هلال رمضان ثم بنى مكان هذه الدكة مسجد عرف باسمها . . ومسجد فائق مولى خماروية بن أحمد ابن طولون كان في سفح الجبل مما يلي طريق مسجد موسى ، الذي بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات .

ومن المساجد الكبيرة بجبل المقطم مسجد الفقاعي ، وهو ابو الحسن على بن الحسن بن عبد الله كان أبوه فقاعيا بمصر ، وقد بنى هذا المسجد كافور الأخشيد ثم جدده وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير . وكان في وسط المسجد محراب مبنى من الطوب يقال أنه من بناء حاطب بن أبي بلتعة رسول النبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس وقيل أنه أول محراب اختط في مصر وكان أبو الحسن التميمي قد زاد في بنائه قبل ذلك .

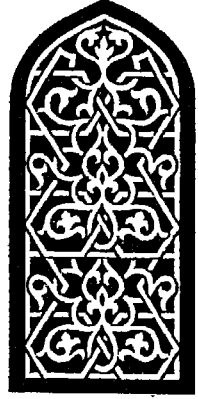
وفي شرقي الخندق الذي يعترض جبل المقطم يوجد مسجد الكنز وكان مسجداً صغيراً يعرف بالزمام مات بانيه قبل اتمامه فهدهم أبو طاهر محمد بن علي القرشي القرقوبى ووسعه وبناه . ولعل أقدم مساجد جبل المقطم الذي ماتزال بعض آثاره باقية جامع محمود إذ يقول عنه المقرئزي : هذا المسجد قديم والخطبة فيه متجددة وينسب لمحمود بن سالم من أجناد السرى بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة . وقال القضاعي عن مسجد محمود : يقال أن محمودا هذا كان رجلا جنديا من جند السرى بن الحكم أمير مصر وأنه هو الذي بنى هذا المسجد وذلك أن السرى بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل في طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه فالتفت عن يمينه فرأى محمودا فأمر بضرب عنق الرجل ففعل فلما رجع محمود إلى منزله تفكر وندم وقال : رجل يتكلم بموعظة بحق فيقتل بيدي وأنا طائع غير مكره على ذلك فهلا امتنعت وكثر أسفه وبكاؤه وآل على نفسه أن يخرج من الجنديّة

ولا يعود فيها ولم ينم ليلته من الغم والندم فلما أصبح غدا إلى السرى فقال له أنى لم أنم في هذه الليلة على قتل الرجل وأنا أشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لا أعود في الجندية فأسقط اسمى منهم وأن أردت نعمتى فهى بين يديك ، وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود وأقام فيه . وقال ابن المتوج الجامع المشهور بسفح المقطم هذا الجامع من مساجد الخطبة وهو أول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد قاضى العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو .

ومن المشاهد الباقية بجبل المقطم مشهد الجيوشى الذى بنى لأمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة الفاطمى المستنصر بالله .

وعلى ربوة منفصلة من جبل المقطم بنى صلاح الدين الأيوبي قلعته المعروفة بقلعة الجبل . وفى داخل القلعة أقام السلطان الناصر محمد بن قلاوون مسجده الذى ما يزال باقيا حتى اليوم ويعرف باسمه . وفى العصر العثمانى شيد سليمان باشاوالى مصر مسجده الذى يعرف باسم سارية الجبل . وفى القرن التاسع عشر بنى محمد على مسجدا بالقلعة يعتبر أجمل ما شيد من مساجد العصر العثمانى .

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط



نشأ عمرو بن العاص في بطن من بطون قريش المشهورة وهم بنو سَهْم ، وأبوه هو العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم . ويقال في متواتر الروايات أنه كان من ذوى اليسار وكان يتجر بين الشام واليمن ، ويحتشد لرحلة الصيف ورحلة الشتاء ، وقد كان عمرو بأبيه جد فخور ، حتى لقد كان يفخر به على الخلفاء كعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، إذ يقول الطبرى^(١) وكذا ابن حجر^(٢) ، : لما أرسل إليه عمر بن الخطاب من يحاسبه ويشاطره ماله غضب وقال للرسول : « قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل . والله أنى لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها وما منهما إلا في نَمرة لاتبلغ رسغيه . والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس اللديج مزورا بالذهب » . ولما عزله عثمان من ولاية مصر دعاه فانبه وقال له : استعملتك على ظلمك

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٥

(٢) الاصابة في تميز الصحابة ج ٢ ص ٢٧

وكثرة القاله فيك . فقال عمرو : كنت عاملا لعمرب بن الخطاب ففارقنى وهو عنى راض . واحتدم الغضب بينهما ، فهم عمرو بالخروج مغضبا وهو يقول : قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أباك ، فوالله للعاص كان أشرف من عفان . فما زاد عثمان على أن قال : مالنا ولذكر الجاهلية .

وعلى قدر فخره بأبيه كان خجله من نسه إلى أمه فقد كان حسادة والناقمون عليه يلاحقونه بذكرها وهو على دست الامارة ومنبر الخطابة ، فسأله رجل وهو على المنبر قال : من أم الأمير ؟ فأمسك من غضبه وقال : النابغة بنت عبد الله ، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها عبد الله بن جدعان ، ووهبها للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإن كانوا جعلوا لك شيئا فخذ .

وبرغم ثراء العاص بن وائل ، فإنه يظهر من أخبار عمرو أنه لم يتلق مالا كثيرا من أبيه ، فقد كان يحترف الجزارة ويعمل بمال غير وفير فى تجارة الادم والعطر بين اليمن والشام ومصر .

وقد ظهرت الدعوة المحمدية وعمرو بن العاص يعيش فى الحجاز ، ولكنه لم يسلم إلا فى السنة الثامنة للهجرة على أرجح الأقوال ، ويؤخره بعضهم إلى ما بعد فتح مكة بزمن وجيز . قال وقد اعتزم لقاء النبي صلى الله عليه وسلم : (فأضمرت أن أبايعه على ما تقدم وما تأخر فلما بسط يده قبضت يدى ، فقال عليه السلام : مالك يا عمرو ؟ قلت : أبايعك يا رسول الله على أن يُغفر لى ما تقدم من ذنبى . قال أن الإسلام والهجرة يجبان ما كان قبلهما . فبايعته ووالله ما ملأت عينى منه وراجعت بما أريد حتى لحق ربه ، حياء منه » . فقد كانت رحابه صدر النبي صلى الله عليه وسلم تسع الناس جميعا ولا تضيق بأحد من مختلف الطوائف والطباع ومن سيره عمرو بعد إسلامه نعلم أنه كان يتعبد ، ويتصدق ، ويستغفر من ذنوب وقع فيها ، ويقم الصلاة ويسرد الصوم ويعيش بين ذويه مسلما وكلهم مسلمون .

وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم كما عرف غيره من الصحابة خيرا معرفة . فقد ندبه لأمر لا يندبه لها إلا من كان على علم واف بالرجل ، وما غلب عليه من ظاهر خصاله واستسر فى مكنون خلده . ندبه لغزوة ذات السلاسل ، ولهدم الضم (سَوَاع) ولدعوة جيفر

وَعَبَّادٌ أَمِيرِي عُمَانَ إِلَى الْإِسْلَامِ . ثُمَّ أَقَامَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ فِي تِلْكَ الْإِمَارَةِ ، فَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ وَعَى صِفَاتِهِ وَمُمِيزَاتِهِ ، فَقَدْ اخْتَارَ لَهُ الْمَسَاعِي الَّتِي تَوَافَقَ رِجَالًا مَعْتَدًا بِنَسْبِهِ ، مَجْبًا لِلرَّئِاسَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَالِ ، لَبِقًا فِي الْخُطَابِ ، قَدِيرًا عَلَى الْإِقْنَاعِ حَذْرًا فِي مَوْضِعِ الْحَذَرِ جَرِيثًا فِي مَوْضِعِ الْجَرَاءَةِ .

كَانَ أَحْوَالُ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ مِنْ قِضَاعَةَ يَتَأَهَّبُونَ لِلزَّحْفِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَيَعِيشُونَ فِي الطَّرْقِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَيْهَا فَسَادًا ، فَتَدَبَّ لَهُمْ عَمْرًا يَتَأَلَّفُهُمْ أَنْ اسْتَطَاعَ أَوْ يَزْجُرَهُمْ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَهُوَ بِهِمْ أَوْلَى ، فَأَرْسَلَهُ فِي سَرِيَةِ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ سَارَ بِهِمْ حَتَّى بَلَغَ مَاءَ يَسْمَى السَّلَاسِلَ فَاسْتَطَلَعَ فَإِذَا الْقَوْمُ أَكْبَرَ عَدَدًا مِنْ أَنْ يَتَصَدَّى لَهُمْ بِجَيْشِهِ الصَّغِيرِ ، فَطَلَبَ الْمُدَدَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَدَهُ بِكُتَيْبَةَ عَلَى رَأْسِهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجِرَاحِ ، وَفِيهَا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَهُمْ أَجَلُ الصَّحَابَةِ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَطِيعُوهُ . فَانْهَزَمَتْ قِضَاعَةُ وَلَمْ يَغْتَرِ عَمْرُو بِالنَّصْرِ وَلَمْ يَنْسِ ذِمَّةَ الْقُرَابَةِ وَاسْتِبْقَاءَ الرَّحْمِ ، فَقَدْ أَرَادَ جَيْشُهُ أَنْ يَتَعَقَّبَ الْمُنْهَزِمِينَ فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ . وَحَدَّثَ أَنَّ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ يَصْطَلُونَ لَيْلًا مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ ، فَتَوَعَّدَهُمْ قَائِلًا : لَشَنْ فَعَلْتُمْ لِأَقْدَفِنَ بِنِ أَضْرَمَ نَارًا فِي النَّارِ الَّتِي أَوْقَدَهَا وَوَسَطُوا لَهُ أَبَا بَكْرٍ فَأَصْرَ عَلَى رَأْيِهِ وَوَعِيدِهِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا الْمَدِينَةَ شَكُوهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ فِي رَدِّهِ مَا يَدُلُّ عَلَى طَوْلِ بَاعِ فِي النُّوَاحِي الْعَسْكَرِيَّةِ وَحَنْكَةِ وَدْرَايَةِ بِالْأَسَالِيبِ السِّيَاسِيَّةِ قَالَ : كَرِهْتُ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ فَيَكُونُ لَهُمْ مُدَدٌ ، وَكَرِهْتُ أَنْ يُوقِدَ الْمُسْلِمُونَ نَارًا فَيَرَى عَدُوَّهُمْ قَلْبَهُمْ فَيَكْفُرُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ فِرَارِهِ .

أَمَّا بَعْثُهُ إِلَى سُوَاعٍ فَقَدْ كَانَتْ لَهُدْمُ الضَّمِّ الَّذِي عَبْدَتْهُ هُدَيْلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مَكَّةَ . يَقْصِدُونَهُ لِلْحَجِّ وَالْعِبَادَةِ وَقِضَاءِ النُّذُورِ . وَكَانَتْ لَهُ خِزَانَةٌ يُوَدِّعُ فِيهَا مَا يُوَدِّعُ مِنَ النُّنُورِ مِنَ الْمَالِ الَّذِي وَكَّلَ بِهِ بَنُو سَهْمٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ اخْتِيَارَ زَعِيمٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ فِيهِ حِرْصٌ عَلَى تَحْصِيلِ الْمَالِ دُونَ إِرَاقَةِ دِمَائِهِ . فَلَمَّا جَاءَ سَادَنُ الضَّمِّ وَسَأَلَهُ ، مَاذَا يَرِيدُ ، أَجَابَهُ عَمْرُو بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ بِتَحْطِيمِ الضَّمِّ ، فَحَذَرَهُ السَّادَنُ مِنْ مَغْبَةِ هَذَا الْعَمَلِ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَمَا كَانَ مِنْ عَمْرُو إِلَّا أَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الضَّمِّ وَكَسَرَهُ .

وأمر أصحابه بهدم الخزانة فإذا هي خاوية . ثم أقبل على السادن وسأله كيف رأيت ، قال : أسلمت لله رب العالمين .

أما مهمة عمان فقد كانت تطلب رسولا يتوفر فيه اللباقة والدهاء والجرأة وحُب الرياسة والطمع في الثراء ، وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك كله في عمرو فاختاره لها . فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جَيْفَر وَعَبَّاد ابني الجُلَنْدِي أمير عُمان كتابا يدعوها فيه إلى الإسلام ، وحمل عمرو بن العاص الكتاب ، وكان عند حسن ظن الرسول صلى الله عليه وسلم به في مقدرته ودهائه ، فبدأ بأصغر الاخوين عباد ، لأنه لم يكن على ولاية الملك فهو أقرب إلى إجابة النداء ، فاحتفى به وأصغى إليه ، ووعدته أن يمهده له عند أخيه . ثم لقي جَيْفَرًا فإذا هو صعب المراس ، فأخذ يسأل عمرا عن نفسه وعن أبيه ثم تطرق الحديث إلى قريش وعما صنعت فأوجز له موقفها ايجازا جَد بليغ إذ قال « إما راغب في الدين وإما مقهور بالسيف » ثم عقب بحديث فيه وعد ووعيد حيث قال له : « وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه بوطئك الخيل ، فأسلم تسلم ، فيوليك على قومك ، وتبقى على ملكك مع الإسلام ، ولا تدخل عليك الخيل والرجال ، وفي هذا ، ومع سعادة الدارين ، راحة من القتال » .

وكان من نتيجة الأساليب السياسية التي اتبعتها مع الأخوين أن استجاب الأخوان ومن تبعهما للإسلام . وكان جزاء عمرو على هذا التوفيق أن عقد له النبي صلى الله عليه وسلم ولاية الزكاة ، يأخذها من الأغنياء ويفرقها على الفقراء ، وهو عمل حبيب إلى قلب عمرو لرغبته الشديدة في المال وطمعه في الثراء . وظل عمرو في ولاية الزكاة حتى توفي رسول الله ولم يشأ الخليفة أبو بكر أن يعزله عنها إلا برأيه ومرضاته وذلك جريا على السنة التي التزمها من اقراره كل ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وهي « ألا يحل عقلا عقلة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعقل عقلا لم يعقله » . ويقال إن عمرا لم يرقط في حزن كالحزن الذي غمره يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فبكى طويلا وجلس يتلقى العزاء كما يتلقاه في أقرب الناس إليه . ثم جاءت حروب الردة فكان موقفه منها الموقف المنتظر

من مثله ، فقد حدث وهو في طريقه من عُمان إلى المدينة ، أن نزل ببني عامر ، فإذا بزعيهما قرة بن هبيرة يهـم بالردة ويقول له : « ياعمر إن العرب لاتطيب لكم نفسا بالاتاوة ، فإن أعفيتها فستسمع لكم وتطيع ، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم » . فلم تأخذه في الأمر هواده بل اشتد معه وأغلظ له القول وصاح به « ويحك ، أكفرت يا قره ؟ تخوفنا برده العرب ، فوالله لاوطئن عليك الخيل في حفش أمك » (أى في خبائها) . ويعلق العقاد^(١) على هذه الحادثة بقوله : وكان هذا الموقف منه أول ما استحق به الثقة والرعاية في عهد الخلافة ولما استقر رأى الخليفة أبي بكر على البعث ، فأرسل أبا عبيدة بن الجراح إلى حمص ويزيد بن أبي سفيان إلى دمشق وشرحبيل إلى وادي الأردن وعمرو بن العاص إلى فلسطين ، ويقدر عدد الجيش الذي قاده عمرو بتسعة آلاف مقاتل وعدد الجيوش الإسلامية كافة سبعة وعشرين ألفاً من الفرسان والمشاة ، وكان ذلك في أواخر السنة الثانية عشرة للهجرة . وإذا كان عمرو لم يستطع اقناع عمر بن الخطاب لكي يكلم أبا بكر ليجعله أميراً على الجيوش الإسلامية ، إلا أنه استطاع بدهائه أن يكون موضع شوري ومراجعة تلك الجيوش التي انتهت بالانتصار في معركة اجنادين وفي وقعة اليرموك .

وما زالت ثقة عمر بن الخطاب بكفاءة عمرو وحنكته الحربية والسياسية تعظم كلما تم له النصر على مدينة تلو الأخرى حتى تم للعرب الاستيلاء على بيت المقدس وتم تسليمها للخليفة عمر سنة ١٥ هـ . وفي عام ١٨ هـ تطلعت نفس عمرو إلى فتح أكبر وأخطر ، إلى فتح الديار المصرية التي كانت درة التاج في دولة هرقل . أفضى القائد الجريء بأمله إلى الخليفة ، فاستمع إليه وتردد ، أما عمرو فقد كان أعلم الناس بالخليفة وبمصر من أن تفوته وسيلة الاقناع في هذا المقام ، إذ قال له : فلتكن غزوة مصر دفعا للخطر وضماناً لأرواح المسلمين » وكان عمر بن الخطاب يعلم أنه يستمع إلى صواب ولكنه استجاب لرأى عمرو وهو بين الاقدام والأحجام ، فأذن له في السير وأنظره كتاباً آخر يأتيه منه في الطريق ، وقال له : سيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله تعالى ، فإن أدركك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر

(١) عمرو بن العاص ص ٥٩ .

قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتبك كتابي ، فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره . « وقيل أن كتاب عمر أدرك عمراً في رفح فأغضى عن الرسول حتى بلغ مكاناً من مصر غير مختلف فيه ، فقرأ الكتاب وقال لجنده « لم يلحقني كتاب أمير المؤمنين حتى دخلنا أرض مصر فسيروا على بركة الله وعونه » .

ويقول العقاد « قام عمرو بفتح مصر وقام بتأمين ذلك الفتح وتمكينه على نحو لم يسبقه إليه سابق من فاتحى وادى النيل في قديم عصوره ، لأنه أبقى لهذا الفتح أثراً خالداً في لغة البلد ودينه وفنونه ، فصنع مالم يصنعه فاتح قديم وقل أن يصغعه فاتح حديث . وقد أنصف الخليفة عمراً وأحسن جزاءه بتوليته على مصر بعد فتحها وتنظيم شؤونها وكان عمرو من الولاة القليلين الذين طال عهدهم بالولاية في خلافة عمر بن الخطاب قضى عمرو نحو خمس سنوات واليا لمصر في خلافة عمر وأقره عثمان على ولاية مصر . وظل أميراً عليها حتى عزل سنة ٢٧ هـ . وتولى عمرو ولاية مصر للمرة الثانية في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هـ وبقي بها حتى وافته المنية سنة ٤٣ هـ وقد جاوز الثمانين أو قارب المائة في قول آخر . وكانت وفاته ليلة عيد الفطر فدفن بجوار المقطم . وكان رحمه الله عليه في أخريات أيامه يدعو الله قائلاً : « اللهم آتيت عمراً مالا ، فإن كان أحب إليك أن تسلب عمراً ماله ولا تعذبه بالنار فأسلبه ، وأنت آتيت عمراً أولادا ، فإن كان أحب أن تُشكل عمراً ولده ولا تعذبه بالنار فأنكله ولده . وأنت آتيت عمراً سلطاناً ، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه » .

وكان يقول « اللهم لا أقوى فانتصر ، ولا برئ فاعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر لا إله إلا أنت ، لا إله إلا أنت » ولم يزل يرددتها حتى مات .

* * *

وصف الجامع

لقد جرى العرب في فتوحاتهم على أن يؤسسوا في الأقطار التي يفتحونها عواصم جديدة يختارون موقعها بما يتفق ومصالحهم العامة والخاصة . ففيما يتعلق بمصر نرى أنه بعد أن فتحها العرب أهدس عمرو بن العاص حاضرة جديدة سنة احدى وعشرين للهجرة في المكان الفسيح الذي يقع إلى الشمال من حصن بابليون حيث عسكرت قوات العرب للمرة الأولى وأسمها الفسطاط . وقد اختلفت الروايات في أصل كلمة (الفسطاط) فجمهور مؤرخي العرب يرجعون أصلها إلى أسطورة اليامة المعروفة ، أما المستشرقون فيرجعونها إلى كلمة Fastum^(١) اللاتينية وهي الخيمة .

وقد وفق عمرو في اختيار موقع المدينة أيما توفيق سواء من الناحية الجغرافية أو الحربية فمدينة الفسطاط تقع عند رأس رأس الدلتا ، وهو موقع له أهميته من الناحية الحربية والعمرائية وبذلك تكون الفسطاط في مأمن من هجمات العدو وهي في نفس الوقت قريبة من الأراضي الزراعية الأمر الذي يسهل معه وصول المؤن والأقوات . ويحمي الفسطاط من جهة الشرق جبل المقطم فهو درعها الواقية ضد العدو وضد فيضان النيل .

(١) فتح مصر - تأليف بتلر ترجمة فريد أبو حديد ص ٢٩٤ .

وقد دل عمرو بن العاص على بعد نظره عندما راعى في اختياره لموقع المدينة أن يكون لها جانب يمكن أن يَطْرُد فيه اتساعها ألا وهو الجهة الشمالية الشرقية ، التي بنيت بها مدينة العسكر والقطائع والقاهرة فيما بعد .

وما كاد عمرو بن العاص ينتهي من تأسيس مدينة الفسطاط حتى أقام في وسطها جامعة العتيق^(١) : إمام المساجد ومطلع الأنوار اللوامع ، طوبى لمن حافظ على الصلوات ، فيه ، وواظب على القيام بنواحيه^(٢) . واتسعت أرجاء الجامع حتى بلغ مساحته الحالية في العصر الأموي .

كانت مساحة جامع عمرو في أول أمره خمسين ذراعا طولاً في ثلاثين ذراعاً ، يقول أبو سعيد الحميري « وكان الطريق يطيف به من كل جهة ، وقد جعل له عمرو بابين يقابلان داره وبابين في بحريه وبابين في غربيه^(٣) . وكان سقفه مطاطاً جداً ولا صحن له فإذا كان الصيف جلس الناس بفنائمه من كل ناحية^(٤)»

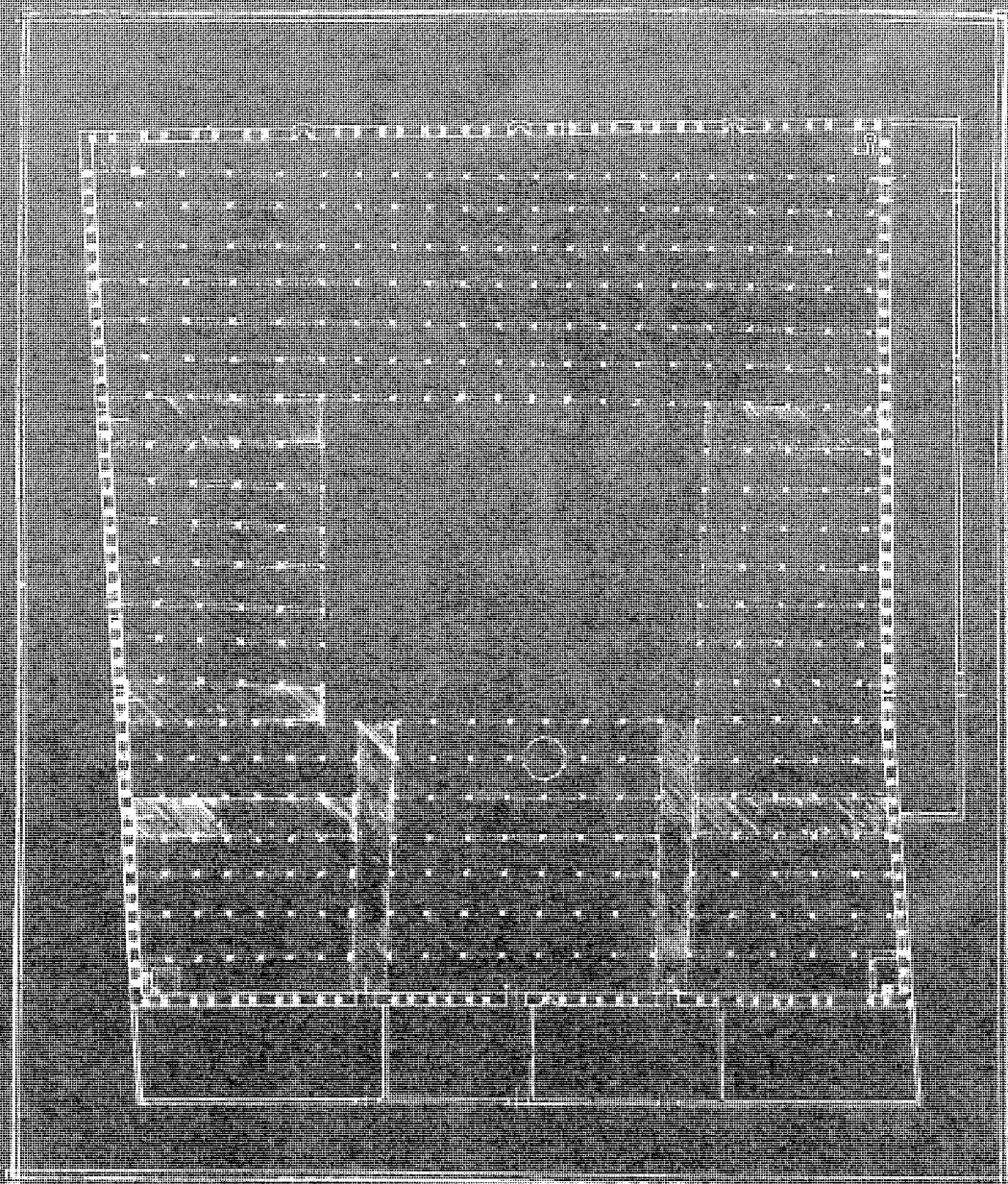
قال الكندي عن يزيد بن أبي حبيب ، سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح (جامع عمرو) يقولون وقف على إقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر رضي الله عنهم . وفي رواية أخرى ، « أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة ، أبو ذر وأبو بصيرة ومحنة بن جزء الزبيدي ونبيه بن صواب . وقال عبد الله ابن أبي جعفر : « أقام محرابنا هذا عبادة بن الصامت ورافع بن مالك وهما نقيبان . وقيل أن عمرو بن العاص بعث ربيعة بن شرجبيل بن حسنة وعمرو بن علقمة القرشي يقمان القبلة

(١) جامع عمرو تأليف محمود أحمد .

(٢) الانتصار لواسطة عقد الأمصار - ابن دقاق ج ٤ ص ٥٩

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٧

(٤) المقرئ : المخطوط ج ٤ ص ٤



Handwritten text in Arabic script, possibly a title or reference number, located below the drawing.

وقال لهما قوما إذا انتصفت الشمس فاجعلها على حاجبيكما ففعلا ، وكان عمرو بن العاص يمد الحبال حتى أقيمت قبلة المسجد بها .

وقد اتخذ عمرو منبرا فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلا له : « أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك » فكسره ، ويقال أنه أعاده بعد وفاة عمر^(١) .

وأول من زاد في جامع عمرو هو مسلمة بن مخلد الانصارى والى مصر من قبل الخليفة معاوية ابن أبي سفيان وكان ذلك سنة ٥٣ هـ ، فقد جاء في كتاب أخبار مسجد أهل الراية (جامع عمرو) مانصه : « ولما ضاق المسجد بأهله شكوا ذلك إلى مسلمة بن مخلد وهو الأمير يومئذ فكتب فيه إلى معاوية بن أبي سفيان فكتب إليه يأمره بالزيادة فيه من شرقيه مما يلي دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثا من القبلى ولا من الغربى . وجعل له رحبه كان الناس يصيفون فيها » . ويضيف المقرئى فيقول نقلا عن الكندى : كما لاطه مسلمة بالنوره (أى دهنه بالطلاء) وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد الذى لعمرو فيه نوره أو زخرف » .

أمر معاوية^(٣) « بابتناء منار المسجد الذى فى الفسطاط وأمر أن يؤذنوا فى وقت واحد، وقيل أن مسلمة جعل للمسجد الجامع أربع صوامع فى أركانه الأربعة وهو أول من جعلها فيه . كما فرش الجامع بالحضر ، وكان قبل ذلك مفروشا بالحصاء .

وكانت الزيادة الثانية كما يقول القضاعى فى عهد عبد العزيز بن مروان فقد هدمه فى سنة تسع وسبعين من الهجرة وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التى كانت فى بحريه ولم يجد فى شرقيه موضعا يوسعه به . ويقول الكندى « أن عبد العزيز بن مروان لما أكمل بناء

(١) صحیح الأعتى ج ٣ ص ٣٤١

(٢) الولاية والقضاة ص ٣٥ .

(٣) المقرئى ج ٤ ص ٢٧

المسجد خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى في أهله خفة (أى غير مزدحم) فأمر بأخذ الأبواب على من فيه ، ثم دعا بهم رجلا رجلا فيقول للرجل ألك زوجة فيقول لا ، فيقول : زوجوه ألك خادم فيقول لا فيقول لا فيقول أخدموه أحججت فيقول لا فيقول أحجوه ، أعليك دين فيقول نعم ، فيقول اقضوا دينه فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ولم يزل إلى اليوم .

كذلك أمر عبد الله بن مروان والى مصر من قبل أخيه الوليد ، برفع سقف الجامع وكان مطاطاً وذلك فى سنة تسع وثمانين ، ثم أن قره بن شريك العيسى هدم الجامع فى مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك وفرغ من بنائه سنة ثلاث وتسعين ونصب المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذى كان فى المسجد من عهد عمرو بن العاص ، وكان منبر جامع عمرو هو المنبر الوحيد فى مساجد مصر ، إذ لم يكن يخطب فى القرى إلا على العصا إلى أن ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمي إمارة مصر من قبل مروان ابن محمد (آخر خلفاء الدولة الأموية) فأمر باتخاذ المنابر فى القرى وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

وأمر قره بن شريك بعمل المحراب المجوف (على غرار المحراب المجوف الذى عمله عمر بن عبد العزيز فى المسجد النبوى) وهو المحراب المعروف باسم محراب عمرو لأنه فى سمت محراب المسجد القديم الذى بناه عمرو بن العاص . كذلك ذهب تيجان الأعمدة الأربعة التى تتقدم المحراب . ولما وسع قره المسجد فتح فيه أحد عشر بابا أربعة فى شرقية ومثلها فى غربية وثلاثة فى الجهة البحرية . وفى خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧ هـ بنى أسامة بن يزيد التنوخى متولى الخراج ، بيت المال الذى يعلو الفوارة بالجامع وهى بناء يعلوه قبة . وما يزال بيت المال يتوسط صحن الجامع حتى الآن ، ويرى الأستاذ عكوش^(١) أن المباني التى توجد فى صحن مساجد مصر والشام التى يعلوها قباب وعرفت باسم بيت المال ، إنما أعدت لايداع أموال اليتامى .

(١) تاريخ المساجد الاثرية ص ١٩

وفي العصر العباسي زاد في المسجد صالح بن علي والى مصر من قبل أبي العباس السفاح وذلك بإضافة أربعة أساطين في مؤخرته وذلك في سنة ١٣٣ هـ ، ويقال أنه أدخل في الجامع دار ابن الزبير وباب الكحل من هذه الزيادة ، كما عمّر صالح مقدم الجامع عند الباب الأول منه . وفي سنة ١٧٥ في خلافة هارون الرشيد زاد والى مصر موسى بن عيسى الرحبة التي في آخر المسجد وهي نصب الرحبة المعروفة برحبة أبي أيوب ، ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ النصف الثاني من رحبة أبي أيوب ووسع بها الطريق^(١) .

وفي سنة ٢١٢ هـ أمر عبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل الخليفة المأمون بالزيادة في المسجد الجامع فزيد فيه من غريبه . وبذلك أصبحت مساحته ١١٢٥ مترا ١٢٠٥ مترا وهي مساحته الحالية كذلك نصب اللوح الأخضر وأصلح بنيان السقف وبني سقاية في الحدائين وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب . ويقول محمود أحمد : توضيح زيادة ابن طاهر برسم خط يبدأ من منتصف فتحة الباب الأوسط وينتهي عند حائط القبلة بجانب المحراب الكبير الحالي . وهذا الخط يقسم المسجد إلى قسمين متساويين تقريبا الجنوبي هو زيادة ابن طاهر والقسم الشمالي المسجد الأصلي بالإضافة التي أضيفت إليه إلى ما قبل عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ .

وفي عهد الدولة الطولونية وقع في مؤخر المسجد حريق هلك فيه أكثر زيادة عبد الله ابن طاهر ، وكذا الرواق الذي عليه اللوح الأخضر ، فأمر خماروية بن أحمد بن طولون بعمارته ، فأعيد على ما كان عليه وأنفق فيه ستة آلاف وأربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه في دائرة الرواق الذي كان عليه اللوح الأخضر .

وفي العصر الأخشيدى نقش أكثر العمد وطوقت بأطواق من الفضة ، حتى إذا ما جاء منتصف القرن الرابع الهجري كان المسجد بالغاً حدّه من الزخرف ، من تذهيب ونقش وتطوير للعمد .

(١) المخطط ج ٤ ص ٤

وقد زاره في ذلك الوقت الرحالة عبد الله المقدسي^(١) فقال : أنه أحسن البناء وفي حيطانه شئ^٢ من الفسيفساء ، يقوم على أعمدة رخام وهو أكبر من جامع دمشق ، وهو أعمر موضع بمصر .

وبرغم أن الجامع الأزهر هو مسجد الدولة الرسمي في عصر الدولة الفاطمية إلا أن جامع عمرو بن العاص حظى بالكثير من العناية والرعاية من خلفاء الفوالم^(٢) ، فيحدثنا المقرئزي^(٣) أن الخليفة العزيز بالله ثاني خلفاء الدولة الفاطمية أمر وزيره يعقوب بن كلس أن يزيد فيه الفوارة التي تحت بيت المال ، وهو أول من عمل فيه فوارة كما عمل للمسجد مساقف الخشب المحيطة بها وكان ذلك في سنة ٣٨٧ هـ ، كما جدد بياض المسجد وقلع شئ^٢ كثير من الفسيفساء الذي كان في أورفته وبيض مواضعه . ويقول المسبحي في تاريخه في حوادث سنة ٤٠٤ ، أي في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله : إنه أنزل من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ما هو مكتوب كله بالذهب ومكّن الناس من القراءة فيها . كما أرسل الخليفة الحاكم بأمر الله إلى الجامع تنورا (نجفة) من الفضة يبلغ قيمته مائة ألف درهم فضة ، فاجتمع الناس ولم يمكن ادخاله بالمسجد إلا بعد أن قلعت عتبنا الباب حتى أدخل به . ويذكر القضاعي أن الحاكم بأمر الله أمر بعمل رواقين في صحن الجامع ، كما يذكر في حوادث سنة ٤٤٢ هـ عملت لموقف الامام في زمن الصيف مقصورة خشب ومحراب من خشب الساج الهندي المنقوش به عمودان من خشب الصندل ، وتقلع المقصورة في الشتاء إذا ما صلى الامام في المقصورة الكبيرة .

ويعلق حسن عبد الوهاب على هذه الرواية فيقول : ولهذا الخبر أهمية خاصة فقد أوضح اختصاص المحاريب المتنقلة التي اقتصر ظهورها على الدولة الفاطمية ، ويوجد منها ثلاثة في متحف الفن الإسلامي .

(١) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٩٩

(٢) آثار البلاد واخبار العباد للقزويني ص ١٥٧

(٣) الخطط والآثار ج ٤ ص ١٢

ويقول المقرئى أن الخليفة المستنصر بالله أمر بعمل منطقة من الفضة فى صدر المحراب الكبير أثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودية أطواقا من فضة ، كما أمر ببناء مثلثة سنة ٤٤٥ فيما بين مثلثة عرفه والمثلثة الكبيرة .

وقد أفاض كثير من الرحالة الذين وفدوا على الدولة الفاطمية فى ذكر ووصف جامع عمرو نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار مصر سنة ٤٣٩ هـ قال « والمسجد العتيق قائم على أربعمائة عمود من الرخام ، والجدار الذى عليه المحراب مغطى كله بالألواح الأبيض التى كتبت عليها آيات من القرآن بخط جميل وتحيط بالمسجد الأسواق من جهاته الأربع وعليها تفتح أبوابه » . ثم أسهب فى وصف التنور (النجفة) الذى أهدها الحاكم بأمر الله للمسجد والذى قيل أن وزنه كان سبعة قناطير من الفضة وكذا القناديل التى كانت توقد فى ليالى المواسم والأعياد ، إذ يقول « وكان يوقد فى ليالى المواسم أكثر من سبعمائة قنديل ، وأن المسجد يفرش بعشر طبقات من الحصى الملون بعضها فوق بعض . وفى غير المواسم يضاء المسجد كل ليلة بأكثر من مائة قنديل . وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة . ولا يقل من فيه فى أى وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والمبايعات » .

ولما أحرقت مدينة الفسطاط سنة ٥٦٤ هـ خوفا من استيلاء الصليبيين عليها واستمرت النيران مستعرة (٥٤) يوما تهدمت المدينة وتخربت مبانيها وتشعث جامع عمرو . فلما استقل صلاح الدين بحكم مصر ، كان من أهم الأعمال المعمارية التى اهتم بها عمارة جامع عمرو ، وفى ذلك يقول المقرئى « فلما استبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر ، جدد الجامع العتيق بمصر فى سنة ثمان وستين وخمسمائة وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه » .

وقد توالى يد الإصلاح والتعمير والتجديد طوال العصر المملوكى فيذكر لنا المقرئى وصفا مسهبا مفصلا عن كل تجديد قام به أى من السلاطين . فيذكر عمارة الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٦ هـ ثم عمارة المنصور قلاوون واستداره الأمير بيبرس جاشيكير سنة ٦٨٧ هـ ،

ثم عمارة الأمير سلار في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ هـ وهي العمارة التي تخلف عنها الشبايك الجصية الموجودة بالواجهة الغربية للمسجد الآن ، وكذا المحراب الجصي الخارجى في هذه الواجهة والذي يحتوى على شريط من الكتابة العربية بالحرف "الثلاث الجميل من بينها اسم (سلار) وكذا زخارف نباتية غاية في الدقة والابداع . كذلك يذكر العمارة الكبيرة التي قام بها رئيس التجار يومئذ بديار مصر برهان الدين ابراهيم بن عمر بن المحلى وفي ذلك يقول المقرئى : « فجاء كما كان وعاد الجامع جديدا بعد ما كاد أن يسقط لولا أن أقام الله عز وجل هذا الرجل (يعنى برهان) مع ما عرف من شحه وكثره ضنه بالمال حتى عمّره فشكر الله سعيه وبيض محياه ، وكان انتهاء هذا العمل في سنة ٨٠٤ هـ ولم يُصل فيه صلاة جمعة ولا جماعة في مدة عمارته »^(٢) .

ويصف لنا ابن اياس آخر عمارة اجريت للمسجد في العصر المملوكى فيقول في حوادث سنة ٨٧٦ هـ « وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه إلى جامع عمرو بن العاص وكشف عما تهدم من حيطانه وسقفه وأمر ببناؤه من ماله ، وشرع في ذلك في الحال » وجاء في نزهة الناظرين^(٣) « أن الملك الأشرف أبا النصر قايتباى جدد من جامع عمرو بن العاص بعض جهاته »

ومن أهم الاصلاحات التي أُقيمت في العصر المملوكى ، تلك العمارة التي قام بها الأمير مراد بك ، فيحدثنا الجبرتي^(٤) في حوادث سنة احدى عشر ومائتين وألف عن الأمير مراد بك والأعمال التي قام بها في جامع عمرو فيقول « أن الأمير مراد بك المدفون بسوهاج لما رأى خراب جامع عمرو وسقوط سقفه ، وميل شقه الأيمن خطر بباله تجديده ، فأنفق عليه أموالا عظيمة ، فأقام أركانه وشيد بنيانه ونصب أعمدته وبني به منارتين (هما الباقيتان للآن فقط) وجدد جميع سقفه بالخشب النقى (أى خشب السرو) وبيض جميعه

(١) المخطوط والآثار ج ٤ ص ١٢

(٢) سفرنامه تعريب يحيى الخشاب ص ٥٩

(٣) نزهة الناظرين ص ٣٧

(٤) الجبرتي ص ١١٢

فتم على أحسن ما يكون وفرشه جميعه بالحصر الفيومي وعلق به قيناديل . « وقد عاصر الجبرتي تلك الاصلاحات ورآها إذ يقول : وصلت به الجمعة في آخر رمضان سنة اثنتى وعشرة كما حضر الأمراء والأعيان والفقهاء » وقد سجلت تاريخ تجديد الأمير مراد في عدة مواضع من المسجد ، ماتزال باقية حتى الآن ، أولها يوجد فوق المحراب الرخامى الكبير فقد كتب على لوح من الرخام الأبيات التالية (١) :

أنظر لمسجد عمرو بعد ما درست	رسومه صار يحكى الكواكب الزاهي
نعم الوزير الذى لله جسده	مير اللواء مراد الأمر الناهي
له ثواب جزيل غير منقطع	على الدوام بانظار وأشباه
لاح القبول عليه حين ارحه	هذا البناء على مراد الله سنة ١٢١١ هـ

كذلك سجل على المحراب القديم الذى رسمه الأبيات الآتية :

مسجد ابن العاص أضحى	بعدم هدم قد أصابه
كعبه يسعى إليها	يرتجى فيه الاجابه
جمل التاريخ رجح	قد بناها الصحابة سنة ١٢١١ هـ

وكان للمسجد فى ذلك الوقت سبعة أبواب ، واحد فى الجهة القبلىة مغلق الآن وبالجهة البحرىة ثلاثة سدت الآن . أما الجهة الغربىة وهو الواجهة فىوجد بها ثلاثة هى المستعملة الآن . كتب على اثنين منها اسم مراد بك ، فقد نقش على المدخل الرئيسى الأبيات التالية :

أحيا لنا ربنا بيتا لطاعته	وكان من قبل مصباح فطفى
وانقض بنيانه والمسلمون غدوا	من أجله قاصرين الباع فى أسف
لأنه من بقايا فرقه طهرت	أميرها عمرو السهمى غير خفى

(١٠) عل مبارك ج ٤ ص ٨

ومنذ أراد تعالى بالعمارة له أنشأه مولى جواد بالمراد يني
فصار يحكى البنا احسانه أبدا وإنما يعمر الآيات في الصحف
ونشوة العز قد قالت مؤرخه يسمو العزيز مراد جامع الشرف سنة ١٢١١ هـ
وعلى الباب الثاني بالواجهه الغربية كتب :
بمسجد الفضل عن عمروأحد بنا قد فاز بالخير من الله جده

ولما جاءت الحملة الفرنسية جرى على مسجد عمرو ماجرى لغيره من الهدم والتخريب
فقد أخذت أخشابه حتى أصبح كما يقول على مبارك « بلقعا أشوه مما كان^(١) » ولم يعمر
أو يجدد جامع عمرو بعد عماره الأمير مراد بك اللهم إلا تلك الترميمات الطفيفة التي
:ذكرها على مبارك . ومن بعد عمارة مراد بك جرت مرمت خفيفة مثل تبيضه وارتفاع
بلاطه (أروقته) وغير ذلك .



وكان لجامع عمرو وظائف متعددة إذ لم يقتصر عمله على أداء الفرائض الدينية
فحسب بل كان جامعة تعقد فيه حلقات الدرس على كبار العلماء والفقهاء ، فهو بذلك يكون
قد سبق الجامع الأزهر في وظيفة التدريس بأربعة قرون ، إلا أن هناك فرقا بينا ، فبينما
كانت دروس جامع عمرو تعطى تطوعا وتبرعا حسب لوجه الله تعالى ، كانت الدروس
بالجامع الأزهر بتكليف من الدولة ، ولذلك فهي تؤجر العلماء والمدرسين عليها وهي في ذلك
أشبه بالمدارس والمعاهد النظامية اليوم . والفرق الثاني بين جامع عمرو والأزهر ، نجده
متمثلا في مكان الدرس فإنه يطلق على أماكن الدرس في جامع عمرو اسم زاوية وتعرف في

(١) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٨

الجامع الأزهر باسم حلقة . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن القائمين على التدريس بجامع عمرو من الأئمة والمتصوفين وكبار الفقهاء الذين ينزون في ركن معين فيجتمع التلاميذ والمريدون حولهم ، بينما يقوم بالتدريس في الأزهر مدرسون مأجورون يجعلون أعمدة الأروقة مركزا لجلوسهم ويلتف الطلبة في حلقة حول العمود ومن هنا جاء اسم حلقات الدروس^(١).

وقد عدد لنا المقرئزى أهم الزوايا التي كانت في عهده ننقل منها مايلي : « وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه منها زاوية الامام الشافعي رضي الله عنه يقال أنه درس بها الشافعي فعرفت به ، وقد حبست عليها أوقاف بناحية سندبيس^(٢) اوقفها السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي ، ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء (أى حتى القرن (٩) هـ - (١٥) م) . ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع بجوار المحراب الكبير رتبها مجد الدين أبو الأشبال الحارثي وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أخو صلاح الدين الأيوبي ، عمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة ، ويعتبر التدريس بها من المناصب الجليلة . ومنها الزاوية الصحابية رتبها صاحب تاج الدين بن حنا وجعل لها مدرسين أحدهما مالكي والآخر شافعي وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البراذعين . ومنها المدرسة الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع رتبها كمال الدين السمنودي ووقف عليها فندقا بمصر . ومنها الزاوية التاجية رتبها تاج الدين السطحي وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها . ومنها الزاوية المعينية في الجانب الشرقى من الجامع رتبها معين الدين الدهروطي وعليها وقف بمصر . ومنها الزاوية العلائية تنسب لعلاء الدين الضريير وهي في صحن الجامع وهي لقراءة الميعاد (أى قراءة القرآن في ميعاد معلوم) . ومنها الزاوية الزينية رتبها صاحب زين الدين لقراءة الميعاد أيضا » ، ويضيف المقرئزى فيقول أن حلقات الدرس بلغت في النصف الثاني من القرن الرابع (١١٠) حلقة يتزعمها أئمة الفقهاء والقراء وأهل الأدب والحكمة .

(١) المخطط والآثار ج ٤ ص ٢٠

(٢) القاموس الجغرافي

ويقول المقرئ^(١) نقلا عن ابن الفرات « أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه . وكان يقام بالجامع حلقات دروس ووعظ للسيدات تصدرتها في الدولة الفاطمية واعظة زمانها أم الخير الحجازية . ولم تنقطع أخبار التدريس بهذا الجامع إلا في القرن التاسع الهجري^(٢) .

ومن وظائف جامع عمرو الهامة ، أنه مكان جلوس القضاة فقد كانت فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وكانت تعقد جلساتها في زيادة الجامع الغربية الموجود في جزء منها الآن المحراب الجصي الخارجى الذى شيده الأمير سلار في عهد الناصر محمد ابن قلاوون ، وفي ذلك يقول المقرئى : « وبالجامع ثلاث زيادات فالبحرية الشرقية ، كانت لجلوس قاضى القضاة بها في كل أسبوع يومان » .

ومن وظائف جامع عمرو كذلك القصص ، فيذكر المقرئى^(٣) « وكان بهذا الجامع القصص » ويوضح لنا الليث بن سعد معنى القصص ووظيفته وطريقة أدائه فيقول : هما قصصان ، قصص العامة وقصص الخاصة ، فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع إليه نفر من الناس يعظهم ويذكرهم ، وذلك مكروه لمن فعله ولن استمعه ، وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ، إذ ولى رجلا على القصص ، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولأهل ولايته ولحشمه وجنوده ، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين ، ويقول المقرئى : أن أول من قص بمصر سليمان بن عبد التيجي في سنة ثمان وثلاثين وجمع له القضاء إلى القصص ثم عزل عن القضاء وأفرد بالقصص . وكان سليمان يرفع يديه في القصص إذا دعا . ويفصل لنا المقرئى السبب في رفع يديه فيقول : أن الخليفة عبد الملك بن مروان شكأ إلى العلماء ما انتشر

(١) المغرب في حلل المغرب ج ٤ ص ٢٤ لشهاب الدين أحمد بن عبد الله المقرئ .

(٢) المساجد الأثرية ص ٣٠ .

(٣) الخطط والآثار ص ٤ ص ١٦ ، ١٧ .

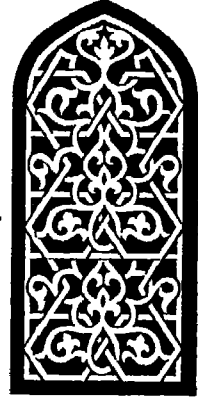
عليه من أمور رعيته وتخوفه من كل وجه فأشار عليه أبو حبيب الحمصي القاضي بأن يستنصر عليهم برفع يديه إلى الله تعالى فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب بذلك إلى القصاص ، فكانوا يرفعون أيديهم بالغبدة والعشى ، مما تقدم نستطيع أن نشبه القصاص إلى حد ما بالمفتى الآن .

كذلك كان بجامع عمرو بيت للمال ، فقد ذكره ابن رسته من علماء القرن الثالث الهجري بأنه رأى بيت المال أمام المنبر ووصفه بأنه شبه قبة عليها أبواب من حديد . وكذلك يصف المقرئ كيف كان يتم في ساحات جامع عمرو الصفقات التجارية الكبرى وكذا مزایدات الملتزمين لخراج الدولة حيث يقول : أن متولى خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تنهياً فيه قبالة الأراضى ، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن ، فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات ، وكتاب الخراج ومتولى الخراج يكتبون ما تنتهى إليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها .

وكان من الطبيعى أن يحكى عن جامع عمرو الجامع العتيق وأول جوامع مصر الإسلامية الكثير من القصص والأساطير ، كما يتحدث الناس عن أماكن فيه ، يستجاب فيها الدعاء . فمن الأساطير المتواترة حتى الآن عند جمهور العامة ، أنه يوجد على يسار الداخل من الباب البحرى الكبير (سد الآن) عمودان متجاوران يزعم الناس أنه لا يمكن المرور بينهما إلا لظاهر ذلك فإن من دنس بالذنوب والخطايا يقصدونها بالمرور بينهما ليختبر الانسان حاله ويزدحمون عليهما بعد صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان ازدحاما شديدا . وأمام المنبر من الجهة اليسرى عمود من الرخام يضربونه بالنعال والعصى بعد فراغهم من الصلاة لزعمهم أنه عصى عن الحضور مع الأعمدة التى أحضرت لبناء الجامع زمن الفتح^(١) .

(١) المقرئ ج ٤ ص ٤

قبر عبد الله بن عمرو



ويذكر على مبارك^(١) ، أنه يوجد في الزاوية البحرية الشرقية قبر عبد الله بن عمرو بن العاص داخل مقصورة عليها قبة ، وتزوره الناس . وقد ناقش الأستاذ محمود أحمد وكذا الأستاذ حسن عبد الوهاب^(٢) موضوع ضريح عبد الله بن عمرو فقالا : إن وجود مقبرة عبد الله بن عمرو بالجامع غير موثوق به لعدة أسباب أولا اختلاف المؤرخين في موضع دفنه ، فيقول ابن قتيبة مثلا^(٣) : أنه توفي سنة ٦٥ هـ وأنه دفن في داره الصغير بمصر « أما ابن الأثير^(٤) فيقول « أن عبد الله بن عمرو توفي سنة ٦٣ هـ وقيل سنة ٦٥ هـ بمصر ، وقيل سنة ٦٧ هـ بمكة وقيل سنة ٥٥ هـ بالطائف وقيل سنة ٦٨ هـ ، وقيل سنة ٧٣ هـ . وبعد استعراض أقوال المؤرخين ينتهي حسن عبد الوهاب إلى الرأي الآتي : والأرجح أنه لم يدفن في الجامع ، لأن محل القبة كان به منارة ، ولأن من زاروه من الرحالة لم يذكروه فيه مع أن الأضرحة هدفهم الأول في الزيارة ، وخاصة عبد الغني النابلسي الذي زار الجامع في القرن الثاني عشر الهجري ، لم يشر إليه مع أنه تجول في نواحيه ووصف مارآه ، كما أن طراز القبة متأخر .

على أني أرى أنه ليس من المستبعد أن يكون الضريح الموجود بالجامع هو مقبرة عبد الله ابن عمرو ، فقد ذكر أكثر من مرجع أنه دفن بمصر وبعضهم عين دفنه بمنزله الصغير ،

(١) الخلط التوفيقية ج ٤ ص ٩

(٢) جامع عمرو ص ٦٤ .

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ١٢٤ ، ١٢٥

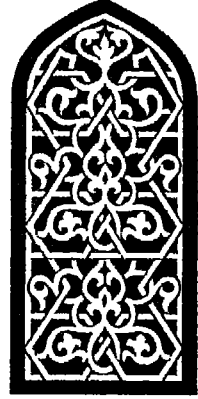
(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ٢٣٥

ومن المعروف أن منزله قد دخل في زيادة الجامع في العصر العباسي سنة ١٣٣ هـ ولكنه لم يكن من اليهود ولا من المقبول دفن الموتى داخل المساجد ، ولا إقامة القباب على المقابر والأضرحة ولذلك فقد ظل القبر مجهول الاسم والمعالم حتى كان العصر العثماني وأعاد الأمير مراد بناء الجامع فلعله أراد احياء وجود مقبره عبد الله داخل المسجد فبنى المقصورة وأقام عليها قبة ، وإن كنت أرى أن المكان الذي اختير للضريح ليس هو مكان منزل عبد الله الذي يقع إلى الغرب قليلا من الضريح الحالي .

وقد اختص جامع عمرو دون غيره من مساجد مصر في أنه الجامع الوحيد الذي كان الخلفاء والسلاطين والولاة والأمراء يصلون فيه الجمعة اليتيمة في آخر شهر رمضان . وقد نشأ هذا التقليد منذ عهد الدولة الفاطمية ، فقد كان الخليفة الفاطمي يركب للاحتفال برؤيا شهر رمضان ثم يستريح أول جمعة منه ، فإذا كانت الجمعة الثانية أداها في الجامع النحاكم ، فإذا كانت الجمعة الثالثة أداها في الجامع الأزهر ، فإذا كانت الجمعة الرابعة صدرت الأوامر بأدائها في جامع عمرو بن العاص ، فيقوم أهالي القاهرة بعمل الزينات حتى جامع عمرو ، وبعد أداء فريضة الجمعة يعود الخليفة إلى القصر فيصدر السجل . ولما أتم مراد بك اصلاح الجامع في النصف الثاني من شهر رمضان سنة ١٢١٢ هـ ، أقيمت فيه آخر جمعة من رمضان ، فاتخذت عادة حتى سنة ١٩٥٢ م .

وأني لارجو أن يعود لجامع عمرو هذا التقليد الجليل فهو يتضمن احياء أكثر من ذكرى وتخليد تراث عزيز علينا . فهو تخليد للأكبر وأقدم جامع في مصر الإسلامية ، وثالث مسجد في العالم الإسلامي و احياء للذكرى وفاة عمرو بن العاص في آخر جمعة في رمضان وابقاء لتقليد حميد سارت عليه مصر منذ ألف عام . وبالإضافة إلى كل ماتقدم فسينال الجامع العتيق من وراء احياء هذا التقليد الخير العميم وكذاالحى المحيط به فسوف تتولاه يد التعمير والتجديد .

جامع
سيدى شبل الاسود
بالشهداء بمحافظة المنوفية



تكونت كورة المنوفية فى العصر الفاطمى فى القرن الرابع الهجرى ، نسبة إلى مدينة منوف التى كانت قاعدة لها . وفى العصر المملوكى سميت أعمال المنوفية وفى العصر العثمانى أطلق عليها ولاية المنوفية ثم مديرية المنوفية وفى سنة ١٩٦٠م أصبحت تعرف باسم محافظة . ومنوف مدينة مصرية قديمة ، اسمها القبطى^(١) (بانوفيس) وقلبت الباء ميما فى العربية فأصبحت (مانوفيس) ثم اختصرت إلى (منوف) . ويقول عنها ابن حوقل^(٢) ، أنها مدينة كبيرة بها حمامات وأسواق وأهلها أهل تناية ، أى - أهل فلاحه وزراعة ، ويسار ، وفيهم وجوه الناس ولها اقليم عظيم ، يليه عامل كبير (أى حاكم) وقاض . ويضيف القلقشندي^(٣) ، أنها مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت قد خربت وبقيت آثارها

(١) القاموس الجغرافى .

(٢) أحسن التقاسيم .

(٣) صبح الأعشى ص ١٢٨ .

كيانا ، وهي حسنة الأسواق كثيرة المساجد والحمامات قوالخانات (أى الفنادق والوكالات). وظلت منوف عاصمة الاقليم من الفتح العربى حتى سنة ١٨٢٦ م ثم صارت القاعدة شبين الكوم لتوسطها بين بلاد الإقليم .

وشبين الكوم من القرى المصرية القديمة اسمها الأصيلى شبين السرى ، وعرفت باسمها الحالى فى القرن التاسع عشر . ومن المدن الإسلامية الهامة بمركز شبين الكوم مدينة الشهداء . جاء فى معجم البلدان لياقوت^(١) ، مقابر الشهداء موضع بأرض مصروقت فيه حروب بين مروان بن الحكم وجنوده وبين الزبيرية من أهل مصر سنة ٦٥ هـ وقتل من الفريقين عدد عظيم ، فدفن المصريون قتلاهم فى هذا الموضع وسموه مقابر الشهداء .

وإذا تتبعنا الأحداث التاريخية وجدنا أن مصر كانت فى القرن الأول الهجرى تشارك مشاركة فعالة فى مجرى الأحداث السياسية فى الدولة الإسلامية ، فقد اشترك بعض أفراد منها فى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، كما ساهمت فى الفتنة الكبرى الى وقعت بعد مقتل عثمان وفى الخلاف بين سيدنا على ومعاوية . وحدث فى عهد الدولة الأموية عندما توفى الخليفة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، أن دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة ، فثار أنصاره بمصر وأظهروا دعوته وسار إليه فى المدينة المنورة جماعة منهم . فأرسل عبد الله بن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم واليا على مصر من قبله ، فوصلها سنة ٦٤ هـ فى جمع كبير من أنصار ابن الزبير ومن أهل المدينة الناقمين على الأمويين لقتلهم وتمثيلهم بشهيد كربلاء الحسين بن على . ولما بويج مروان بن الحكم الأموى بالخلافة جهز جيشا أمر عليه ابنه عبد العزيز بن مروان وأرسله إلى مصر ، فأجمع ابن حجرم على حربه ومنعه من دخول مصر ، ثم جاء الخليفة بنفسه إلى مصر وحارب ابن حجدم فى عدة مواضع ، كان من بينها موضع بالمنوفية ، قتل فيه من الفريقين عدد عظيم . وانتهت المعركة بانتصار مروان بن الحكم ودخوله القسطنطينية سنة ٦٥ هـ . وبعد انتهاء المعركة دفن أنصار ابن الزبير قتلاهم فى ذلك

(١) ياقوت الحموى ص ١٦٥ .

الموضع بجوار قرية سرسنا ، فاشتهر بين أهلها باسم مقابر الشهداء . وكان يوجد بجوار تلك المقابر كفر صغير عرف منذ ذلك الوقت باسم الشهداء وكان من توابع سرسنا ، ثم أخذ هذا الكفر يتسع بزيادة مبانيه . عدد سكانه إلى أن أصبح قرية ورد ذكرها في تاريخ سنة ١٨١٣ م باسم سرسنا والشهداء . ثم فصلت الشهداء عن سرسنا وأصبحت ناحية قائمة بذاتها .

* * *

وصف الجامع

ومن أهم الآثار الإسلامية التي ما تزال باقية بمدينة الشهداء ، آثار مسجد قديم ، يتكون من صحن مكشوف تحيط به بقايا أروقة مكونة من دعائم مبنية من الآجر ، ويجاور المسجد القديم من جهته الغربية بضعة أضرحة زالت معظم قبائها ولم يبق منها غير قبة واحدة تقوم على غرة مربعة في كل ركن من أركانها الأربعة مقرنص كبير تقوم فوقه رقبة بها نوافذ صغيرة تعلوها قبة . وتشبه هذه القبة إلى حد كبير قباب مدافن مدينة أسوان وكذا قبة المسجد العمري بقوص ومسجد اسنا وقبة الجيوشي على سفح جبل المقطم . ولما كانت هذه القباب جميعها ترجع إلى العصر الفاطمي ، فإني أرجح نسبة الضريح القديم المجاور لمسجد الشهداء إلى العصر الفاطمي .

أما المسجد المعروف باسم جامع سيدى شبل فيقول على مبارك في خططه أنه بنى على ضريح سيدنا محمد بن الفضل بن العباس بن عبد المطلب وشهرته شبل لشجاعته فهو بذلك ابن عم الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ويقال أن سيدنا شبل ولد بالحبشة ، فقد كان والده الفضل بن العباس يتاجر بأمواله وأموال غيره من العرب في بلاد الحبشة . وحدث أن خرج الفضل في السنة الثامنة للهجرة من المدينة ومعه تجارة كبيرة للعرب إلى بلاد الحبشة فلما باعها ، حدث بينه وبين حاكمها خلاف على الضريبة المقدرة عليه مما اقتضى بقاءه فترة لفض هذا الخلاف . ولما تم الصلح بين الفضل وبين ملك الحبشة وهبه الملك جارية حبشية بكرى من سرارية اسمها ميمونة هدية له ، وقد تصادف عند عقده عليها أن حضر

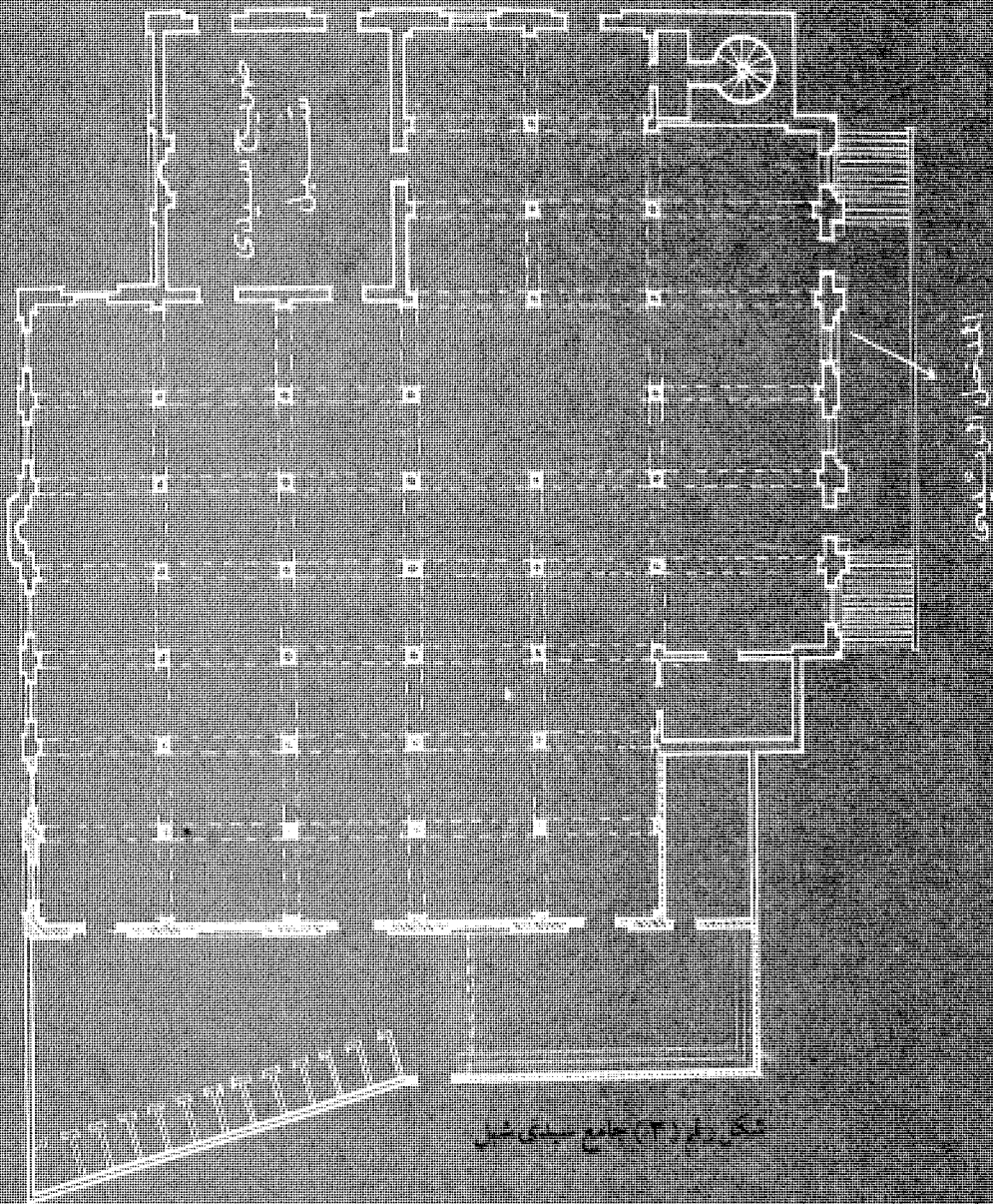
جماعة من الصحابة من المدينة المنورة إلى الحبشة يستطلعون سبب تغيبه تلك المدة الطويلة خاصة وأن معه تجارة لجماعة كبيرة من العرب ، فعقد له عليها المقداد بن الأسود ومعاذ ابن جبل وعبد الله بن عمر وغيرهم . وفي السنة التاسعة للهجرة ولدت ميمونة للفضل ولده محمد شبيل الأسود ولعله نعت بالأسود نسبة إلى سواد لونه الذي ورثه عن أمه الحبشية .

وتقول الرواية : حضر محمد شبيل إلى مصر على رأس جيش لمحاربة الكفار وأنه مات شهيدا سنة ٤٠ هـ في المنوفية في المنطقة التي عرفت باسم الشهداء نسبة إلى من استشهد في تلك المعركة . ولكننا لم نجد ما يؤكد هذه الرواية في مرجع من المراجع التاريخية أو في كتب السير ، على أننا إذا ناقشنا هذه الرواية ، وفرضنا جدلا أن محمد شبيل حضر إلى مصر محاربا في أيام فتحها أي سنة ٢١ هـ فمعنى هذا أنه كان في الثانية عشرة من عمره ، وبذلك يستبعد حضوره وقت الفتح . أما ما يقال أنه حضر إلى مصر في وقت الفتنة التي أعقبت مقتل عثمان فاننا لم نجد ذكرا لحوادث وقعت في منطقة المنوفية بسببها على الاطلاق . وبذلك يستبعد أيضا حضوره في ذلك الوقت . وأما عن حدوث معارك في منطقة المنوفية بين أنصار عبد الله بن الزبير وبين جنود مروان بن الحكم فهذا ثابت في جميع المراجع التاريخية ولذلك فمن المرجح أن يكون حضور سيدى محمد شبيل كان سنة ٦٤ هـ وأنه استشهد في تلك المعركة ومات سنة ٦٥ هـ ودفن في مقابر الشهداء .

ومن المرجح أيضا أنه قد بنى على مقبرة الشهداء التي يرجح أن يكون من بين شهدائها أحد أفراد آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين أضرحة والحق بها مساجد وأن هذه العماثر قد توالى عليها يد الإصلاح والترميم ، يؤيد ذلك بقايا المسجد القديم وكذا القباب التي نرجع إلى العصر الفاطمي .

أما المسجد الموجود حاليا فقد قامت ببنائه وزارة الأوقاف في القرن العشرين . وهو يشبه في تخطيطه العام المساجد التركية ، إذ أنه يتكون من مربعين أحدهما يشمل صحن الجامع وهو مكشوف وتحيط به الأروقة من جميع الجهات ، أما المربع الثاني فهو عبارة عن ايوان القبلة ويتكون من صفوف من الأعمدة موازية لحائط القبلة مغطاة بسقف مسطح وفي وسطه

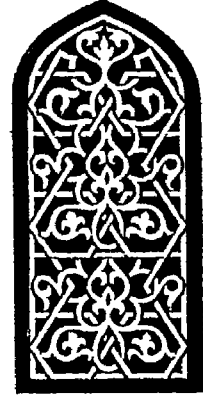
مسجد سيدی شہل بالشمہ آباد



ثمانية أعمدة تقوم عليها رقبة ثمانية بكل ضلع منها فتحة للاضاءة وهي أشبه (بالشخشيخة)
وفى الضلع الغربى من ايوان القبلة يوجد ضريح سيدى محمد شبل الأسود .

وتتكون واجهة المسجد من مدخلين رئيسيين أحدهما يؤدي إلى ايوان القبلة والثانى يؤدي
إلى صحن الجامع . ويتقدم الواجهة ردهة بطول الواجهة تقريبا صدرها محجوز بسور
مزخرف وينتهى ط. فاها بسلمين لارتفاع المسجد عن مستوى الشارع بمقدار سبعة أمتار .

جامع
سیدی عقبه بن عامر
بالقرافة



هو عقبه بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رفاعه بن مودود بن عدى بن غم ابن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني أبو حماد الصحابي . وكان سيدى عقبه متعدد الكنايات ، فكان يكنى أبا حماد وقيل أبو عمر وقيل أبوسعاد وقيل أبو الأسود . وهو الامام والسند الهمام صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة المنورة . وقد حكى عنه ابن عساكر بسنده إليه قال : « بلغنى قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا في غنيمة لي فرفضتها وقدمت المدينة فقلت : يا رسول الله بايعني ، قال بيعة أعرابية أو بيعة هجرية ، فبايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولازم عقبه النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أصحاب الصفة ومن خدام النبي عليه الصلاة والسلام ، وصاحب بغلته يقودها بحضرته الشريفة في الأسفار ، وصدر من النبي في بعض الغزوات أن نزل عن بغلته وأمر عقبه بالركوب ومشى الرسول صلوات الله عليه .

١٤٤٠ هـ شهد عقبه فتوح مصر والشام ، وكان هو رسول البريد إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه ، في فتح دمشق ووصل المدينة المنورة في سبعة أيام ورجع منها في يومين ونصف ببركة دعائه عند قبر النبي صلوات الله عليه وتشفعه به في تقريب طريقه .

ويصف أبو سعيد بن يونس عقبة بن عامر فيقول : كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقهِ صحيح اللسان شاعراً كاتباً ، وهو آخر من جمع القرآن ، قال : ورأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان وفي آخره كتبه عقبة بن عامر بيده .

شهد فتح مصر^(١) مع عمرو بن العاص ثم وليها من قبل معاوية بن أبي سفيان بعد موت أخيه عتبة بن أبي سفيان في سنة أربع وأربعين ، وكان يخضب بالسواد^(٢) . وقد جمع له معاوية في إمرة مصر بين الخراج والصلاة . وكانت مدة ولايته بمصر ثلاث سنوات وبنى بها داراً وكان من الثمانين صحابياً الذين وقفوا على قبلة جامع عمرو بن العاص . ودام بمصر إلى أن قدم مسلمة بن مخلد على معاوية بدمشق فولاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر ، ثم سيره إلى مصر وأمر معاوية بغزو رودس ومعه مسلمة بن مخلد المذكور ، وخرجا إلى الاسكندرية ثم توجهوا في البحر ، فلما سار عقبة استولى مسلمة على سريره ، فبلغ ذلك عقبة بن عامر وكان ذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين . وفي ذلك يقول :

وقال الكندي^(٣) : فلما أراد معاوية عزل عقبة كتب إليه بغزو رودس ، فلما توجه مسافراً استولى مسلمة على سريره ، فبلغ ذلك عقبة بن عامر ، وكان ذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر . وكان عقبة أول من نشر الرايات على السفن عندما خرج لغزو رودس تنفيذاً لأوامر الخليفة معاوية ، وكان الأسلوب الذي اتبعه معاوية في عزل عقبة وتولية مسلمة بن مخلد خروج على المألوف ومنافياً للمجاملة ، فقد جاء في كتاب « مهذب الطالبين في قبور الصالحين » ما يلي : فلما خرج عقبة إلى الغزو جاء كتاب معاوية بعزله وولاية مسلمة ، فلم يظهر مسلمة ولايته ، فقال عقبة : مالي أرى الأمر أبطأ عليّ ؟ قالوا : ولي مسلمة ابن مخلد ، قال عقبة : ما أنصفنا معاوية عزلنا وغرّبنا .

(١) العجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢٧

(٢) المقرئ ج ١ ص ٢٠٨

(٣) الولاة والقضاة ص ٤٧

ويقول ابن تغرى بردى ، ولأهل مصر فيه اعتقاد عظيم ، ولهم عنه نحو مائة حديث وقد ذكر ابن عبد الحكم أحاديثه التي رواها عنه أهل مصر.

نذكر منها : « من توضأ فأحسن وضوءه ثم صلى غير ساه ولا لاه كُفِّر عنه ما كان قبلها من سيئاته » . وقال عقبة : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « تعجب ربك من شاب له صبوة » . وقال عقبة : كنت آخذ بزمام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غاب المدينة ، فقال لى : يا عقبة ألا تركب فاشفقت أن تكون معصية فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنيهة ، ثم ركبت فقال : هل أعلمك سورتين « فقلت : بلى يا رسول الله قال : فأقرأنى (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم وصلى بها وقال « اقرأهما كلما نمت وقمت » .

ولما تولى عقبة إمرة مصر كتب إلى معاوية يسأله أرضاً في قرية يبني فيها منازل ومساكن ، فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع . وهذه الأرض التي اقتطعها عقبة هي في محافظة الجيزة في منطقة الدقى وتعرف باسم منية عقبة^(١) ثم حرفت كلمة منية وأصبحت تعرف باسم (ميت عقبة) . وكلمة منية ، أى ميناء لأنها كانت واقعة في ذلك الوقت على الشاطئ الغربى للنيل قبل تحوله إلى الشرق .

وأقام عقبة بمصر إلى أن توفى في اليوم الذى توفيت فيه السيدة عائشة رضى الله عنهما في الثامن من شعبان سنة ٥٨ هـ ودفن بالقرافة الكبرى بقرب مسجد الامام الليث بن سعد . ويقول ابن تغرى بردى : وليس في الجبابة قبر صحابى مقطوع به إلا قبر عقبة فإنه زاره الخلف عن السلف . ويقول صاحب المهذب ، أن عقبة خلف سبعين فرسا بجعابها ونبالها أوصى بها في سبيل الله تعالى . وجاء في الخطط التوفيقية ، أن عقبة بن عامر الجهنى كان من الثمانين صحابيا الذين وقفوا على قبلة جامع عمرو بن العاص . ودفن بالمقطم بمقبرة أهل مصر وقبره ظاهر يتبرك به ويعرف بالإجابة ومما قيل فيه من شعر :

سقى تربه فيها ضريح ابن عامر سحائب تروى لحده وتوارى
فتى كان من أعلى الصحابة همة وأكرمهم فى عسره ويساره
أحاديثه عن سيد الخلق دونت روى عنه مسلم وبخارى

(١) القاموس الجغرافى ج ٢ ص ٨٧

ويقال أن البقعة التي دفن فيها عقبة بها أيضا عمرو بن العاص^(١) ، وقبر أبي بصرة الغفارى الصحابى وكان قبره موضع رعاية وعناية المصريين يقصدونه للزيارة^(٢) والتبريك ، بل لقد حرص كثير من العلماء والفقهاء على أن يدفنوا بجواره حتى عرفت بمقبرة العظماء . وجاء فى كتاب^(٣) (جوار الأخبار فى دار القرار) أن عبد الله بن عمر بن العاص رضى الله عنه قال : رأيت أبى فى النوم فقلت ما فعل الله بك ، قال غفر لى ، ورحمنى ، ما فعل الله بعقبة قال : بخ بخ تركته فى الفردوس الأعلى والملائكة تحفه . وجاء فى كتاب مهذب الطالبين : روى بعض الأمراء أنه رأى فى النوم من جاور قبر عقبة فقيل له ، ما فعل الله بك قال : غفر لى بمجاورة عقبة ، وروى له من البركات روايات كثيرة ، منها أن رجلا أسرله ولدقأنى قبر عقبة ، ودعا الله عز وجل فقام من عند قبره فلقى ابنه فى الطريق .

وقد ظل قبر عقبة محل عناية ملوك مصر وولاتها حتى جاء صلاح الدين الأيوبي فهدم المبنى المقام على المقبرة وأنشأ مكانه قبة كبيرة تولاهل الملوك من بعده بالتجديد والترميم .

(١) المرشد للشيخ موفق بن عثمان .
(٢) المزرات للسخاوى ص ٥٩
(٣) جوار الاخبار فى دار القرار .

وصف المسجد

أنشأ المسجد^(١) الحالى الوزير محمد باشا أبو النور السلحدار الذى كان يلى مصر والشام من قبل السلطان العثماني والذى قام باصلاح كثير من المساجد والمشاهد والزوايا . وقد جاء فى الخطط^(٢) التوفيقية « أنه عمر فى ولايته مقام سيدى عقبة وجدده ورتب له الخبرات الجارية إلى يومنا هذا ، وأمر بترميم الجوامع وتبييضها فلقبه السادة الوفائية بأبي النور . وكانت توليته على مصر سنة اثنتين وستين وألف فأقام وزيرا ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام ، ثم قام عليه جماعة من الفقارية وأنزلوه من القلعة قهرا وأسكنوه خان حسن أفندى بسوق السلاح » .

ويتكون المسجد الحالى من مستطيل يشتمل على رواقين يتوسطها صف من العقود المحمولة على عمد حجرية مثمثة . وقد زخرف سقف المسجد بنقوش زيتية ومذهبة وكتب بازار السقف أبيات من قصيدة البرده وفى الحائط الشرقى بجوار القبلة نقش فى الحجر « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . . إلى آخر الآية » هذا قبر عقبة بن عامر الجهنى حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفتحت فى أعلى جدران المسجد نوافذ ملئت بشبابيك جصية مخرمة (معشقة) بالزجاج المتعدد الألوان .

(١) نزعة الناظرين .

(٢) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ٥٤

ويقع المدخل الرئيسي للمسجد في الواجهة الغربية ، وإلى يساره توجد المثانة التي تتكون من بدن اسطواني رتفع ويشتمل على دورة واحدة . وفي الركن الجنوبي الغربي للمسجد يوجد ضريح سيدى عقبة ، وهو عبارة عن حجرة مربعة يعلوها قبة مقامة على رقبة مرتفعة . وتعتبر قبة سيدى عقبة من أجمل وأكبر القباب التي أنشئت في العصر العثماني فهي مصلعة ن الخارج أما رقبته فقد كسيت ببلاطات القاشاني . والقبة منقوشة من الداخل برسوم زيتية ، ومكتوب على الأزار الخشبي الذي يحيط بجدران المربع كآية الكرسي . وعلى القبر مقصورة خشبية وأمامه شاهد من الرخام نقش على أحد وجهيه آية الكرسي وعلى الوجه الآخر مانصه : « هذا مقام العارف بالله تعالى الشيخ عقبة بن عامر الجهني الصحابي رضي الله عنه . جدد هذا المكان المبارك الوزير محمد باشا سلحدار دام بقاءه في سنة ست وستين وألف » وفي داخل القبة يوجد قطعة من حجر أسود (الماع) يدعى سدنة الضريح أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع قدمه عليها .

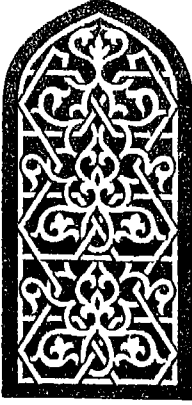
كذلك أنشأ محمد باشا السلحدار بجوار جامع سيدى عقبة زاوية جعلها مكتبا لتعليم اليتامى القراءة والكتابة وحفظ القرآن . وتشتمل الزاوية على محراب دائري مبني بالحجر (الفصي النحيت) الأحمر وعلى جانبه شباك من النحاس الأصفر . ويعلو المحراب نافذة مستديرة مملوءة بالخشب الخرط الجميل . كما أنشأ سبيلا كسى أرضه بالرخام المتعدد الألوان ، أما صهريج السبيل فيقوم على أربعة عقود ويتوسطه قبة وبيارة على فوهتها (خرزتان) تعلق أحدهما الأخرى العليا من الرخام والسفلي من الحجر . وبجانب البيارة حاصل للماء يصل منه الماء إلى حوضي المزلتين ، الكبرى منهما فرشت أرضيتها بالرخام الملون النفيس والأخرى يجري إليها الماء في مجرى من الرصاص .

وقد وقف الأمير محمد باشا السلحدار على جامع سيدى عقبة أوقافا جمة بعضها أراضي زراعية وأخرى عقارية وثالثة أموالا سائلة رأيت أن أنقل جانبا منها لكي أعطى فكرة على مبلغ تعظيم وتقدير أضرحة أولياء الله الصالحين . كما أن هذه الأوقاف تعطى فكرة واضحة عن حالة البلاد الاقتصادية كما تعطى فكرة عن قيمة الرواتب التي تعطى لموظفي وسدنة المساجد والأضرحة .

ويذكر لنا على مبارك^(١) جانباً من الأوقاف التي حبست على جامع سيدي عقبة فيقول :
وقد وقف ذلك الأمير (أي محمد باشا) على هذا الجامع. والضريح أوقافاً جمة منها المكان
الذي بجوار هذا الجامع الكائن بسفح الجبل بجوار سيدي ذى النون المصري رضى الله عنه
والليث بن سعد والامام الشافعي رضى الله عنهما وزاوية السادات الوفاية وذلك المكان عمارة
جليلة تشتمل على قصر عظيم ودهليز متسع مسقف بالخشب المدهون بالدهانات الملونة وحوش
كبير به ستة عشر باباً ومطبخ برسم القراء والفقراء القاطنين والمترددين في ليالي الاثنين
وليلة المولد وليلة البراءة ونصف شعبان وليالي شهر رمضان وغير ذلك كما يشمل حوض معد لسقى
الدواب وساقية ملء الاخلية والمطهرة. والمنافع العمومية ومنها جميع البستان المستجد ومابه
من أخشاب النخيل والبلح والرمان والليمون والنانج وجميع القهوة والوكالة المجاورة لبيت
القهوة. ومنها جملة أطيان صالحة للزرع بعدة جهات كناحية شلقان وناحية بياض بولاية
الاطفيحية وناحية نوى وكفورها وناحية نيبا من الجيزية وناحية تل أبي روزن بالشرقية
وجميع الرزق الاحباسية المنحلة عن أهلها بناحية شبين القناطر بولاية الغربية وبناحية
الكنيسة بولاية الغربية وجميع الأطيان التي كانت سابقاً مرسلة بالشركة على زاوية سيدي
عقبة والامام الشافعي والامام الليث وأبي العباس المرسى والسيدة نفيسة رضى الله عنهم
وزاوية الشهداء بعد استبدالها ووقفها على خصوص تعلقات سيدي عقبة وهي بجملة بلاد
كالبهنساوية والاحميمية وطموة والمحرقه وغيرها وجميع الرزق الاحباسية المعينة بالأفراد
وكذا جميع ما أرسده ذلك الوقف من الجهات الديوانية على المقام والجامع وتوابعهما
وقدره في كل يوم من تاريخه مائة عثمانى وسبعة وثمانون عثمانياً يعدل ذلك في كل
شهر ألفان وثمانمائة نصف فضة عددية وخمسة أنصاف فضة وجملة ذلك في السنة ثلاثة
وثلاثون ألف نصف وستائة وستون نصف فضة منها ما هو مرتب مقيد بدفتر المستحفظان
بقلعة مصر المحروسة واحد وتسعون عثمانياً كل يوم يعدل ذلك في الشهر ألف ونصف أي ألف
واحد وثلثمائة نصف وخمسة وستون نصفاً فضة جملته في السنة ستة عشر ألفاً وثلثمائة وثمانون
نصفاً فضة ومنها مرتب مقيد بدفتر المتقاعدين كل يوم ثمانية وأربعون عثمانياً يعدلها
في الشهر سبعمائة وعشرون نصفاً فضة وفي السنة ثمانية آلاف وستائة وأربعون نصفاً فضة

(١) انقلط التوفيقية ج ٥ ص

ومنها مرتب بدفتر جوالى حصر وقدره كل يوم ثمانية وأربعون عثمانيا ومنها أرض بدفتر الجوالى السنوى فى كل سنة ألف ونصف وما أرصده بدفتر النظرون فى كل يوم ثلاث ورنات من النظرون المحمول من الطرانة إلى وكالة النظرون ببولاق القاهرة عنها فى كل شهر تسعون وزنة عن كل وزنة عشرون نصفًا فضة يعدل ذلك بكل يوم ستون نصفًا فضة حكم قطيعة الديوان العالى . وجميع ما أرصده برسم أخباز لمحيا الشريفة والأيتام والمولد السنوى وعلف الأثوار والحمار المعد لحمل الأتربة إلى الكيان وقدره فى كل شهر سبعة عشر أردبا من الحنطة يصرف من الشون السلطانية بمصر القديمة ثم ضم رحمه الله جميع ما وقفه على ما وقفه المرحوم يكمش العلامى قبل ذلك على مصالح زاوية سيدى عقبه وهو قطع أطيان بناحية بهيم من القليوبية وبناحية جزيرة القرطيين وبناحية كوم برا بالجيزة وبناحية الطرفاية بالجيزة أيضا وبناحية الغزارية وهى مدينة منفلوط وبنواح آخر وجميع المرتب بوقف ايناخاتون فى السنة ثلاثون نصفًا والمرتب بوقف طوغان البكلمش فى السنة خمسون نصفًا وجميع المسقفات الكائنة ببولاق القاهرة والزريبة التى بخط حوض ابن غزالة ضم جميع ذلك الواقف إلى وقفه وجعله وقفا واحدا يصرف ريعه على مصالح مقام سيدى عقبه والجامع والسبيل والمكتب وغيرهما من تعلقاته وجعل الجامع وقفا على المسلمين تتوالى فيه الصلوات والخطب فى الجمع والأعياد وتقام فيه الشعائر ويتلى فيه القرآن وتدرس فيه الأحاديث . أما الزاوية المجاورة للجامع فجعلها مكتبا لأيتام المسلمين يكون به فقيه قراء وعريف واثنا عشر طفلا لم يبلغوا الحلم وجعل الصهريج سبيلا للفقراء وجميع المسلمين يملا فى شهر طوبة من النيل (حتى تكون المياه خالية من الطمى) وجعل نقع الساقية عموما للمطهرة وغيرها والمساكن التى بجوار الجامع معدة لسكن الامام والخدمة ولأربعة سمانية محافظين .



جامع السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب عقيلة بنتي هاشم عبيدان السيدة زينب

يجمع كتاب التاريخ من عرب ومستشرقين على أن السيدة زينب أول سيدة في الإسلام قُدِّرَ لها أن تلعب على مسرح الأحداث السياسية دورا ذا شأن ، فقد اقترن اسمها في التاريخ الإسلامي والإنساني بمأساة (كربلاء) أحد المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الشيعة خاصة . ولم يجحد أحد دور السيدة « زينب » في المأساة ، بل أن منهم من سماها (بطلة كربلاء) لأنها السيدة الأولى التي ظهرت في اللحظة الحرجة تأسو المكلم وتثور للضحايا الشهداء . وفوق هذا وذاك أخذت على عاتقها حماية السبايا من الهاشميات ورعاية غلام مريض هو علي زين العابدين بن الحسين ، ومن هنا جاءت كنيته (بأم هاشم) . بل إن بعض المؤرخين يضيف على ذلك فيقول ، أن موقف السيدة زينب بعد المعركة هو الذي جعل من (كربلاء) مأساة خالدة .

والسيدة زينب غنية عن التعريف فأبوها علي بن أبي طالب وجدها لأُمها محمد رسول الله وأُمها فاطمة البتول وجدتها لأُمها خديجة بنت خويلد أولى أمهات المؤمنين ، وشقيقها الحسن

والحسين سبطا الرسول . ولدت السيدة زينب في السنة السادسة للهجرة في بيت النبوة بالمدينة المنورة ، فباركها جدها النبي واختار لها اسم زينب ، احياء لذكر ابنته التي توفيت في السنة الثانية للهجرة متأثرة بجراحها ، فقد لقيها أحد المشركين بعد غزوة بدر ، في طريقها إلى المدينة فنخسها في بطنها ، وكانت حاملا فأسقط حملها وماتت . وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يجد في قلبه لوعة الحزن حتى إذا ما ولدت أختها (الزهراء) ابنتها الأولى سماها زينب ، تلك التي تلاقى فيها أعز ما عرفت قريش والعرب من كريم الأصول ونقى السلالات . ونشأت زينب تحوطها رعاية جدها العظيم وعطف سابغ من أهل الكرام ، ولكنها لم تكذب تبلغ الخامسة من عمرها حتى لبي جدها صلى الله عليه وسلم نداء ربه ، ودفن في غرفة السيدة عائشة بمسجد المدينة المنورة ، بعد أن فتح مكة وطهر الكعبة من الأوثان . وتمضى الأيام كئيبه حزينة بعد وفاة الرسول وزينب جالسة إلى فراش أمها العلييلة الحزينة ، فما يذكر التاريخ أن فاطمة ضحكت بعد وفاة والدها حتى لحقت به ، بل عدت من البكائن الستة في التاريخ ، بكى آدم ندما وبكى نوح قومه وبكى يعقوب ابنه يوسف وبكى يحيى خوف النار وبكى فاطمة أباه . ثم أدركتها رحمة الله فلحقت بأبيها بعد ستة أشهر وقيل ثلاثة وقيل بل أقل من ذلك . وهكذا نرى أن الأحداث قد روعيت الصبية بشهود مأساة الموت مرتين في أعز الناس لديها وأحبهم إليها ، ولكنها في نفس الوقت انجبتا وهيئتهما لأن تشغل مكان الأم الحبيبة بالنسبة للحسن والحسين وأم كلثوم ، إذ أن الروايات تجمع على أن أمها أوصتها وهي على فراش الموت ، أن تصحب أخويها وترعاهما وتكون لهما من بعدها أما .

ولما شارفت زينب سن الزواج اختار أبوها ابن عمها عبد الله بن جعفر زوجها الذي تجمع الروايات على أنه كان على المكانة لدى معاصريه من بني هاشم وبني أمية على السواء ، كما عرف بالمروءة والكرم وساحة الخلق ونبل الطباع حتى لقب (قطب السخاء) . وعلى كثرة ما كتب من سيرة هذه السيدة العطرة ، إلا أنها تحجم جميعا عن وصف صورتها في تلك المرحلة من عمرها وهي في بيت زوجها محجبة لاتكاد تلمح إلا من وراء ستار ، أما وقد أخرجتها محنة كربلاء من خدرها فيصفها عبد الله بن أيوب الأنصاري ، فيقول : فوالله

مارأيت مثلها وجها كأنه شقة قمر ، ويقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين أنها كانت تشبه أمها لطفًا ورقة وتشبه أباها علما وتقى . وكان لها مجلس علمي حافل تقصده جماعة من النساء اللواتي يردن التفقه في الدين ، وكانت بحق (غفيلة بنى هاشم) كما كانت تلقب .

وترجح الروايات أنه السيدة زينب قد أنجبت من زوجها عبد الله بن جعفر ثلاثة بنين جعفرًا وعليًا وعونا الأكبر وبنيتين أم كلثوم وأم عبد الله . وتذكر المراجع زوجات أخريات لعبد الله بن جعفر دون تحديد لوقت زواجه بهن ، وإن كنا نستطيع أن نستخلص من سرد الحوادث أنه قد تزوج ببعضهن في حياة السيدة زينب .

وبدأت السيدة زينب ترقب الأحداث السياسية من وراء ستار في دار الخلافة فرأت والدها وهو يخوض المعركة تلو المعركة ، في موقعة الجمل ثم موقعة صفين مع معاوية ثم يفرغ منها ليلتي الخوارج في النهروان وهكذا على مدى خمس سنوات لم يهدأ فيها حتى فاضت روحه الطاهرة سنة ٤٠ هـ . ثم شيعت زينب أخاها الحسن إلى جوار أمها بالبقيع (سنة ٤٩ هـ) ثم جاء دور الحسين ، فتهيأت زينب لترعى أخاها بعد أن رأى الخلافة تخرج من بيت النبي بعد أن أصبحت وراثية في بيت بنى أمية ، ورحلت معه إلى العراق ، كما رحلت منذ عشرين عاما مع والدها من قبل . واستشهد الحسين في موقعة كربلاء وسيقت السيدة زينب مع الأسرى والسبايا فكان أبشع موكب شهده التاريخ وجاز الركب ساحة المعركة حيث الاشلاء مبعثرة فصاحت زينب « يا محمداه صلي عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء ، مقطع الأعضاء ، يا محمداه هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسقى عليها » ولم تطق زينب أن ترى أهل الكوفة يبكون الحسين وآله ، فمضت تقول : « أما بعد يا أهل الكوفة ، أتبكون ، فلا سكت العبرة ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا . فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا ، فقد ذهبتم بعارها وشنارها . وكيف ترخصون قتل سبط الرسول وهو سيد شباب أهل الجنة ، أتدرون أي كبد فريتم ، وأي دم سفكتم ، وأي كريمة أبرزتم ، لقد جثتم شيئا ادا ، تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا » قال من سمعها ، فلم أر والله حفرة أنطق منها كأنما تنتزع عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فلا والله ما أثمت حديثها حتى

ضحج الناس بالبكاء وذهلوا وسقط ما في أيديهم من هول تلك المحنة الدهماء ، ثم لوت السيدة زينب رأسها عنهم ، ومضت حيث ذهبوا بها هي والنسبايا من آل البيت الكريم إلى دار الامارة عند (عبد الله بن زياد).

وهناك أمر (زياد) برعوس القتلى فأحضرت بين يديه ، فأخذ ينكت بقضيب بين ثنايى الامام الحسين ، فلما رآه (زيد بن الارقم) لايرفع قضيبه قال غاصبا : ارفع هذا القضيب عن هاتين الشفتين اللتين كان الرسول يقبلهما . فهزه (ابن زياد) قائلا ، والله لولا أنك شيخ قد عرفت وذهب عقلك لضربت عنقك « فانطلق الارقم خارجا وهو يصيح « أنتم يا معشر العرب لاعبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعدا لمن رضى بالذل » .

وكانت السيدة زينب قد تقدمت في مهابه وجلال ، فأخذت مجلسها دون أن تلتقى بالا إلى الأمير الطاغية ، وقبل أن يؤذن لها في الجلوس ، سأل (ابن زياد) من تكون ؟ وأعاد السؤال مرتين وثلاثا وهي لاتجيب ، احتقارا له واستصغارا لشأنه ، وأجابت احدى امائها : هذه زينب ابنة فطمة ، قال ابن زياد وقد غاظه ما كان منها ، « الحمد لله الذى فضحككم وقتلكم واكذب أحدوثكم » فردت عليه : « الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه صلى الله عليه وآله وطهرنا من الرجس تطهيرا ، لاكما تقول أنت ، إنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله » ثم قال « لقد شق الله نفسى من طاغيتك والعصاة والمردة من أهلك » فردت عليه « لعمرى لقد قتلت كهلى وأبرزت أهلى وقطعت فرعى واجتثت أصلى ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت » فقال فى غيظ : هذه شجاعة لقد كان أبوها شجاعا شاعرا « فردت عليه فى صرامة « فما للمرأة والشجاعة ؟ إن لى عن الشجاعة لشغلا » .

ثم أخذ يتأمل وجوه السبايا حتى استقرت عيناه على (على بن الحسين) فانكر بقائه حيا ، فأمر به (ابن زياد) أن يقتل ، فاعتنقته عمته (زينب) وهى تقول : يا ابن زياد ، حسبك منا ، أما رويت من دماننا ، وهل أبقيت منا أحد . ثم انحنت على الغلام واحتضنته ليدعن الغلام أو فليقتلها معه ، فقال (ابن زياد) لأصحابه : عجبا للرحم ، والله أنى لاظنها

ودت لو أقي أقتلها معه ، دعوا الغلام ينطلق مع نسائه ، وأمر بجعل الغل في يدي (علي زين العابدين) ورقبته .

وسيق ركب الأسرى والسبايا مرة أخرى إلى دمشق حيث وصلوا حضرة « يزيد بن معاوية » ويقال أنه لما رأى رأس الحسين دمعت عيناه ، وقال : « قد كنت أرض من طاعتكم عما دون قتل الحسين ، لعن الله بن مرجانة » . ثم أمر بادخال الأسرى والسبايا . ودار بينه وبين السيدة زينب حديث طويل ختمته عقيلة بني هاشم بقولها : « أظننت يا يزيد أن حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكتاف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى ، أن بنا هوانا على الله ، وأن بك عليه كرامة ؟ أن الله أن أملك فهو قوله « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خيرا لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » . ثم أمر يزيد بسفر (أم هاشم) كما كان يدعوها معززة هي وأهلها مكرمة إلى المدينة في صحبة حارس أمين معه خيل وأعوان .

أرادت (أم هاشم) أن تقضى بقية عمرها في جوار جدها رسول الله ، ولكن (بنى أمية) أبوا عليها حتى ذلك ، فقد كان وجودها في المدينة كافيا لأن يلهب مشاعر الناس للأخذ بشار الحسين ، فطلب منها والى المدينة أن تخرج من المدينة فتقيم حيث تشاء ، ورحلت تريد مصر فوصلتها في شعبان سنة ٦١ هـ كما تقول الكثيرة الغالبة من المراجع العربية ، فاستقبلها مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر . كما خرجت لاستقبالها كافة جموع المسلمين على مشارف مصر حتى إذا وصلت إلى القسطنطينية ، مضى بها مسلمة إلى داره فأقامت بها قرابة عام لم تبرحها حتى قضى نحبها سنة ٦٢ هـ رحمها الله رحمة واسعة .

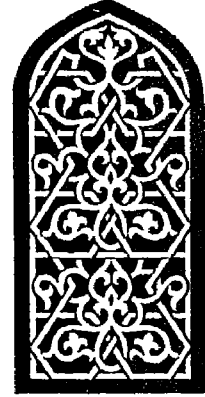
* * *

وصف الجامع

يقع جامع السيدة زينب في الميدان الذي يعرف باسمها ، وكان يعرف قبل ذلك باسم قنطرة السباع نسبة إلى نقش السباع الموجودة على القنطرة التي كانت مقامة على الخليج الذي كان يخرج من النيل عند فم الخليج وينتهي عند السويس ، وكانت السباع (رنك) شارة الظاهر بيبرس الذي أقام القنطرة . وفي عام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج وبردمه اختفت القناطر ومع الردم تم توسيع الميدان ، وعند عملية التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذي كان الوالي العثماني على باشا قد جرده سنة ٩٥١ هـ - (١٥٤٧ م) ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتحدا سنة ١١٧٠ هـ (١٧٦٨ م) ومنذ اكتشاف واجهة الجامع في القرن التاسع عشر ، أصبح يطلق على الميدان بل والحي كله اسم عقيله بنى هاشم .

وقد أقامت وزارة الأوقاف سنة ١٩٤٠ المسجد الموجود حاليا ، ويتكون من سبعة أروقة موازية للقبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبعة . ويقابل القبلة قبة ضريح السيدة زينب ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسان يفضل بينهما - مستطيل تعلوه (شخشيخة) . وفي الطرف الشمالي الغربي يوجد ضريح سيدى العتريس . وقامت وزارة الأوقاف بعد ذلك بإضافة مساحة تبلغ ٣٢ × ١٧ إلى المسجد الأصلي . وفي سنة ١٩٦٩ أضافت وزارة الأوقاف مساحة ثانية ماثلة تماما للمسجد الأصلي وبنفس مساحته بحيث أصبحت الإضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلي والتوسعة الأخيرة . لذلك فقد عمل في منتصف التجديد الأول محراب يتوسط المسجد الجديد ، مع الإبقاء على المحراب القديم . ويقابل ضريح السيدة زينب في التجديد الثاني رحبة ماثلة للصحن مغطاة أيضا . وفي الواجهة الغربية يوجد مدخلان أحدهما يتوسط التجديد الأول والثاني في التجديد الأخير .

جامع
السيدة سكينة
بالقاهرة



هي السيدة آمنة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين أمها (رباب) بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس سيد بني كلب . وكانت ولادتها سنة ٤٧ هـ وسميت باسم جدتها أم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لقبها أمها (رباب) (بسكينة) وذلك لأن نفوس أهلها وأسرتها كانت تسكن إليها لفرط مرحها وحيويتها حتى قال فيها والدها الحسين :

لعمري أننى لأحب دارا تكون بها سكينة والرباب
أحبها وأبذل كل مالى وليس لعاتب عندى عتاب

وقد بدأت شخصية السيدة سكينة تظهر في مكة عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها ، فحين أقبل موسم الحج سنة ٦٠ هـ كانت سكينة قبلة لأنظار لحسنها وظرف حديثها وأناقتهما الساحرة ، حتى صارت مثلاً يحتذى ، فقد شاعت (الطرة السكينية) فلم تبق شابة حسناء

إلا وحاولت أن تقلد تصفيف شعرها . ولم يقتصر التقليد للسيدة سكينة على النساء فحسب ، بل شمل الرجال كذلك ، إذ يقال أن الخليفة عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا يصفف جمته (قصته) السكينية جلده وأمر بحلقها .

على أن مرح السيدة سكينة وأناقته لم يلهها عن التعبد الذي يصل أحيانا إلى درجة الاستغراق وفي ذلك يقول والدها حسين جاءه الحسن المثنى ابن أخيه الحسن خاطبا : اخترت لك فاطمة فهي أكثر ابنتي شيها بأبي فاطمة ، أما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله ، فلا تصلح لرجل .

وخرجت سكينة من المدينة في الركب مع أبيها سنة ٦٠ هـ يريد الكوفة بعد أن ألحت عليه شيعته هناك أن يقدم إليهم ليجاهد بهم ضد الطغيان . وبعد استشهاد الحسين وأصحابه في كربلاء ، ساق والى الكوفة زياد ابن أبيه السيدة سكينة مع باقى نساء آل البيت إلى دمشق كسبايا حيث يراهن الخليفة يزيد بن معاوية ، ثم كانت نهاية المطاف في المدينة المنورة ، وهناك أقامت مع أمها الرباب ، التي خطبت بعد فترة الحداد فأبّت أن تستبدل بالحسين زوجا وبرسول الله صهرا ، وقالت « ما كنت لاتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم » . على أنها ما لبثت أن ماتت بعد عام واحد حزنا عليه وعلى ولدها عبد الله ، فأقامت سكينة مع أخيها على زين العابدين .

وقد اختلف الرواة والمؤرخون في عدد أزواج السيدة سكينة ، فقليل اثنان أو واحدا . على أن جمهور الرويات تجمع على ثلاثة : مصعب بن الزبير ثم عبد الله بن عثمان بن عبد الله ثم زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان . ويضيف ابن خلكان خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم فحملت إليه بمصر فوجدته قد مات . أما المراجع الشيعية فتقصر زواجها على ابن عمها عبد الله بن الحسن .

وكانت السيدة سكينة سيدة المجتمع الحجازى الأولى على أيامها ، فقد اجتمعت لها من الخلايا والسجايا ما جعل لها مركزا عاليا مرموقا . فهي الأدبية الظريفة الجميلة فلو اضمنا إلى هذا شرف المحتد لظهر لنا مقدار ما حبتها به الطبيعة من صفات طبيعية

وأخرى موروثه . وكانت السيدة سكينه دائمة داعترزاز بنسبها فقد جاء في طبقات الشافعية عن ماتم شهدته سكينه وكانت فيه بنت لعمر بن عفان ، فقالت العثمانية « أنا بنت الشهيد ، فأنكر المجلس أن تفخر بأبيها على مسمع من بنت سيد الشهداء ، على حين أمسكت سكينه صامته لاتعلق ، إلى أن اذن المؤذون من مسجد الرسول للصلاة ، فلما بلغ قوله : « اشهد أن محمدا رسول الله » . التفتت سكينه إلى بنت عثمان وسألتها ، هذا أبي أم أبوك ؟ فأجابت العثمانية ، لا أفخر عليكم أبدا .

وإذا كان للغرب أن يفتخر بندوق نساءه العلمية (وصالوناته) في القرن الثامن عشر فإن للعرب أن يتبها عجا بندوق نساءه في الأندلس التي سبقت الغرب بعدة قرون ، فقد كانت ندوات (ولادة) بنت المستكفي في القرن الحادي عشر الميلادي مجمع العلماء والشعراء وأهل الفن والأدب . على أن ندوات ولادة بنت المستكفي لم تكن الأولى في الإسلام فقد سبقتها في القرن الأول الهجري ندوات نسائية في المدينة المنورة وكان أول من سنها هي السيدة سكينه ثم تبعها بعد ذلك غيرها من سيدات قریش .

وقد امتازت ندوة سكينه بالأدب الرفيع ، والعلم العزيز ، والشعر الرقيق ، فكم اجتمع ببابها من الشعراء يطلبون الاذن منها لينشدها أشعارهم ، فقد اجتمع الفرزدق وجريير وجميل وكثير في موسم للحج واتفقوا على الذهاب إلى مجلس السيدة سكينه يحتكمون إليها من يكون أشعرهم ، فأخذ كل منهم ينشدها شعره من وراء حجاب حتى إذا جاء دور جميل وأنشد شعره :

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامي وأفضل مشهدي إذا هيج بي يوما وهن قعود

فقالت له السيدة سكينه « أنت الذي جعلت قتيلنا شهيدا ، وحديثنا بشاشة ، وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ، ولم تتعد ذلك إلى قبيح ، خذ هذه الألف درهم ، وأبسط لنا العذر ، أنت أشعرهم .

وهكذا تألق هذا النجم في سماء المدينة المنورة وظلت تهتدى به حتى سنة ١١٧ هـ ففى صباح يوم شديد الحر فاضت روحها وانتقلت إلى جوار ربها ، وخرج نعشه بتهادى بين جموع المشيعين ، ولكنها « حتى على الموت لاتخلو من الحسد » فإن أمير المدينة الأموى ، أمر أن يؤخروا الصلاة عليها حتى يحضر . وجلس الناس حولها حتى العشاء ونه يحضر الأمير فأوفدوا لها عددا من المسك باربعمائة دينار وصلوا عليها جماعات جماعات . وفى صباح اليوم الثانى دفنوها ودفنوا معها العلم والأدب والفن .

* * *

وصف الجامع

أما عن ضريح السيدة سكينه الذى يقع بحى الخليفة بالقاهرة بالشارع المسمى باسمها فقد اختلف المؤرخون فى صحة وجودها به ، والذين يقولون بوجودها بمصر يعتمدون على القصة التالية : خطبها الأصبغ بن عبد العزيز والى مصر من قبل الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان فكتبت إليه تقول : « أن أراضى مصر وخمة » فبنى لها (مدينة الأصبغ) ، ولكن هذا الأمر لم يرق فى عين الخليفة فحسده وكتب إليه « أن تأخذ ولاية مصر أو سكينه فكف عن زواجها ، وقال ابن زولاق^(١) ، أن أول من دخل مصر من ولد على كرم الله وجهه سكينه بنت الحسين بن على رضى الله عنهم ، وذلك أنها حملت إلى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ليدخل بها فوجدته قد بقى فرجعت إلى المدينة وقيل غير ذلك . ويقول النسابة العبيدى ، أن السيدة سكينه صحبت عمته السيدة زينب فى خروجها إلى مصر حين أدرك الخليفة يزيد خطر مقامها بالمدينة ، فأمر إليها أن يفرق بينها وبين الناس حتى لا تكون فتنة . وتعلق الدكتور بنت^(٢) الشاطىء على ذلك فتقول : « وإذا صحت هذه الرواية فلعل السيدة سكينه قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمته زينب سنة ٦٢ هـ . وعلى أية حال فقد ظهر فى العصور الوسطى وخاصة فى أوقات المحن والحروب التى لا نجد فيها الشعوب من تلوذ به غير الواحد القهار أن يتلمسوا أضرحة آل البيت والأولياء للزيارة والبركة

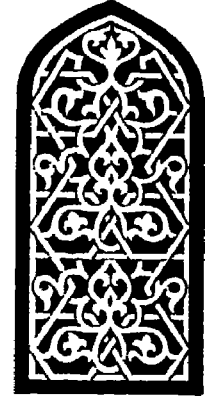
(١) ابن زولاق ص ٨٧

(٢) السيدة سكينه ص ٣٥

والدعاء ليكشف الله عنهم السوء ويرفع البلاء ، ومن ثم ظهر ما يعرف باسم أضرحة الرؤيا .
فإذا رأى ولى من أولياء الله الصالحين فى منامه رؤيا مؤداها أن يقيم مسجدا أو ضريحا لأحد
من أهل البيت أو الولى المسمى فى الرؤيا فكان عليه أن يقيم الضريح أو المسجد باسمه .

والمسجد الموجود حاليا يرجع إلى عهد عبد الرحمن كـتـخذـا سنة ١١٧٣ هـ ثم جدته بعد
ذلك وزارة الأوقاف فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وعلى باب المقصورة النحاسية نجد
لوحة تذكارية مورخة سنة ١٢٦٦ هـ .

مشهد
الإمام زين العابدين
بِحى زين العابدين



الإمام زيد بن علي المعروف بزَيْن العابدين ، ابن الحسين بن علي ابن أبي طالب وكنيته أبو الحسن^(١) . هو كما وصفه أبو اسحق : رأيت زيد بن علي فلم أر في أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل وكان أفصحهم لساناً وأكثرهم زهداً وبياناً . وقال الشعبي : والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد ولا أبين قولاً ، لقد كان منقطع القرين .

وتنسب إلى زيد بن علي طائفة الزيدية وهي من أكبر فرق الشيعة وأكثرها اعتدالاً وقرباً إلى أهل السنة . ولعل ذلك راجع إلى إمامها زيد بن علي الذي تتلمذ لواصل بن عطاء ، فتأثر به في عنقه وقوة حجته وسلامة حكمه . وقد انتشرت فرق الزيدية في طبرستان واليمن

(١) مشهد زين العابدين ج ٤ ص ٣٠٦ .

ولا يزال معظم اليمانيين ن الزيدية . ولا يختار الزيديون إمامهم بالوراثة بل لا بد أن يكون مستكملا لشروط^(١) معينة .

كان زيد يحدث نفسه دائما بالخلافة ويرى أنه أهل لذلك ، ومازال هذا المعنى يتردد في نفسه ، حتى وفد على الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك ، فأنس منه جفوة فكانت سببا في خروجه على بنى أمية ومطالبته بالخلافة . فسار أولا إلى الكوفة ، ولكنه هم بالرجوع إلى المدينة فتبعه أهل الكوفة وأقنعوه بالبقاء ومحاربة بنى أمية قائلين له : نعطيك من الإيمان والعهود والمواثيق ما تثق به ، فأنا نرجو أن تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذى نهلك فيه بنى أمية ، ومازالو به حتى أعادوه إلى الكوفة^(٢) .

فحشد يوسف بن عمر أمير الكوفة جيوشه ، وجرى بين الفريقين قتال تفرق فيه أصحاب زيد عنه ، فبقى في فئة قليلة من أهله يقاقل قتالا شديدا حتى سقط شهيدا وذلك في شهر صفر سنة ١٢٢ هـ وقيل ١٢١ هـ .

وقد اختلف المؤرخون والرواة على مكان الدفن ، كما اختلفوا من قبل على رأس جده الإمام الحسين رضوان الله عليه ، فقيل أنه حمل إلى الكوفة ثم أحرق وذر رماده في الفرات ، وقيل بعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك فنصبه على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة . أما الكندى فيؤكد قدوم الرأس إلى مصر . وقد جاء في شرح رواية دقن الرأس بمصر في (الجواهر المكنون) :

« أنه بعد قدوم رأسه (أى زيد) إلى مصر طيف بها ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر (أى جامع عمرو) في سنة ١٢٢ هـ ، فسرقت ودفنت في هذا الموضع ، إلى أن ظهرت وبني عليها مشهد في الدولة الفاطمية . »

(١) الملل والنحل ص ١١٧

(٢) ترتيب الزيارة ص ٣٩

وصف المشهد

ويوجد هذا المشهد في الحى المعروف الآن بحى (زين العابدين) وكان يعرف في أوائل العصر الإسلامى باسم (الحمراء القصوى^(١)) . وتقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط (مصر القديمة الآن) وعليها أسس العباسيون مدينة العسكر ، ثانياً عواصم مصر الإسلامية .

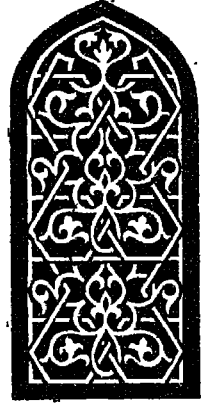
والمسجد الموجود حالياً يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر ، فقد جدد وأعاد معظم مبانيه عثمان أغا^(٢) مستحفظان . أما عمارة الدولة الفاطمية فلم يبق منها سوى عقد واحد يوجد بالطرقة الداخلية على يمين الداخل إلى رواق القبلة . كما توجد لوحة تذكارية مثبتة على مدخل المسجد القديم بالواجهة الغربية ، كتب عليها ما يلى : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا مشهد الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين فى سنة ٥٤٩ هـ » .

أما القبة التى تعلو الضريح فتزجع إلى العصر المملوكى فى القرن الثامن^(٣) الهجرى وفى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى عملت مقصورة جديدة للضريح . تعتبر نموذجاً لصناعة الحديد المزخرف بمصر^(٤) ، كتب عليها : أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠ هـ كذلك كسا عتب باب القبة ببلاطات من القيشانى الأزرق العثمانى الجميل .

(٢) عل مبارك ج ٤ ص ٦٩
(٤) المخطط التوفيقى ج ٤ ص ٧١

(١) المقرزى ج ٢ ص ١١٥
(٣) السخاوى ص ٢٧

جامع السيدة عائشة بالقلعة



السيدة عائشة هي بنت جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهي أخت الإمام موسى الكاظم رضي الله عنهما . لقد كانت كما جاءت ترجمتها في كتاب (مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى) من العابدات القانتات المجاهدات ، ويؤثر عنها أنها كانت تقول مخاطبة الله جل جلاله : وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذن توحيدى بيدي فأطوف به على أهل النار وأقول : وحدته فعذبني « وقد توفيت إلى رحمة الله تعالى سنة خمس وأربعين ومائة .

ويجمع المؤرخون ممن تناولوا سيرة أهل البيت بالبحث والدراسة ، على أن السيدة عائشة رضوان الله عليها ، شرفت مصر وتوفيت بها سنة ١٤٥ هـ . فقد جاء في كتاب (تحفة الأجياب) للسخاوي^(١) أنه رأى قبر السيدة عائشة وقد ثبت عليه لوح رخامي مكتوب عليه :

(١) السخاوي ض ١١٩

« هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، توفيت سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة .

وظل قبر السيدة عائشة حتى القرن السادس^(١) الهجري مزارا بسيطا يتكون من حجرة مربعة تعلوها قبة ترتكز على حطتين (صفين) من المقرنصات ، أما في العصر الأيوبي فقد أنشئ بجوار القبة مدرسة وذلك أنه عندما أحاط صلاح الدين الأيوبي عواصم مصر الإسلامية الأربع ، الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة بسور واحد حتى يحصن البلاد من هجمات الصليبيين ، ففصل هذا السور قبة السيدة عائشة عن باقي القرافة فرأى صلاح الدين ، أن يقيم بجانب القبة مدرسة ، كما أنه فتح في السور بابا سماه باب السيدة عائشة وهو المعروف (بباب القرافة) .

(١) المخطط التوفيقية ج ٤ ص ٦٩

وصف المسجد

والمسجد الآن بشارع السيدة عائشة عند بداية الطريق الموصل إلى مدينة المقطم . وقد تهدم المسجد القديم وأعاد بنائه الأمير عبد الرحمن كتحدا في القرن الثامن عشر . ويتكون المسجد من مربع يتوسطه صحن وتحيط به الأروقة . ومما يسترعى النظر في رواق القبلة ، أن المحراب لا يتوسط جدار القبلة ، وإنما يقع في الركن الجنوبي الشرقي للجدار .

ومثل هذه الظاهرة وجدناها في مشاهد الموصل التي بنيت في العصر السلجوقي ، ويوجد بالواجهة الغربية للمسجد بابان بينهما المئذنة التي لم يبق منها سوى الدورة الأولى وقد كتب على الباب البحري ما نصه :

مسجد أمه التي فتراه كبلور تهدي بها الأبرار
وعباد الرحمن قد أرخوه تلاً لأبجيه الأنوار

وكتب على الباب القبلي ما نصه :

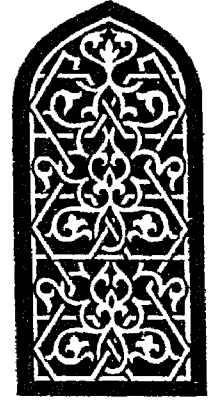
بمقام عائشة المقاصد أرخت سل بنت جعفر الوجيه الصادق

وقد تحقق المرحوم أحمد زكي باشا من وجود جثمان السيدة عائشة بالضريح فنأدى على رؤوس الأشهاد بقوله : (أن المشهد القائم في جنوب القاهرة باسم السيدة عائشة النبوية هو حقيقة متشرف بضم جسمانها الطاهر ، وفيه مشرق أنوارها ومهبط البركات بسببها) .

وقد كتب على باب القبة ما نصه :

لعائشة نور مضئ وبهجة وقبتها فيها الدعاء يجاب

مسجد تبر بالمطرية أو جامع سيدي إبراهيم



لقد تعددت أسماء هذا المسجد فقد عرف قديماً بمسجد التبر ومسجد الجميزة ومسجد التبريز وتسمية العامة مسجد التين ، أما الاسم الذي يعتمد على أسانيد تاريخية صحيحة فهو مسجد تبر أو مسجد إبراهيم . أما بالنسبة لإبراهيم المقصود بالذكر هنا فهو إبراهيم الجواد بن عبد الله الملقب بالكامل بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ويقول المقرئزي^(١) ، أن الخليفة المنصور قتله سنة خمس وأربعين ومائة وأرسل رأسه إلى مصر فنصبت في المسجد الجامع العتيق (جامع عمرو) . ويضيف أبو المحاسن^(٢) ، أن إبراهيم رحمه الله كان ضحية الطمع والجشع نشأ في بلدة باغمري من أعمال الكوفة . ويصف كيف جاءت الرأس إلى مصر فيقول « وبينما الناس في ذلك قدم اليزيد برأس إبراهيم ابن عبد الله فنصب في المسجد أياما ثم طيف به ودفن في الضاحية التي تعرف بمنية مطر » .

(١) المقرئزي : ج ٤ ص ٢٧١

(٢) ابن تفرى يردى ج ٣ ص ١٣٦

وكذلك أورد القضاعي هذه الرواية ، إذ يقول « مسجد تبر بنى على رأس إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أنفذه المنصور ، فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك . » وجاء في كتاب الولاية^(١) والقضاة « ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة لينصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره .

وقد حقق الشيخ^(٢) الشبلنجي الاسم (في كتابه نور الأبصار في مناقب آل البيت) وانتهى إلى أنه « هو إبراهيم عبد الله المحض أخو محمد المهدي ، وكان مرضى السيرة من كبار العلماء ، روى أن الإمام أبا حنيفة بايعه وأفتى الناس بالخروج معه ومع أخيه محمد قال أبو الحسن العمري : قتل إبراهيم في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وحمل ابن أبي الكرام رأسه الشريف إلى مصر .

وجاء في حوادث سنة ١٤٥هـ في كتاب العبر^(٣) في خبر من غير : « فيها ظهر محمد ابن عبد الله ابن حسن ، فخرج في مائتين وخمسين نفساً بالمدينة ، فندب الخليفة المنصور لحربه ابن عمه عيسى بن موسى يدعوه إلى الإنابة ويبدل له الأمان فلم يسمع ، ثم أنذر عيسى أهل المدينة ورهبهم وأياماً ، ثم زحف على المدينة ، فظهر عليها وبادر محمداً وناشده الله ، ثم قتل في المعركة وبعث عيسى برأسه إلى المنصور »

ويضيف الذهبي^(٤) فيقول : وفيها (أي سنة ١٤٥هـ) خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله ابن حسن بالبصرة ، وكان قد سار من الحجاز إلى البصرة فدخلها سرا في عشر أنفس ولما بلغ المنصور خروجه تحول فنزل الكوفة حتى يأمن غائله أهلها ، وألزم الناس بلبس السواد وجعل يقتل كل من اتهمه أو يحبسه ، وتهاون متولى البصرة في أمر إبراهيم حتى اتسع الخرق فجهز المنصور لحربه خمسة آلاف ، فكان بين الفريقين عدة وقعات . وقتل خلق من أهل

(١) الكندي ص ٥٧

(٢) الشبلنجي : نور الأبصار في مناقب آل البيت ص ٢٣

(٣) العبر في خبر من غير ص ١١٢

(٤) الذهبي تاريخ ص ١٣٧

البصرة وواسط . وبقى إبراهيم سائر رمضان يغرق العمال على البلدان ليخرج على المنصور من كل جهة فتتأ ، فاتاد مصرع أخيه بالمدينة قبل الفطر بثلاثة أيام . فلم يبرح أن رد ، (المنصور) من المدينة عيسى بن موسى فوجهه لحرب إبراهيم » .

ولعل استطرادنا في سرد تفاصيل الحوادث التي دارت بين المنصور وإبراهيم ما يبرر جز المنصور لرأس إبراهيم والطواف به في الأمصار ليكون عبيرة لمن تحدثه نفسه من العلويين للخروج عليه أو على غيرد من آل العباس . فقد جاء في أحداث سنة ١٤٥هـ أن المنصور مكث لا يقر له قرار فجهز العساكر ، ولم يأت إلى فراش خمسين ليلة ، وكل يوم يأتيه فتق من ناحية . ويضيف الحافظ الذهبي « ولولا السعادة لثل عرشه بدون ذلك . فلو هجم إبراهيم بالكوفة لظفر بالمنصور ولكنه كان فيه دين : قال : أخاف أن هجمتها أن يستباح الصغير والكبير وكان أصحابه مع قلة رأيه يختلفون عليه .

وأخيرا استطاع جيش عيسى بن موسى أن يحيط بجيش إبراهيم وحمل على عسكره ف وقعت الهزيمة على أصحاب إبراهيم حتى بقي في سبعين ، واشتد القتال حتى تفانى خلق تحت السيف طول النهار ، وجاء بهم غريب لا يدري من رمى به في حلق إبراهيم فأنزلوه وهو يقول (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أردنا أمرا وارد الله غيره . واجتمع أصحابه يحملونه وأنكر عيسى اجتماعهم وحمل عليهم ، فتفرقوا عن إبراهيم ، فنزل جماعة واجتزوا رأسه وبعثوا به إلى المنصور وذلك في الخامس والعشرين من ذى القعدة وعمره ثمان وأربعين سنة .

أما عن أثر هذه الأحداث في مصر وكيف جاء رأس إبراهيم إليها فيحدثنا ابن طهيرة في كتابه (الفضائل الباهرة في^(١) محاسن مصر والقاهرة) فيقول : وفي أيام يزيد بن حاتم والى مصر من قبل الخليفة المنصور ظهرت بمصر دعوة بنى الحسن بن علي بن أبي طالب وتكلم بها الناس وباع كثير منهم لبنى الحسن في الباطن وماجت الناس بمصر وكاد أمر بنى الحسن أن يتم ، والبيعة كانت باسم علي بن محمد بن عبد الله . وبينما الناس في ذلك قدم اليزيد برأس إبراهيم بن عبد الله بن علي بن أبي طالب في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة فنصب في المسجد أياما .

(١) الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ص ٨٧

ومما يدل على تحرج الحالة في مصر ، كما يقول ابن طهيرة « أن يزيد قد منح أهل مصر من الحج بسبب خروج العلويين بالمدينة ، فلما قتل إبراهيم أذن لهم » .

ولابن طهيرة في كتابه الفضائل الباهرة^(١) في محاسن مصر والقاهرة رأى آخر عن مكان دفن رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب إذ يقول (ومسجد البئر والجميزة في طريق الجب بنى علي رأس إبراهيم بن عبد الله أرسله أبو جعفر المنصور إلى الأمصار ، فأخذاه أهل مصر ودفنوه في هذا الموضع . وفي تفسيره لمكان البئر والجميزة البئر والجميزة يقول (هما العريش) .

أما عن السبب في تسمية المسجد باسم مسجد تبر فيرجع كما يقول المقرئزي^(٢) نسبه إلى تبر ، أحد الأمراء الأكابر في أيام الأستاذ كافور الأخشيدى . فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر الأخشيدى هذا في جماعة من الكافورية والأخشيدية وحاربه فانهمز بمن معه إلى أسفل الأرض فبعث جوهر يستعطفه ، فلم يجب وأقام على الخلاف فسير إليه عسكريا حاربه بناحية صهرجت ، فانكسر وصار إلى مدينة صور التي كانت على ساحل البحر ، فقبض عليه بها وأدخل إلى القاهرة ، فسجن إلى صفر سنة ستين وثلثمائة ، فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت أمواله وحبس عدة من أصحابه بالمطبق من القيود إلى ربيع الآخر ، ثم خرج وأقام أياما مريضا ومات . ويضيف المقرئزي : فسُلخ بعد موته وصلب عند كرسى الجبل ويقول ابن عبد الظاهر أنه حشى جلده تبنا وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك .

وجاء في تحفة الأحباب وبغية الطلاب للسخاوى^(٣) : وقد ظل هذا المسجد يعرف باسم مسجد تبر إلى عهد بعيد ثم تحول إلى زاوية صغيرة ثم اندثرت المباني وبقيت التربة فقط ومن عهد قريب تطوع الأهالي ببناؤه فأعيد إلى شبه حالته سنة ١٩٢٢ م وهو باق إلى

(١) ابن طهيرة ص ٨٩

(٢) المقرئزي ج ٤ ص ٢٧١

(٣) السخاوى : ص ٢٢

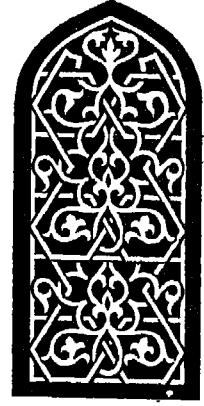
الآن بالمطرية بشارع البرنس (ماهر حاليا) يعرف بجامع سيدى إبراهيم ، وعليه ضريح يزار لكن بعض العامة تقول أنه إبراهيم الدسوقي وهذا خطأ بطبيعة الحال .

وتوجد زاوية سيدى إبراهيم فى شارع ماهر (البرنس) سابقا وعلى ناصية حارة سيدى إبراهيم . وتتكون الزاوية من مبنى مستطيل الشكل مدخلها فى الجهة الجنوبية حيث يوجد بابان داخل حنيتين يعلوهما عقد ذو ثلاثة فصوص ويعلو الباب نافذة صغيرة معقودة . والجدران الخارجية مزخرفة بطلاء جيرى مخطط باللون الأحمر والأبيض وتبدو وكأنها أبلق . أما داخل الزاوية فبسيط جدا ويتكون من ستة أروقة موازية لحائط القبلة وبكل رواق أربعة أعمدة . وبالرواق الثانى وأمام المحراب توجد قبة بها ثمان فتحات القصد منها الإنارة .

وقد اقتطع من الزاوية مستطيل فى الركن الشمالى الغربى توجد فى جزء منه مقبرة سيدى إبراهيم وهى عبارة عن حجرة مربعة غطيت بقبة تقوم على رقبة مئمنة بكل ضلع منها نافذة وفوقها تقوم قبة مدببة . أما جدران المستطيل فقد فتحت فى كل من الضلع الشرقى والغربى نافذتان قنديليتان . وفى الجهة الغربية من الزاوية توجد الميضأة ودورة المياه .

ولعل السبب فى اختيار جهة المطرية لتكون مقرا لرأس إبراهيم هو إبعاد الناس عن زيارة المقبرة حتى تخمد الثورة وتضعف الدعوة للعلويين . فقد كانت منطقة المطرية فى ذلك الوقت مهجورة غير مسكونة لبعدها عن العاصمة وهى القسطنطينة ثم العسكر . كما أن مقابر المسلمين فى ذلك الوقت كانت عند جبل المقطم . وما ينهض دليلا على أهمية هذه المقبرة فى تلك المنطقة النائية وأعنى بها المطرية ، هو اهتمام الأمير تبر ببناء مسجد بجوارها .





مسجد رابعة العدوية شهيذة العشق الالهى بمدينة نصر بالقاهرة

تنتمى رابعة العدوية إلى بنى عدى الذين اشتهر كثير من أفرادها بالورع والتقوى .
فى مدينة البصرة . ولدت رابعة فى عهد الدولة الاموية فى أواخر القرن الأول أو أوائل القرن
الثانى للهجرة من أبوين فقيرين بمدينة البصرة . ويحدثنا ابن الجوزى عن قصة مولدها
فيقول : أتت رابعة إلى الدنيا ولم يكن فى بيت أهلها شئ ، لأن أباهما كان فقيرا فلم يكن
عنده قطرة من سمن حتى يدهنوا موضع خلاصها . ولم يكن ثمة نور ولا خرق للغب الوليد .
وكان لرابعة ثلاث أخوات فسميت رابعة لأنها رابعتهن . ويستمر ابن الجوزى فى سرد
القصة فيقول : « وطلبت أم رابعة من زوجها أن يذهب إلى الجيران لكي يأتى لها بقطرة
من الزيت حتى يضىء القنديل ، ولكنه كان قد عاهد نفسه على ألا يطلب من الناس شيئا
لأنه لو طلب شيئا ما أعطوه . ومع هذا ذهب إلى الجيران وطرق باهم ثم عاد إلى زوجته
وقال أنه لم يفتح له » .

إلى هذا الحد والقصة طبيعية مألوفة ، أما باقىها ففيها كثير من الخوارق التي يسميها

مؤرخو العصور الوسطى باسم الكرامات ويصفها المحيرون بالأسطورة غير أن أحدا لا ينكر الكرامات لأولياء الله الطاهرين . وفي ذلك يقول أكثر الصوفية : أن ظهور الكرامات جائز بل واقع وهي أمور ناقضة للعادة غير مقترنة بدعوى النبوة ، وهي عون للولى على طاعته ومقوية ليقينه وحاصلة له على حسن إستقامته ودالة على صدق دعواه الولاية إلى أن إدعاها لحاجة وشهدت له الشريعة .

ولرابعة في مجال الكرامات شهرة واسعة فيكمل العطار قصة طفولة رابعة فيقول : « وبكت أم رابعة لما هم فيه من فقر وجحود الجيران ، وفي ذلك الوقت أطرق والد رابعة ونام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وقال الرسول : لا عليك لأن هذه البنت التي ولدت وهي سيدة وأن سبعين ألفا من أمي ليرجون شفاعتها ، وقال له أذهب غدا إلى أمير البصرة واكتب له ورقة وقل له : « إنك تصلى مائة صلاة وفي ليلة الجمعة أربعمائة ، ولكن في يوم الجمعة الأخيرة نسيته ، فادفع كفارة أربعمائة دينار حلال لهذا الشخص ، فلما أفاق والد رابعة من نومه كتب الرسالة وأرسلها عن طريق الحاجب إلى الأمير ، فلما رآها الأمير قال : أعطوا ألى دينار للدراويش وأربعمائة للشيخ وقولوا له أن يأتي لأراه . »

وفقدت رابعة أبويها وهي ما تزال في سن الطفولة غضة الاهاب لا تملك من الدنيا شيئا إلا قاربا ، كما جا في كتاب « شخصيات صوفية » للأستاذ طه عبد الباقي كان أبوها يحمل عليه الناس من شاطئ إلى شاطئ في نهر دجلة فخلت في القارب مكانه طوال يومها حتى إذا أمسى عليها المساء رجعت إلى منزلها الموحش ، فقد أقفر من الوالد الحنون والأم ، الرحيمة ، فترتمى في أحضان صديقتها (عبدة) تبكى وتبكي طوال ليلها . فتضعها عبدة إلى صدرها تهددها وتمسح دموعها وتسألها ما بها فينسب الجواب ندبا بالدموع محترقا بالزفرات وهي تقول : لست أدرى ؟ إننى حزينة وأنه لحزن غامض لا أدرى له سببا .

ويستطرد الأستاذ طه في سرد قصته التي أخذها عن كتاب (الروض الفائق في المواعظ والرفائق) . إن رابعة العدوية كانت تجد بعض السلوى في ألحانها الحزينة وهي تمخر عباب الماء

مركبها وكان يخيل إليها أن الطبيعة تصمت لمزمارها وتشاركها الحانها. ويسير الأستاذ طه في وصف الكثير من قصص حياة رابعة حتى يأتي ، إلى أن حلما أخذ يراودها في كل غفوة ويتراءى لها في كل ليلة، أنها ترى فيما يرى النائم أن نورا ساطعا مشرقا أكثر ما يكون السطوع والإشراق يملا الوجود ثم ينصب على جسدها فيغمره ثم يتسلل إلى قلبها وروحها . وتعود رابعة إلى منزلها مذهولة تلتمس النوم فجفاها ثم غفت غفوة فرأت ، ملائكة يطفن بفراسخها ويرددن شعرا ثم هتف ملاك كريم : يا رابعة أما آن لك أن تعودى إلى ربك !! يا رابعة لقد اجتباك ربك. فاقبلى عليه وتفرغى له يغنيك عن الدنيا . واستيقظت رابعة والنور يملا قلبها . وروحها فألقت رداء الدنيا وأقبلت على الآخرة ، فلمست سر الحياة وتصوفت رابعة وامتلأ قلبها بحب ربها وهديت إلى صراط العزيز الحميد .

ويرى الأستاذ قمر الدولة ناصف ، أن قصة رابعة كما رواها ، الأستاذ طه ، لا تتفق كثيرا مع ما جاء عنها في كتب الطبقات وخاصة في تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ، الذى يقول : « ولما كبرت رابعة وتوفى والداها ، حدث في البصرة قحط وتفرقت إخوانها ، خرجت رابعة تهم على وجهها تبحث عن رزق تفتات منه ، فرآها ظالم وباعها بستة دراهم ، ومن اشتراها أثقل عليها بالعمل . وذات يوم هربت من بيت سيدها وهامت على وجهها في الطريق حتى ارتمت على الأرض من شدة التعب فأخذت تناجى ربها قائلة : ياربى أنا غريبة ويتيمة وأسيرة وقد صرت عبدة ، ولكن غمى الكبير هو أن أعرف : أراض عنى أنت أم غير راض ؟ فسمعت صوتا يقول لها : « لا تحزنى أنى في يوم الحساب المقربون في السماء ينظرون إليك ، ويحسدونك على ما أنت فيه .

وبعد أن سمعت هذا رجعت إلى بيت سيدها راضية النفس مطمئنة ، تخدم سيدها وتصوم وتصلى لربها ، وذات ليلة إستيقظ سيدها على صوت تهجدتها فنظر من خوخة في الباب فرأى رابعة ساجدة وهي تقول « إلهى أنت تعرف أن قلبى يتمنى طاعتك ، ونور عينى فى خدمة عتبتك ولو كان الأمر بيدي لما توقفت ساعة عن خدمتك ، لكذبك تركتني تحت رحمة هذا المخلوق » كما رأى سيدها نورا يضى البيت كله يخرج من قنديل معلق فوق رأسها بدون سلسلة ، فلما سمع توسلها ورأى نورها العجيب فزع ونهض ، ودعا رابعة برفق

قائلا لها يا رابعة لقد أعتقتك وأنت حرة فإن شئت بقيت هنا وسنكون جميعا في خدمتك وإن لم تشائى فاذهبى إن شئت ، فودعته رابعة شاكرة له فضله وارتحلت واتخذت مهنة العزف على الناي مدة ثم تابت من بعد ذلك وأصلحت وابتنت لنفسها خلوة انقطعت فيها للعبادة .

وبرغم أن الدكتور عبد الرحمن بدوى قد وافق على رواية العطار (فى كتابه شهيدة العشق الإلهى) إلا أنه لم يسلم بالنهاية التى انتهت إليها القصة إذ يقول : أن رابعة لما اعتقت إندفعت بفضل الحرية التى وهبتها إلى المشاركة فى حياة الدنيا ، خاصة أنها كانت باهرة الجمال ساحرة الفتنة ، وإنما قطعت شوطا طويلا فى طريق الإثم وغرقت فى بحر الشهوات . ثم يعلل ذلك بقوله « إن الانقلابات الروحية الكبرى إنما تقع دائما نتيجة لعنف وإفراط ومبالغة فى الطرف المنقلب عنه . فعنف إيمان القديس بولس كان نتيجة لعنف إنكاره المسيحية ، وعنف الحياة التقيية لدى القديس أغسطين كان لازمة طبيعيا لعنف الحياة الشهوانية الحسية التى حياها قبل تحوله إلى الإيمان ، إن الاعتدال من شأن الضعفاء والتافهين أما المتطرف فمن شيم الممتازين الذين يبدعون ويخلقون التاريخ . ثم يضيف وما كان يمكن لرابعة أن تتطرف فى إيمانها وحبها لله إلا إذا كانت قد تطرفت من قبل فى حبها للدنيا ، فمن أعماق الشهوة العنيفة ثنبتق الشرارة المقدسة للطهارة » .

أما الأستاذ قمر الدولة فقد وقف موقفا وسطا ومنطقيا ، ونحن نؤيده فيه ، بين العطار وبين الدكتور بدوى ، فهو لا يسلم بأن رابعة العدوية تابت دون أن تخطئ ، إذ يقول من أى شئ تابت ؟ هل تابت من إحترافها العزف على الناي ؟ وهل فى إحترافها العزف على الناي إثم يجب أن تتوب منه ؟ إن العزف على الناي وحده ليس عليه غبار حتى تتوب منه بل أن العزف على الناي عند المتصوفة ليس نكرا ولا بدعا بل هو جناح يبعث الوجد ويحرك القلب ويحلق بسامعه . ولكنه يعتقد أنها احترفت العزف على الناي والغناء ، وخاصة أن هذه المهنة فى ذلك العصر كان من غير الممكن أن تكون بمنجاة عن ألوان الإغراء التى

تنصب لها . فكان لابد لرابعة أن تتخلص من تلك الحياة اللاهية التي وجدت نفسها فيها بعد احترافها العزف على الناي والغناء ، فراحت تبحث عن نفسها التائه بين زحمة الحياة . وقد من عليها الله بالتوبة ، والتوبة عند رابعة لا تتم بالجهد بقدر ما تتم بفضل من الله ، فقد جاء في طبقات الأولياء أن رجلا قال لرابعة : إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصي ، فلو تبت هل يتوب علي ؟ فقالت لا بل لوتاب عليك لتبت ، مصداقا لقوله تعالى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) .

وبدأت رابعة العلوية بتوبتها صفحة مشرقة من حياتها فابتنت لنفسها خلوة وانقطعت فيها للعبادة وذاع صيتها في البصرة وانتشرت ألحانها العلوية في العراق وسمت بعواطفها إلى الحب الإلهي وابتدعت مذهبا في التصوف عرف بها وعرفت به ، واستحقت بحق أن يطلق عليها (شهيدة الحب الإلهي) فهي التي تقول : « اللهم إني أعوذ بك من كل ما يشغلني عنك ومن كل حائل يحول بيني وبينك ، اللهم اجعل الجنة لأحبائك والنار لأعدائك وأما أنا فحسبي أنت » وكانت رحمها الله إذا صلت العشاء تتهجد وتقوم الليل كله وهي تقول « إلهي نارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يديك ، ثم تقبل على صلاتها فإذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت : « إلهي هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنا أم رددتها على فأعزى ، فوعزتك هذا دأبي ما أحييتني وأعنتني وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبتك » .

وكرامات رابعة العلوية كثيرة فمنها أن لصا دخل عليها ليلا فلم يجد في البيت غير إبريق فلما هم بالخروج قالت له رابعة : يا هذا إن كنت من الشطار ، فلا تخرج بغير شيء ، فقال إني لم أجد شيئا ، فقالت : « يا مسكين توضأ بهذا الإبريق وادخل في هذا المخدع فصل ركعتين فإنك ما تخرج إلا بشيء ، ففعل ما أمرته ، فلما قام يصلى رفعت رابعة طرفها إلى السماء وقالت : « ياسيدي ويامولاي هذا قد آتى بابي ولم يجد شيئا عندي وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك . فلما فرغ من صلاة الركعتين لذت له العبادة :

فما برح يصلى حتى آخر الليل . فلما كان وقت السحر دخلت إليه رابعة فوجدته ساجدا،
فقال له كيف قضيت ليلتك ، فقال بخير ، وقفت بين يدي مولاي بدلى وافتقارى
فقبل عذرى وجبر كسرى وغفر لى ذنبي وبلغنى المطلوب ، فرفعت رابعة كفها إلى السماء
وقالت : سيدى ومولاي هذا وقف ببابك ساعة فقبلته وأنا منذ عرفتك بين يديك أترك
تقبلنى ؟ فنوديت فى سرها يا رابعة من أجلك قبلناه وبسببك قربناه .

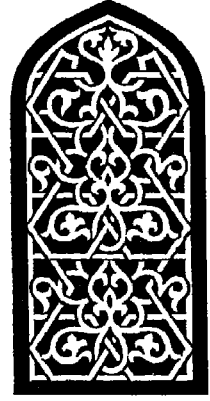
* * *

وصف المسجد

وتوفيت رابعة العدوية على الراجح ، سنة ١٨٠ هـ ، أو سنة ١٨٥ هـ ودفنت في خلوتها بالبصرة ، أما عن قبرها في مصر فلعله من أضرحة الرؤيا وفي ذلك يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وأنا لا نعرف أن رابعة العدوية زارت مصر وأن ابتدعت لها الأساطير قبرا بقرافة الإمام يزار ويتبرك به .

هذا وقد رأيت وزارة الأوقاف أن تحي ذكرى السيدة رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي فأنشأت لها مسجدا في مدينة نصر . ويتكون المسجد من صحن مربع مغطى (بشخشيخة) تقوم على رقبة مرتفعة بها نوافذ . ويحيط بالصحن من جهاته الأربع أربعة إيوانات لكل منها صقان من الأعمدة . وإيوان القبلة أعمقها إذ تبرز القبلة عن سمت الإيوان . وسقف المسجد مغطى بالخشب المنقوش برسوم زيتية قواها زخارف هندسية ونباتية محورة . وللمسجد مدخلان الرئيسى يقع في الجهة الغربية في مقابل إيوان القبلة . يتقدمه ظله وقلبه من الدرج ، أما المدخل الثانى يقع في الجهة الشمالية .

جامع
السيدة نفيسة
بالقاهرة



عرش الحقائق مهبط الأسرار قبر النفيسة بنت ذى الأنوار
حسن بن زيد الحسن نجل الإمام م على ابن عم المصطفى المختار

هى السيدة نفيسة العالية القدر ابنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأبلج ابن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين . قال الزبير بن بكار ، ولدت بمكة سنة ١٤٥ هـ ونشأت بالمدينة وكانت تحب العبادة من صغرها وكانت لا تفارق حرم الرسول^(١) عليه السلام . حجت رضى الله عنها ثلاثين حجة أدت معظمها ماشية وكانت تبكى بكاء شديدا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول : إلهى وسيدى ومولاي متعنى وفرحتى برضاك عنى فلا تسبب لى سبباً به عنك تحجبنى . وتقص علينا زينب ابنة أخيها يحيى المتوج طرفاً من حياة عمته فتقول : خدمت عمى نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت

(١) ابن الزيات : الكواكب السيارة ترتيب الزيارة ص ٥

بنهار ، فقلت لها أما ترفقين بنفسك ، فقالت كيف أرفق بنفسى وقد ادى عقبات لا يقطعها إلا الفائزون . وتضيف زينب فتقول، كانت عمى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره وكانت تقرأه وهى تبكى وتقول إلهى وسيدى يسر لى زيارة قبر خليلك إبراهيم ، فاستجاب الرحمن لدعائها وزارت هى وزوجها إسحق المؤمن بن جعفر الصادق قبر الخليل ، ثم رحلا إلى مصر فى رمضان سنة ١٩٣ هـ ونزلا بالمصوصة^(١) فى دار أم هانىء وكان لقدمها إلى مصر أمر عظيم تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش . وقد أحبها أهل مصر حبا جما ويعتقدون فى كراماتها فكانوا إذا نزل بهم أمر جاؤا إليها يسألونها الدعاء فتدعو لهم . وقد أدى إزدحام الناس عند بابها وتهافتهم على رؤيتها والاستماع إليها أن فكر زوجها فى الإرتحال معها إلى الحجاز ولكنها قالت له كما جاء فى الكواكب^(٢) السيارة : لا أستطيع ذلك لأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال لى لا ترحلى من مصر فإن الله تبارك وتعالى متوفيك بها . ويقول القضاعى : قيل لزينب بنت أخت السيدة نفيسة رضى الله عنها ، ما كان قوت عمتك ؟ قالت كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة . وكانت لها سلة معلقة أيام الصلاة فكانت كلما اشتتهت شيئا وجدته فى السلة وكانت لا تأكل لغير زوجها شيئا وكان للسيدة نفيسة من زوجها إسحق ولدان هما القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا .

أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين وفى شهر رجب سنة ٢٠٨ هـ مرضت ويقول السخاوى^(٣) ، لما أحست بدنو أجلها كتبت إلى زوجها إسحق المؤمن كتابا وحفرت قبرها بيدها فى بيتها ، وكانت تنزل فيه وتصلى كثيرا . وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة . وكانت إذا عجزت عن القيام لضعفها تصلى قاعدة وتسبح وتقرأ كثيرا وتبكى بكاء كثيرا ، ولما حانت الساعة وكان ذلك أول جمعة من شهر رمضان قرأت سورة الأنعام وكان الليل قد هدأ . فلما وصلت إلى قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) غشى عليها فضمته زينب ابنة أخيها إلى صدرها فشهدت شهادة الحق وقبضت رحمة الله عليها .

(١) المقرئى ج ٤ ص ٣١٣

(٢) ابن الزيات ص ٦

(٣) تحفة الأحياب ص ٢٩

وأراد زوجها رضوان الله عليهما ، أن يحملها إلى المدينة المنورة لكي يدفنها بالبقيع ، فاجتمع أهل مصر إلى^(١) الوالي عبد الله بن السرى بن الحكم واستجاروا به عند زوجها إسحق ليرده عما أراد فأبى . فجمعوا له مالا وفيرا حتى وسق بعيره وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى ، فباتوا منه في ألم عظيم . فلما أصبحوا اجتمعوا إليه فوجدوه مستجيبا لرغبتهم ، فلما سألوه عن سبب هذا التحول قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى ردّ عليهم أمواهم وأدفنها عندهم . ودفنت السيدة نفيسة بدارها بدرب السباع بين القطائع والعسكر التي عرفت فيما بعد بكوم الجارحي . وكان يوم دفنها يوما عظيما مشهودا . فقد هرع أهل مصر من أقصى البلاد وأدناها فصلوا عليها بعد دفنها . ويقول القضاعى ، خرج إسحق المؤمن بعد موت زوجته السيدة نفيسة من مصر ومعه ولداه منها القاسم وأم كلثوم إلى المدينة المنورة حيث ماتوا ودفنوا بالبقيع .

وكان يقد على السيدة نفيسة في حياتها أئمة الفقه الإسلامى وكبار العلماء فقد زارها الإمام الشافعى وبصحبته عبد الله بن الحكم ، من وراء حجاب وقال لها : إدعى لى . ولما توفى الإمام الشافعى سنة ٢٠٤ هـ ، أدخلت جنازته إليها وصلت عليه في دارها وكانت موضع مشهدها الحالى ، وقالت : رحم الله الشافعى فقد كان يحسن الوضوء .

وقد أجمع النسابة والرواة والمؤرخون على أن قبر السيدة نفيسة لا خلاف فيه ولذلك فقد جاء في كتاب (الكواكب^(٢) السيارة في ترتيب الزيارة) لابن الزيات في آداب الزيارة للمشاهد والأضرحة ما يلى : « أما ابتدأونا بالزيارات فمن المشهد النفيسى لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض » . ويضيف ابن الزيات فيقول : « وأردت بذلك أصح المشاهد كما رواه العلماء رضى الله عنهم ، ولم أر أحدا من أرباب التاريخ صحح مشهدا بغير القرافة من مشاهد أولاد على بن

(١) المقرئى ج ٤ ص ٣١٤

(٢) ابن الزيات ص ٥

أبي طالب رضى الله عنه إلا المشهد النفيسى ، لأنها أقامت به فى أيام حياتها وحفرت قبرها بيدها رضى الله عنها .

وأذكر هذه المناسبة أن مجد الدين الناسخ قال فى كتابه (مصباح الدياجى) : تبدأ الزيارة من مشهد الإمام الحسين ولم يقل بذلك غيره .

وجاء فى كتاب (الدرّة النفيسة^(١) فى ترجمة السيدة نفيسة) ينبغى لمن زار هذا المكان أن يقول عند دخوله من باب الضريح ، رحمه الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد ، اللهم إنك قد ندبتنى إلى أمر قد فهمته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذى هديتنا به إليك ودللتنا به عليك فكان كما قلت وكان بالمؤمنين رحما حبيبا إليه ما هديتنا عزيزا عليه ما عنتنا وتلك القريضة التى سألتها له وهى المودة فى القربى اللهم إني مؤديها مرید النفع بها فى دينى ودنياى متوسل إليه بها يوم انقطاع الأسباب اللهم زده شرفا وتعظيما وهب لنا بزيارتهم مغفرة وأجرا عظيما .

* * *

(١) الدرّة الفضية فى ترجمة السيدة نفيسة ص ٧٣

وصف الضريح

أما عن ضريح السيدة نفيسة فقد جاء في خطط المقریزی^(١) أن أول من بنى على قبرها عبید الله بن السری بن الحکم والى مصر من قبل الدولة الأموية ، ثم أعيد بناء الضريح فى عهد الدولة الفاطمية حيث أقيمت علیه قبة وقد دون تاریخ هذه العمارة على لوحة من الرخام وضعت على باب الضريح جاء فيها ما نصه : نصر من الله وفتح قريب لعبد الله وولیه معد أبى تمیم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله علیه . وعلى آباءه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام . كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله بن الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الأجل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علاته وأمتع المؤمنين بطول بقائه فى شهر ربيع الآخر سنة إثنيتين وثمانين وأربعمائة « وفى عهد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله حدث تصدع لقبة المشهد النفيسى فجددت كما كسى المحراب بالرخام وكان ذلك سنة إثنيتين وثلاثين وخمسمائة .

وجاء فى كتاب المزارات^(٢) للسخاوى ، أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمر سنة

(١) الخطط ج ٤ ص ١٠٢

(٢) تحفة الأحباب ص ٣٩ .

٧٥٢ هـ أن يتولى النظارة على المشهد النفيسى الخلفاء العباسيون وأن أول من تولى النظر عليه هو الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكنى بالله . والخلفاء العباسيون هم سلاسة الخلفاء العباسيون الذين هاجروا إلى مصر سنة ٦٥٦ هـ بعد أن قضى المغول على الدولة العباسية فى العراق . ويقول الجبرقى^(١) أن الأمير عبد الرحمن كتبها عمّر المشهد النفيسى ومسجده وبنى الضريح على هذه الهيئة الموجودة وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال وذلك سنة ١١٧٣ هـ ، كما كتب على باب الضريح بالذهب على الرخام هذان البيتان :

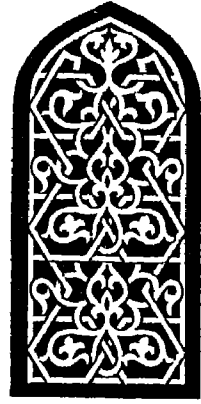
عرش الحقائق مهبط الأسرار قبر النفيسة بنت ذى الأنوار
حسن بن زيد بن الحسن نجل الاما م على ابن عم المصطفى المختار

وقد ذكر على مبارك^(١) فى خطظه الضريح والمسجد الملحق به وصفا مستفيضا كما ذكر أنه قد حبس على المشهد ربع مائة وخمسين فدانا وعدد من الرباع (جمع ربع) والحوانيت للصرف عليه ، هذا بالإضافة إلى ما يتجمع فى صندوق نذوره التى كانت تبلغ فى السنة فى ذلك العهد ما قيمته خمسة وعشرين ألف قرش ، كما كانت نظارة الأوقاف تصرف له ثمن الزيت، والحصر والبسط وملئ الميضأة .

(١) الجبرقى : عجائب الآثار ص ٨٩ .

(٢) المخطط التوفيقية ج ٥ ص ١١٣ .

ضريح ذى النون المصرى
بقرافة سيدى عقبى
بأهـرة



لك من قلبى المكان المصون . كل لوم علىٰ فيك يهون
لك عزم بأن أكون قتيلا فيك والصبر عنك ما لا يكون

هو ثوبان بن ابراهيم أبو الفيض المعروف بذى النون المصرى ، أحد مشايخ الصوفية المذكورين فى رسالة القشبرى . كان أبوه نوبيا مولى لقرشى من أهل أخميم . وكان ذو النون رضى الله عنه أسمر اللون شديد السمرة تعلوه حمرة وليس بأبيض اللحية وكان جسمه نحيفا^(١) . ويقول ابن خلكان^(٢) « كان ذو النون أوحده وقته علما وورعا وحالا وأديبا ، وهو معدود فى جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك . وتحديث ابن يونس فى تاريخه عن ذى النون فقال : وهو أول من عبر عن علوم المنازلات ، وأنكر عليه أهل مصر ذلك ، وقالوا : أحدث علما لم

(١) رسالة القشبرى

(٢) وفيات الأعيان .

تتكلم فيه الصحابة وسعوا به إلى الخليفة المتوكل العباسي ورموه عنده بالزندقة ، فأحضره من مصر على البريد ، فلما دخل سر من رأى ، وكانت عاصمة العراق في ذلك الوقت . وعظه فبكى المتوكل ورده مكرما .

وقد ولد ذى النون بأخميم ثم رحل إلى الفسطاط طلبا للعلم ، فلما تصوف أخذ يهيم على وجهه في القرى . ويذكر^(١) على مبارك السبب في تصوفه فيقول « سئل ذو النون عن سبب تصوفه فقال : خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحارى ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان أحدهما ذهب والأخرى فضة وفي إحدهما سمس وفي الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذا وتشرب من تلك ، فقلت حسبي قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلني » .

وكان رحمه الله يحث على البر والإحسان للفقراء فقد روى السخاوي في تحفة الأحياب « أن محمد بن اسماعيل المعروف باسم (صاحب الدار) بنى دارا حسنة فأتقن بناءها فلما فرغ منها جلس على بابها فدخل عليه ذو النون فقال له أيها المغرور واللاهى عن دار البقاء والسرور كيف لا تعمر دارا في دار الأمان ، دارا لا يضيق فيها المكان ولا ينتزع منها السكان ، ولا يزعجها حوادث الزمان ، ويجتمع لهذه الدار حدود أربع الحد الأول ينتهى إلى منازل الراجيين والحد الثاني ينتهى إلى منازل الخائفين المحزونين والحد الثالث ينتهى إلى منازل المحبين والحد الرابع إلى منازل الصابرين ، وترجمه كتابها هذا ما اشترى العبد المحزون من الرب العفو اشترى منه هذه الدار بالتنقل من ذى المعصية إلى عز الطاعة فما على المشتري فيما اشترى من درك سوى نقض العهود والغفلة عن المعبود وشهد على ذلك التبيان . وما نطق به بحكم القرآن قال الملك الديان « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمواهم بأن لهم الجنة » فلما سمع محمد بن اسماعيل هذا الكلام أثر ذلك في قلبه وباع هذه الدار وتصدق بثمنها على الفقراء والمحتاجين طلبا للدار التي وصفها ذو^(٢) النون .

(١) الحطط التوفيقية ج ٤ ص ٥٢

(٢) تحفه الأحياب ص ٣٩ .

وهكذا كانت حياة ذى النون كلها وعظ وإرشاد في كل مكان فيه أو جهة يسبح إليها فمن أقواله المأثورة : إنما دخل الفساد على الناس من ستة أمور ، الأول من ضعف النية لعمل الآخرة والثاني أن أبدانهم صارت رهينة لشهواتهم والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل والرابع آثروا رضا المخلوق على رضى الخالق والخامس إتباعهم هواهم ونبذهم سنة نبيهم وراء ظهورهم والسادس جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم».

واعتقد أنه لا بد لنا ونحن نبحث في حياة متصوف ينتمى إلى الجيل الأول من الصوفية من المسلمين في مصر (كذى النون) أن نقف قليلا عند نشأة التصوف الإسلامى ونعتبر ذلك طريقا إلى ذى النون المصرى . لقد اختلف الكتاب والمؤرخون في نشأة التصوف الإسلامى ومعنى التصوف ، أما عن كلمة التصوف فالبعض يرى أنها اشتقت من كلمة (سوفيا) اليونانية بمعنى الحكمة ، والبعض الآخر يقول أنما مشتقة (من صوفة) اسم شخص كان يعكف على ذكر الله وعبادته عند البيت الحرام وثالث يرى أنها مشتقة من صوفان بمعنى أنها تبيّن ما يمتاز به الصوفى من زهد في المأكل ، ورابع يرى أنها من الصفاء وخامس يقول أنها نسبة إلى أهل الصفة وهم الفقراء الذين كانوا يصطفون في مسجد الرسول عقب كل صلاة . على أن ابن وازن القشيري قد أجمل تلك الآراء كلها في قوله : إن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصره بتسمية علم سوى صحبة رسول الله إذ لا فضيلة فوقها فليل لهم الصحابة ، ولما أدرك أهل العصر الثانى سعى من صحب الصحابة التابعين ورأوا في ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين . ثم اختلف الناس وتباينت المراتب ، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد فلما ظهرت البدع وحصل التداعى ، أنفرد خواص أهل السنة المرعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة .

أما عن أماكن عبادة الزهاد والعباد الذين عرفوا بالصوفية فيحدثنا المقرئى^(١) عن أول

(١) الخطط ج ٤ ص ٢١٦ .

دار أقيمت لهم في الإسلام فيقول « وأول من أتخذ بيتا للعباد والزهاد زيد بن صوحان بن صبرة وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره وكان ذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان . أما عن أول دار للصوفية بنيت في مصر وهي التي عرفت باسم الخانقاه فيقول المقرئزي « أن صلاح الدين الأيوبي أمر بتحويل دار سعيد السعداء ، أحد الأستاذين المحضكين خدام قصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي إلى خانقاه لفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم سنة ٥٦٩ هـ وولى عليهم شيخا ووقف عليهم بستانا بالحسانية بجوار بركة الفيل وغيرها من الأوقاف خارج القاهرة . وتوجد بقايا هذه الخانقاه الآن بحى الجمالية أمام خانقاه بيبرس جاشنكير » .

نعود إلى شيخنا ذى النون فنقول أن المتأمل فيما أثر عنه من أقوال منشورة وقصائد منظومة يلاحظ أنه يصطنع لفظى الحب والمحبة إصطناعا صريحا سواء في التعبير عن إقبال الله على العبد أو إقبال العبد على الله وأنه باستعمال لفظه الحب بنوع خاص إنما يشارك رابعة العدوية التي عاصرتة والتي تعد أول من استعمل هذه اللفظة إستعمالا صريحا فيما كانت تناجى به ربه . هذا وقد تواتر في كتب التراجم والرواة إن ذا النون ورابعة العدوية قد إلتقيا ودار بينهما الحديث التالي : « قال سعيد بن عثمان ، كنت مع ذى النون في تبة بنى إسرائيل وإذ بشخص قد أتبل فقلت يا أستاذ ، شخص قد أتى فقال لى : أنظر من هو ، فإنه لا يضع قدمه في هذا المكان إلا صديق . فنظرت فإذا هي امرأة فقلت إنما امرأة فقال : صديقة ورب الكعبة . فابتدر إليها وسلم عليها فقالت ما للرجل ومخاطبة النساء ؟ فقال : أنا أخوك ذو النون ولست من أهل التهم ، فقالت مرحبا حياك الله بالسلامة ، فقال لها ما حملك على الدخول في هذا الموضع . فقالت : آية من كتاب الله عز وجل ، قوله تعالى « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فقال لها صنى لى المحبة ، فقالت : سبحان الله أنت عارف بها وتتكلم بلسان المعرفة وتسالنى عنها ، فقال لها للسائل حق الجواب فأنشدت تقول :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذلك

فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمّن سواك
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد فى ذا وذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

وبرغم تضارب كتب التراجم والطبقات فى إثبات ونفى الصلة بين ذى النون ورابعة العدوية ، فإننا لا نستطيع أن ننكر ما بين مذهبيهما فى الحب الإلهى من أوجه الشبه ، كما أن أثر رابعة العدوية على ذى النون كان من القوة والوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل .

وقد توفى رحمه الله بالجيزة غربى النيل ، ويقول السيوطى أنه حمل فى قارب مخافة أن ينقطع الجسر لكثرة إزدحام الناس . وجاء فى كتاب الروضة فى حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين أن أبا الفيض ذا النون ابن ابراهيم المصرى توفى فى هذه السنة ودفن بالقرافة الكبرى . وقبره من القبور السبعة التى تزورها الناس بالقرافة يوم السبت قبل طلوع الشمس لقضاء الحوائج « ويضيف الشعرانى^(١) وكذا السيوطى وابن خلكان على ذلك » ورأى الناس طيوراً خضراً ترفرف على جنازته حتى وصلت إلى قبره رضى الله عنه ، فلما دفن غابت ، فاحترم أهل مصر بعد ذلك قبره .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ص ١٠٥ ، حسن المحاضرة ص ١١٣ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧ .

وصف الضريح

يعتبر ضريح ذى النون من الأضرحة الغربية في مصر ، إذ أن تصميم المبنى عبارة عن مسجد مستطيل الشكل به ثلاثة أوراق موازية لحائط القبلة . وتتكون الأوراق من صقين من الدعائم ، الحجرية المثلثة الشكل تعلوها عقود مدببة حجرية كذلك والسقف من الخشب . وفي الرواق الأول من جهة القبلة يوجد على يمين المحراب قبران القريب من المحراب قبر ذى النون وعليه شاهد قبر حجرى حفر عليه بالخط الكوفي البسيط بالحفر الغائر اسم ذى النون وتاريخ وفاته سنة ٢٤٥ هـ . والمقبرة الثانية يقال أنها لمحمد بن الحنفية وعليها شاهد من الرخام مكتوب سنة ١٩٦٦ م . وعلى يسار المحراب في نفس حائط القبلة توجد حجرة مستطيلة صغيرة جدا ويمكن إعتبارها حنية مستطيلة يقال أن بها قبر السيدة رابعة العدوية . ومن الثابت أن قبرى الإمام محمد بن الحنفية والسيدة رابعة العدوية ليسا بمصر ، ولعل القبرين الموجودين بمصر من قبيل أضرحة الرؤيا وهي كثيرة بمصر . كذلك يوجد في الرواق الأول على يسار المحراب قبران آخران الأول للشيخ حميد خادم ضريح ذى النون المتوفى سنة ٦٤٨ هـ كما هو ثابت في الشاهد الحجرى الموضوع على القبر والثانى للشيخ محفوظ محمد الرياحى إمام وخطيب مسجد ذى النون بالجيزة والمتوفى سنة ١٣٨٠ هـ كما جاء في الشاهد الرخامى على القبر .

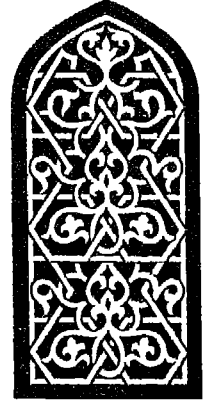
والمدخل الرئيسى للضريح يوجد في الجهة الجنوبية ، وهو عبارة عن باب يعلوه عقد ذو ثلاث فصوص وفوق عتب الباب توجد لوحة تذكارية نقش عليه اسم المنشئ وهو

الأمير شعبان من ممالك السلطان الظاهر بيبرس وقد نقلت هذه اللوحة إلى متحف الفن الإسلامي ومكانها ظاهر حتى الآن .

والضريح في مكان مهجور خرب وبحالة سيئة للغاية ، ومكانه بجوار مسجد سيدى عقبة بن عامر بجبانة الإمام الليث . وإني أنشد وزارة الأوقاف أن تعيد بناء ضريح أول صوفي في مصر الإسلامية بل ومن أبرز متصوفي الرعيل الأول في العالم الإسلامي كله .

* * *

جامع أحمد بن طولون



كان طولون مملوكا تركيا من منغوليا يقال أنه كان ضمن الجزية التي أرسلها حاكم بخارى إلى بلاط الخليفة العباسي في سنة من السنين ، واسم (طولون) مشتق من كلمة تركية معناها (البدر الكامل) .

وأغلب الظن أن طولون وصل إلى بلاط الخلافة في نحو سنة ٢٠٠ هـ وأنه تقدم بمواهبه وصفاته العسكرية إلى رئاسة حرس الخليفة .

ولد لطولون ابنه أحمد في رمضان سنة ٢٢٠ هـ (سبتمبر ٨٣٥ م) في مدينة بغداد على أرجح الأقوال وليس بمدينة سارا التي لم تكن قد شيدت بعد .

توفي طولون سنة ٢٤٠ هـ وتزوجت زوجته من (بغا الأصغر) أحد زعماء الجند الترك ، ومن المعروف أنها تزوجت لثالث مرة من (باكباك) الذي خلف بغا في وظيفة الأمين بالبلاط العباسي .

ولقي أحمد بن طولون وأخاه موسى الكثير من عناية الجند الأتراك بعد وفاة أبيهما كما حصل على التعليم العسكري الذي يؤهلهما للعمل في جند الخليفة ، يضاف إلى ذلك أن (أحمد) درس الفقه والدين منفردا بذلك عن أمثاله من الجند الترك الذين كانوا لايعنون بتلك الدراسة .

تزوج أحمد بن طولون (خاتون ابنة عمه يارجوج) وولد له منها ابنة البكر (العباس) ولم تكن هذه الحياة عزم ابن طولون عن طلب العلم ، فطلب من الوزير عبد الله بن يحيى بن خاقان أن يُعين في طرسوس ليتصل بمن فيها من العلماء والفقهاء ، على أن يقتل الخليفة الخليفة المتوكل وبيعة المستعين هي التي عجلت بعودته إلى سامرا ليكون على مقربة من الأحداث ، وحدث عند عودته من طرسوس إلى سامرا أن تصدى للاعراب الذين أغاروا قرب مدينة الرها على قافلة راجعه من بلاد الروم محمله بامتعة للخليفة المستعين ، ولم ير أحمد بن طولون كبقية أفراد القافلة الاعتصام بقلعة الرها بل نازل الاعراب المذكورين وبدد شملهم ، فنقل رئيس القافلة الخبر للخليفة المستعين فما كان من الخليفة إلا أن كافأ أحمد بن طولون وقربه إليه ثم توالى على أحمد بن طولون صلوات الخليفة وعطاياه ومنها جارية اسمها مياس ولدت له (أبا الجيش خمارويه) .

كانت علاقة أحمد بن طولون طيبة بالمستعين بدليل أن الأخير اختاره ليصبحه إلى واسط ثم إلى مكة عند اعتزاله الحكم ، وقد أحسن أحمد بن طولون معاملة المستعين في واسط ، ولكن غلمان المتوكل خافوا من المستعين ، فطلبوا من ابن طولون أن يقتله ، فامتنع وكتب إلى الأتراك بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعه ، ويقال بأن الذي قام بتلك المهمة سعيد الحاجب بعد أن أوعز إليه الجند فتسلم المستعين وقتله وقام ابن طولون بدفن جثته ثم عاد إلى سامرا . وروى أن أحمد بن طولون كان يقول بعد أن تولى حكم مصر : « كانت غاية ما وعدنا به على قتل المستعين ولاية واسط ، فتركت ذلك لله عز وجل فعوضني الله ولاية مصر والشام وسعة الأحوال معها » .

وجد ابن طولون عند عودته إلى سامرا أن السلطان والنفوذ قد صار إلى يد الجند الترك

الذين نصبوا المعتز على عرش الخلافة وكان أقوى الجند مركزا وشأنًا (باكباك) الذي أقطع مصر سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) وهو زوج والدة أحمد ابن طولون .

كانت عادة القواد الذين يقطعون الأقاليم أن لا يغادروا عاصمة البلاد ليكونوا على مقربة من مجريات الحوادث حتى لا يؤخذوا على غرة وليكونوا في مأمن من دسائس خصومهم ، هذا بالإضافة إلى أن وجودهم بالعاصمة يجعلهم بين اشياعهم من الجند مصدر قوتهم وعزوتهم وعصبيتهم ، لكل ذلك فقد اختار (باكباك) أحمد بن طولون ليكون نائبًا عنه في مصر .

قدم أحمد بن طولون إلى وادي النيل في رمضان سنة ٢٥٤ هـ (منتصف سبتمبر سنة ٨٦٨ م) واستقدم معه بعض الجند للدفاع عنه ضد أي ثورة يقوم بها الشعب ولاحياط ماقد يقوم به بعض المواطنين من دسائس .

كان ابن المدبر عاملا على الخراج عندما دخل ابن طولون مصر ، وكان ابن المدبر يحيط نفسه بمظاهر العظمة والابه الأمر الذي لفت نظر ابن طولون ، ومما زاد في شكوكه استخدام ابن المدبر لحرس خاص مكون من مائة غلام امتازوا بجملهم وقوة أبدانهم وحسن هندامهم . وقد قدم ابن المدبر في هذا الهيلمان للقاء أحمد ابن طولون حاملا معه هدية عبارة عن عشرة آلاف دينار ، ردها أحمد بن طولون بإياء وشمم على نحو لم يعهده ابن المدبر في الولاة الذين سبقوا أحمد بن طولون الأمر الذي دعا إلى الكتابة لبلاط الخليفة محذرا من أحمد بن طولون لاعتقاده أن من يرفض هدية كمثل التي قدمها إليه ليس من الحكمة أن يوكل إليه أمر إقليم ناء عن الحكومة المركزية . ثم بعث أحمد بن طولون بعد ذلك إلى ابن المدبر يخبره بأله لا يمانع في قبول الحراس المحيطين به لأنهم الزم له ، فاضطر ابن المدبر إلى التنازل عن هذا الحرس . ويفقد هذا الحرس ذهب قسط وافر من سلطان ابن المدبر وابه ومظهره ، كما بدأ النضال بينه وبين أحمد بن طولون بواسطة عمالهما وجواسيسهما في سامرا يشتد ويقوى وقد انتهى هذا النضال بفوز أحمد بن طولون .

بدأ سلطان ابن طولون ونفوذه في الارتفاع والزيادة حيث خضع لأمره ولاة الأقاليم في مصر بعد أن كانوا لا يعبأون بالولاة معتمدين في ذلك إما لكونهم كانوا يعينون من قبل

صاحب الاقطاع مباشرة وإما لما كانوا يأنسونه من القوة في أنفسهم بحيث يبيح لهم ذلك مخالفة أوامر الموالي .

وقد سهلت دسائس رؤساء الجند الأتراك في سامرا لأن يكون أحمد بن طولون جيشا قويا وساعد على ذلك أن أقطعت مصر إلى (يارجوخ) بعد أن قتل الخليفة المهتدى باكبك ، وعمل يارجوخ على تثبيت صهره أحمد بن طولون في النيابة عنه بمصر وأطلق يده وسلطانه عليها ، كما واتت أحمد بن طولون الفرصة عندما كتب إليه الخليفة المعتمد يطلب منه انتأهب لحرب ابن الشيخ ، الذي شق عصا الطاعة على الخليفة وأراد الاستقلال بولاية فلسطين والأردن بالإضافة إلى أطماعه في ضم مصر أيضا إليه . وقد أطلق الخليفة يد أحمد بن طولون في أموال مصر ليتخذ منها العدة . استخلف أحمد بن طولون أخاه موسى على مصر وسافر على رأس جنده إلى أن وصل حدود فلسطين ، وهناك كاتب أحمد بن طولون ابن الشيخ مرتين يدعوه فيه للخضوع للخليفة ورد المال الذي اغتصبه عند مرور حامله بأرضه قادما من مصر إلى العراق ، ولما لم يتلق ابن طولون ردا مرضيا استعد لمهاجمته غير أنه تلقى أمرا من الخليفة بالعودة بجيشه إلى مصر إذ أناط الخليفة ماجور للقيام بهذه المهمة . ومهما يكن من شيء فقد رجع أحمد بن طولون بجيشه كاملا فصار عدته وعتاده في توطيد سلطانه وسلطان ابنه خمارويه من بعده .

استطاع أحمد بن طولون بعد خمس سنوات من مجيئه إلى مصر عام ٢٥٤ هـ نائبا للوالي ، أن يضم لنفسه إدارة الخراج في البلاد بعد أن عزل ابن المدبر عنها ، وأن يكون أميراً على مصر كلها بما في ذلك الاسكندرية وبرقة وأن يكون جيشا قويا ، على أن تلك المدة لم تكن كلها صفاء فقد قامت في وجه ابن طولون بعض صعاب داخلية نشبت في مصر العليا نجح في اخمادها .

مرّ بنا أن محمد بن طولون اصطحب عددا من الجند حين قدومه إلى مصر ، ولكن ثورة ابن الشيخ والى الشام هي التي مكنته بمساعدة الخليفة وموافقته من انشاء جيش كبير . وأصبح لمصر لأول مرة جيش عظيم مستقل عن الخلافة ، وقد عنى أحمد بن طولون بالأسطول

عنايته بالجيش ، وظهرت حاجة ابن طولون الماسة إلى الأسطول عندما امتدت دولته في الشام واضطر إلى حماية شواطئه ومواجهة الهجوم البيزنطي ثم المحافظة على طرق الاتصال البحري بين سواحل مصر والشام . ولم يكن صعبا على ابن طولون الاهتمام بالناحية البحرية ، فقد كان لسكان مصر ولاسيما الأقباط منذ فجر الإسلام فيها الفضل في بناء السفن وتشيد دور الصناعات في وادي النيل وفي افريقية وفي الشام .

اشتهر أحمد بن طولون بالتقوى والصلاح وقد ذكر كثير من المؤرخين أن أحمد بن طولون كان رجلاً ذكياً بعيد النظر صادق الفراسة وأيدوا ذلك ببعض النوادر التي تدل على حبه لرعيته وتفقدته لأحوالها من ذلك ما ذكره ابن الداية^(١) الذي أرخ للعهد الطولوني من أن أحمد ابن طولون كان يعس بالليل أو يتنكر ويطوف في أنحاء القطائع والفسطاط .

أما أعظم صفات أحمد بن طولون أثرا في حياته السياسية فكرمه الحاتمي الذي استطاع بواسطته أن يكسب رجلا ما كانوا يترددون في الانضمام إلى خصومه . ونذكر في هذه المناسبة أن الخليفة المعتمد كان لا يجد دائما ما يحتاج إليه من مال ، وقد ذكر المؤرخ ابن الأثير^(٢) أن المعتمد كان في خلافته محكوما عليه ، قد تحكم عليه أخوه أبو أحمد الموفق وضيق عليه حتى أنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلثمائة دينار فلم يجدها في ذلك الوقت فقال :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذلك شيء في يديه
إليه تحمل الأموال طرا ويمنع بعض ما يجبي إليه

عمل أحمد بن طولون على الافادة من هذا الموقف ، فأرسل إلى الخليفة الأموال والهدايا سرا حتى نال الحظوة لديه والمكانة المرموقة .

ولم يكن أحمد بن طولون كريما مع الخليفة ورجاله فقط بل كان يحب الاحسان والعطاء لذاتهما ، فقد ذكر ابن سعيد أن أحمد بن طولون أرسل إلى المعتمد وتصدق في أربع سنوات

(١) ابن الداية ص ٦٧

(٢) ابن الاثير ص ١٥٣

بمبلغ مليونين ومائتي ألف دينار ، وأنه كان يتصدق شهريا بألفي دينار ، وكان يوزع الأطعمة على الفقراء ويقيم المآدب الكبيرة للفقراء في الأعياد الدينية والوطنية .

ومن صفات أحمد بن طولون التي حببته إلى النفوس ما امتاز به من جميل الشعور وتقدير الخصوم ، من ذلك قصته مع الجاسوس الذي كشفه في الفسطاط من عيون الموفق وأتباعه ، وقد طلب منه ابن طولون أن يعمل لحسابه ويترك الموفق ورجاله فرفض الجاسوس قائلاً بأنه اتصل بهم قبل أن يتعرف بابن طولون وأنه لا يستطيع أن يكون عليهم بعد أن كان لهم وأنه لن يعترف بشيء ولو أنزل به ابن طولون أشد وأقسى أنواع العذاب . وقد أعجب ابن طولون بسلوك هذا الجاسوس ، وخيره بين الإقامة بأملاكه بدون أن يعمل ضده أو أن يعود إلى العراق ففضل العودة ذاكراً لابن طولون فضله وكرم خلقه .

يضاف إلى صفات ابن طولون ما امتاز به من الشجاعة والنشاط والعلم ، فقد اجمع المؤرخون على أن ابن طولون كان رجلاً ممتازاً وقد أفادت مصر من حكم الأسرة الطولونية وساد فيها الرخاء وأصبحت الخلافة العباسية تخشاها وخطب البيزنطيون وردها بارسال الهدايا النفيسة واطلاق الأسرى المسلمين .

وأصبحت أموال مصر في زمن الأسرة الطولونية تنفق فيها بدلاً من أن تحمل إلى الخلافة أو ينهبها الولاة وأصحاب الاقطاع ، وبدأ المصريون يشتركون في جيش بلادهم وشعر المصريون لأول مرة بعد قرون طويلة بأن بلادهم أصبحت لهم وتعلقت قلوبهم بأحمد بن طولون كما تعلق هو بهم وكان أسف المصريون وفجيعتهم على وفاة أحمد بن طولون عظيمة لتعلق المصريين بالدولة الطولونية لأنهم كانوا يعتبرونها دولتهم . وقد تجلت تلك الحسرة عندما زالت الدولة على يد قائد العباسيين محمد بن سليمان ، وقد ظهرت آثار تلك اللوعة من لهجة المؤرخين المصريين الذين استهجنوا الفظائع التي ارتكبها القائد المذكور وسجلها رثاء الشعراء المصريين للدولة الطولونية . وقد بقيت ذكرى تلك الدولة المجيدة يتناقلها ويتحدث بها المؤرخون والأدباء ويتناقلونها جيلاً بعد جيل .

* * *

وصف الجامع

لما ضاقت الفسطاط بساكنيها أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة ٢٥٦ هـ وأقام في وسطها مسجداً جامعاً تمت عمارته سنة ٢٦٥ هـ ويعد من أكبر مساجد العالم الإسلامي ، إذ تبلغ مساحته مع الزيادة ، أي الفضاء الذي يحيط به من جميع الجهات فيما عدا جهة القبلة ، ستة أفدنة ونصفاً من الأفدنة . وتعتبر مدينة القطائع أول مدينة ملوكية أنشئت في وادي النيل في العهد الإسلامي ، إذ كانت قبل ذلك ولاية تابعة للدولة الأموية في دمشق ، ثم للدولة العباسية في بغداد وسامرا ، أما في عهد ابن طولون فقد أصبحت مقر حاكم مستقل استقلالاً تاماً لا يربطه بالخليفة العباسي غير التبعية الدينية .

وقد تأثر ابن طولون عند تأسيسه للعاصمة الجديدة بتخطيط مدينة سامرا التي نشأ فيها قبل مجيئه إلى مصر . فقد كانت مقسمة إلى خطط أو قطائع تضم كل قطعة منها جماعة من السكان^(١) ، تربط بينهم رابطة الجنس أو العمل ، ومن ثم أصبح اسم القطائع علماً على مدينة ابن طولون . ويقول ابن تغري بردي في معنى القطائع : والقطائع كانت بمعنى الأطباق التي للمالِك السلطانية الآن (أي في القرن ٩ هـ) وكانت كل قطعة لطائفة تسمى بها ، فكانت قطعة تسمى قطعة السودان ، وقطعة الروم ، وقطعة الفراشين ونحو ذلك . ثم يضيف في وصف القطائع فيقول : وكانت كل قطعة لسكن جماعة ممن ذكرنا وهي

(١) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ١٠٦

بمنزلة الحارات (أى الأحياء الآن) . وقد كان هذا الاسم يطلق في سمارا على كل أحياء المدينة فيما عدا قصور الخلفاء^(١) .

وقد جاء في سيرة^(٢) ابن طولون عن السبب في بناء ابن طولون لجامعه ، أنه كان يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة فلما ضاق عليه بنى الجامع الجديد فيما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل في الموضع المعروف بتنور فرعون .

وقد تعددت الروايات والقصص التى قيلت عن المال أو الكنز الذى عثر عليه ابن طولون . ومكنه من إقامة مثل هذا الجامع الكبير وباقى منشآته العظيمة كالتقصر والبيمارستان . وفى اعتقادى أن قصة المال هذه إنما هى من قبيل الأساطير التى يميل جمهور مؤرخى العصور الوسطى الى تكرارها فى مثل هذه المجالات بقصد التنويه إلى أن مثل هذه النفقة البالغة لا يستطيع الخليفة أو السلطان تدبيرها إلا إذا أمده الله سبحانه وتعالى برزق غيبى غير معلوم ، وذلك لا يكون إلا فى الكنوز المخبأة .

ويقول المقرئى^(٣) بنى ابن طولون جامعة فى موضع يعرف بجبل يشكر^(٤) ، بين مصر وقبة الهواء^(٥) ، ويضيف ابن عبد الصّاهر بيتون . « وهو مكان مشهور بأجابة الدعاء ، وقيل أن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات » . وابتدأ أبو العباس فى بناء الجامع بعد بناء القطائع فى سنة ثلاث وستين ومائتين^(٦) . وينسب المقرئى بناء الجامع إلى مهندس نصرانى اعتمادا على القصة التالية : « فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلاثمائة عمود ، فقيل له ماتجدها أو تنفذ إلى الكنائس فى الأرياف والضياح الخراب ، فتحمل ذلك . فأنكر ذلك ، فبلغ ذلك النصرانى الذى تولى له بناء العين (عين ماء) وكان قد غضب عليه وضربه ورماه

(١) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥

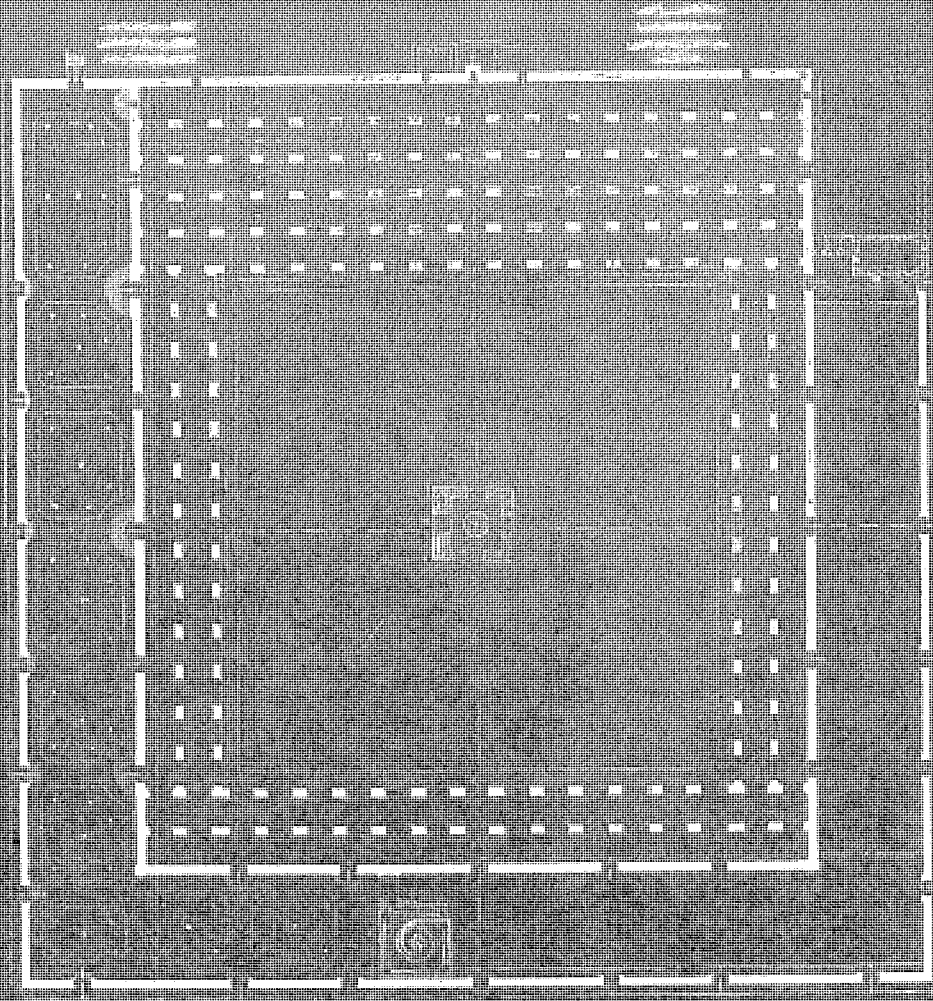
(٢) سيرة ابن طولون

(٣) الخطط والآثار ج ٤ ص ٢٦

(٤) ويشكر المنسوب إليه هذا الجبل هو ابن جزيلة من قبيلة نجم (النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٢) .

(٥) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨ .

(٦) جاء فى النجوم الزاهرة (ستة تسع وخمسين ومائتين) .



Handwritten text in Arabic script, likely a title or description of the plan.

في المطبق (السجن) فكتب إليه يقول أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد إلا عمودى القبة . فأحضره وأمر أن تحضر له الجلود فأحضرت (لكى يرسم عليها تخطيط المسجد) فأحضرت وصوره له فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له للنفقة على (الجامع) مائة ألف دينار . فوضع النصراني يده في البناء في الموضع الذى هو فيه وهو جبل يشكر ، فكان ينشر منه ويعمل منه الجير ويبنى إلى أن فرغ من جميعه وبيّضه ، وخلقه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال ، وفرش فيه الحصر العبداني وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء وصلّى فيه بكار بن قتيبة القاضى . »

ويفهم من القصة التى رواها المقرئى ، والتي اعتمد فيها على كاتب سيرة ابن طولون^(١) ، أن السبب فى نسبة بناء الجامع إلى بناء نصارى هو عدم استعمال الأعمدة الرخامية التى كانت تؤخذ عادة من الكنائس ، واستخدام الدعائم المبنية من الحجر . ومع أنى لأعارض فى أن يكون بناء الجامع نصارى ، فقد اشتهرت مصر ، منذ أمد بعيد ببراعة أبنائها فى فن العمار ، وليس أدل على ذلك من الآثار المعمارية التى ماتزال باقية من العصر الفرعونى فالبطلمى فالرومانى فالقبطى حتى الآن ، بل لقد اشترك أقباط مصر وفى أوائل العصر الإسلامى ، فى بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، أقول أنى لا أستبعد فى أن يكون المهندس نصرانى ، إلا أنى لأميل إلى الأخذ بالرواية التى اعتمد عليها المقرئى فى اثبات ذلك ، للأسباب الآتية :

أولا - قال القضاعى : وقيل أن أحمد بن طولون قال أريد أن أبني بناء أن احترقت مصر بقى ، وإن غرقت بقى ، فقيل له يبني بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف ولا يجعل فيه اساطين رخام فإنه لا صبر لها على النار فبنى . هذا البناء . ويضيف القضاعى فيقول : « وبناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة » .

ثانيا - من المعروف أن أحمد بن طولون نشأ فى قصر الخلافة فى سهارا ، وليس من شك فى أنه قد تأثر بكل ما فيها من عمائر تأثرا كبيرا وخاصة بمسجدها الجامع الذى يشبه

(١) ابن البداية .

في تفاصيله المعمارية إلى حد كبير . وقد بنى جامع سمارا من الآجر ولم تتخذ فيه أساطين أو أعمدة رخامية بل أن عقودها تقوم كلها على دعائم من الآجر . وقد استخدم ابن طولون في بناء مسجده نفس المواد التي استخدمت في بناء جامع سمارا . ومن هنا نرى أن عدم اتخاذ ابن طولون أساطين الرخام في بناء مسجد ، لا يرقى دليلا على أن مهندسه نصرانيا .

وجاء في النجوم الزاهرة^(١) نقلا عن أحمد الكاتب : أنفق عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وقال له الصنّاع : على أي مثال نعمل المنارة ؟ وما كان يعبث قط في مجلسه ، فأخذ درجا من الكاغد (ورق مشمع) وجعل يعبث به فخرج بعضه وبقى بعضه في يده ، فعجب الحاضرون فقال : اصنعوا المنارة على هذا المثال فصنعوها ومعنى هذا أن منارة جامع ابن طولون صنعت على شكل حلزوني ، على أن هذا الشكل لم يكن من اختراع أو ابتداء ابن طولون ، ولكنه أراد أن تكون مثذنة جامعة شبيهة بمثذنة جامع سمارا ، التي تعرف باسم الملوية . والواقع أن منارة مسجد سمارا أخذت أصولها من أبراج معابد الزرادشتيين المعروفة باسم (الزيجورات) .

ولما تم بناء الجامع رأى أحمد بن طولون في منامه كأن الله تعالى قد تجلى للقصور التي حول الجامع ولم يتجلى للجامع ، فسأل المعبرين فقالوا : يخرب ما حوله ويبقى قائما وحده . فقال : من أين لكم هذا ؟ قالوا : من قوله تعالى : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا . وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا تجلى الله لشيء خضع له » .

وقال ابن عبد الظاهر^(٢) ، سمعت غير واحد يقول أنه لما فرغ أحمد بن طولون من بناء هذا الجامع أمر حاشيته بسماع ما يقول الناس فيه من الأقوال والعيوب ، فقال رجل : محرابه صغير وقال آخر : ما فيه عمود ، وقال آخر : ليست له ميضأة ، فبلغه ذلك فجمع الناس . وقال : أما المحراب فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد خطه لي في منامى ، وأصبحت فرأيت النمل قد طاقت بذلك المكان الذي خطه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما العمود

(١) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨

(٢) المقرئى ج ٤ ص ٣٩

فإنى بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز ، وما كنت لاشوبه بغيره ، وهذه العمدة إما أن تكون في مسجد أو كنيسة فنزهته عنها . وأما الميضأة فإني نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهرته عنها ، وهأنأ ابنيها خلقه وأمر ببنائها .

وقيل : لما فرغ ابن طولون من بناء جامع رأى في منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله من العمران . فلما أصبح قص رؤياه فقبل له ، أبشر بقبول الجامع المبارك لأن النار كانت في الزمن الماضي ، إذ قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته ، ودليله قصة قابيل وهاويل .

وكان العمران ملاصقاً للجامع ، حتى قيل^(١) : أن مسطبة كانت خلف الجامع وكانت ذراعاً في ذراع لاغير ، فكانت أجرتها في كل يوم اثني عشر درهما ، في بكرة النهار يقعد فيها شخص يبيع الغزل ويشتره بأربعة دراهم ومن الظهر إلى العصر لخباز بأربعة دراهم ، ومن العصر إلى المغرب لشخص يبيع فيها الحمص والقول بأربعة دراهم . وهنا يضيف ابن تغرى بردى : قلت هذا مما يدل على أن الجامع المذكور كان في وسط العمران .

وقد توالى يد الإصلاح والتعمير على جامع ابن طولون فيذكر المسبحى ، أن الخليفة الحاكم بأمر الله أنزل إلى جمع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً . وفي سنة ٣٧٦ هـ احترقت الفوارة (النافورة) التي كانت بالجامع فلم يبق منها شيء ، ويصفها المقرئ فيقول : وكانت في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبة وتقوم على عشر عمد رخام في الوسط وستة عشر عمود رخام في جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربع أذرع في وسطها فوارة تفور بالماء وفي وسطها قبة مزوقة ، فاحترق جميع ذلك في ساعة واحدة . وفي سنة ٣٨٥ هـ أمر العزيز بالله بن المعز لدين الله ببناء الفوارة عوضاً عن التي احترقت فعمل ذلك على يد راشد الحنقى وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء . وفي عهد الخليفة المستنصر الفاطمي صار ما حول الجامع خراباً وتوالى الأيام على ذلك وتشعث الجامع وخرب أكثره ويذكر المقرئ ما وصل إليه حال الجامع من خراب فيقول :

(١) التجوم الزاهرة ج ٣ ص ١١

« وصار أخيراً ينزل فيه المغاربة بأباعرها (جمالها) ومتاعها عندما تمر بمصر أيام الحج ، حتى هياً الله عز وجل لعمارة السلطان لاجين . أما عن سبب اهتمام لاجين بهذا الجامع فيقول المقرئزي : « كان ممن وافق الأمير بيدرا على قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ، فلما قتل بيدرا في محاربه ممالك الأشرف خليل له ، فر لاجين من المعركة فاختنى بالجامع الطولوني وصار يتردد بمفرده من غير أحد معه في الجامع وهو حينئذ خراب لاساكن فيه وأعطى الله عهداً أن سلمه الله من هذه المحنة ومكنه من الأرض أن يجدد عمارة هذا الجامع ، ويجعل له ما يقوم به » . فلما استولى لاجين على دست المملكة سنة ٦٩٦ هـ جعل إلى الأمير علم الدين سنجر شراء الأوقاف على الجامع الطولوني وصرف إليه كل ما تحتاج إليه في العمارة وأكد عليه في أن لا يسخر فيه عاملاً ولا صناعاً وأن لا يقم مستحقاً للصناع ولا يشتري لعمارة شيئاً مما يحتاج إليه من سائر الأصناف إلا بالقيمة التامة . وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منية أندونه من أراضي الجيزة واشترى أيضاً ساحة بجوار جامع ابن طولون مما كان في القديم عامراً ثم خرب وحكرها وعمّر الجامع وأزال كل ما فيه من تخريب وبلطه وبيضه ورتب فيه دروساً لالقاء الفقه على المذاهب الأربعة ودرساً في تفسير القرآن الكريم ودرساً للحديث النبوي ودرساً للطب . وقرر للخطيب معلوماً وجعل له اماماً راتباً ، ومؤذنين وفراشين وقومه ، وعمل بجواره مكتبة لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل ، فبلغت النفقة على عمارة الجامع وثمان مستغلاته عشرين ألف دينار .

وفي سنة ٧٦٧ هـ جدد الأمير يلغا العمري الخاصكي درساً بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهماً وأردب قمحاً ، فانتقل جماعة من الشافعية إلى الحنفية . ومنذ تجديد السلطان لاجين للجامع أصبح يلي نظارته قاضي القضاة ، ويقول المقرئزي ، أن أول من ولي نظره بعد التجديد قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة .

وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون ولي نظارته القاضي كريم الدين الكبير وأنشأ فيه منارتين على طرفي جداره الشرقى بناهما بالطوب. وفي سنة ٧٩٢ هـ أنشأ بالجامع عبيد بن محمد عبد الهادي البازدار رواقا بجوار المنارة وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة . وفي القرن الثاني عشر^(١) ، كان الجامع مهملا فأنشئ فيه مصنع لعمل الأخمزة الصوفية ، وفي سنة ١٢٦٣ هـ تحول إلى ملجأ للعجزة والطاعنين في السن تحت اشراف كلوت بك فلحق به ضرر كبير .

* * *

يتكون الجامع من شكل مربع تقريبا يبلغ طول ضلعه ١٦٢ر٥ × ١٦١ر٥ مترا ، ويتوسطه صحن مكشوف مربع أيضا يبلغ طول ضلعه ٩٢ر٥ × ٩١ر٨٠ مترا ، ويحيط بالجامع من الخارج من جميع الجهات عدا جهة القبلة أروقة غير مسقوفة تعرف بالزيادة وقد وجدت هذه الزيادة بجامع سمارا وجامع سوسة . ويحتوي المسجد على (٤٢) بابا منها ٢١ باباً بالمسجد الأصلي يقابلها مثلها في الزيادات .

ويعتبر جامع ابن طولون من الجوامع المعلقة إذ يصعد إلى أبوابه الداخلية بدرجات دائرية . ويحيط بالصحن رواقان في كل من جهاته الثلاث الشمالية والجنوبية والغربية . وتتكون الأروقة من دعائم مبنية من الآجر وفي أركان كل دعامة بنيت أعمدة متصلة نقشت تيجانها بأشكال نباتية محورة بأسلوب (الارابيسك) . وتحمل الدعائم عقوداً غطيت بطبقة جصية غنية بزخارفها الجميلة المتنوعة . ويتكون رواق القبلة من خمسة أرواق ، ويعلو العقود افريز زخرفي من الجص يعلوه أزار خشبي يحيط بأروقة الجامع جميعها مكتوب فيه بالخط الكوفي البسيط البارز سورتا البقرة وآل عمران . ويحيط بجدران المسجد الأربعة من أعلى مائة وتسعة وعشرون شباكاً من الجص المفرع بأشكال هندسية ونباتية محورة غاية في الدقة والابداع .

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ٣٩ .

ويوجد بآيوان القبلة خمسة محاريب غير مجوفة عدا المحراب الرئيسي الذي يتوسط جدار القبلة فهو مجوف ، على أن ظاهره تعدد المحاريب وجدت من قبل في المسجد الأموي بدمشق ، ويرى حسن عبد الوهاب^(١) أن الحكمة من تعدد المحاريب هو تعدد المذاهب وذلك اعتماداً على ما أثبتته ابن كثير^(٢) من أن الصاحب تقي الدين بن مراحل ناظر الجامع الأموي عمل فيل محرابين للحنفية والحنابلة سنة ٧٦٤ هـ. وفي اعتقادي أن المحاريب التي تضاف إلى المسجد بعد عمليات الترميم والتجديد ، إنما تقوم مقام اللوحة التذكارية التي يثبت عليها تلك العمليات في عصرنا الحاضر ، ودليلي على ذلك أننا نجد في جامع ابن طولون محرابين من عصر الدولة الفاطمية وهي شيعة المذهب ، ولكنهما وضعا عقب تجديدات أجريت للجامع في ذلك العهد .

والمحراب الرئيسي مجوف وهو من عمل السلطان لاجين، وقد زخرف بفصوص من الفسيفساء الذهبية والزجاجية المتعددة الألوان وكتب بها بالخط النسخي « لا إله إلا الله محمد رسول الله » أم طاوية المحراب فقد صنعت من الخشب المزخرف بنقوش زيتية . والمحاريب الغير مجوفة فيوجد منها اثنان بالدعامتين القائمتين بمنتصف البائكة الثانية مما يلي الصحن ، الأيمن منهما عليه كتابات كوفية منها : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المحراب خليفة فتي مولانا وسيدنا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الائمة المنتظرين السيد الأجل الأفضل سيف الامام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين » ويرجع هذا المحراب إلى سنة ٤٨٧ هـ .

أما المحراب الأيسر فهو تقليد للأيمن وعمله المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ وكتب عليه بالخط الكوفي الزهر مانصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين سلطان الإسلام والمسلمين » .

وفي البائكة الرابعة وعلى جانبي دكة المبلغ يوجد محرابان آخران من الجص الأيمن منها

(١) تاريخ المساجد الأثرية ص ٣٩ .

(٢) البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٠٤ .

طولوني ومكتوب عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » والآخر فاطمي مكتوب به « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ويوجد على يسار المحراب الكبير محراب جصي جميل حافل بالزخارف الجصية والكتابات النسخية ويرجع إلى القرن السابع الهجري ، ونص الكتابة قد نرى ت قلب وجهك في السماء » إلى آخر الآية ، وكتب حول عقده « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين » .

ويعتبر جامع ابن طولون أقدم مسجد في العالم يحتوي على لوحة تذكارية من البازلت الاسود حضر عليها بالخط الكوفي البارز تاريخ انشائه ونص اللوحة كما يلي^(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم . . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيأهم على وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة والانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ، كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتمدين .

أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة والنعمة التامة في الآخرة والأولى ، ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبة لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة . وإشارا لما فيه تسنية الدين . وألفة المؤمنين ورغبة في عمارة بيت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره ، إذ يقول الله تقدس وتعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والآصال رجال

(١) الجامع الطولوني ص ٢٣ ، ٢٤

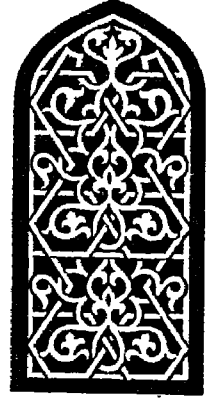
لاتلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن مما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء من فضله بغير حساب . في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كأفضل ما صليت وترحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وأنعم أنك حميد مجيد .

وفي وسط الصحن توجد قبة كبيرة ، هي ثالث قبة أقيمت فيه ، فقد احترقت الفوارة الأولى التي أنشأها أحمد بن طولون سنة ٢٦٥ هـ فأنشأ بدلا منها العزيز بالله ، وقيل أمه تغريد ، سنة ٣٨٥ هـ قبة ثانية ، ثم هدمت الثانية وحلت محلها القبة القائمة اليوم وهي التي أنشأها المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ . وتقوم القبة على مربع يرتكز على أربعة عقود ، وفي أركان المربع توجد سبع صفوف من المقرنصات يعلوها رقبة تأتي فوقها القبة . ويحيط برقبة القبة شريط من الكتابة بالخط الثلث المملوكي « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون .

وتقع المثانة في الزيادة الغربية ، وتعتبر الوحيدة في مصر ذات السلم الخارجي ، وهي مكونة من أربع طبقات الأولى مربعة والثانية مستديرة والثالثة على شكل مشمن أما الرابعة فتعلوها طاقية تكون معها شكل مبخره . وقد اختلف علماء الآثار في تأريخ هذه المثانة ، فالبعض أرجح الطابق الأول والثاني إلى أحمد بن طولون والطبقة الثالثة والرابعة من تجديد السلطان لاجين ، والبعض الآخر يرجع المثانة كلها إلى عهد السلطان لاجين . ولكني أرجح الرأي الأول القائل بنسبة طابقيين الأول والثاني إلى ابن طولون والطابقيين العلويين إلى لاجين سنة ٦٩٦ هـ .

ويقع السبيل والكتاب الذي أنشئ في القرن السابع الهجري في الزيادة الجنوبية للجامع .

مشهد القاضي بكار
بالقرب من سيدي عقبة
بقرافة الامام الليث



هو القاضي بكار بن قتيبة بن أسد بن عبد الله بن بشر بن أبي بكره بن الحارث بن مخلدة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل البصرة ، أرسله الخليفة العباسي المتوكل على الله ليتولى القضاء في مصر سنة ٢٤٦ هـ ، ويحدثنا القاضي^(١) عن السبب في اختيار المتوكل له فيقول : إن الخليفة المتوكل إستشار قوما فيمن يكون قاضيا على مصر فأجمعوا على أن يولوا بكار بن قتيبة ، وكان قد بلغ المتوكل ما هو عليه من الزهد والورع والعفة والصلاح ، فأرسل إليه نجابا وكان مقيا بأرض البصرة . فلما وصل رسول الخليفة البصرة سأل عن مكانه فأرشدوه إليه ، فلما جاء إلى منزله وسأل عنه ، قيل له أنه مضى إلى القرن فجلس قليلا ، وإذا ببكار قد أقبل وعلى رأسه طبق الخبز فلما رآه النجاب ملتحفا برداء قصير-أستحقره . فلما دنا منه سلم عليه وقال له : أنا رسول الخليفة جئتك بتولية القضاء على مصر وهذا كتاب الخليفة ، فرد عليه بكار قائلا : يا أخى لا أقدر على الوقوف ،

(١) ترتيب الزيارة ص ٤٦ .

فسأله الرسول عن السبب ، فرد عليه قائلاً : لأن الرداء الذى على لوالدتي ، وقد أستأذنتها أن أمضى به إلى الفرن وأعود ولم أستأذنها فى الوقوف معك . ثم تركه ودخل إلى المنزل ، وعاد فدفع إليه رغيفين ، وقال له أمض فى حفظ الله تعالى . فتعجب الرجل من ذلك ولم يمكنه رد الرغيفين ورجع بعد أن قلده القضاء. فلما عاد إلى الخليفة أخبره بكل ما رأى وكل ما حدث وكيف أعطاه الرغيفين . فقال له الخليفة وما الذى صنعت بهما ، قال فرطت فى أحدهما وجئت بالآخر ، فقال الخليفة أتتني به ، فلما جاء به إليه أعطاه مائة دينار ، وقال لو جئت بالآخر لأعطيتك مائة أخرى . ثم أخذ الخليفة الرغيف وصنّفه أكحالا وأدوية وادخره . ويستطرد القضاء فى ذكر باقى القصة فيقول : فلم يكن إلا مدة يسيرة وأراد الخليفة أن يرسل النجّاب فى رسالة فقليل أنه أرمَد وقد أشرف على العمى فاستحضره . فلما حضر بين يديه أخرج له كحلا ، وقال له باسم الله واجعل منه فى عينيك ففعل ذلك فشفي بإذن الله تعالى ومضى فى رسالة الخليفة ، فلما عاد قال : يا أمير المؤمنين أريد أن أصنع ذلك الكحل فأنى وجدت فيه شفاء عظيما . فقال الخليفة عرفت ما صنعت بالرغيف الذى جئت به من عند بكار ، قال وما الذى صنعت به يا أمير المؤمنين قال جعلناه أكحالا فى أدويتنا فنجد به ما وجدت من الشفاء والبركة . فندم النجّاب على ما فرط فيه من أمر الرغيف .»

وكان القاضى بكار من الفقهاء المحدثين والقراء ، ويعد من أبناء الطبقة الرابعة فى رواية الحديث . وكان يحكم بمذهب أبي حنيفة رضى الله عنه ، وكان إذا فرغ من الحكم خلا بنفسه وعرض عليها جميع ما حكم به ، ويبكى ويقول : « يا بكار قدم إليك رجلان فى كذا وكذا وحكمت بكذا وكذا فما جوابك غدا إذا وقفت بين يدي الله تعالى » . ويقول ابن زولاق حدثني بعض شيوخ مصر قال ، مررت على منزل القاضى بكار فى الليل فوجدته يصلى ثم فرغ من صلاته فبكى وقرأ (كلا أنها لظى نزاعة للشوى) . وكان القاضى بكار رحمه الله ، حريصا ألا تشوب أحكامه شائبة حتى أنه كان يصل به الأمر فى بعض الأحيان إلى حد التزمّت فى قبول شهادة الشهود .

فمن ذلك ما حكاه ابن أخيه إذ قال : قدم على عمى رجل من أهل البصرة فأكرمه

وأثنى عليه وقال ، هذا كان معي في المكتب . ومضى الرجل إلى حال سبيله وجاء بعد أيام في شهادة عند القاضي بكار ومعه شاهد آخر من أهل مصر ، فقبل شهادة الرجل الذي كان معه ، ولم يقبل شهادة الآخر ، فقلت له ، يا عم هذا الرجل أثنت عليه خيرا فلم لم تقبله ؟ فقال يا ابن أخي ما رددت شهادته إلا لأمر فقال وما هو ، قال : كنا على المائدة ونحن صغار وفيها أرز وفيه عسل فأخذت بأصبعي من وسط الأرز فجرى العسل حتى دخل وسط الأرز ، فقال : آخرقتها لتغرق أهلها ؟ فقلت أتزأ بكتاب الله فأمسكت عن كلامه مدة ، فما قدرت على قبول شهادته وأنا أذكر ذلك منه . وكثيرا ما كان يقف القاضي بكار مع المتقاضين موقف الواعظ المرشد فمن ذلك ما حكاه الإمام أبو جعفر الطحاوي ، إذ قال سمعت الكوفي يقول ، حضرت يوما عند بكار بن قتيبة فدخل إليه رجلان يختصمان ، أحدهما أبو الآخر فنظر إليهما وأنشد :

تعاطيتما ثوب العقوق كلاكما أب غير بر وأبنة غير واصل

وقد شارك القاضي بكار في الأحداث السياسية التي وقعت في مصر في عهده ، إذ لم يقبل أن يوافق أحمد بن طولون في خلع الموفق أخى الخليفة العباسي المعتمد من ولاية العهد وذلك ردا على الخطاب الذي أرسله الأخير إلى أحمد بن طولون ، يخبره بعزله عن ولاية مصر وكانت النتيجة الطبيعية لعدم إجابة القاضي بكار إلى طلب ابن طولون في خلع الموفق أن حكم عليه بالسجن مدى الحياة .

ويحدثنا ابن الداية الذي أرخ لسيرة ابن طولون ، فيقول : بعث الموفق إلى الأقاليم يطلب المال بأمر من الخليفة ، فحمل إليه المال من كل إقليم وبلدة إلا أحمد بن طولون فإنه لم يرسل شيئا . فكاتبه الموفق ، فلم يجبه بشئ وعصى أمر الموفق ، وكان ابن طولون بمصر فجمع العساكر وركب في مائة ألف وعشرين ألفا وخرج إلى دمشق وملك أكثر الشام وأحضر قضاة الأمصار وأمرهم أن يخلعوا الموفق وأن يسجلوا على أنفسهم أن الموفق خارجي ،

(١) سيرة ابن طولون ص ٢١٧ .

فأجابوه كلهم إلا بكارا فإنه قال لا يثبت عندي ذلك ، فأعاده إلى مصر « ويستمر ابن الداية في سرد تفاصيل ما حدث بين ابن طولون والموفق ، حتى يأتى إلى ما حدث بالنسبة إلى بكار نتيجة لعدم إستجابته لرغبة ابن طولون في خلع الموفق ، فيقول : « لما رجع ابن طولون واستقر في قصره بعث إلى بكار فجاء إليه ، وكان عند بكار يتيم يكفله فلما أحضره أوقفه في مجلس الشرطة وأقام اليتيم معه فقال له اليتيم ، أنت أكلت مالى وأسمعه كلاما قبيحا فقال بكار ، اللهم إن كان كاذبا فاسلبه عقله ، فرئى من ليلته يرحم الناس بالحجارة في الطرقات ، ثم سجن القاضى بكارا فوقف أهل الحديث إلى ابن طولون وقالوا على من نقرأ وقد سجنت بكارا ؟ فقال ، أذهبوا إلى السجن وأقرءوا عليه ، فكان الناس يأتون السجن ويقرءون على بكار الحديث » .

ويصف لنا ابن الزيات ما كان يفعله القاضى بكار في سجنه فيقول : وكان بكار يغتسل في وقت الجمعة ويتوضأ ويأتى إلى باب السجن فيقول له السجنان ما أمرت بخروجك ، فيقول بكار اللهم فاشهد ، ثم يعود إلى مكانه . ولم يزل القاضى بكار في السجن حتى احتضر ابن طولون ، فقال لابنه خماروية إذهب إلى القاضى بكار . فقل له : أبى يسلم عليك ويسألك أن تدعوا له فخرج من عنده حتى أتى القاضى بكار فوجده يصلى فلما سلم من صلاته قال له أن أبى يسلم عليك وأنه يسألك الدعاء فقال له « قل له أنه عليل أشرف على قبره ، وأنا شيخ فان أشرفت على حفرتى ، والمجتمع بينى وبينه بين يدى الله تعالى » فعاد خماروية فوجد والده قد اشتد به المرض ثم مات . ومات بكار بعده بمدة يسيرة . ويقول جماعة من علماء وفقهاء عصر ابن طولون منهم ابن أنخى العطايا وابن الجباس ومجد الدين الناسخ أنهم جميعا رأوا في منامهم رؤيا مؤداها ، أن ابن طولون رئى في حال سعيدة ، فقيل له ما فعل الله بك فقال شفع في القاضى بكار .

وقد عرف عن بكار الزهد والتقشف في مأكله وملبسه حتى أنه لم يكن في حاجة إلى راتبه الذى يتقاضاه فكان يوزعه عن آخره ولا يحتفظ لنفسه إلا بالنذر اليسير الذى يكنى

سد رمقه، أما المبالغ الطائلة والجوائز السخية التي كان يرسلها له أحمد بن طولون ، فقد احتفظ بها سالمة غير منقوصة فقد كان ابن طولون يبعث إليه في كل سنة ألف دينار ، فلما جرى بينهما ما جرى قال أحمد بن طولون ، وأين جوائزى التي كنت أرسلها إليك ؟ قال : في المكان الذي كان يضعها رسولك فيه فابعثه يأخذها من مكانها ثم قرأ القاضي بكار « إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا » ، قال جاء الرسول فوجدنا ستة عشر كيسا ، ما نقص منها شئ فأعطاها الرسول قائلًا ، هذه جوائز القاضى بكار التي كان يأخذها من ابن طولون .

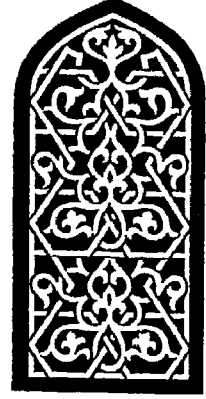
* * *

وصف الضريح

توفى القاضي بكار سنة ٢٧٠ هـ ودفن في الحومة ، التي دفن فيها جده بشر ابن أبي بكرة بن الحارث ابن مخلدة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويؤكد هذه الرواية ، الكندي إذ يقول : مات بشر بن أبي بكرة بمصر وقبره عند قبر ولده بكار ، وفي هذا يقول أبو جعفر الطحاوي : سمعت أبا العلى الكوفي يقول ، كان القاضي بكار يقول لي ، إنطلق معي حتى أزور قبر جدي فيأتني إلى مكان قبره فيزوره ويقول هذا من التابعين .

أما عن مكان ضريحه فيحدده ابن الزيات^(١) فيقول هو المشهد المقابل للسور بعد خروجك من باب القرافة مما يلي المجرى الكائنة بالسور . ويقول الشيخ شرف الدين بن الجباس هو مشهد استجد ولكن دفنه قديم . ويقع مشهد القاضي بكار بالقرب من جامع سيدى عقبة بن عامر الجهني بقرافة الإمام الليث ، وهو ضريح متهدم وبحالة سيئة حتى كادت جدرانها أن تتلاشى وتزول .

(١) ترتيب الزيارة ص ٥٧



مشهد طباطبا بقرافة الإمام الشافعي

ينسب هذا المشهد إلى ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ويقول ابن خلكان^(١) أنه لا خلاف على صحة هذا النسب عند علماء النسب ، إلا أنه يضيف فيقول ، إلا أن طباطبا لم يمت بمصر ولا يعرف له بها وفاة . ويقول ابن الزيات^(٢) أن طباطبا سمي بهذا الاسم لرتبه كانت في لسانه ، قال أبو بكر الخطيب لما قدم بغداد في خلافة هارون الرشيد ، سجع به فبعث إليه فظن أن أحدا قد وشى به فدخل على الرشيد ، فقام الرشيد وأجلسه إلى جانبه وقال له ما جاء بك يا أبا إسحق ، فقال ظلمني صاحب الطبا يعني صاحب القبا فكان يقلب القاف طاء . وللسيد إبراهيم طباطبا من الأولاد لصلبه القاسم الرسي ، والرسي هذه نسبة إلى الرس وهي قرية من قرى المدينة سكن بها فنسب إليها .

(١) وفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٧ .

(٢) الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ص ٥٩

ويذكر ابن خلكان أن القاسم الرسي جاء إلى مصر في أوائل القرن الثالث الهجري ولما دخلها جلس بالجامع العتيق واجتمع عليه الناس لسماع الحديث وجمعوا له المال فأبى أن يقبله فازداد أهل مصر فيه محبة . وكانت له دعوة مجابة . وقد وصف العبيدلى النسابة الشيخ القاسم الرسي فقال : أنه كان أبيض اللون مقرون الحاجبين كثير الخشوع لا يتكلم إلا بالقرآن والحديث ، وكان القاسم أكثر أهل زمانه علما وحديثا ، وقيل إنه عاد إلى الحجاز ومات بالرسي سنة عشرين ومائتين ، كما قيل أنه مدفون في مصر ، ومن أحاديثه التي يروونها عن جده الإمام علي بن أبي طالب قال : « حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن الحسن المثني عن أبيه الحسن السبط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال من أراد البقاء ولا بقاء فليلتحف الرداء وليباكر الغداء ، وفي رواية ولا يكاثر الغداء وليقل من مجامعة النساء ، وخير نساكنكم الطيبة الرائحة » .

ومن أولاد ابراهيم طباطبا المدفونين بهذا المشهد كما يقول ابن الزيات علي بن الحسن ابن طباطبا الذي كانت له مكانه ومقام كبير عند أمراء مصر ، وقيل أنه بلغ ماله بعد موته ثلاثة قناطير من الذهب وسبعة قناطير من الفضة ومائة عبد ومائة أمة وكان قد أوصى بنصف ماله صدقه ، وتوفى رضي الله عنه في ستة خمس وخمسين ومائتين وبهذا المشهد أيضا قبر الإمام أحمد بن علي بن الحسن بن طباطبا ، كان جليل القدر وله مكانة مرموقة ، ويعد من شعراء عصره وقيل أنه تصدق بمال أبيه كله حتى كان لا يجد ما ينفق فكان يأكل في اليوم والليلة مرة واحدة فلما بلغ ذلك ابن طولون منحه قرية من قرى مصر . وكانت كلمته مجابة عند ابن طولون فكان يشفع عنده ويمشي في قضاء حوائج الناس فيقضيها ، وفي ذلك يقول ابن زولاق^(١) لم ير فيمن نزل مصر من الأشراف أكثر شفقة ورأفة وسعيا في قضاء حوائج الناس من أحمد بن علي بن الحسن بن طباطبا . ويذكر ولده عبد الله عن أبيه الرواية التالية : قال : شفع أبي عند صاحب مصر شفاعته في قوم كان قد طلب منهم مالا فأبى أن يقبل شفاعته ، فلما كان الليل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقبل شفاعته .

(١) ابن زولاق ص ١٥٩ .

ودفن في هذا المشهد كذلك الإمام عبد الله بن طباطبا الذي ترجم له ابن^(١) النحوى فقال كان عبد الله شريفاً عفيفاً فصيحاً جميلاً وكان له ربايع وضياع ونعمه دائرة متسعة ، وكان كثير الافتقار للفقراء والأرامل والمنقطعين . ويروى ابن زولاق عن عبد الله الرواية التالية قال عبد الله : رأيت في المنام كأن طاقة في السماء فصعدت إليها ومشيت فرأيت سريراً عليه امرأة فعلمت أنها السيدة خديجة فسلمت عليها فقالت من تكون ، فقلت عبد الله ابن أحمد بن طباطبا ، فصاحت يافاطمة قد جاءك من أولادك ولد فخرجت من بيت علي يسار السيدة خديجة فقامت إليها فقالت مرحباً بالولد الصالح ثم أقبل إثنان أعلم أنهما الحسن والحسين فقبلت يد الواحد فقال عمك وأشار بيده إلى الحسن ثم خرج رجل عليه سكينه ووقار فقال أحدهما جدك علي بن أبي طالب ثم رأيت رجلاً أقبل جليلاً جميلاً فانكبت على رجله أقبلهما فمغننى وقال لا تفعل هذا يا أحمد ، مرحباً بالولد الصالح ، وجلسوا يتحدثون فما أنسيت طيب حديثهم إلى الآن . فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قم فأخذ بيدي وأنزلنى من الطاق ويدي في يده وهو يقول لى بلغت الأرض فأقول لا إلى أن بلغ إبهام رجلى الأرض فلما وصلت رجلى الأرض انتبهت كالمصروع لا أعقل شيئاً فجاء أهلى بالمعبرين وعلقوا على التعاويذ فبلغ الحديث إلى أبى عبد الله الزيدى ، فجاءنى وسألنى عن قصتى فحدثته فقال ليتنى كنت معكم .

ويحدثنا ابن النحوى عن العلاقة الوثيقة التى كانت تربط عبد الله بن طباطبا بكافور الأخشيد فيقول : كان عبد الله يرسل إلى كافور فى كل يوم رغيفين وجامتين من الحلوى فقال بعض المقربين لكافور أن هذا ينزل من قدرك فقال له : يا شريف لا ترسل إلى شيئاً بعد هذا اليوم فتركه « فلم يكدم يمض بضعة أيام حتى أحس كافور بالضعف والخور يعتريه وأخذت صحته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، فأرسل كافور إلى عبد الله يطلب إليه إرسال ما كان يرسل من قبل ، فرد عليه عبد الله قائلاً : إني ما كنت أرسل إليك إستحقاراً بك ، وإنما لى والدة صالحة تعجن بيدها وتقرأ عليه القرآن ، قال صدقت ، فكان كافور لا يأكل بعد ذلك إلا منه » .

(١) ابن النحوى : الرد على أولى الرفض والمكر فيمن كنى بأبى بكر ص ٩٦

ويذكر العبيدلى النسابة عند حديثه عن المشاهد التي يستجاب عندها الدعاء فيقول في سنة نيف وأربعمائة نام رجل فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يا رسول الله إني مشتاق إلى زيارتك وليس لي ما يوصلني إليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : زر عبد الله أحمد بن طباطبا تكن كمن زارني . وقد توفي عبد الله بن أحمد بمصر سنة ثمان وأربعين وثلثمائة .

ولم يقتصر المشهد على الرجال فحسب ، بل دفن به كذلك بعض أفراد عائلة طباطبا من النساء ، فيذكر ابن الزيات^(١) « وبهذا المشهد عند باب القبة السيدة خديجة ابنة محمد ابن اسماعيل بن ابراهيم بن طباطبا ، وكانت خديجة هذه زاهدة عابدة كثيرة الزهد صلى عليها عبد الله السابق ذكره وهو بعلمها ، وكان يقول عنها : كانت تسابقني إلى الصلاة بالليل وما رأيتها ضحكت قط ، وتوفيت سنة عشرين وثلثمائة . وقد ذكر ابن الجباس^(٢) عن لسانها القصة التالية : قالت : جئت مع بعلى عبد الله إلى دار له على جانب النيل وكان فيها أثاث وقماش فوجدت رجلا فتح الباب وضم جميع ما كان في البيت وجعله على رأسه وكنت في الدار فأردت أن أتكلم فأشار إلى زوجي بالسكوت فجعل يزاحمنا في السلام وزوجي يلقي عنه الحائط حتى لا تصيبه ، فلما نزل قلت له هذا متاعنا فلم تدعه يأخذه وينصرف فقال : وما يدريك أن يكون ذلك سببا لتوبته ، فلم يمض وقت طويل حتى جاء زوجي رجل ومعه عبید وحشم فقال له : ياسيدي أريد أن أدخلوك ، فقال له هل تذكر الرجل الذي كنت تلقي عنه الحائط بيدك ، قال نعم ، قال يا سيدي أنا هو ولقد بورك لي في متاعك حتى أن جميع ما تراه منه ومعى آلاف ، وقد جئت إليك بهذه الألف درهم وعبدين وجاريتين فتبسم وقال له منذ رأيتك دعوت لك بالبركة ، فوالله لا أقبل منك شيئا ثم تضيف السيدة خديجة فتقول « ثم جاء إلى بعلى فأخبرني بقصة الرجل » .

وفي هذا المشهد عند الحائط الغربي قبر أبي الحسن على بن الحسن بن طباطبا المعروف باسم صاحب الحورية ، ويفصل لنا ابن الزيات السبب في هذه التسمية فيقول : كان أبو

(١) ترتيب الزيارة ص ٦١

(٢) ابن الجباس : فضائل الأشراف ص ٧٩ .

الحسن فى أول عمره ينام الليل فنام ليلة فرأى الجنة وما فيها من الحور فأعجبته حوراء فقال لها لمن أنت ؟ قالت لمن يعطى ثمنى فقال لها : وما ثمنك ؟ قالت له مائة ختمة فقرأها ، ولما فرغ منها رآها فى المنام فقال لها قد فعلت ما أمرتنى به ، فقالت له : يا شريف أنت ليلة غد عندنا ، فأصبح الشريف وجهز نفسه ودعا الناس لجنائزته وأعلمهم بموته فمات من يومه ذلك .

وبالمشهد أيضا قبر أبى محمد الحسن بن على بن طباطبا المتوفى سنة أربع وخمسين وثلثمائة وبهذا المشهد أيضا يس بن الحسن وليس بالمشهد من عليه عمود غيره كما يوجد قبر سليمان بن على بن عبد الله المبتلى المتوفى سنة ست وسبعين وسبعمائة وهو من خدام المشهد . ومن داخل قبة المشهد يوجد قبر الشريف طباطبا الأصغر وهو أخو عبد الله بن أحمد المتوفى سنة أربع وثلثين وثلثمائة . كما يوجد فى المشهد جميع كبير من أهل العلم والصلاح والتقوى

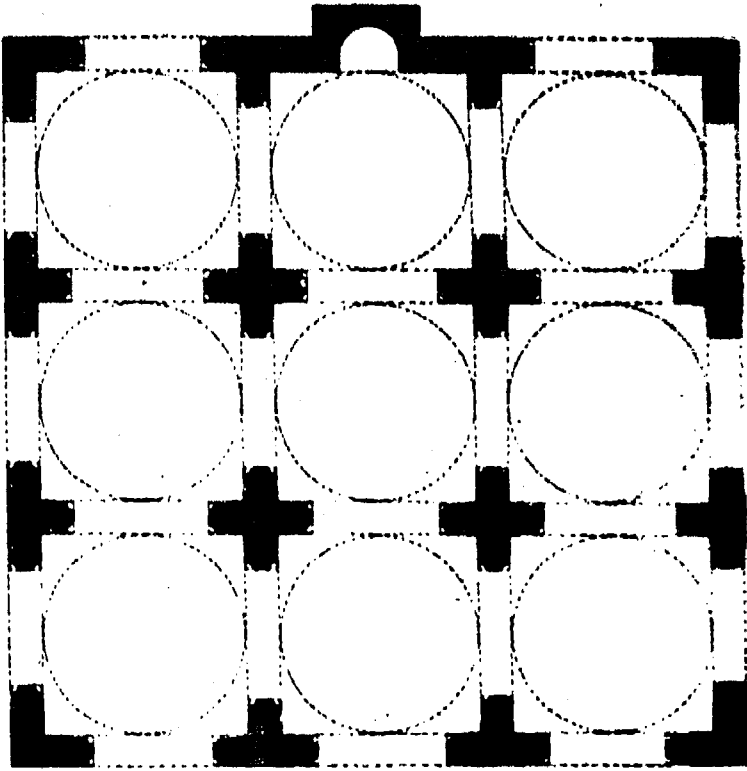
* * *

وصف المشهد

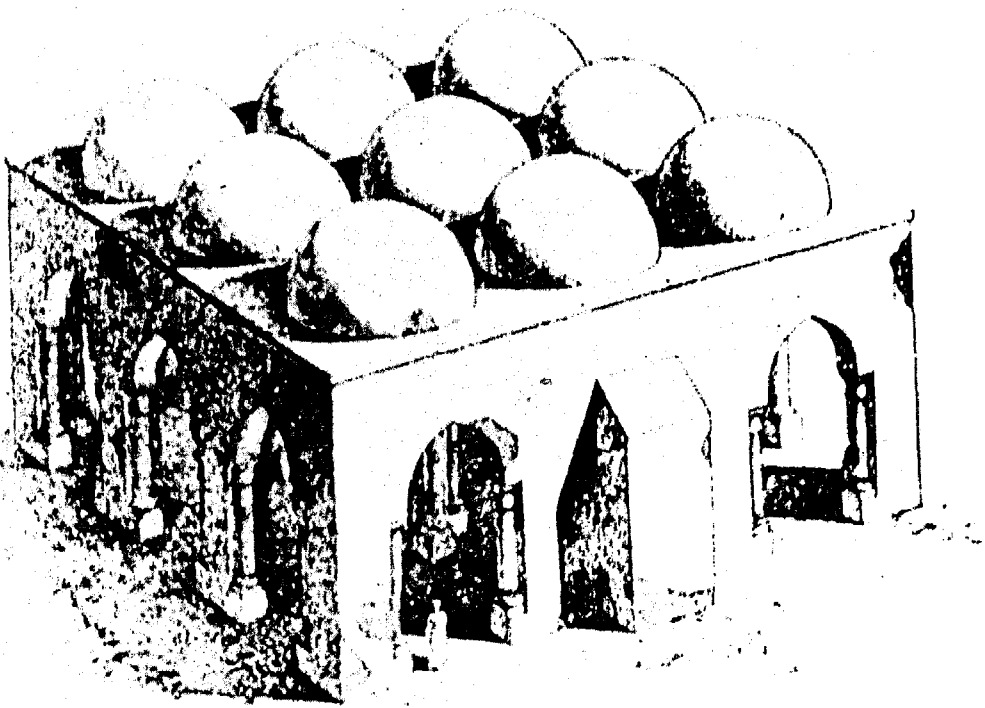
يوجد مشهد طباطبا على بعد (٥٠٠ متر) إلى الغرب من مسجد الإمام الشافعي وعلى بعد (٢٣٠ مترا) من شمال عين الصيرة . والمشهد عبارة عن مستطيل غير منتظم يبلغ طوله ٣٠ × ٢٠ عرضا ، وفي نهايته الجنوبية يوجد قبتان ، وفي الجزء الشمالي الشرقي من سور المشهد يوجد المدخل ، وإلى يساره يوجد مبنى حديث عبارة عن حجرة مربعة يغطيها قبة ، وهذه الحجرة يوجد بئر يغذى المشهد بالمياه . ويتصل بجدار حجرة البئر مبنى مستطيل مقسم إلى ست حجرات صغيرة بعضها مربع والآخر مستطيل . وقد اختلفت تغطية هذه الغرف باختلاف أحجامها فالغرف المربعة مغطاة بالاقباء المتقاطعة والقباب ، أما الحجرات المستطيلة فمغطاه بالاقباء . وهذه الغرف الست يوجد مقابر عائلة طباطبا . وتتصل بمكان الصلاة بباب في الجهة الغربية .

أما مكان الصلاة فيتكون من مربع يبلغ طوله ١٨ متر تقريبا مبنى من الآجر وفي الجدار الشرقي يوجد المحراب . ويقسم المربع إلى ثلاثة أروقة صفان من الدعائم المتعامدة بأركانها أربعة عمد ملتصقة . ويغطي كل المسجد تسع قباب بكل رواق ثلاث منها . ويشبه هذا المشهد في تصميمه مشهد السبعة وسبعين ولى بأسوان وكذا مئذنة بلال بالقرب من السد العالي .

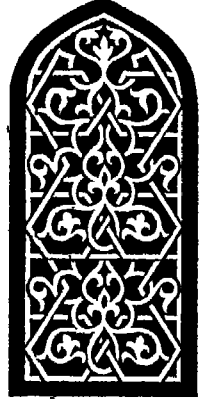
ويرجح الأستاذ كزويل أن هذا المشهد قد بنى في (سنة ٣٣٤ هـ - ٩٤٣ م) وهو تاريخ وفاة الشريف طباطبا الأصغر .



شکل رقم (۵) مشهد ابن طباطبا



شکل رقم (۶) إعادة بناء مشهد ابن طباطبا



الجامع الأزهر

أتمَّ جوهر تأسيس مدينة القاهرة بعد عام من فتح الفاطميين لمصر ، وكان أول أعماله بناء الجامع الأزهر ، وقد ورد في المقرئزى^(١) إن القائد جوهرًا بدأ عمارته في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ولما أتمَّ تشييده بعد عامين فتح للصلاة في شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ (يونيه - يوليه سنة ٩٧٢) م ويعدُّ الأزهر أول عمل فني معمارى أقامه الفاطميون ولا يزال قائما حتى اليوم .

ويقع الأزهر في الجنوب الشرقى من القاهرة المعز لدين الله الفاطمى على مقربة من القصر الكبير ، الذى كان موجودا حينذاك بين حى الديلم وحى الترك في الجنوب . وقد ورد في المقرئزى نص النقش الذى كتبه جوهر بدائرة القبة وان كان قد اندثر الآن .

(١) الخطط ج ٤ ص ٤٩

وفي هذا الجامع أمر جوهر بقطع الخطبة لبني العباس وحرم لبس السواد شعار العباسيين وأمر بلبس البياض وغير الأذان إلى حى على خير العمل كما أمر أن يقال فى الخطبة ، اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلى على المرتضى وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبى الرسول ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وصل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله . انقطعت بذلك دعوة بنى العباس من مصر والحجاز واليمن والشام ، وظلت الدعوة لبني عبيد فى هذه الاقطار حتى سنة ٥٦٥ هـ .

ومعرفة التخطيط الأصيل لهذا الجامع تعد من الأمور الصعبة التى لا يمكن الاهتداء إليها ، فقد زاد كثير من خلفاء الفاطميين فى بنيانه ، واعدت تجديد أجزاء كثيرة منه خلال القرون الماضية كما اضيفت إليه زيادات عدة . وإذا كان الجامع لا يزال يحتفظ ببقية من النقوش والكتابات الكوفية والعقود المنكسرة التى تعد من مميزات العمارة الفاطمية فإن جل أجزاءه الحالية من عصور متأخرة .

بقى الأزهر يشغل المكانة الرفيعة فى العالم الاسلامى ، فقد كان منار العلم وموئل المتعلمين حتى جاءت الدولة الأيوبية فبدأ نجمه فى الأفول ، فقد عمل الأيوبيون على محاربة الشيعة ونشر المذهب السنى ، ومن ثم أبطلت الخطبة من الجامع الأزهر واكتفى باقامتها بجامع الحاكم عملا بالمذهب الشافعى ، وظل الحال على ذلك مدة قرن من الزمان حتى العصر المملوكى .

كان الجامع الازهر وقت انشائه يتوسط العاصمة الفاطمية على النحو الذى كان متبعاً فى انشاء القواعد الاسلامية الأولى . أنشئ الجامع الأزهر ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية فى حاضرتها الجديدة ومنبرا لدعوته الدينية ورهزا لسيادتها الروحية .

اما فكرة الدراسة بالأزهر . فقد كانت حدثا ترتب على فكرة الدعوة المذهبية وغلب الحدث العارض شيئا فشيئا على صفته الأولى حتى أسبغ عليه ثوبه الجامعى الخالد . فى سنة ٣٦٥ هـ - ٩٧٥ م فى أواخر عهد المعز لدين الله ، جلس قاضى القضاة أبو الحسن على

ابن النعمان بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه في فقه الشيعة ، في جمع حافل من العلماء والكبراء ، وأثبت أسماء الحاضرين فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر .

ويعتبر الوزير يعقوب بن كلس أول من فكر في اتخاذ الجامع الأزهر معهدا للدرسة المنظمة المستقرة فقد استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله سنة ٣٧٨ هـ - ٩٨٨ م في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها . . ورئيسهم ومنظم حلقتهم العقبة أبو يعقوب ، قاضي الخندق ، ورتب لهم أرزاقا وجرايات شهرية حسنة ، وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر ، وخلع عليهم في يوم الفطر وحملهم على بغلات تشريفا لهم وتكريما .

وعلى ذلك فإننا نستطيع القول بان الأزهر اكتسب صفته العلمية الحقيقية كمعهد للدراسة المنظمة وانه بدأ حياته الجامعية الحافلة منذ أوائل العصر الفاطمي . وما كادت حلقات الدراسة تنتظم في الأزهر حتى ظهر منافس شديد الوطأة ، ألا وهي دار الحكمة التي انشأها الخليفة الحاكم ، على أن كلا من المهديين كانت له رسالة خاصة ، فبينما كان الأزهر مركزا للثقافة الدينية المحضة ، إذ بدار الحكمة تقوم بجانب مهمتها في نشر المذهب الشيعي ، بتدريس علوم اللغة والطب والرياضة والمنطق والفلسفة وما إليها .

وإلى جانب المكانة العلمية التي كان يتمتع بها الأزهر كانت له فوق ذلك أهمية رسمية خاصة ففيه كان جلوس قاضي القضاة في أيام معينة وفيه كان مركز المحتسب العام وفيه كان يعقد كثير من المجالس الخلاقية والقضائية .

على أن قطع خطبة الجمعة من الجامع الأزهر في العصر الايوبي لم يبطل صفته الجامعية فقد لبث محتفظا بصفته كمعهد للدرس والقراءة ، ومع انه لم يكن يحظى في ذلك العصر بكثير من هيئته العلمية القديمة فنراه مقصد علماء بارزين مثل عبد اللطيف البغدادي الذي وفد على مصر سنة ٥٨٩ هـ ، أيام الملك العزيز ولد السلطان صلاح الدين ، وتولى التدريس بالأزهر بضعة أعوام حتى وفاه الملك العزيز في سنة ٥٩٥ هـ .

وفي عهد الدولة الايوبية بدئاً بإنشاء المدارس في مصر ، واقتدى السلطان صلاح الدين في ذلك بما فعله الملك العادل نور الدين زنكي في الشام ، من إقامة المدارس في دمشق وحلب . وكانت أول مدرسة أقيمت بمصر على هذا النحو ، المدرسة الناصرية التي أنشأها السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ بجوار المسجد الجامع (جامع عمرو) لتدريس الفقه الشافعي وفي نفس العام أنشأ السلطان على مقربة منها ، مدرسة لتدريس الفقه المالكي عرفت بالمدرسة القمحية نظراً لما كان يغدق على طلابها من قمع تغله ضيعتها بالفيوم ، وهي المدرسة التي تولى التدريس فيها فيما بعد المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ثم توالى انشاء المدارس في مصر والقاهرة على أيدي السلاطين والامراء والكبراء وكثر عددها في القرنين السابع والثامن كثرة ظاهرة . وكان إنشائها في أول الأمر يجرى في الغالب على قاعدة التخصص ، فبعضها ينشأ للشافعية والبعض الآخر للحنفية أو المالكية أو الحنبلية وينشأ البعض لتدريس الفقه أو الحديث . أو علوم القرآن وقليل منها ينشأ على قاعدة التعميم كالمدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين سنة ٦٤١ هـ . ورتب فيها دروساً للطلاب من المذاهب الأربعة .

وقد كان لقيام هذه المدارس وكثرتها خلال القرنين السابع والثامن ، أثر كبير في سيرة الدراسة بالجامع الأزهر ، فقد نافسته منافسة شديدة واجتذبت إليها الطلاب من كل صوب ، كما اجتذبت إليها اعلام الاساتذة ، وكانت تمتاز على الأزهر بجلتها ووفرة أوقافها واستثمارها برعاية السلاطين والكبراء من منشئها ومن اليهم . ومن ثم كان الأزهر في هذه المدة الطويلة يمر بفترة ركود ، بيد أنه كان يضم من الطلاب دائماً العدد الجم نظراً لانساع مجال الدراسة فيه وتنوعها ، إذ كان مفتوحاً للطلاب من كل مذهب ، وتدرس به سائر العلوم الدينية واللغوية ، وهو ما لم يكن مسوراً في مدارس أنشئت على قاعدة التخصص . ومن جهة أخرى فقد كان الأزهر مقصد الطلاب الغريباء من كل صوب وكان يقطن في أرواقه عدد كبير منهم .

وقد بلغت الحركة العلمية والأدبية في مصر الإسلامية ذروتها من التقدم والأزدهار في أواخر القرن الثامن الهجري وأوائل القرن التاسع ، وحفل القرن التاسع بالأخص بعدد كبير من الاساتذة البارزين في سائر العلوم والفنون وساهم الأزهر إلى جانب المدارس الأخرى

بنصيبه في إعداد عناصر هذه الحركة وفي تخريج العدد الجم من أبنائها ، على أنه يوجد مع ذلك في أنباء العصر ما يدل على أن الأزهر كان في خلال هذه الحقبة يحتفظ بمكانته الخاصة يعاونه في ذلك اتساع حلقاته وأروقته ، وتنوع دراساته وهيئته القديمة ، وما يلاقيه الطلاب من أسباب التيسير في الدراسة و أحيانا في الإقامة ، وقد غدا الأزهر منذ أواخر القرن السابع ، أي منذ عفت معاهد بغداد وقرطبة كعبة الاساتذة والطلاب من سائر انحاء العالم الإسلامي العامة .

ومنذ القرن الثامن الهجري تبوأ الأزهر في مصر وفي العالم الإسلامي نوعا من الزعامة الفكرية والثقافية وفي أنباء هذا القرن ما يدل على أن الأزهر كان يتمتع في ظل دولة المماليك برعاية خاصة وكان الأكابر من علمائه يتمتعون بالجاه والنفوذ ، ويشغلون وظائف القضاء العليا ويستأثرون بمراكز التوجيه والارشاد ، وكان هذا النفوذ يصل أحيانا إلى التأثير في سياسة الدولة العليا ، وأحيانا في مصاير العرش والسلطان .

وربما كانت هذه الفترة في الواقع هي عصر الأزهر الذهبي من حيث الإنتاج العلمي الممتاز ومن حيث تبوؤه مركز الزعامة والنفوذ .

وفي أواخر القرن التاسع أخذت الحركة الأدبية في مصر الإسلامية في الإضمحلال ، وذلك تبعا لإضمحلال الدولة المصرية والمجتمع المصري ، وكانت دولة المماليك قد شاخت وأخذت تسير نحو الإنهيار بخطى سريعة وتصعد بناء المجتمع المصري وأخذ في الانحلال والتفكك واضطربت أحوال المعاهد والمدارس المصرية وتضاءلت مواردها ، وفقد كثيرا مما كانت تتمتع به من رعاية السلاطين والامراء ، وأصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول والركود . ولم يمض على ذلك غير قليل حتى وقعت المسألة المروعة فأنهارت الدولة المصرية ، وفقدت مصر استقلالها التالد وسقطت صريعة الغزو العثماني سنة ٩٢١ هـ . (١٥١٧ م) .

وكان الفتح العثماني لمصر أقس ضربة أصابت المدنية الإسلامية منذ قضى التتار على الدولة العباسية في منتصف القرن السابع الهجري وقوضوا صروح المدنية الإسلامية في المشرق

وكانت مصر مستودع هذا التراث الباذخ ولاسيما بعد أن سقطت قواعد الأندلس المسلمة في يد اسبانيا النصرانية ، وعفت معاهدها وحضارتها الشهيرة وسقطت غرناطة آخر معاقلها قبل الفتح العثماني لمصر بنحو ربيع قرن فقط . وكانت المدينة الإسلامية تتألق بعلومها وفنونها في ظل دولة المماليك مدة ثلاثة قرون ، فجاء الفتح التركي بولايته ليطفئ هذا السراج المنير مدى ثلاثة قرون أخرى . وأصاب الأزهر ما أصاب الحركة الفكرية كلها من الانحلال والتدهور ، واختفى من حلقاته كثير من العلوم التي كانت زاهرة به من قبل ، وكذلك العلوم الرياضية لم تكن تدرس به في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وقد لاحظ ذلك الوزير أحمد باشا والى مصر سنة ١١٦١ هـ (١٧٤٨ م) وأبلغه للشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الجامع الأزهر يومئذ في حديث أورده الجبرتي أدلى فيه بما آلت إليه أحوال الدراسة بالأزهر خلال العصر التركي من التأخر والركود .

على أن الجامع الأزهر كان يقوم عندئذ باعظم واسمى مهمة اتيح له أن يقوم بها ، فقد استطاع خلال المحنة الشاملة أن يستبق شيئا من مكانته وان يؤثر بماضيه التالد وهيبته القديمة في نفوس الغزاة أنفسهم . فنجد الفاتح التركي يتبرك بالصلاة فيه غير مرة ، ونجد الغزاة يبتعدون عن كل ما يضر به ، ويحطونه مكانة خاصة ويحاولون استغلال نفوذ علمائه كلما حدث اضطراب أو ثورة داخلية . وفي خلال ذلك يغدو الأزهر ملاذاً أخيراً لعلوم الدين والفقهاء واللغة . ويغدو ، بنوع خاص ، معقلاً حصيناً للغة العربية ويحتفظ في أروقته بكثير من قوتها وحيويتها ، ويدراً عنها عادية التدهور النهائي ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ومقاومتها ، وردّها عن التغلغل في المجتمع المصري .

وهكذا استطاع الأزهر في تلك الاحقاب المظلمة أن يسدى إلى اللغة العربية أجل الخدمات وإذا كانت مصر قد ظلت خلال العصر التركي ملاذاً لطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية من سائر انحاء العالم العربي والعالم الإسلامي فأكبر الفضل في ذلك عائد إلى الأزهر إذ استطاعت مصر لحسن الطالع بفضل أزهرها أن تحمي هذا التراث نحو ثلاثة قرون حتى انقضى العصر التركي بمحنة وظلماته ، وقبض لها أن تبدأ منذ أوائل القرن التاسع عشر

حياة جديدة يمازجها النور والأمل . وربما كانت هذه المهمة السامية التي ألقى القدر زمامها إلى الجامع الأزهر ، في تلك الأوقات العصيبة في حياة الأمة المصرية والعالم الإسلامي بأسره ، هي أعظم ما أدى الأزهر من رسالته ، وأعظم ما وفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل .

* * *

أما عن نظام الدراسة بالأزهر فقد بدأ نظام الدرس به على نفس النمط الذي كان متبعاً في مصر وباقي العواصم الإسلامية يومئذ ، ونعني به نظام الحلقات الدراسية ومجالس الدروس الخاصة ، وقد اشتهر نظام الحلقات الدراسية بمصر منذ القرن الثاني للهجرة ، وكانت الفسطاط ومسجدها الجامع منذ القرن الأول مركزاً للدراسة الممتازة وكانت هذه الدراسة في البداية دينية فقهية .

فكان الاستاذ يجلس ليقرأ درسه في حلقة من تلاميذه والمستمعين إليه ، وتنظم الحلقات في الزمان والمكان طبقاً للمواد التي تدرس ، ويجلس استاذ المادة من فقه أو حديث أو تفسير أو نحو أو بيان أو منطق أو غيرها في المكان المخصص لذلك من اروقة الجامع أو ابهائه ، وامامه الطلبة والمستمعون يصغون إليه ويناقشونه فيما يعن لهم . وقد استقر هذا النظام بالأزهر واستمر طوال العصور وغداً خلال العصور الوسطى أيام الازهر الزاهرة نوعاً من المحاضرة الجامعية الممتازة . وكان لهذه الطريقة على بساطتها كثير من مزايا الدراسة الجامعية لإنها كانت تجمع بين الاساتذة والطلاب في جو من البساطة وعدم الكلفة وتفسح لهم كبير مجال للمناقشة والمحاورة .

وكان أول درس التي بالجامع (سنة ٣٦٥ هـ - ٩٧٥ م) ، وفي (٣٧٨ هـ - ٩٨٨ م) طلب الوزير يعقوب بن كلس من الخليفة العزيز بالله أن تعد مرتبات للفقهاء ، وتعد دار لسكنائهم بجانب الجامع ، فإذا كان ايوم الجمعة حضروا إلى الجامع وبخضروا حلقات دروسهم بعد الصلاة وكان عددهم ٣٥ فقيهاً .

اما المصادر المالية التي كان يعتمد عليها الأزهر في حياته كمسجد وكمعهد للدرس فهي الاحباس العامة والخاصة ، وكانت الاحباس في ظل الدولة الفاطمية تحت اشراف قاضي القضاة ولها ديوان خاص . وقد نما هذا المصدر واتسع فيما بعد في ظل دولة المماليك حتى غدا أنصب مورد للجامع الأزهر .

على أنه كانت تلالزهر في العصر الفاطمي غير الاحباس موارد اخرى لا تقل عنها أهمية ، بل لعلها كانت فيما يتعلق بطلبة العلم أنصب واجدى في النفقة عليهم وتيسير سبيل العيش لهم ، وتلك هي الاعطية والصدقات العامة والخاصة وكانت هذه الاعطية والصدقات مالية ونوعية معا . اما المالية فكانت تشمل نصيب الازهر من مال النجوى وهو جعل اختياري قدرى ثلاثة دراهم يؤديه إلى داعى الدعاة من شاء من المستمعين لمجالس الحكمة . وكان يحصل منه مال كثير ينفق منه على الدعاة ويؤدى بعضه إلى الجامع الأزهر ليفرق على فقراء الطلاب ، وتشمل ايضا كل ما يوجد به الكرماء من المال لهذا الغرض . أما الصدقات النوعية فكانت كثيرة تشمل ما كان أولو الأمر والكبراء ، يوزعونه من الأطعمة والحلوى على الطلبة والمساكين بالازهر وغيره من المساجد ، الجامعة في مواسم معينة .

على أن بعض نظام الاعطية الذي كان مستعملا في العصر الفاطمي لا يزال يتبع في الازهر حتى العصر الاخير يغدقها الازهر على اساتذته وطلابه في شكل كميات من الخبز يومية أو شهرية تعرف (بالجرارية) والتي استبدل بها اليوم اعطية مالية مماثلة .

واستمرت الاعطية العامة والخاصة تنمو على مر العصور وتوالت أوقاف السلاطين والامراء ، والكبراء على الجامع الازهر ، وكانت هذه الاوقات ترتب اما بصفة عامة أو تخصص لأساتذة المذاهب أو الأروقة المختلفة وطلبتها أو للانفاق على تدريس مادة معينة ولاسيما علوم القرآن والحديث . وما زالت هذه الاوقاف في نمو مطرد حتى اجتمع بالازهر منها نصيب وافر يعاونه اليوم معاونة قيمة على اداء مهمته الدينية والثقافية .

وكان شيخ الجامع يشرف على هذه الأوقاف ونظارتها ، وفي العهود الاخيرة تولت ، وزارة الاوقاف ، وكانت تسمى فيما قبل ديوان الاوقاف ، النظارة على هذه الاوقاف .

ويرجع إنشاء ديوان-الاقواق إلى عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١١٨ هـ أى قبل إنشاء الأزهر بأكثر من مائتين وأربعين عاما . فقد تولى قضاء مصر توبة بن نمر فى زمن هشام بن عبد الملك ، وكانت أوقاف المسلمين فى أيدي أهلها أو فى أيدي أوصيائهم فقال توبة : ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين ، فأرى أن أضع يدي عليها حفظا لها من الاتواء والتوارث ، وكان ذلك عام ١١٨ هـ . ومن ثم صار للاحباس فى مصر ديوان خاص . وتعتبر « وقفية » الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله أول ميزانية ثابتة للأزهر ، فقد أوقف الحاكم عام ٤٠٠ هـ على الجامع الأزهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم وقفية مشتركة تقسم على ستين سهما للأزهر فيها ، على حد تعبير الوقفية ، الخمس والثلثون ونصف السدس ونصف التسع .

وقد أورد المقرئزى فى خططه تفاصيل هذه الوقفية . وقد رأيت أن أنشرها لأنها تعطينا معلومات صحيحة واضحة ، يندر ان نجدها مجتمعة فى مرجع من المراجع التاريخية عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى ذلك العصر . وفيما يلى بيانها :

دينار	
٨٤	للخطيب
١٠٨	ثمان ١٣٠٠٠ ذراع حصر مضمفورة لفرش هذا الجامع فى كل سنة عند الحاجة وثلثون ١٠٠٠ ذراع حصر عبدانية تكون عدة له عند الحاجة .
١٢	لما ينقطع من حصره .
١٢	ثمان ثلاثة قناطير دجاج وفرخها .
١٥	ثمان عود هندى للبخور فى شهر رمضان وإيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع .
٧	ثمان نصف قنطار شمع .
٥	لكنس الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمان الخيط وأجرة الخياطة .
١	ثمان مشاقة لسراج القناديل .

دينار

- ١ ثمن فحم للبخور عن قنطار واحد .
٢ ثمن ملح للقناديل .
٣ ثمن سلب ليف واربعة اجبل وست دلاء .
٤ ثمن خرق لمسح القناديل .
٥ ثمن ١٠ قفاف للخدمة ، ١٠ ابطال قنب لتعليق القناديل وثمان ٢٠٠ مكنسة لكنس هذا الجامع .
٦ ثمن أزيار فخار مع أجرة حمل الماء .
٧ ثمن زيت وقود هذا الجامع ، راتب السنة ١٢٠٠ رطل مع أجرة الحمل .
٨ ٥٥٦٤ لارزاق المصلين يعنى الأئمة وهم ثلاثة ، واربعة قومه و ١٥ مؤذنا منها لكل امام ديناران وثلثا دينار وثمان دينار فى كل شهر من شهور السنة والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران فى كل شهر .
٩ للمشرف على الجامع فى كل سنة .
١٠ لكنس المصنع^(١) بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين الوسخ .
١١ لمومة ما يحتاج إليه هذا الجامع .
١٢ ثمن ١٨٠٠ حمل تبين جارية لعلف رأس بقر للمصنع الذى لهذا الجامع .
١٣ لمخزن يوضع فيه التبن بالقاهرة .
١٤ ثمن فدانين قرط لرأسى البقر المذكورين فى السنة .
١٥ لأجرة متولى العلف واجرة السقا والحبال والقواد وما يجرى مجرى ذلك .
١٦ لأجرة قيم الميضاة . . أن عملت بهذا الجامع .
١٧ لمؤونة الناس والسلاسل والتنانير والقباب فوق سطح الجامع .
وكان الازهر منذ بدأت الدراسة فيه مفتوح الباب لكل مسلم ، يقصده الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يضم بين طلبته دائما إلى جانب الطلاب المصريين عددا

(١) المصنع هنا بمعنى البئر والساقية .

كبيراً من أبناء الأمم الإسلامية ، يتلقون العلم ، وتجرى عليهم الارزاق وتقيم كل جماعة منهم في مكان خاص بها ، وهذا هو نظام الاروقة الشهير الذي بدأ بالازهر منذ العصر الفاطمي ، والذي استمر قائماً حتى العصر الاخير ، وما زالت بقية منه بالجامع الازهر إلى اليوم ، ومعظم سكان الاروقة الباقية اليوم من الطلبة الغرباء . ويذكر المقرئ أن عدد الطلبة الغرباء الذي كانوا يلزمون الإقامة بالازهر في الاروقة الخاصة بهم في عصره أي في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي - بلغ سبعمائة وخمسين ما بين عجم وزبالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة . وهو رقم كبير يدل على ضخامة العدد الذي كان يضمه الازهر بصفة عامة من طلاب مصر وطلاب الامم الإسلامية المختلفة في تلك العصور .

وكان النظام التعليمي للأزهر في العصور الوسطى يتلخص فيما يلي :

١ - كان هناك أستاذ أكبر للمادة يشرف على من دونه ، وهؤلاء كانوا يحرصون على ملازمة أستاذهم حتى الممات ، وكل أمينتهم أن يصلوا إلى مثل مرتبته العلمية ، فالسيوطي ، مثلاً ، يحدثنا عن نفسه فيقول « لما حججت شربت من ماء زمزم لأمر : أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر » .

٢ - كان الطالب يصح أن يجاز في مادة ويرجاً في أخرى ، فهو في مادة أستاذ معلم وفي أخرى طالب تحت الاجازة .

٣ - كانت الشهادات تعطى من الأساتذة وتسمى أجازة ، وكان الطالب إذا آانس من نفسه القوة في العلم والقدرة على التدريس والافتاء طلب من شيخه أن يجيزه ، وننقل هنا صورة اجازة من هذه الأجازات التي منحت لطالب في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) « استخير الله تعالى في الايراد والاصدار واعتصم به من آفقى التقصير والاكثر ، واستغفر الله فيما فرط في الجهر والاسرار ، وأقول : إني ذكرت فلانا زينة الله بالتقوى وحرصه في السر والنجوى ، في فنون من العلوم الشرعية العقلية ، فالفيتة يرجع إلى معقول صحيح ومنقول صريح واطلاع على المشكلات ، واضطلاع بحل العضلات ، لاسياً في فقه المذهب

فإنه أصبح فيه كالعالم المذهب ، وقام بعلم العربية والتفسير وصار فيها الفاضل التحرير ، وقد أجبته إلى ما التبسه وإن كان غنيا بما حصل واقتبس فليدرس مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه لطالبيه . وليجب المستفتى بقلمه وفيه ثقة بفضل الباهر وورعه الوافر ، وفطرته الوقادة والمعينة النقادة والله تعالى ينفعنا واياها بما علمناه ويرفعنا بذلك لديه فما المقصود سواه .

٤ - كان للطلاب منتهى الحرية في اختيار المادة والأستاذ وله الحرية أيضا في الغياب والحضور .

٥ - كان لكل كتاب قارئ غالبا ، وكان الأستاذ قبل أن يلقي درسه يتوجه إلى الله يستلهمه العون مفتتحا درسه باسم الله الرحمن الرحيم ثم يحمد الله ويصلى على نبيه ، ويرشد إلى المصادر التي رجع إليها في درسه ويسند كل رأى أو اعتراض أو جواب لقائله . وكان تلقين الطالب المعلومات يأتي أما عن طريق الرواية أو عن طريق الدراية . وكانت هناك صلة روحية قوية بين الأستاذ والطالب .

والطلبة بالأزهر الآن ينقسمون كما كان الحال تماما منذ العصور الوسطى إلى قسمين قسم داخلي وآخر خارجي وينقسم القسم الداخلي بدوره إلى عدة أقسام اقليمية وما زال كثير من هذه الأقسام هي الاروقة والحرارات محتفظا باسمه حتى اليوم ، والحرارات هي الأماكن التي ، يحفظ فيها الطلبة أمتعتهم كما كان المفروض أن يناموا بها وإن كان الذى يحدث غالبا أن ينام الطلبة في الفناء أو في الاروقة حيث توجد المكتبات . أما لفظ الرواق فمعناه المعمارى هو المكان المحصور بين صفيين من البوائك ، وفي هذه الاروقة تلقى الدروس وتقام الزكور وتدار المناقشات والمناظرات . وقد كان عدد الاروقة والحرارات في القرن الماضى ٢٦ رواقا ، و ١٥ حارة والأسماء التي تطلق على هذه الاروقة تنقسم إلى ثلاثة أقسام تبعا للجنس أو المذهب أو الإقليم ، نذكر منها : (١) رواق الصعايدة ومعظمهم على المذهب المالكي (٢) الحرمين (أى مكة والمدينة) (٣) الدكرنة (نسبة إلى أهالى سنار ودارفور وكردفان) (٤) الشوام (٥) الجاوة (أندونيسيا ارجبيل الملايو) (٦) السلطانية (تضم أبناء افغانستان

وخراسان (٧) المغاربة (٨) السنارية (أنشأه محمد علي) (٩) الأتراك (١٠) البرنية
 (١١) الجبرتية (أبناء الصومال) (١٢) اليمنية (١٣) الأكراد (١٤) الهنود (١٥) البغدادية
 (١٦) البحيرية (نسبة إلى مديرية البحيرة (١٧) الفيومية (١٨) اقبغاوية (١٩) الشناوانية
 (جنوب الدلتا) (٢٠) الحنفية (٢١) الفشنية (٢٢) ابن معمر (تضم طلبة من جميع الأجناس)
 (٢٣) البرابرة (٢٤) دكارنة صليح (لأهل بحيرة تشاد) (٢٥) الشرقاوية (٢٦) الحنبلية .

وكان عدد طلبة الأزهر في عام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، ١٤٧١٤ طالبا وقد بلغ عددهم حسب
 التعداد الأخير لعام ١٩٥٨. نحو الأربعين ألفا موزعين كالتالي :

طالبا	٢٧٦٨٩	طلبة القسمين الابتدائي والثانوي
طالبا	١٣٢٦	طلبة معهد البحوث الإسلامية
طالبا	٤٥٢٢	طلبة المعاهد الحرة
طالبا	١٣٩٨	طلبة كلية الشريعة
طالبا	١١٤٠	طلبة كلية أصول الدين
من الطلاب	٣٠٠٧	طلبة كلية اللغة العربية
طالبا	٦٦٣	طلبة معهد القراءات

أما عن مواد للدراسة والكتب فقد كانت علوم الدين واللغة دائما في المقدمة وكان للعلوم
 الدينية بنوع خاص أوفر نصيب فعلم القرآن والحديث والكلام والأصول والفقه على
 مختلف المذاهب ، وكذلك علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة ثم الأدب والتاريخ
 هذه كلها كانت زاهرة خلال العصور الوسطى .

وقد كانت الصبغة المذهبية تغلب على الدراسة بالأزهر ولاسيما في عهد الدولة الفاطمية
 فقد كان لعلوم الشيعة وفقه آل البيت من حلقاته الدينية المقام الأول . وفي أواخر القرن

السادس أى بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية نرى الأزهر جامعة حرة تدرس فيها العلوم العقلية أو العلوم المدنية ، إلى جانب العلوم الدينية بصورة منتظمة ، فنرى مثلاً بين أساتذة الأزهر فى هذه الفترة العلامة عبد اللطيف البغدادى يدرس الطب والفلسفة والمنطق .

بيد أنه لا ريب أن صفة الأزهر الدينية كانت ومازالت تغلب على كل صفة أخرى . وأن علوم الدين كانت ومازالت خلال العصور تحتل المقام الأول . على أن هذه الخاصة لم ينفرد بها الأزهر وحده ، فقد كانت الحركة الفكرية فى العصور الوسطى ترتبط فى جميع الأمم بالدين أشد ارتباط . فقد كانت الأديرة مراكز الدراسة فى أوروبا والاحبار هم قادة الفكر . ولما تقدمت الحركة الفكرية وتسربت النظريات الفلسفية إلى تعاليم الكنيسة أخذت سيطرة الدين على حركة التعليم تضعف شيئاً فشيئاً .

أما عن الكتب ، فقد كانت الكتب الأولى التى قررت للتدريس بالأزهر هى كتب الشيعة وهو المذهب الرسمى للدولة وشدد فى ذلك بادى ذى بدء حتى أنه فى سنة ٣٨١ هـ قبض على رجل وجد عنده كتاب «الموطأ» للإمام مالك وجلد من أجل احرازه .

وكذلك كان يدرس بالأزهر كثير من الكتب الفقهية التى كانت تدرس بدار الحكمة ومصنفات أعلام الأساتذة الذين انتهت إليهم الرياسة فى بعض العلوم . الذين تولوا التدريس بالأزهر .

وكان للجامع الأزهر خزانة كتب كبيرة ذات أهمية خاصة ، فإن ابن ميسر يقول لنا فى أخبار سنة ٥١٧ هـ أنه قد أسند إلى داعى الدعاة منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب ، واسناد الاشراف على خزانة الكتب إلى داعى الدعاة ، وهو أكبر رئيس دينى بعد قاضى القضاة ، دليل على قيمتها وأهميتها .

وقد تولى التدريس بالأزهر عدة من الأساتذة الأعلام الذين تولوا الدراسة بالأزهر فى العصر الفاطمى وكان فى مقدمة أولئك الأساتذة بنو النعمان قضاة مصر ، فكان القاضى أبو الحسن ابن النعمان أول من درس بالأزهر ، وكان فوق تضلعه فى فقه آل البيت أديبا شاعرا توفى سنة ٣٧٤ هـ . ودرس بالأزهر أيضا أخوه القاضى محمد بن النعمان المتوفى

سنة ٣٨٩ هـ . ثم ولده الحسين ابن النعمان قاضي الحاكم بأمر الله . ومن المرجح أن فقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاقي المتوفى سنة ٣٨٧ هـ كان من الذين تولوا التدريس بالأزهر يومئذ فقد كان صديق المعز لدين الله ومؤرخ سيرته ، ثم صديق ولده العزيز من بعده ومن المعقول أن يقع الاختيار عليه للتدريس بالمعهد الفاطمي الجديد .

وهناك من أعلام التفكير والأدب في هذا العصر من كانت لهم بلا ريب صلة علمية بالأزهر فتلقوا دراستهم أو تولوا التدريس فيه ، فمنهم المسيحي الكاتب والمؤرخ الشهير وهو الأمير المختار عبد الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحداني . ولد بمصر ٣٦٦ هـ وتوفى سنة ٤٢٠ هـ وكان من أقطاب الأمراء والعلماء ، وتولى الوزارة للحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه وأخذ بقسط وافر في مختلف علوم عصره . ومن المعقول أن يكون المسيحي وهو من أولياء الدولة الفاطمية وأقطاب علمائها من أساتذة المعهدين الفاطميين دار الحكمة والأزهر . وشغف المسيحي بتدوين التاريخ وألف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى « أخبار مصر » وهو أثر ضخمة يتناول تاريخ مصر وما بها من الآثار والعجائب كما كتب المسيحي كتباً أخرى في التاريخ والأدب والفلك .

وكذلك درس بالأزهر أبو عبد الله القضاعي الفقيه والمحدث والمؤرخ وله مصنفات عدة في الحديث والفقه والتاريخ منها « الشهاب » . و« سند الصحاب » وهما في الحديث وكتاب « مناقب الإمام الشافعي » و « أنباء الأنبياء » و « عيون المعارف » وهما مختصران في التاريخ وكتاب « المختار في ذكر الخطط والآثار » وهو تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره .

كذلك درس الحوفي النحوي اللغوي وقد ألف كتباً كثيرة في النحو والأدب . ومنهم ابن بإيشاد النحوي الشهير ومنهم أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي تلميذ القضاعي ، وكان أيضاً من أئمة اللغة والنحو ، ومنهم العلامة المقرئ الشهير أبو القاسم الرعيني الشاطبي الضرير الذي برع في علوم القرآن واشتهر بالأخص بالتضلع في علم القراءات .

ومنهم الفقيه العلامة الحسن بن الخطير الفارسي ، كان من أقطاب الفقه الحنفي والتفسير وكان أيضاً عارفاً بالرياضة والطب وعلوم اللغة والتاريخ .

ولعل من المفيد أن ننقل هنا مقتطفات من تصدير السيوطي فقد يعطينا فكرة واضحة عن طرق البحث والدرس في القرن التاسع الهجري أي الخامس عشر الميلادي .

كان موضوع الدرس تفسيره قوله تعالى :

(أنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا) .

فقال : الكلام على هذه الآية من جهات . الأولى سبب النزول ومكانه وزمنه . الثانية علم اللغة الثالثة علم الاعراب . الرابعة علم المعاني . الخامسة علم التفسير . أقول قدمت أولا الكلام على النزول وما يتعلق به . ومناسبة تقديمه ظاهرة وثبتت باللغة . وقدمتها على الاعراب لأنها تبين المعنى والاعراب فرعه ويتوقف على معرفته . وثالثت بالاعراب وقدمته على المعاني الذي . ثمرة الاعراب ثم تلاه المعاني . ولما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد .

وقد تناول كلا من هذه الموضوعات في بيان واف مدعم بالأدلة النقلية والعقلية ، من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وشواهد أدبية ومراجع لغوية ، فأعطانا هذا التصدير رغم صغر حجمه فكرة واضحة عن الطرق التي كانت تعتمد عليها المدارس الإسلامية ، وتطور الدراسات الإسلامية وأساليبها ، فقد بدأ السيوطي درسه بذكر المراجع التي طالعها فقال (طالعت على هذا التصدير ، الكشاف ، وتفسير الامام الرازي ، وتفسير الامام ابن العربي ، والبحر لأبي حيان وأسباب النزول للواحدى . وتفسير السجاوندى وينبوع الحياة لابن ظفر ، وصحاح الجوهري .

وللأزهر مكتبة فيها كتب قيمة ما بين مخطوط ومطبوع وكانت قبل ذلك خزانة كتب وقد تأسست المكتبة سنة ١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩ م - وكان بها عند انشائها ٧٧٠٠ مجلد . وفي أوائل هذا القرن كان عدد مجلداتها ٣٦٦٤٢ منها ١٠٩٣٢ من المخطوطات وكان في الاروقة مكتبات لطلابها ، فيها ٣٠٠٠٠ مجلد ضمت إلى مكتبة الأزهر فبلغ عدة ما فيها ٦٦٦٤٢ مجلدا .

لبث الأزهر أيام الدولة الفاطمية فضلا عن صبغته الجامعية التي استقرت وتوطدت على ممر الأيام ، وفضلا عن إقامة الجمع والصلوات الرسمية فيه ، مركزا لكثير من المظاهر والمناسبات الرسمية الأخرى .

فمن ذلك أنه كان مركز المحتسب وكان منصب المحتسب من أهم المناصب الدينية في الدولة الفاطمية وهو الثالث عندهم بعد قاضي القضاة وداعي الدعاة وعمله يتناول الأمر المعروف والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة وله نواب في جميع أنحاء القطر ويجلس بالجامع الأزهر وجامع مصر (جامع عمرو) يوما بعد يوم . وكانت مجالس القضاة تعتقد قبل قيام الجامع الأزهر بجامع عمرو والجامع الطولوني .

ومن ذلك أنه كان مركز الاحتفال الرسمي بالمولد النبي الكريم ففي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول يركب القاضي بعد العصر و معه الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة صواني الحلوى التي أعدت بالقصر لتفرق على أرباب الرسوم ، كقاضي القضاة وداعي الدعاة وقراء الحضرة والخطباء وغيرهم ، فيجلسون في الجامع مقدار الختمة الكريمة ثم يعودون في موكبهم إلى القصر ، وينتظرون تحت المنظرة التي يجلس فيها الخليفة ثم تفتح إحدى طاقات المنظرة ويبدو منها وجه الخليفة ، ثم يخرج واحد من الأستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليه السلام ، ويقراً القراء ويخطب الخطباء بترتيب معلوم ، فإذا انتهى الحفل أخرج الأستاذ يده مشيراً برد السلام كما تقدم ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس .

وكان الاحتفال المحزن بيوم عاشوراء ، أو ماتم عاشوراء يقام بالجامع الأزهر قبل انشاء المشهد الحسيني في سنة ٥٤٩ هـ ، وكان هذا الحفل من أغرب المظاهر المذهبية التي رتبها الدولة الفاطمية لآحياء ذكرى الحسين ، ففي العاشر من محرم يحتجب الخليفة عن الناس ،

وفي الضحى يركب قاضي القضاة والشهود ، وقد ارتدوا ثياب الحداد ، إلى الجامع الأزهر أو المشهد الحسيني فيما بعد في حفل من الأمراء والأعيان وقراء الحضرة والعلماء ثم يأتي الوزير فيتبوأ صدر المجلس ويجلس إلى جانب قاضي القضاة وداعي الدعاة والقراء يتلون القرآن ثم ينشد أشعارا في رثاء الحسن والحسين وآل البيت . ويضج الحضور بالبكاء والعيول ، ثم ينصرف الوزير إلى داره ويستدعى القوم إلى القصر وقد فرشت أروقته بالحصر بدل البسط ، فيجدون صاحب الباب في انتظارهم فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه والناس على اختلاف مراتبهم ويقرأ القراء وينشد المنشدون على النحو السابق . ثم يمد في القاعة سباط الحزن عند الظهر ، وليس فيه سوى العدس والألبان والأجبان الساذجة وأعسال النحل والخبز الأسود . ويدخل من شاء لتناول الطعام ، فإذا انتهى القوم انصرفوا إلى دورهم ، ويعم الحزن والنواح القاهرة في ذلك اليوم وتعطل الأسواق ويعكف الناس حتى العصر ثم تفتح الأسواق وتسترد العاصمة شيئا من نشاطها ومظهرها العادي ..

وفي ليالي الوقود الأربع وهي ليلة أول رجب نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه ، كان الخليفة يقصد في المساء منظره الجامع الأزهر ، وكانت بجواره من الجهة القبليّة وتشرف عليه . ويجلس الخليفة في هذه المنظره ومعه حرمه وذلك لمشاهدة الزينات المضيئة والاحتفالات الفخمة التي كانت تقام في تلك الليالي الشهيرة ، وإليك كيف يصف لنا المسبحي بعض هذه الليالي : قال في حوادث شهر رجب سنة ٥٣٨٠ هـ « وفيه يخرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالي الجمع وليلة النصف إلى جامع القاهرة » يعنى جامع الأزهر « عوضا عن القرافة وزيد فيه الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التنانير والقناديل والشمع على الرسم كل سنة . والأطعمة والحلوى والبخور في مجامر الذهب والفضة وطيف بها . وحضر القاضي بن النعمان ليلة النصف بالمتصورة ومعه شهوده ووجوه البلد ، وقدمت إليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون الناحة وأقام إلى نصف الليل وانصرف إلى داره بعد أن قدم إلى من معه أعممة من عنده وبخرهم .

وقال في حوادث شعبان في نفس السنة « وفي ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضي محمد بن النعمان في جميع

شهوده ووجوه البلد وأوقدت التناير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء وحمل إليهم العزيز بالله الأطعمة والحلوى والبخور فكان جمعا عظيما .

وهكذا كانت ليالى الوقود من المناسبات العامة التي يتبوأ فيها الجامع الأزهر مكانة خاصة فيخرج الناس إليه من كل فج ، ويبدو فيها المجد كأنه شعلة من نور وتضاء في جوانبه وعلى حافته المشاعل والوقدات الساطعة ويعقد في صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء .

كذلك كان الجامع مركزا لمجالس الحكمة الفاطمية وكان يحضرها الخليفة في معظم الأحيان ، وكان يقوم بالفاء الدروس كبراء الدولة كالوزراء وغيرهم من العلماء وكان يعهد بأمر الاشراف على تنظيم هذه الدعوة وبتبها إلى داعي الدعاة كما وضع لهذه المجالس نظم ورسوم خاصة ، وكان النساء يحضرن هذه المجالس في الأزهر أيضا وكانت الدعوة تنظم طبقا لمستوى الطبقات العلمية .

ومما هو جدير بالملاحظة أن أثر الأزهر في توجيه الحياة السياسية في المرحلة الأولى من حياته لم يكن عظيما ذلك أن الدولة الفاطمية كانت تحرص على سلطانها السياسي أشد الحرص وتغرق في التمسك بعصبيتها ولا تفسح كبير مجال لنفوذ العلماء ورجال الدين ، ولم تكن عنايتها بنشر دعوتها الدينية إلا توطيدا لدعوتها السياسية . أما في عصر سلاطين المماليك فقد لعب الأزهر دورا لا يستهان به في توجيه السياسة المصرية فقد كان السلاطين يلتجئون إليه تشبيتا لسلطانهم أو تأييدا لهم على أعدائهم أو رغبة في إصدار فتوى في صالحهم .

ومن المواقف الخالدة للأزهر في العصر الحديث ذلك الدور الذي قام به ابان الحملة الفرنسية فقد نزع رجاله الحركة الوطنية التي أدت في النهاية إلى طرد الحملة الفرنسية من الأراضي المصرية

وكان رجال الأزهر يعتبرون ممثلى الأمة في معنى من المعانى ، وكان منهم أعضاء الديوان الذى ألفه الفرنسيون لحكم مدينة القاهرة وكان لهم نفوذ واضح في سير الحوادث في ذلك الحين .

كان الإشراف على شئون الجامع الأزهر يجرى على نفس النمط الذى اتبع من قبل فى الإشراف على شئون المساجد الجامعة ، وكان هذا الإشراف يرجع غالبا إلى ولى الأمر سواء مباشرة أو بطريق غير مباشر. أما فيما يتعلق بإصلاحه وعمارته والانفاق عليه فأمره يرجع إلى الخلفاء أو من يختارونه لذلك من الأمراء والوزراء . وما تعلق بشئون الصلاة فيرجع إلى الخطيب وإلى عدد من الأئمة والقومة والمؤذنين . وكان الخطيب فى الواقع هو الرئيس الدينى وهو الذى يتولى الخطابة فى الصلوات الجامعة والحفلات الدينية الرسمية بين يدي الخليفة أو نائبه . ويدير شئون المسجد الدينية بوجه عام .

وأخذت وظيفة « خطيب الجامع الأزهر » تنمو فى الأهمية على مر الزمن تبعا لأهمية الأزهر نفسه ، فنراها فى أواخر الدولة الفاطمية تسند إلى رجال من أصحاب المناصب الدينية الرفيعة مثل داعى الدعاة ، أما إدارة المسجد الداخلية من فرش وتنظيف وتجميل فترجع إلى المشرف ومعاونيه من العمال والخدم .

واستمر هذا النظام فى الإشراف وإدارة الأزهر متبعا فى جوهره إلى العصر المملوكى ، فقد كان يلى الخطابة فى الأزهر أكابر القضاة والعلماء ، كما يشغل منصب الإمام أيضا بعض العلماء وصاحبه يلى الخطيب فى الأهمية ويعاونه فى القيام بشئون العبادات وثمة منصب هام آخر هو منصب الواعظ ويليه أيضا جماعة من أكابر العلماء .

أما نظام مشيخة الجامع فإنما هو نظام حديث يرجع على الأكثر إلى أوائل العصر التركى .

ومازال هذا النظام ، نظام المشيخة قائما بالجامع الأزهر إلى يومنا ، حيث يقوم شيخ الأزهر على رياسته الدينية والادارية .

ويعت نظام المشيخة إلى التغيرات التى أحدثها العثمانيون فى الوظائف الدينية الكبرى وقد كان لشيخ الجامع الأزهر وعلمائه نفوذ خاص يستعينه ولاية الأمر كلما اقتضت الظروف والحوادث ، وقد بلغ هذا النفوذ فيما بعد مبلغ الرياسة والزعامة فى أواخر القرن الثالث عشر

الهجرى (أواخر القرن التاسع عشر الميلادى) ولاسيما وقت مقدم الحملة الفرنسية حيث كان لشيوخ الأزهر رأى بارز فى معظم الحوادث والشئون الداخلية .

وإذا كنا لم نوفق إلى العثور على أسماء العلماء الذين تولوا مشيخة الأزهر قبل أوائل القرن الحادى عشر الهجرى لنقص الوقائع والمراجع ، وذلك لأن العصر التركى هو أكثر العصور فى تاريخ مصر الإسلامية غموضا واضطرابا وأقلها وثائق ومراجع فإننا نورد فيما يلى قائمة بأسماء شيوخ الجامع الأزهر من القرن الثانى عشر الهجرى مرتبة ترتيبا زمنيا مع ذكر نبذة صغيرة عن ترحم له منهم :

شيوخ الأزهر

- ١ - الشيخ محمد عبد الله الخرشى المالكى توفى سنة ١١٠١ هـ . نسبة إلى بلدة يقال لها أبو خراش من البحيرة . وكان كريم النفس ورعا زاهدا . وله شرح على متن خليل .
 - ٢ - الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى الشافعى وبقي فيها إلى أن توفى سنة ١١٠٦ هـ .
 - ٣ - الشيخ محمد النشرقى المالكى : توفى سنة ١١٢٠ هـ .
 - ٤ - الشيخ عبد الباقي القلينى . مالكى : توفى سنة ١١٢٣ هـ .
 - ٥ - الشيخ محمد شنن . مالكى : توفى سنة ١١٣٣ هـ وكان الشيخ شنن هذا أغنى أهل زمانه بين أقرانه .
 - ٦ - الشيخ إبراهيم موسى الفيومى . مالكى : توفى سنة ١١٣٧ هـ وله شرح على العزية فى الفقه فى مجلدين .
- وبعد الشيخ الفيومى انتقلت المشيخة إلى الشافعية فتولاها .

٧ - الشيخ عبد الله الشبراوى : شافعى . توفى سنة ١١٧١ هجرية وكان محدثا عالما فى أصول الأدب والاحترام ، وصار لأهل العلم فى مدته رفعة ومقام ومهابة عند الخاص والعام . ولم يزل يدرس ويملى ويفيد ، حتى صار إماما عظيما وكان مقبول الشفاعة . وهاداه الأمراء وعمّر دارا عظيمة على بركة الأزبكية بالقرب من الرويعى ومن آثاره (شرح الصدر فى غزوة بدر) و (مفاتيح الألفاظ فى مدائح الأشراف) .

٨ - الشيخ محمد بن سالم الحفنى الخلوأتى : شافعى توفى سنة ١١٨١ هـ كان عابدا ومن مؤلفاته حاشية على شرح العضد للسعد .

٩ - الشيخ عبد الرؤوف السجيني : نسبة إلى سجين قرية من مديرية الغربية توفى سنة ١١٨٢ هـ .

١٠ - الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى : نسبة إلى دمنهور توفى سنة ١١٩٢ هـ ومن مؤلفاته شرح الجواهر المكنون .

١١ - الشيخ أحمد العروسى شافعى : توفى سنة ١٢٠٨ هـ .

١٢ - الشيخ عبد الله الشرقاوى شافعى : توفى سنة ١٢٢٧ هـ .

وكان عهده من أكثر العهود اضطرابا وفيه كانت الحملة الفرنسية ، ويعتبر من أعظم الشيوخ الذين تولوا هذا المنصب وهو من الطويلة ، قرية صغيرة جهة العين من مديرية الشرقية وبعده انقسم الشيوخ . فبعضهم اختار الشيخ المهدي الكبير وكان شيخا بالاسم ، لأنه لم يصدق على مشيخته وسرعان ما خلفه .

١٣ - الشيخ محمد الشنوائى ، من شنوان قرية بالمنوفية كان شافعى المذهب ، وكان درسه بالجامع المعروف بالفاكهانى بجوار سكناه بحوش قدم ، وكان مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس . وكان يشمر ثيابه ويخدم نفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل . ولما اختاروه لشيخة الأزهر هرب إلى مصر العتيقة فأحضره قهرا عنه وقلدوه المشيخة . ولم يترك ملازمة الجامع الفاكهانى كعادته . وأقبلت عليه الدنيا

فلم يحفل بها وكان يتعلل بالمرض أشهراً ثم انقطع في داره إلى أن توفي رحمه الله ، وصلى عليه في الجامع الأزهر في مشهد رهيب ودفن بترربة المجاورين وكان يجيد حفظ القرآن وقرأ مع فقهاء (الجوقة) في الليالي ، وله حاشية مشهورة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهري .

١٤ - الشيخ محمد العروسي توفي سنة ١٢٤٥ هـ .

١٥ - الشيخ أحمد بن علي الدهوجي توفي سنة ١٢٤٦ هـ نسبة إلى دمهوج قرية قرب بنها .

١٦ - الشيخ حسن بن محمد العطار : توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

كان أبوه فقيراً عطاراً له المام بالعلم وكان يستخدم ابنه هذا في صغار شئون الدكان ويعلمه البيع والشراء فاختلف إلى الجامع الأزهر خفية عن أبيه حتى قرأ القرآن وجد في التحصيل على كبار المشايخ كالشيخ الصبان والشيخ الأمير . ولما دخل الفرنسيون مصر فر إلى الصعيد كجماعة من العلماء ، ولما رجع اتصل بهم فكان يستفيد منهم ويفيدهم اللغة العربية وكان يقول «إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف مما ليس فيها وتستفيد مما وصلت إليه تلك الأمة من المعارف والعلوم وكثرة كتبهم وتحريرها وتقريبها لطرق الاستفادة . ثم ارتحل إلى الشام وكان يقول الشعر بدون اهتمام به كما هو عادة كثير من العلماء . وله رسائل في الطب ، والتشريح ، والرمل ، والزابرجة وكان يرسم بيده المزاويل النهارية والليلية .

١٧ - الشيخ حسن القويسني : نسبة إلى قويسنا توفي سنة ١٢٥٤ هـ كان مع انكفاف بصره مهيباً جداً عند الأمراء وغيرهم .

١٨ - الشيخ أحمد الصائم السفطي - نسبة إلى سفظ العرفاء قرية جهة الفشن بمديرية المنيا توفي سنة ١٢٦٣ هـ .

١٩ - الشيخ إبراهيم الباجورى من الباجور - بمديرية المنوفية - توفى سنة ١٢٧٧ هـ كان قويا فى علمه ضعيفا فى إدارته وكان المرحوم عباس باشا الأول يزوره فى درسه . وبعد موته بقى الأزهر مدة بلا شيخ وكان يشرف عليه مجلس مؤلف من أربعة وكلاء تحت رئاسة الشيخ مصطفى العروسى . وهم : الشيخ العدوى المالكي والشيخ الحلبي الحنفي والشيخ خليفة القاشنى ، والشيخ مصطفى الصاوى الشافعيان . وكان هذا المجلس قد ألف لمباشرة أمور الأزهر بعد أن ضعف الشيخ الباجورى وكثرت حوادث الأزهر ولما كانت سنة ١٢٨١ هـ تقلد المشيخة .

٢٠ - الشيخ مصطفى العروسى : كآبيه وجده إلى عام ١٢٨٧ هـ ولقد أبطل الشيخ العروسى كثيرا من البدع كالشحاذه بالقرآن وعزم على إدخال الامتحانات بالأزهر ففجأه العزل عن المنصب فنفذها خلفه .

٢١ - الشيخ محمد العباسى المهدي الحنفي: وهذا أول انتقال للمشيخة للحنفية فسار فيها سيرا حسنا ودان له الخاص والعام من أهل الأزهر . وقلت على يده الشرور وكثرت فى عهده المرتبات ، وكان الخديوى اسماعيل يؤيده تأييدا قويا ، وتقهر وقتنا ما أمام الشيخ الامباني فى فتنة سنة ١٢٩٩ هـ ولكن سرعان ما عاد إلى منصبه وظل فيه إلى ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ فخلفه .

٢٢ - الشيخ محمد الامباني : كان خصما قويا لكل تجديد ، وفى عام ١٣١٣ هـ ترك منصبه فخلفه .

٢٣ - الشيخ حسونة النواوى الحنفي : وأضيف إليه منصب الافتاء بعد وفاة الشيخ محمد المهدي العباسى المقتى عام ١٣١٥ هـ وأقبل أول عام ١٣١٧ هـ وخلفه ابن عمه .

٢٤ - الشيخ عبد الرحمن النواوى الحنفي : فى عام ١٣١٧ هـ وتوفى بعد شهر من توليته .

٢٥ - الشيخ سليم البشرى المالكي : وظل فيها إلى أن استقال منها فى سنة ١٣٢٠ هـ .

٢٦ - الشيخ السيد على الببلاوى : المالكي ولى المشيخة بعد استقالة الشيخ سليم البشرى فى سنة ١٣٢٠ هـ وظل فيها إلى أن استقال منها فى أول عام ١٣٢٣ هـ فخلفه .

- ٢٧ - الشيخ عبد الرحمن الشريبي : واستقال سنة ١٣٢٧ هـ فعاد إلى المشيخة .
- ٢٨ - الشيخ حسونة التواوى : للمرة الثانية واستقال فى السنة نفسها فتولاها ثانية .
- ٢٩ - الشيخ سليم البشرى : ولما توفى فى سنة ١٣٣٥ هـ تولاها .
- ٣٠ - الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى : إلى سنة ١٣٤٦ هـ ثم خلفه .
- ٣١ - الشيخ محمد مصطفى المراغى : إلى أن استقال فى سنة ١٣٤٨ هـ وخلفه .
- ٣٢ - الشيخ محمد الأحمدى الطواهرى : وظل بها إلى أن استقال منها فى عام ١٣٥٤ هـ فعاد إليها .
- ٣٣ - الشيخ محمد مصطفى المراغى : للمرة الثانية وظل فيها إلى أن توفى فى عام ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م فخلفه .
- ٣٤ - الشيخ مصطفى عبد الرازق : وظل فيها حتى توفى سنة ١٩٤٧ م وخلفه .
- ٣٥ - الشيخ محمد مأمون الشناوى : فى سنة ١٩٤٨ م وظل فيها حتى توفى سنة ١٩٥٠ م وخلفه
- ٣٦ - الشيخ عبد المجيد سليم : فى سنة ١٩٥٠ م وأعنى منها فى سنة ١٩٥١ م وخلفه .
- ٣٧ - الشيخ إبراهيم حمروش فى سنة ١٩٥١ م وأعنى منها فى سنة ١٩٥٢ م وخلفه للمرة الثانية .
- ٣٨ - عبد المجيد سليم فى سنة ١٩٥٢ م واستقال منها فى السنة نفسها وخلفه .
- ٣٩ - الشيخ محمد الخضر حسين : فى سنة ١٩٥٢ م واستمر فيها إلى أن استقال منها فى سنة ١٩٥٤ م وخلفه .
- ٤٠ - الشيخ عبد الرحمن تاج : فى سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٥٨ م وخلفه .
- ٤١ - الشيخ محمد شلتوت : فى سنة ١٩٥٨
- ٤٢ - الشيخ حسن مأهون فى سنة ١٩٥٨ م إلى سنة ١٩٧٠ م
- ٤٣ - الشيخ محمد الفحام فى سنة ١٩٧٠ وحتى الآن

ونلاحظ أن الحنابلة لم يتعين أحد منهم شيخاً للأزهر في تاريخه . وذلك راجع إلى قتلهم وأن النزاع قام على أشده غير مرة بسببها .

هذا وقد أشرنا إلى بعض الإصلاحات التي تمت في عهود بعض هؤلاء الشيوخ في الفصل الآتي :

لما قدم المصلح الإسلامي الكبير السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر سنة ١٨٧١ م وأخذ يعقد حلقاته المشهورة ، ويشرح فيها علوم الكلام والفقه والفلسفة والمنطق وغيرها بطريقة عصرية مبتكرة إلتفت حوله عدة من نوابغ الطلاب والشيوخ الأزهريين . فكانت هذه الحلقات حدثاً فكرياً . وكانت عاملاً في تغذية الروح الجديد الذي سرى إلى الحركة الفكرية الإسلامية ، وفي هذه الفترة بالذات ظهرت الآثار الأولى لهذا التطور في الأزهر . وأصاب الأزهر قسط من الإصلاح وصدر أول قانون نظامي للأزهر سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧٢ م في عهد الشيخ محمد المهدي العباسي وقد نظم هذا القانون طريقة الحصول على الشهادة العالمية ، ونص على أن يمنح الناجح من الدرجة الأولى كسوة التشريف العلمية ، وكان هذا القانون أول خطوة عملية في تنظيم الحياة الدراسية بالجامع الأزهر .

وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأت الحكومة في إصلاح الدراسة بالأزهر فبعد أن كانت الدراسة مقصورة على العلوم الدينية أضيفت إليها مواد أخرى بمقتضى قانون صدر في سنة ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م حتى تتمشى مع ركب الحضارة وتساير الزمن ويرجع الفضل في ذلك إلى الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، فقد عمل على أن تقوم الدراسة بالأزهر على دعائم ثابتة وذلك بأن تخصص الحكومة مرتبات ثابتة للمدرسين كما عمل على إنشاء كثير من المعاهد الدينية التابعة للأزهر بعواصم المديرية .

وفي عام ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م صدر قانون آخر نقل إلى الأزهر جميع المواد التي كانت مقررة في المدارس الابتدائية والثانوية وبعض المدارس العليا ما عدا اللغات الأجنبية .

وقد ظل الأزهر لا يدرس هذه اللغات حتى أدخلها الشيخ محمود شلتوت عام (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) كمادة من المواد الأساسية في الدراسة .

وقد توالى قوانين الإصلاح في الأزهر ، فصدر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ في عهد المشيخة الثانية للشيخ سليم البشري ، فانتقل به الأزهر إلى مرحلة أخرى من التنظيم ، إذ نص فيه على اختصاص شيخ الجامع الأزهر ، وأنشئ للجامع مجلس تحت رئاسة شيخه يسمى (مجلس الأزهر الأعلى) ووضع فيه نظام لهيئة كبار العلماء وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخ ولكل معهد من المعاهد مجلس إدارة .

وعندما أنشئت كلية دار العلوم وكذلك الجامعة المصرية ، كان على الأزهر أن يخطو خطوة جديدة حتى يستطيع أن يقف أمام هذه المعاهد المنشأة فصدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ في عهد الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ينظم الدراسة بالأزهر نظاما جديدا . فقسمت الدراسة به إلى ثلاث مراحل : المرحلة الابتدائية ومدتها أربع سنوات والمرحلة الثانوية ومدتها خمس سنوات والمرحلة الثالثة ومدتها أربع سنوات وتنقسم إلى ثلاث كليات : كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية ، ثم بعد ذلك سنتان للتخصص وللحصول على شهادة العالمية .

ونقل هذا القانون الطلاب من المساجد إلى المباني النظامية . واستبدل بنظام الحلقات نظام المحاضرات وأصبح يطلق عليها اسم « الجامعة الأزهرية » .

وفي سنة ١٩٣٦ م في عهد الشيخ محمد مصطفى المراغى صدر قانون اختصر مناهج بعض العلوم الحديثة وجميع المواد المتجانسة بأقسام التخصص بعضها إلى بعض .

وفي عام (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) نقل الشيخ محمود شلتوت معهد القراءات للدراسة داخل الأزهر ، مع إعداد برنامج دراسى خاص فى موضوعات إسلامية تعيد للأزهر طابعا يمتاز به وهو تمكين الناس من طلب العلم . غير مقيدين بزمن ولا منهج ولا امتحان .

وهكذا يظل الأزهر مصدر إشعاع علمي ، سواء في داخل المسجد أو في مباني الكليات والمعاهد أو في مدينة البحوث الإسلامية .

ومسيرة لركب الحضارة واستكمالاً لرسالة الأزهر أنشئت مدينة الأزهر الجامعية قريباً منه . وقد بنيت طبقاً لأحدث ما وصل إليه فن المعمار في بناء المدن الجامعية وفيها مساكن الطلبة المشتملة على كل وسائل الراحة وزودت بالمكتبات وقاعات المحاضرات والعرض التي تتسع لآلاف الطلبة . وقد أصبحت هذه المدينة بحق رمزا لعظمة الأزهر ورسالته التي يضطلع بها في أنحاء العالم الإسلامي .

وفي سنة ١٩٦١ م صدر قانون جديد بتنظيم الأزهر وهو القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ولقد صدرت عدة قوانين بتنظيم الأزهر ولكن لم يكن من بينها قانون كهذا القانون تناول الأزهر من جذوره إلى قمته بالتنظيم والتغيير في أسسه ونظمه وخططه فتناول جمعيات المحافظة على القرآن الكريم وعهد بالإشراف عليها إلى الأزهر وجعل من طلبتها الخلية الأولى لتغذية الأزهر ومعاهده العلمية كما تناول كليات الطب والزراعة والهندسة إلى جانب كليات الشريعة وأصول الدين والدراسات الإسلامية والعربية وبذلك جمع بين علوم الدنيا والدين وفتح الكون على مصراعيه أمام طالب الأزهر .

وبهذا التنظيم الجديد لن يكون خريج الأزهر بعد اليوم رجال دين فحسب « يتخذون منه حرفة ومهنة ويعيشون باسمه ورسمه » بل سيكونون رجال دنيا ودين لهم من ثقافتهم وخبرتهم وكفائتهم ما يبني لهم فرص العمل في كل ميدان من ميادين العلم والعمل وفي كل مجال من مجالات الإنتاج في المجتمع الذي يعيشون فيه بل في العالم الإسلامي يحققون مطالبه ويلبون حاجاته .

وفي الحق أن هذا القانون يعد بعثاً جديداً من شأنه أن يجدد أمجادنا لنا سلفت يوم كان من علماء الإسلام الأولين علماء في الطب وفي العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية وغيرها كما كان منهم أصحاب فن ومهنة يعيشون للدين ويشاركون في الحياة ويتفاعلون معها .

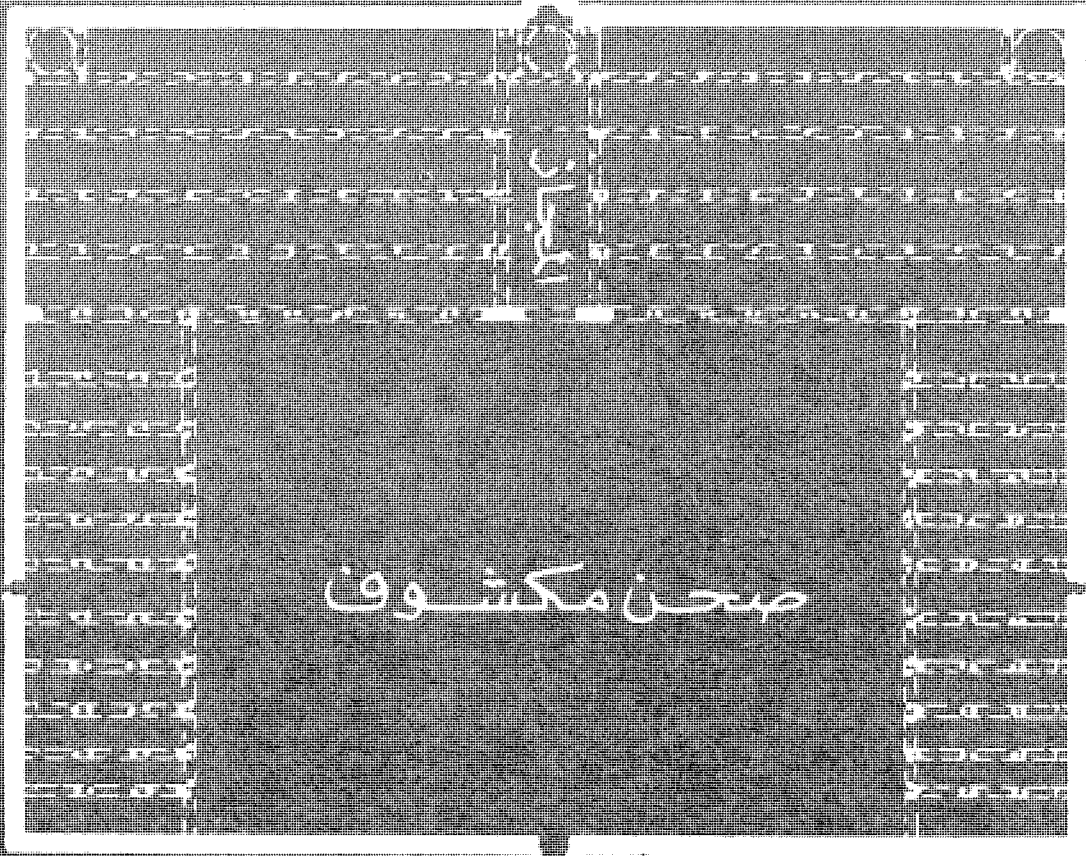
ومن حسنات هذا القانون أنه قرر إنشاء مجمع للبحوث الإسلامية ، يشترك فيه علماء المسلمين من كل البلاد الإسلامية فهو جماعة إسلامية عالية تقوم بمناقشة البحوث الإسلامية في مختلف بلاد المسلمين وتجديد ثقافة الإسلام والدعوة إليه والذود عنه .

وقد قال عنه فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت رحمة الله عليه أن هذا التنظيم الجديد للأزهر الذى يحقق مبادئ الإسلام فى الإنسانية الفاضلة ، والذى يفتح لأبناء الأزهر أبواب العمل فى جميع نواحي الحياة ويحقق آمال المسلمين فى بقاع الأرض فى معهدهم العتيق ليعتبر الحد الفاصل بين أزهر المعز لدين الله وبين أزهر جمال عبد الناصر .

وصف الجامع

إذا كان جامع عمرو بن العاص أول جامع أسس بالفسطاط فالجامع الأزهر أول جامع أسس بالقاهرة ، ولكل منهما زعامته ورسالته ، والجامع الأزهر الذى نراه اليوم ليس هو الجامع الفاطمى وحده الذى وضع أساسه جوهر الصقلى سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) . بل هو مجموعة من الآثار ضمت إليه فى أزمنة مختلفة سائير إليها فى حينها .

كان مسطح الجامع عندما بناه جوهر الصقلى يقرب من نصف مسطحة الحالى ثم ما لبث أن أضيفت إليه بنايات أخرى فى أزمنة متعددة ، حتى وصل إلى الحالة التى هو عليها الآن . وأول ما يقابل الداخل إليه من الناحية البحرية (المواجهة لميدان الأزهر الآن) بابان متجاوران يعرفان ببابى المزينين أنشأهما الأمير عبد الرحمن كتحدا بسنة ١١٧٦ هـ (١٧٥٢ م) وهما يؤديان إلى مجاز محصور بين مدرستين أحدهما اليسرى (الشرقية) وتعرف باسم « المدرسة الاتبغاوية نسبة إلى منشئها الأمير (أقبغا عبد الواحد) سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) وتشغلها الآن مكتبة الأزهر . وهذه المدرسة محراب زينت حنيتها ، أى محرابه ، وكوشة العقد الفسيفساء المذهبة والمتعددة الألوان ، ويعد محراب هذه المدرسة من أبدع محاريب القاهرة . والمدرسة الثانية هى « المدرسة الطيبرسية » نسبة إلى منشئها الأمير (طيبرس العلانى) سنة ٥٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) وقد جعلت الآن كملحق للمكتبة وبها محراب مزخرف بالفسيفساء الرخامية والأعمدة الخزفية ذات اللون الرجوازى النادر بطريقة تعتبر آية فى الدقة والابداع . وقد أصلح واجهة هذه المدرسة الأمير عبد الرحمن كتحدا . إلا أنه احتفظ



صحن مكشوف

الجامع الأزهر انفاطهي الأصل

بشبابيكها المكونة من أشكال هندسية صنعت من التحاس المصبوب الذى لم يستخدم إلا فى بضعة آثار أخرى .

وينتهى المجاز من الناحية القبلىة بباب تجاوره مثذنة وكلاهما (الباب والمثذنة) من إنشاء السلطان قايتباى سنة ٨٧٣هـ (١٤٥٨م) وفيها بلغت صناعة الزخرف فى الحجر غاية الإبداع. ومن المرجح أن يكون هذا الباب قد حل محل الباب الأصلى للجامع حين إنشائه ومنه نصل إلى صحن مكشوف مستطيل الشكل تحيط به الأروقة من ثلاث جهات خمسة منها فى الرواق الشرقى ، وثلاثة فى كل من الرواق القبلى والبحرى ، أما الرواق الغربى ، فخلو منها ، وواجهات الأروقة الأربعة محمولة على عقود ذات زوايا منكسرة . وفى وسط الرواق الشرقى مجاز يتجه عاموديا على المحراب القديم . ويعلو مقدمة هذا المجاز من عند الصحن ، قبة محمولة على أعمدة وأكتاف . وعقود هذا المجاز تعتبر أقدم عقود فى هذا الرواق . وعقود المجاز وسقفه مرتفع عن باقى الرواق ، وقد حليت عقودها وواجهاتها بنقوش نباتية جميلة وكتابات كوفية مزهرة . وبأعلى الجدار الأصلى للجامع توجد شبابيك ، القديمة منها ذات عقود مستديرة ، وهى جصية ومفرغة بأشكال هندسية يتخللها زجاج متعدد الألوان . ويحيط بهذه النوافذ إفريز من المخطط الكوفى المزخرف بآيات من القرآن الكريم . وما زالت بقايا هذه الشبابيك تحدد الجامع القديم من جهاته الثلاث الشرقىة والجنوبىة والشمالىة . وكان طرفا الرواق الأول ينتهى بقببتين غير موجودتين الآن ، ولكننا استنتجنا وجودهما من قبل من عدة أمور .

أولا - من تصميم جامع الحاكم .

ثانيا - مما جاء فى المقرئزى خاصا بهذه القباب .

ثالثا - مما جاء فى حجة وقف الحاكم على المسجد ونصه : « ما قدر لصيانة القباب فوق السطح » .

أما الجزء المرتفع الكائن خلف هذا الإيوان حتى الجدار القبلى الحالى فهو من إنشاء عبد الرحمن كتحذا أيضا ، وهو صاحب المدفن الكائن غربى هذا الجزء داخل باب الصعايدة .

(١) تعرف هذه العقود فى الانجليزية باسم (Keel arch) .

كذلك توجد في الجهة الجنوبية الشرقية للجامع المدرسة الجوهريّة التي أنشأها جوهري القنقباي سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ثم زاوية العميان المنشأة سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) وفي النهاية نجد مدفنا صغيرا .

ويعلو واجهة الجامع الأزهر مئذنة عالية تقع في اليسار من مئذنة قايتباي تكاد تكون فريدة بين مآذن مصر ، فبناها العلوي مكون من ستة عشر ضلعا بينما أضلاع باقي المآذن لا تتجاوز الثانية ، كما أن هذه المئذنة كسيت من الخارج ببلاطات من القيشاني الجميل ، وتنتهي المئذنة برأسين بدل رأس واحد ، ولم يسبقها إلى ذلك سوى منارة مدرسة السلطان أبي النصر جانبلاط التي أنشأها تجاه باب النصر حوال سنة ٩٠٥ هـ (١٥٠٠ م) ثم منارتين أخريين بناهما الأمير قاي باي السيفي أمير اخور سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) أما منارة الأزهر ذات الرأسين فقد بناها السلطان الغوري آخر سلاطين دولة المماليك الجراكسة سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) .

ومن الأساطير التي يرويها القريري عن الأزهر ، أنه كان به طلسم فلا يسكنه عصفور ولا يمام وكذا سائر الطيور ، وهو صور ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فكان منها صورتان في مقدمة الجامع بالرواق الخامس والصورة الثالثة على أحد العمودين اللذين على يسار سدة المؤذنين .

أما الإصلاحات التي أدخلت على الجامع الأزهر في العصور المختلفة ففيها يلي بيانها :

إصلاحات العصر الفاطمي

وعلى الرغم من الأعمال الشاذة التي كان يقوم بها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ابن العزيز بالله ، فانه عني عناية خاصة بالمساجد والجامع فقد جدد الأزهر وأوقف عليه وعلى الجامع الحاكمي وغيرهما عدة أوقاف ، كما جعل للجامع الأزهر تنورين وسبعة

وعشرين قنديلا من فضة وشرط أن تعلق في شهر رمضان وتعاد إلى مكان جرت العادة أن تحفظ به. وقد بقي من عمارة الحاكم بأمر الله للأزهر، حتى الآن، باب ذو مصراعين من خشب قرو تركي، مكون من حشوات مزخرفة بزخارف نباتية وهندسية محفورة حفرا عميقا حتى أنها تبدو وكأنها مفرغة، ويبلغ ارتفاع الباب ٣٢٠ متر، ويعلو الباب حشوات عليها شريط من الكتابة بالخط الكوفي الزهر ونصه: «مولانا أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه» وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

ومن الخلفاء الذين قاموا بعمارات كبيرة في الجامع الأزهر الخليفة الأمر بأحكام الله، فقد أمر أن يعمل محراب له فعمل له محراب من خشب قرو تركي، أما الحشوات فمن خشب النبق، وقد زخرف بنقوش نباتية وهندسية غاية في الدقة والإبداع، وعلى جانبي تجويف المحراب عمودان رشيقان. ويعلو المحراب لوح مكتوب فيه بالخط الكوفي ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين. إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا. مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك (في الأصل المبارك) يرسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة، مولانا وسيدنا المنصور ابن علي الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ابن الامام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آبائهم الطاهرين بنى الهداة الراشدين وسلم تسليما إلى يوم الدين في شهر سنة تسع عشرة وخمسمائة الحمد لله وحده». والمحراب محفوظ بمتحف الفن الإسلامي.

وأول عمارة غيرت من معالم الجامع الأصلي، حدثت في عهد الحليفة الحافظ لدين الله، فقد بقي الجامع على حالته حتى تراءى للحافظ أن يزيد في مساحة الأروقة وذلك في سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) فلم يجد متسعا سوى الصحن، فأضاف إليه رواقا يحيط من جهاته الأربع وأقام على رأس المجاز قبة، وهي التي ما تزال قائمة حتى الآن، وقد حفلت جوانبها وقبتها بالنقوش الجصية البارزة الجميلة وكذا بالكتابات الكوفية، وكلها آيات قرآنية من أول سورة يس، وآية الكرسي وغيرها. ويحيط بالمقرنصات التي تركز عليها رقبة

القبة ، شريط من الكتابة الكوفية « بسم الله الرحمن الرحيم إن ربكم الله الذى يخلق السموات والأرض ، إلى قوله تعالى : ادعوا ربكم تضرعا وخفية » .

كذلك أنشأ الأمر بأحكام الله مقصورة جميلة تجاور الباب الغربى عرفت باسم مقصورة فاطمة . وتروى الأساطير عن سبب هذه التسمية أن السيدة فاطمة الزهراء رضيت الله عنها رويت بها فى المنام .

وكان آخر خلفاء الدولة الفاطمية هو العاضد الذى توفى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) . وبموته انتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مائتى سنة وثمان سنين وخمسة أشهر .

الأزهر فى العصر الأيوبي

لقد أفل نجم الجامع فى العصر الأيوبي ، فقد حارب صلاح الدين منذ اللحظة الأولى التى استقل فيها بحكم مصر سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) المذهب الشيعى ثم عمل جاهدا على مؤازرة المذهب السنى ، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر عملا بالمذهب الشافعى وهو امتناع خطبتين للجمعة فى بلد واحد ، إكتفاء بإقامتها بجامع الحاكم . وظل الأزهر مهملا مدة مائة عام تقريبا ، إلى أن أعيدت إليه الخطبة فى أيام السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى لهذا لم يعن بالجامع من الناحية المعمارية ولم تتناوله يد الإصلاح والتعمير فى هذا العصر . واستمرت الحال على ذلك حتى كانت سنة ٦٦٥ هـ حين جدد الأمير عز الدين إيدمر الحلبي الأجزاء التى كانت قد تصدعت فى الجامع وكان الدافع المباشر لهذه العمارة ، هو أن الأمير عز الدين كان مجاورا بالسكنى للجامع ، إذ كانت داره مكان المعرسة الإقبغاوية الآن ، فراعى حرمة هذا الجوار ، وانتزع الأرض التى كانت قد اغتصبت من ساحة الأزهر ، كما جمع له كثيرا من التبرعات والأموال كذلك أطلق له السلطان مبلغا كبيرا من المال . ثم شرع الأمير عز الدين فى تجديده ، فعمر الواهى من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقفه وبلطه وفرشه وكساه ، حتى عاد للجامع بعض رونقه ودبت فيه الحياة وعاد حرما بعد أن

كاد البلى أن يأتي عليه . كذلك استحدث فيه الأمير عز الدين مقصورة كما أنشأ به الأمير بيلبك الخازندار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على المذهب الشافعي ومحدثا بشرح الأحاديث النبوية ووقف على ذلك الأوقاف الدرارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ومدرسا. وأقيمت فيه الجمعة يومئذ وحضرها الأمراء والكبراء وكان يوما مشهودا وبعد الفراغ من أداء فريضة الجمعة قام الأمير إلى داره ومعه الأمراء والعلماء وعلية القوم ، فقدم لهم ما لذ وطاب من أصناف الطعام ، ثم أخذ من العلماء مخطوطا بجواز الجمعة فيه ، وقد وجد الناس في ذلك تيسيرا لهم ورفقا بهم لقرب الجامع الأزهر من الحارات والمساكن التي يقيمون فيها ، إذ أنه يتوسط مدينة القاهرة وكانت الخطبة قد انقطعت من الأزهر في أيام صلاح الدين الأيوبي ، كما قلنا، وأقرت في الجامع الحاكم. وكان متولى وظيفته قاضي القضاة في ذلك الوقت صدر الدين عبد الملك ابن درباس ، فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع إقامة حطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو المذهب الشافعي ، ولم يزل الجامع الأزهر هكذا معطلا من إقامة الجمعة نحو مائة عام ، فلما استولى الملك الظاهر بيبرس على الملك ، أعيدت فيه الخطبة ، وكان أن تحدث في إعادتها مع قاضي القضاة ، ابن بنت الأعرز فأبى وأصر على رأيه فعزله وولى مكانه قاضيا حنفيا فأذن في إعادتها .

الأزهر في العصر المملوكي

لقد عنى ملوك وأمراء العصر المملوكي بالجامع الأزهر فاعادوا إليه الخطبة وإقامة صلاة الجمعة ، ثم اهتموا بعمارته وتجديده ، كما أنهم أنشأوا به كثيرا من الإضافات والزيادات نلخصها فيما يلي :

من الأعمال التي قام بها الظاهر بيبرس والتي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم منبر لم يبق منه إلا لوحته التذكارية المحفوظة بمتحف الجزائر ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر يعمل هذا المنبر المبارك لجامع الأزهر مولانا السلطان الملك الظاهر المجاهد المرابط المؤيد المنصور وركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالح قسيم أمير المؤمنين بالديار المصرية أعز الله أنصاره ، بتاريخ الثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية .

كذلك لا تزال الزخارف الجصية الدقيقة التي أجراها الظاهر بيبرس ، والتي تعلق المحراب القديم، باقية حتى اليوم، وكذا الكسوة الخشبية التي كانت تغطي طاقته بزخارفها .

وفي عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) حدث بمصر زلزال شديد سقطت بسببه أجزاء كثيرة من الجامع الأزهر وكذا من جامع الحاكم وجامع عمرو وغيرها من المساجد بمصر فتقام أمراء الدولة عمارة الجوامع ، فتولى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة جامع الحاكم، وتولى الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح طلائع وتولى الأمير سلالر عمارة الجامع الأزهر فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها .

وفي سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) بنيت المدرسة الطبرسية التي أنشأها الأمير علاء الدين طبرس الخازندار نقيب الجيوش بالديار المصرية في دولة الناصر محمد بن قلاوون . ويحكى عنه ، أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضروا إليه كشفاً يبين مقدار ما أنفقته في بنائها من مال ، فطلب طستا به ماء وغسل أوراق الحساب كلها من غير أن يقف على شيء منها وقال : « شيء خرجنا منا لله لا نحاسب عليه ، وقد أوقف عليها أوقافاً جليلاً » .

وقد وصفت هذه المدرسة في الخطط المقرزية بأنها : من المدارس الملحقه بالجامع الأزهر وهي غربية مما يلي الجهة البحرية ، أنشأها الأمير علاء الدين طبرس وجعلها مسجداً لله تعالى زيادة في الجامع الأزهر وقرر بها درساً للقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء سبيل ترده الدواب ، وتأنق في رخامها وتذهيب سقوفها حتى جاءت في أبداع زى وأبهج ترتيب وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ هـ ، وكان لها بسط تفرش في يوم الجمعة وكان لها إمام راتب ، وكان فيها خزانة كتب وخزن كثيرة . ولما توفي سنة ٧١٩ هجرية دفن بالطبرسية » .

وفي سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) جددتها الأمير عبد الرحمن كنتخدًا ، بعد أن ذهبت كل الأوقاف التي أوقفت عليها ، كما جددت مرة ثانية سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) وفي سنة ١٣١٤ هـ اتخذت ملحقا لمكتبة الأزهر ، بعد أن نقلت طلبتها إلى الرواق العباسي .

وفي سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) جددت عمارة الأزهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن علي الاسعودي محتسب القاهرة ، وفي سنة ٧٤٠ هـ أنشئت المدرسة الأقبغوية وهي التي تشغلها الآن جزء من مكتبة الجامع الأزهر، كما سلف القول، وقد بنى هذه المدرسة الأمير علاء الدين أقبغا مقدم المماليك في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ويصف المقرئ^(١) هذه المدرسة في خطه فقال: « إن المدرسة الأقبغوية بجوار الأزهر على يمنة الداخل إليه من بابه الكبير الغربي (باب المزينين الآن) تجاه المدرسة الطيبرسية. وكان موضعها دار الأمير الكبير إيدير الحلّي نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر . كما أنشأ الأمير أقبغا ميسضة للجامع الأزهر وجعل بجوارها قبلة ومنارة ، ويقول المقرئ أيضا أنها : مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا أنس بيوت العبادة شيء البتة ، ويفسر سبب ذلك فيقول : إن أقبغا عبد الواحد أقرض وزثة إيدير الحلّي مالا ، وأمهل حتى تصرفوا فيه ثم ألجأهم في الطلب إلى أن أعطوه دراهم . فهدمها (أي دار الأمير إيدير الحلّي) وبنى موضعها هذه المدرسة فبناها بأنواع من الغصب وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيبرسية . ويضيف ابن تغرى^(٢) بردى فيقول : وحشر لعملها الصناعات من البنائين والتجارين وجميع أنواع الفعلة بأن يعمل كل منهم فيها يوما في كل أسبوع بغير أجر ، وجعل عليهم مملوكا من مماليكه . وهنا يعلق المقرئ^(٣) فيقول : ولم ير الناس أظلم منه ، ولا أعنى منه ، ولا أقسى قلبا منه ، فلقى العمال منه مشقات لا توصف . وحمل إليها (المدرسة) سائر ما تحتاج إليه من خشب وحجر ودهان وورخام من غير أن يدفع ثمن البتة وأتم بناءها سنة ٧٤٠ هـ ورتب لها الخدمة فكان لها إمام راتب ،

(١) الخطط ج ٤ ص ٦٩

(٢) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٧٣

(٣) الخطط ج ٤ ص ٧٦

ومؤذن ، وفراشون وقومة ومباشرون . وكان للمدرسة ثلاثة أبواب أحدها يصل للصحن من رواق الفيومية ، والثاني لزقاق الميضة والثالث للباب الرئيسي (باب المزينين الآن) .

أما الآن فيوجد للمدرسة بابان أحدهما يفتح على القبة ، وللقبة باب للدركة أى الردهة التى أمام باب المزينين ، وهو مستعمل الآن. والثاني للدركة وهو مغلق الآن. وفى سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦ م) اتخذت هذه المدرسة مكتبة للجامع الأزهر ، ونقلت طلبتها إلى الرواق العباسى .

والباقى من المدرسة القديمة الآن . هو مدخلها ووجهة القبة ومحرابها ومحراب المدرسة والمنارة . وقد أكملت إدارة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٤٥ قمة المثذنة . وتدل الأجزاء الباقية من المدرسة على ما كانت تحفل به من النقوش والزخارف البديعة الدقيقة الصنع . وعلى مبلغ ما صرف عليها من أموال ، فقد حفلت محاربيها بالرخام الملون الدقيق الصنع والفسيفساء المذهبة والمتعددة الألوان وقد كتب على باب المدرسة تاريخ البدء فى بنائها بما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف العالى السني أقبغا الأوحدى أستاذار العالية الملكى الناصرى . وكان ابتداء العمل المبارك فى شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة »

أما تاريخ الإنتهاء منها فوجد مكتوبا بداخل القبة وعلى المثذنة وهو سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م)

وفى سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩ م) جددت عمارة الأزهر عندما سكن الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى فى دار الأمير فخر الدين أبان الزاهرى الصالحى النجمى بخطط الابارين بجوار الأزهر ، وقد أوحى إليه قربه من الأزهر أن يترك فيه أثرا صالحا وكان يتولى الإشراف عليه (أى الجامع الأزهر) فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون فى عمارته ، فأذن له فى ذلك فبدأ الطواشى عمله بإزالة المقاصير العديدة التى استجدت بالجامع ، كما أخرج الخزائن والصناديق التى وضعت به حتى

ضاق المكان بها وزحمت رحاب الجامع فنزع كل ذلك وتتبع جدران المسجد وسقوفه بالإصلاح حتى عاد إليها رونقها وبدت وكأنها جديدة . كما طلى الجامع بالدهان وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفاً وجعل له قارئاً وأنشأ على باب الجامع القبلي حائوتنا لسبيل الماء العذب في كل يوم . وجعل فوق الحائوت مكتبا لتعليم الأيتام قراءة كتاب الله العزيز كما رتب لفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم .

كذلك قرر فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسهم لإلقاء الفقه في المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة .

ولما انتهت دولة المماليك البحرية. وجاءت بعدها دولة المماليك الجراكسة عمل ملوكها ، كذلك ، منذ البداية على الاهتمام بالجامع الأزهر والعناية بعمارته والأخذ بيد الدارسين به والمشرفين عليه ، مما أدى إلى زيادة إزدهاره وذيوع صيته وعلو شأنه في أنحاء العالم الإسلامي في ذلك الوقت .

وكان أول من تولى سلطنة دولة المماليك الجراكسة هو الملك الظاهر أبو سعيد برقوق ، وكان ذلك سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨١ م) وفي هذه السنة تولى الأمير الطواشي بهادر مقدم المماليك ، وكانت وظيفة هامة ، السلطانية ، نظارة الجامع الأزهر ، فنفذ مرسوم السلطان برقوق ، الذى ينص بأن من مات من مجاورى الجامع الأزهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا (ثروة) فإن أملاكه توّول إلى زملائه من مجاورى الأزهر . وقد نقش نص هذا المرسوم على لوحة من الرخام وضعه عند الباب الغربى الكبير . وقد عثر الأستاذ حسن عبد^(١) الوهاب على هذا اللوح الرخامى ، وهو موجود الآن بالجامع الأزهر ، ونصه .

« بسم الله الرحمن الرحيم رسم بالأمر الشريف السلطاني الملكى الظاهر أبو سعيد برقوق عز نصره أن يكون موجود من يتوفى إلى الله تعالى من الفقراء المجاورين وأرباب وظائفه ولم يكن له وارث شرعى يكون لصالح جامع الأزهر بمقتضى العلامة الشريفة بتاريخ سابع شهر ربيع الأول سنة إثنين وتسعين وسبع مائة » .

(١) تاريخ المساجد ص ٦٥

وفي سنة ٨٠٠ هـ هدمت مئذنة الأزهر القديمة لأنها كانت قصيرة ولا تتناسب مع ضخامة الجامع واتساعه . وأقام السلطان الظاهر برقوق مئذنة أخرى طويلة ، وقد بلغت جملة ما أنفقه السلطان في بنائها عشرة آلاف درهم نقره - أي فضة نقية - وكان يوم تمام بنائها في شهر ربيع الآخر من السنة نفسها ، فاحتفل بذلك اليوم إحتفالا مشهودا فعلمت القناديل بالمئذنة ، وأوقدت حتى شملها الضوء من أعلاها إلى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتلوا ختمة شريفة ودعوا للسلطان . ولم تنزل هذه المئذنة قائمة حتى شوال سنة ٨١٨ هـ ثم هدمت لظهور ميل بها وأقيمت مئذنة أخرى من الحجر .

وقد بنيت المئذنة الجديدة على الباب البحري (الرئيسي) بعد أن هدم الباب القديم وأعيد بناؤه من الحجر وأقيمت المئذنة فوق عقده . وقد قام بعمارة مئذنة الجامع الأزهر وكذا الباب الأمير تاج الدين الشوبكي وإلى القاهرة ومحتسبها ، على أن هذه المئذنة الجديدة لم تلبث غير قليل حتى مالت وكادت تسقط فهدمت سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٣ م) وأعيد بناؤها وكان ذلك في عهد السلطان الأشرف برسباي ، وفي تلك السنة ابتدئ كذلك في عمل صهريج للمياه في وسط الجامع ، وعندما حفر للأساس وجد هناك آثار فسقية قديمة كما وجدت بقايا رفات للموتى .

وقد عمل بأعلى الصهريج قبة على رقبة مرتفعة ، وكان الماء يسيل من تلك القبة أشبه ما يكون بالنافورات التي نراها حديثا . وقد غرس بصحن الجامع أربع شجرات ولكنها لم تفلح وماتت . ويقول المقرئى : إنه لم يكن للجامع ميضأة وقت إنشائه ثم عملت ميضأة في المكان الذى أقيمت عليه المدرسة الإقبغوية فيما بعد . ويضيف المقرئى : وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن (أى فى القرن الخامس عشر الميلادى ، التاسع الهجرى) فإن الأمير بدرالدين جنكل بن البابا هو الذى بناها .

ومن الحوادث الهامة التى وقعت لأهل الأزهر ولطلبته المجاورين ، فى عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق ، أنه لما تولى الأمير سودوب حاجب الحجاب نظارة الأزهر سنة ٨١٨ هـ ، وكان عدد طلبته يؤمئذ ٧٥٠ رجلا من عجم وزبالعة ومغاربة وأهل ريف مصر ،

وكان الأزهر يومئذ عامرا بتلاوة القرآن ، وتدريس العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير والنحو وغيرها من العلوم المدنية كالطب والرياضة والجبر والفلسفة ، هذا إلى جانب مجالس الوعظ والإرشاد . حتى صار الأزهر مقصد أهل العلم وطلابه كما كان يقصده أرباب الأموال للتبرك وكانوا يصلون أهلهم ويمدونهم بالمال من الذهب والفضة إعانة للمجاورين فيه والمنقطعين إلى عبادة الله تعالى وحدث أن أمر الأمير سودوب ، بإخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من المبيت به ، وأن يحملوا معهم ما كان لهم من صناديق وخزائن وكراسي المصاحف ، وقد حل بفقراء المجاورين بلاء شديد ، فقد حدث في الليلة التي نوى الأمير طردهم فيها أن جاءهم بعد العشاء وهجم عليهم ومعه من الغلمان والأعوان وغوغاء العامة وغيرهم ممن يريد النهب فضربهم ونهب فراشهم وعمائمهم وسلبت نقودهم - فتشتت شملهم وتفرقوا في القرى والأرياف وأصبحوا في ذل الحاجة بعد أن كانوا أعزاء مصونين وفي رغد من العيش . وبذلك فقد الأزهر كثيرا من طلابه ، وامتنع كثير من العلماء والفقهاء من الوفود إليه . على أن هذه الحال لم تدم طويلا لأن الله عاجل الأمير سودوب بالانتقام ، إذ قبض عليه السلطان وسجنه عقابا له على ما اقترف في حق الأزهر وأهله من ظلم وطفيان .

وفي سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) أنشأ الأمير جوهر القنقبائي خازن دار الملك الأشرف برسباي ، مدرسة في الطرف البحري لجدار الجامع الشرقي عند باب السر للجامع الأزهر . وعلى الرغم من صغر هذه المدرسة في مساحتها إلا أنها اشتملت على كل تفاصيل المدارس فهي تحتوى على أربعة إيوانات يتوسطها صحن أرضيته من الرخام الملون ، وكذا أرضية الإيوانات . وتمتاز المدرسة الجوهريّة بمائل أجزائها تماثلا تاما ، كما تمتاز بأن نوافذها العليا مغطاة بجص مفرغ خلفه زجاج ملون ، يضيئ على المكان جوا شاعريا خلابا عندما تسطع الشمس في النهار أو عندما يضيئ القمر في الليل . أما أبواب هذه المدرسة ودواليبها الحائطية فقد عني بنجارتها عناية فائقة فقد حفرت في أخشابها زخارف نباتية وهندسية وأشربة كتابية كما طعمت بالعاج والصدف والأبنوس فجاءت تحفة فنية رائعة .

وفي الطرف القبلي الغربي للمدرسة الجوهريّة توجد غرفة مربعة صغيرة فرشت أرضيتها بالرخام الملون ، ويعلو الغرفة قبة نقش عليها من الخارج زخارف نباتية جميلة وتعتبر

القبة أصغر قبة في مصر بعد قبة المدرسة القاصدية . وفي وسط هذه القبة يوجد قبر منشى المدرسة جوهر القنقبائى .

على أن أهم العمارات التى اجريت فى دولة المماليك الجراكسة تلك التى قام بها السلطان قايتباى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) فقد هدم الباب الغربى الكبير للجامع وهو الباب القديم الذى اقيمت عليه المئذنة ، وبني بابا آخر (هو الموجود حالياً) واقام على يمينه مئذنة جميلة ورشيقة . وفى سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) زار السلطان قايتباى الجامع الازهر وامر بتجديد الاجزاء والحوائط المتداعية فيه وترميمه واصلاحه . كما امر بهدم الخلوات التى كانت بسطح الجامع وتجديد دورات المياه .

وفى سنة ٩٠٠ هـ استأذن الخواجا مصطفى بن محمود بن رسم الرومى السلطان قايتباى فى اجراء بعض الاصلاحات بالجامع الازهر ، فاذن له فكان من الاصلاحات التى قام بها رسم ، عمل مقصورة خشبية تحيط بالايوانات الثلاث التى تشرف على الصحن . وقد اثبت هذه الاصلاحات فى لوحة تذكارية مكتوب فيها :

« امر بتجديد هذا الجامع سيدنا ومولانا السلطان الملك الاشرف قايتباى على يد الخواجا مصطفى بن الخواجا محمود بن الحواجا رسم غفر الله لهم بتاريخ شهر رجب عام احدى وتسعمائة » وقد صرف الخواجا رسم على هذه العمارة من ماله الخاص وبلغ مقدار ما صرفه نحو خمسة عشر الف دينار .

وفى سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) انشأ الملك الاشرف قايتباى ميضأة بالجامع الازهر وفسقية وقد استبدلت الفسقية سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) كما انشأ سبيلا ومكتبا على باب الجامع وقد ازيل المكتب فيما بعد . كذلك انشأ قايتباى رواق الشوام ، ورواق الاتراك وجدد رواق المغاربة .

وفى سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩ م) رتب السلطان الملك قانصوة الاشرف الخزيرة^(١) بالجامع

الجزيرة : عبارة عن عصيدة بلحم

الازهر في شهر رمضان ولما جاء الملك قنصوة الغورى ضاعف في مقدار ما يقدم للازهر من انواع الطعام ، فقرر صرف مبلغ ستمائة وسبعين ديناراً على مطبخه ، كما قرر صرف مائة قنطار من العسل وخمسمائة اردب قمح .

ومن الاعمال الجليلة التي قام بها السلطان الغورى سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) بناء مئذنة جديدة للجامع الازهر ، وهى مئذنة ضخمة ، وقد جاء وصفها في ابن اياس « أقام الغورى منارة ضخمة ذات الرأس المزدوجة ، وهى عالية امتازت بتليبس القاشانى ببدن دورتها الثانية ، كما امتازت بوجود سلمين فيما بين دروتيهما الاولى والثانية لا يرى الصاعد في احدهما الآخر ، وهى احدى النكت في العمارة الإسلامية » .

الازهر في العصر العثماني

وفي سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ذكر ابن اياس أن السلطان سليم بعد أن تم له فتح مصر دخل الجامع الازهر يوم الجمعة وتصدق هناك بمبلغ كبير من المال ، كما زار الازهر السلطان عبد العزيز . وعلى الرغم مما أصاب الازهر في العصر العثماني من التأخر والتدهور في الناحية الثقافية ، إلا أنهم لم يهملوه من الناحية المعمارية فقد عنوا بصيانتها وتجديدها كما اهتموا باهلها وبالدارسين فيه ، فقد قام الشريف محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) وهو من الباشوات الذين تولوا على مصر من قبل آل عثمان ، بعمارة الجامع وجدد ما تعرب منه ، كما رتب به مقدارا من العدس يطبخ كل يوم للفقراء فتسامع ذوو الحاجة بذلك فأتوا إليه ن كل فج عميق .

وفي سنة ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م) عمّر حسن باشا الدفتردار أحد الباشوات الذين تولوا من قبل السلطان ، الجامع الازهر ، وجدد مقام السادة الحنفية وفرش ارضيته بالبلاط وكان حسن باشا ، حسن السيرة رضى الخلق ، فاتفق أهل مصر على محبته .

كذلك جدد سقف الجامع وكان قد آل إلى السقوط ، اسماعيل بك بن ايواظ بك الذي تولى
الإمارة والصنجدية سنة ١١٣٤ هـ . ومن آثاره كذلك انشاء مسجد سيدى الدسوقى وسيدى
على المليجى .

وفى سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥) بنى الأمير عثمان كتحدا زاوية للعميان خارج الازهر
ولكنها هدمت فيما بعد ، كما عمّر رواق الاتراك ورواق البليانية (الافغانيين) وزاد فى
رواق الشوام ، ويقول محب الدين الخطيب وكذا الجبرقى انه رتب للازهر مقررات خيرية .

وفى سنة ١١٦٣ هـ (١٧٤٩ م) اهدى الوزير احمد باشا كور والى مصر الجامع مزولتين
لا تزالان موجودتين به ، احدهما موضوعة فى الوجة الغربية للصحن ومكتوب عليها :

مزولة متقنة نظيرها لا يوجد
راسها حاسبها هذا الوزير الامجد
تاريخها اتقنها وزير مصر احمد

سنة ١١٦٣ هـ

على أن اكبر عمارة أجريت للجامع الازهر فى العصر العثمانى كانت التى قام بها الأمير
عبد الرحمن كتحدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) فقد زاد فى مساحة الازهر زيادة كبيرة
وذلك باضافة الاروقة خلف المحراب . وقد اشتملت هذه الاروقة على خمسين عمودا من
الرخام وترتكز على هذه الاعمدة خمسون بائكة مقودة ، وكلها منحوتة من الحجر ، اما سقف
هذه الاروقة فمن الخشب الجيد ، وقد جدت هذه الاروقة سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) .
كما بنى بهذا الجزء محرابا من الرخام الدقيق الصنع وفوقه قبه ، واقام به منبرا خشبيا
وعلى يسار المنبر (الآن) لوحة رخامية ثمانية الشكل مكتوب فيها بالخط الكوفى المربع :
الله . محمد واسماء العشرة المبشرين بالجنة وقد كانت هذه اللوحة موجودة فى الاصل فى
مدفن عبد الرحمن كتحدا الموجود بالازهر . ثم نقلت إلى جوار المحراب . وبجانب هذا
المحراب يوجد محراب آخر صغير عرف بمحراب الدردير ، وبالقرب منه محراب انشأته
ادارة حفظ الآثار العربية لتركيب الكسوة الخشبية التى كانت تغطى المحراب القديم .

وفي النهاية القبليّة لهذا الايوان ، انشأ عبد الرحمن كتبخدا باباً عظيماً جهة حارة كتامة المعروف بالدودارى وهو مشهور اليوم باسم باب الصعايدة ، وبنى أعلى هذا الباب حجرة مقامة على اعمدة رخامية معقودة ، وجعل هذه الحجرة مكتبة لتعليم الاطفال لأيتام القرآن الكريم ، وبداخل باب الصعايدة توجد رحبة كبيرة وصهريج عظيم وسقاية لشراب الناس . وهذه الرحبة عمل عبد الرحمن كتبخدا مدفناً له ، وجعل عليه قبة ، وهذا المدفن كانت توجد اللوحة الرخامية التي تحتوى على أسماء العشرة المبشرين بالجنة والتي نقلت كما قلنا إلى أروقة المسجد ، كذلك نقش على الجانب الشرقى من المدفن : ان علياً كرم الله وجهه كان إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القلط ، إلى أن قال ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم اجود الناس صدراً ، إلى أن قال واكراهم عشيرة لم أر قبالة ولا بعده مثله : كما نقش على الجدار القبلى للمدفن بيتان من الشعر :

بروض نعيم فاز كهف مكرم وحاز بفضل الخير جنات رضوان

هنيئاً له فالحور فى الخد أرخت لقد فاق فى الفردوس عبد الرحمن

كذلك نقش على جدران المدفن كتابات اخرى ، ويقال انه لما بنى المكتب والمدفن جعل من المكتب قناة توصل غسيل الواح الأطفال إلى قبره ، وقد سدت تلك القناة عندما جدد المكتب والباب .

وبنى امام مدفنه رواقاً خاصاً بمجاورى اهل الصعيد المنقطعين للعلم بالازهر وجعل بهذا الرواق مرافق ومنافع ومطبخاً ، وخزائن للمكتب ومخادع ، كما انشأ بجوار باب الصعايدة مثذنة ، وانشأ باباً آخر فى الطرف الشمالى الشرقى من جدار القبلة جهة مطبخ الجامع وهو المشهور باسم باب الشربة ، واقام بجواره كذلك مثذنة .

ومن اعماله الهامة كذلك بالجامع الازهر تجديد واجهة المدرسة الطبرسية وقد أبقى بها نوافذها النحاسية وكذا بلاطة مستديرة من القاشانى بها (الملك لله وحده) .

وأنشأ الباب الكبير المعروف (الآن) بباب المزينين الذى يقول عنه الجبرتى : وهذا الباب ضمت المدرستان الطبرسية والاقبغاوية إلى الازهر - واقام على يمينه مئذنة وبنى فوق الباب مكتبا (كما فعل فى باب الصعايدة) وبداخل الباب على يمين الداخل انشأ ميضأة وعمل لها ساقية ، وقد جاءت المباني التى انشأها فى الواجهة الغربية للجامع ، وهى الباب وما بداخله من المدرسة الطبرسية والاقبغاوية من احسن المباني من حيث العظم والفضامة وقد ارخ بعضهم ذلك بهذه الابيات :

تبارك الله باب الازهر انفتحا وعاد أحسن مما كان وانصلحا
تقرعينا إذا شاهدت بهجته باخلاص بان له للعلم والصلحا
وادخل على أدب تلق الهداة به قد قرروا حكما يزانها رجحا
بالباب قد بدأ الأكوان أرخه بعبد الرحمن باب الازهر انفتحا

والباب محلى بكتابات ونقوش وزحارف قوامها بلاطات من القاشانى نقشت عليها رسوم على شكل شجرة السرو التى ترمز إلى الحياة الخالدة عند الاتراك ، وغير ذلك من الرسوم الدقيقة والجميلة . ومما يسترعى النظر براعة الخطاط فى كتابة :
« الصلاة عماد الدين عجلوا بالصلاة قبل الفوت » .

وفى سنة ١٨٩٦ م هدم الكتاب والمئذنة وفكت مباني الباب واعيد بناؤه . وكان ذلك عندما اريد توسيع الشارع وعند بناء الرواق العباسى .

كذلك جدد عبد الرحمن كتحذا للمكاويين والتكروريين وزاد فى مرتبات الازهر وفى خبزته . ورتب لمطبخه وخاصة فى شهور رمضان خمسة أراذب من الارز الابيض يوميا وقنطار سمن ورأس جاموس كما رتب له الزيت والوقود للمطبخ وزاد فى طعام المجاورين . وامر أن يطبخ لهم الهريسة يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع .

ولم تكن اعمال كتحذا فى عمارة الازهر واصلاح امره هى كل ما قام به من الاعمال الانشائية الخيرية بل ان له مآثر اخرى كثيرة ، فقد جدد مشهد سيدنا الحسين وهو

المشهد الذى بنى فى العصر الفاطمى (ولم يبق منه الآن إلا الباب المعروف بالباب الاخضر)
وانشأ به صهريجا كما زاد فى مرثباته وقد اثبت عبد الرحمن كتحدا تاريخ عمارته غلى
عتب رخامى نصه :

مسجد للحسين اصل المعالى لا يضاھيه فى البقاع عسلاء

فيه فضل الرحمن للعبد نادى زُر وأرخ الهنسا والرضاء

كما بنى جامعا للمغاربة وانشأ مكتبا وسبيلا عند بابه . وانشأ مدفنا للست السطوحية
وكذا السيل والمكتب اللذين فى شارع بين القصرين (شارع المعز بالصاغة الآن) كذلك
انشأ مسجدا ومنارة وصهريجا ومكتبا تجاه باب الفتوح وبنى جامعا وصهريجا ومكتبا
وحوضا عند باب البرقية المعروف الآن بباب الغريب . وجدد المشهد الزينبي ومشهد السيدة
نفيسة ومشهد السيدة سكينه ، الذى هدم سنة ١٣١٩ هـ وجدده مرة اخرى ، وجامع الرباط
تجاه عابدين ، وجامع ابى السعود الجارحى ، وجامع الكردى بالحسنية وجامع المطهر بالسكة
الجديدة . كذلك اهتم بالمنشآت العمرانية فجدد البيارستان المنصورى وغيره من المكاتب
والاسبله والاحواض والقناطر والربط والجسور ، حتى سمي بحق صاحب الخيرات .
والعمائر فى مصر والشام . ولما توفى سنة ١١٩٠ هـ دفن فى مدفنه الذى اعده لنفسه بالازهر ،
الذى سبق ذكره .

ويقول محب الدين الخطيب فى كتابه الازهر إنه فى سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) انشئ
بالازهر رواق السنارية بناء على طلب محمد وداعه السنارى . وقد بنى الرواق مكان ربع
ضم إلى الازهر وجعل اسفله حانوتين وقفا عليه .

وفى سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) انشئ رواق لاهل بلد الشيخ ابراهيم ألباجورى شيخ
الازهر ، مكان بيوت مملوكة لاصحابها اشترت واقم مكانها الرواق المذكور والذى يعرف
باسم رواق الحنفية .

وفي سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٠ م) جدد باب الصعايدة الذى اقامه عبد الرحمن كتحدا
والمكتب الذى فوقه ، ثم نقش على وجهته من الخارج بالخط الثلث المملوكى المذهب اربعة
أبيات من الشعر نصها :

باليمن أقبل باب سعد الأزهر وسمت محاسنه باعجب منظر
وغدا مجازا للحقيقة بالهدى موصول مورده جميل المصدر
باب شريف للنجاح مجرب انشاءه نادى بخير الاعصر
فى دولة اسماعيل داور عصرنا بمن يسر كمال باب الأزهر

وفي سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) اقيمت عمارة كبيرة بالأزهر ، إذ جدد الإيوان الذى
بناه عبد الرحمن كتحدا خلف الإيوان الشرقى القديم . كما رمم جزء كبير من الإيوان
الشرقى القديم . وكذا رواق الصعايدة ورواق الحرمين ، والعقود التى تحيط بصحن الجامع
جددت زخارفها مع الابقاء على طرازها الاصلى القديم . وفى سنة ١٨٩٠ م جددت عقود
واكتاف الإيوان الغربى كما جددت الكتابات الكوفية التى تحيط بعقوده وكذا الزخارف
الجصية به ، وعمرت القبة الفاطمية التى تعلو مقدم المجاز .

وفي سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٨ م) جددت الواجهة الغربية للجامع بما فيها الباب الغربى
الكبير (باب المزينين) وانشئ الرواق العباسى .

أروقة الأزهر وحاراته

يبلغ عدد أروقة الأزهر التي لا تزال باقية حتى الآن ٢٩ رواقا و ١٤ حارة سنتكلم عن كل منها بايجاز :

الرواق العباسي :

وهو أحدث الأروقة وأكبرها ، بنى في عهد الخديو عباس حلمي الثاني ومن هنا اخذ اسمه . وكان شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت الشيخ حسونة النواوى وقد احتفل بافتتاحه في ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ هـ . وكان بناء هذا الرواق على الطراز العثماني الجميل من حيث تخطيطه ونقوشه واطرافه وادواته وادواته وقد انفق عليه وزارة الاوقاف ستة آلاف وثمانين جنيها مصري . ويقع الرواق العباسي في الجهة الغربية للجامع في حذاء الباب الغربي الكبير ، فهو لذلك يطل على الشارع . ويشتمل الرواق على ثلاث طبقات ، الطبقة الاولى وهى فسيحة وقد اعدت لكي يجتمع فيها مجلس إدارة الأزهر وبها محراب جميل غشى بالرخام الملون الجميل ، كما نقشت عليه رسوم نباتية وهندسية بالرخام الملون الجميل . كما نقشت عليه رسوم نباتية وهندسية وهذه الطبقة مكان للمكتبة وكانت الحفلات الرسمية تقام في هذه الطبقة وينتهى سقفها بقية تنتهى بانتهاء سقف الجامع ، اما الطبقة الثانية فمقسمة إلى عدة اقسام وقد روعي فيها الناحية الصحية مراعاة تامة ، وهى تشتمل على قاعة للميقاتية بجوار السلم وقاعة اخرى للجندي المكلف بحراسة الأزهر ، وبعد ذلك نجد رواقا متعدد الحجرات أعد لطلاب اليمن وحجرة خاصة بطبيب وصيدلى الأزهر ،

وكان أول طبيب للازهر هو الدكتور عباس حلمي . كذلك نجد بها رواقا آخر لطلبة الفيومية ، وآخر لطلبة الطبرسية (الذين نقلوا من المدرسة الطبرسية بعد أن اتخذت المدرسة مكتبة للجامع الازهر) ورواقا رابعا للبحاروة ، وخامسا لأهل الاسكندرية ، كما نجد بهذه الطبقة دفترخانة الجامع الازهر. والطبقة الثالثة اعد فيها مكان لفتى الديار المصرية . وأمين الافتاء وكتبة الفتاوى كما تحتوى على رواق مكون من اربع غرف لطلبة الاكراد ولطلبة الاقبغاوية (بعد أن نقلوا من المدرسة الاقبغاوية بعد اتخاذها ملحقا لمكتبة الازهر الموجودة في المدرسة الطيبوسية). كذلك يوجد رواق آخر للذكارنة وآخر للهنود وآخر للبغداديين.

رواق الطيبوسية .

جاء في الخطط المقرينية أن هذه المدرسة من المدارس الملحقة بالازهر أنشأها الأمير علاء الدين طبرسى (وقد سبق الكلام عليها) وجعلها مسجدا لله تعالى . وقرر بها درسا للفقهاء الشافعية ، وأنشأ بجوارها ميضأة وسبيل ماء وحوضا ترد إليه الدواب ، وكان لها بسط تفرش يوم الجمعة وكان لها امام راتب وكان فيها خزانة كتب .

رواق الاقبغاوية .

وهي المدرسة الاقبغاوية ، وقد سبق الكلام عليها ، وقد اتخذت ملحقا لمكتبة الازهر ولذلك نقل طلابها إلى الرواق العباسي ، كما ذكرنا ذلك .

رواق الاكراد .

ويقع على يمين الداخل من باب المزينين بجوار رواق اليمينية . وكان بالطابق الثاني للرواق مساكن للطلبة ، ازيلت ونقل الطبة إلى الرواق العباسي .

رواق الهنود .

كان يقع إلى يمين الداخل من باب المزينين كذلك ، وكان يتكون من مسكن بالدور الارضى واربعة مساكن بالدور العلوى وقد ازيلت جميعها ونقلت طلبته إلى الرواق العباسي .

رواق البغداديين .

وكان يوجد بالدور الثاني برواق الهندود وكان يشتمل على مسكنين ومطبخ ودورة مياه وقد نقل طلابه إلى الرواق العباسي .

رواق البرنيه .

يوجد هذا الرواق في الرحبة المشقوفة خارج باب الاتراك بين رواق الاتراك ورواق اليمنية ، وهو يشغل الدور الارضى الذى كان يشغله طلبة الاتراك .

رواق اليمنية .

كان بجوار رواق البرنيه ، له باب على الرحبة المشقوفة خارج باب الاتراك ، وقد ازيل ، وسكنت طلبته الرواق العباسي .

رواق الجبرت .

ويقع داخل رواق البرنيه وهو أوسع منه وقد هدم وجدد . والجبرت اسم لمدينة بالحبشة .

رواق الاتراك :

انشأه السلطان قايتباى وجدته الامير كتنخدا وانشأ به زيادات وكان يحتوى على ستة عشر عمودا من الرخام ، واثني عشر مسكنا بالطابق العلوى ، وكان له خزانة كتب عظيمة جامعة ، وكان له مطبخ وبئر وحنفية داخلية ، وقد أوقف على هذا الرواق اوقاف كثيرة يستحقها كل مجاور من وافد من الدوله العثمانية .

رواق السنارية :

ويقع على يسار الداخل من باب المغاربة قبل رواق الاتراك وكان يحتوى على مساكن في الطابق العلوى .

رواق المغاربة :

ويقع على يمين الداخل من باب المغاربة ، وكان له بابان ، باب في صحن الجامع وباب في ردهة باب المغاربة ، وكان يشتمل على خمس عشرة بائكة تركز عقودها على اعمدة رخامية ، وكان يحتوى على مساكن فى الدور العلوى ، وعلى كتبخانة وكان له مطبخ وبئر وحنفية داخلية ، وكان للرواق بواب وجاب وكاتب مثل رواق الاتراك ، وله أوقاف كثيرة يستحقها كل مجاور مغربى .

رواق السلیمانية :

يقع بين باب الشوام ورواق جاوه ، وكان به خمسة مساكن وخزانة كتب كبيرة

رواق جاوة :

كان بين رواق السلیمانية ورواق الشوام وبه خزانة كتب .

رواق الشوام .

يقع على يمين الداخل من باب الشوام ، انشأه السلطان قايتباى وزاد فيه الامير عثمان كتحدا ثم جده الامير عبد الرحمن كتحدا حتى صار اكبر من رواق الصعايدة . وكان بالطابق العلوى نحو ثلاثين غرفة لمجاروى الشوام ، وبه خزانة كتب كبيرة وحنفية وبئر . وقد أوقف عليه كل ن الاميرين السابقين أوقافا كثيرة .

رواق الصعايدة .

وهو من أشهر اروقة الأزهر ، ويقع على يمين الداخل من باب الصعايدة ويتكون من إيوان متسع بوسطه عمود من الرخام . وبه مكتبة كبيرة وله مطبخ وحنفية داخلية ويوجد تحت الرواق صهريج كبير يشرب منه أهل الأزهر . ولهذا الرواق شيخ خاص وقد استقرت متيخه هنا الرواق عدة قرون فى المشايخ العدوية ولهذا الرواق أوقاف كثيرة وقد سبق أن ذكرنا ن عبد الرحمن كتحدا هو الذى انشأ هذا الرواق .

رواق الحرمين .

ويقع إلى يمين المنبر القريب من باب الصعايدة ويشتمل على قاعة بالدور الأرضى وتلاث حجرات بالدور العلوى . ويسكن هذا الرواق أهل مكة والمدينة والطائف، وعيرها من بلاد الحجاز . وقد انشأه عبد الرحمن كتحدا

رواق البرابرة .

وهو عبارة عن مخزن ودوايب يحفظ فيها الطلبة أشياءهم وكتبهم . ويقع على شمال الداخل من باب الشربة

رواق دكارنة سليج .

وهو يشبه رواق البرابرة إذ انه مجرد مخزن به دوايب لحفظ أشياء الطلبة وكتبهم ويقع بجوار رواق الشراقوة وقد نزلت طلبته إلى الرواق العباسى

رواق الشراقوة :

يقع فى النهاية البحرية من الإيوان القديم وقد أنشأه الوالى ابراهيم بك سنة ١٢٢٥ هـ تلبية لرغبة شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوى . ويقال إن الشيخ الشرقاوى وسَّط امرأة عمياء فقيهه تحضر عنده فى درسه . فى مقابلة الست عديلة هانم ابنة ابراهيم بك . وزوجة ابراهيم بك الوالى رجاء أن تكلم زوجها فى أمر انشاء رواق خاص بطائفة ابناء الشرقية . فأجاب ابراهيم بك هذا الرجاء وانشأ رواق الشراقوة وكان المجان ن الشراقوة يسكنون بمدرسة الطيبرسية ورواق معمر فلما تشاجروا مع أهل الطيبرسية منعهم شيخها من الدخول ، فكان ذلك من الأسباب المباشرة فى إنشاء رواقهم

رواق الجوهريّة :

وهو المدرسة الملحقة بالازهر ، وسبق الكلام عليها ، وهى تقع نجاه زاوية العميان وهى مدرسة صغيرة من حيث المساحة ، وليس بها عمد بل تشتمل على ايوائين متقابلين

وبينهما فسحة صغيرة مفروسة بالرخام الملون محكم الصنع ، وفي الايوان الشرقى يوجد محراب نقش على عقده شريط من الخط لثلث المملوكى الجميل ، « بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت إذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » وبالذور العلوى توجد خلوتان ، وبالمدرسة كثير من الدواليب الحائطية وهذه الدواليب من خشب الساح المزخرف بطريقة الحشوات المجمعه قد حفر داخل الحشوات زخارف نباتية غاية فى الدقة والابداع ثم طعمت بالصدف والعاج والابنوس فجاءت تحفا فنية رائعة . وهذه الدواليب الحائطية التى كثر استعمالها فى بيوت مصر طوال العصور الوسطى قد اصبحت الآن من احدث ما وصل إليه فن المعمار فى توفير مساحة المكان وفى تقليل قطع الأثاث التى تشغل حيزا من فراغ الغرف وكان يشغل ويشغل المدرسة الجوهريّة إلى عهد قريب معلمو الخطوط العربية وكذا يدرس بها بعض العلماء . وقد أنشأ هذه المدرسة جوهر القنقبائى الجركسى الطواشى الحبشى الخازندار الزمام بالباب السلطانى . وقد بناها عند باب السر للجامع الأزهر وفتح لها شباكا فى جدار الجامع وقد افتاه بذلك جماعة من العلماء ولكن الشيخ العينى امتنع عن الافتاء ولما مات منشئها دفن بها سنة ٨٤٤ هـ

رواق زاوية العميان

ويقع خارج المدرسة الجوهريّة ويفصل بينهما حارة كما يصل وبينهما ممر من الحجر يمشى عليه المتوضئون من مبيئتها . وتحتوى الزاوية على اربعة أعمدة من الرخام ولها قبلة ومبيضاة وثلاثة عشر مرحاضا . وبالذور العلوى توجد ثلاث غرف لا يسكنها غير العميان . ولهذه الزاوية شيخ يشترط فيه ان يكون ضريرا ، ولطلبة الزاوية وشيخها مرتبات ثابتة تصرف لهم ، ومنشئ هذه الزاوية هو الامير عثمان كتنخدا ، صاحب السبيل والمسجد بجهة الازبكية .

رواق الحنابلة

ويقع بجوار زاوية العميان وقد انشأه عثمان كتنخدا منشئ زاوية العميان ، ويحتوى الرواق على ثلاثة مساكن بالذور العلوى ، جدده الامير راتب باشا سنة ١٢١٧ هـ وأجرى على أهله مرتبات كبيرة

رواق معمّر

أخذ هذا الرواق اسمه من ابن معمّر ، ويتّبع الرواق عزّ يمين الداخل إلى دورة مياه الأزهر العمومية ، وهو رواق مشهور لكثرة من يأتون إليه إذ أنه لا يخص طائفة بعينها على خلاف غيره من الأروقة .

رواق الفشنية

كان يقع بين رواق الحنفية ودورة مياه الأزهر وقد أزيل ولم يبق منه سوى خزن ودواليب لحفظ أشياء المجاورين .

رواق الحنفية

يقع بين رواق الفشنية والشنوانية ، وكان لهذا الرواق باب في صحن الجامع يدخل منه إلى سرداب طويل ضيق ، وقد أخذ هذا السرداب من رواق الفشنية بعد أن عوض أهله عنه . وقد أزيل السرداب كما أزيل غيره من الأروقة المجاورة له وأصبحت محرد مخازن لحفظ أمتعة المجاورين . انشأ هذا الرواق الأمير راتب باشا سنة ١٢٧٩ هـ ، وكان موضعه بيوتا مملوكة لأصحابها ، اشترت وهدمت ، وبني مكانها رواق لأهل بلد الشيخ الباجوري شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت . وقد أكمل بناء الرواق راتب باشا من ماله الخاص وجعله رواقا للحنفية . وهو رواق متسع يحتوي على أربعة أعمدة من الرخام وبه كثير من الدواليب الحائطية لحفظ أمتعة مجاوريه . وبالطابق العلوي توجد ثلاث عشرة غرفة للمنازين من مجاوريه وبه خزانة كتب جامعة عين لها قيم (أمين) . وكان للرواق باب ينفذ إلى الميضاة العامة فلما انشئ للرواق حنفية للوضوء سد ذلك الباب . وقد أوقف راتب باشا على هذا الرواق أوقافا عظيمة وجعل النظر عليه لمفتي الديار المصرية من المذهب الحنفي . ولما تولى الافتاء الامام الشيخ محمد عبده سنة ١٣١٧ هـ ، زاد في مرتبات أهله ، ورفع من مستواهم الثقافي ، فشكل لجنة لامتحان من يريد الانتقال من درجة إلى أخرى أعلى منها .

رواق الشنوانية

ويقع في الركن الشرقى من صحن الجامع بجوار رواق الفيومية وهو الآن مجرد مخزن ودواليب لخزن أمتعة مجاوريه .

رواق الفيومية

وهو يقع كذلك في الركن الشرقى من صحن الجامع بجوار زاوية البحاروة ، ولم يبق منه سوى مخزن لأشياء المجاورين ونقلت طلنته إلى الرواق العباسى .

رواق البحاروة

وهو خاص بمجاورى أهل البحيرة ، لا يشاركهم فيه غيرهم وللرواق شيخ ونقيب وقد خصص لمجاورى الرواق وشيخه ونقيبهم مرتبات ثابتة . وقد أزيل الرواق الآن ولم يبق منه سوى المخزن والدواليب لحفظ أمتعة المجاورين . ونقلت طلبته إلى الرواق العباسى .

حارات الأزهر وميضائه

ويبلغ عدد حارات الأزهر ثلاث عشرة حارة هي : حارة البيجومية ، حارة العفيقى ، حارة الزراقنة ، حارة البشاشة ، حارة السلمانية ، حارة الجيزاوية ، حارة الدكة والمنبر ، حارة الممشى ، حارة النفاورة ، حارة الزهار ، حارة الواطية ، حارة الشنوانية ، حارة المناصرة . وكان لكل حارة شيخ ونقيب وخزان ومجاورون ، وكان لكل من هؤلاء مرتبات ثابتة كالاروقة .

وكان بالأزهر ستة حمامات بها مغاطس ، وثلاث ميضات ، الاولى الميضأة الكبيرة وقد أبدلت فسقيتها بحنفيات ، والثانية ميضأة الطيرسية ، وقد اندرست معالمها والثالثة ميضأة زاوية العميان ، كذلك كان يوجد بالأزهر ستة صهاريج للمياه أربعة في صحن

الجامع والخامس في رواق الصعايدة وهو صهريج كبير يشغل المساحة أسفل الرواق والدركاه وجزءاً من إيوان . وقد انشأها عبد الرحمن كتحدا .

أما الصهريج السادس فكان تجاه باب المغاربة ، على يسار الداخل إلى درب الاتراك ، وكان عدد مراحيض الأزهر اربعة وثلاثين مرحاضاً .

وكان من تقاليد الأزهر ان يجدد فرشته من الحصر كل سنة مرة ومنذ أوائل القرن العشرين صار يجدد فرشته كل ستة أشهر ، وكان أول من استن هذه السنة الحسنة هو الشيخ النواوي شيخ الجامع الأزهر ، فقد فرش المسجد بحصر جيد من السمار .

محاريب الأزهر

ويوجد بالأزهر ثلاثة عشر محراباً وذلك بالإضافة إلى المحاريب الموجودة بالمدارس الملحقه بالجامع ، ومن هذه المحاريب اثنان في إيوان القبلة الجديد الذي أضافه عبد الرحمن كتحدا ، الكبير منهما يصلى فيه امام الجامع الصلوات الخمس وهو مالكي المذهب وأمام المحراب توجد ستة أعمدة ترتكز عليها قبة تغطي المحراب . والمحراب الثاني وهو صغير ويوجد إلى شمال المنبر وبه كثير من النقوش والزخارف ، ويعرف بقبة الشيخ الددير . وفي إيوان القبلة القديم يوجد محراب واحد وهو المحراب الأصلي القديم ، وعنده ينتهي المجاز الذي يبد من صحن الجامع ويقسم أروقة إيوان القبلة إلى قسمين متساويين ويكون عمودياً على القبلة ، كما يمتاز بعلو شقفه على سقف الأروقة الجانبية ويعرف بالمحراب القديم . ويقوم بالصلاة فيه إمام آخر للجامع وهو شافعي المذهب . وكان يوجد إلى عهد قريب عن يمين هذا المحراب صندوق موضوع على رف يقال إن به قطعة من خشب سفينة نوح وقطعة من جلد بقرة بنى اسرائيل . ويروى أهل الأزهر عن هذه المخلفات كثيراً من القصص والأساطير . وكان يوجد بهذا الإيوان القديم كذلك قبلة بالقرب من باب الشوام كانت تعرف بقبة الشيخ الباجوري شيخ الجامع الأزهر وذلك لأنه كان يكثر الصلاة عندها .

وبالقرب من رواق الشراقة قبلة صغيرة من الخشب تعرف بقبلة الخطيب الشريبي ويحيط بها كتابة بالخط النسخي تبين انها ترجع إلى سنة ٦٢٧ هـ . وكان يوجد بصحن الجامع أربعة محاريب صغيرة . أحدها يلي رواق معمر وقد نقش عليه اسم مجده . « جدد هذا المحراب السعيد على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجه مضطفي بن الخواجه محمود بن جلبي غفر الله له وللمسلمين » . ويكتنف باب المجاز بايوان القبلة محرابان نقش على أحدهما بالخط الكوفي « لا إله الا الله محمد رسول الله » وبالقرب من الباب الثاني لايوان القبلة يوجد محراب مكتوب عليه « أمر بتجديد هذا المحراب السعيد سيدنا ومولانا الامام الاعظم والملك الاكرم السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي » . وكان في رواق الاتراك محراب صغير مغشى كله ببلاطات القاشاني ، وقد أزيل القاشاني الآن .

صحن الأزهر وماذنه

يتكون صحن الجامع من مستطيل تحيط به البوائك من جهاته الاربع وكانت أرضه ، مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري المنحوت . وتحت هذا الحجر توجد اربعة صهاريج كبيرة للماء العذب ، ولهذه الصهاريج فوهات من الرخام ناتئة عن سطح الأرض بما يقرب من متر ، مما يضيئ على الصحن منظرا جميلا . وكان المجاورون يجلسون في الصحن في فصل الشتاء للمطالعة والتمتع بحرارة الشمس ويبيتون فيه في فصل الصيف للاستمتاع بالهواء العليل

وكان بالأزهر ست مآذن ، منها مئذنة خارج باب المزينين وعلى يمين الداخل إلى الجامع وهي من انشاء عبد الرحمن كئخدا ، وكان يتوصل إليها من باب الميضأة الصغيرة القريبة من المدرسة الطيبرسية وقد ازيلت وكذا الميضأة وبني مكانهما الرواق العباسي وإدارة الأزهر .

وهناك ثلاث مآذن تطل على صحن الجامع ، أحداها مئذنة المدرسة الاقبغاوية وهي أول مئذنة عملت في مصر من الحجر المنحوت بعد المدرسة المنصورية وكانت المآذن قبل ذلك تبنى من الآجر ، وقد أنشأ هذه المئذنة الأمير علاء الدين الدين اقبغا عند بنائه

المدرسة . والمدرسة الثانية تقع على يمين الداخل وهي التي أنشأها السلطان الأشرف قايتباى ،
والثالثة تلى مئذنة قايتباى وقد أنشأها السلطان الغورى وهي أعلى منارات الأزهر وأعظمها ،
ويصعد إلى المئذنتين الأخيرتين من باب صغير فى صحن الجامع يصل إلى سطح الرواق
الغربى ولكل من المئذنتين باب خاص .

وفى الضلع الشرقى للجامع توجد مئذنتان أحدهما عند الطرف الجنوبى الشرقى ويتوصل
إليها من رواق الصعايدة ، والثانية عند الطرف الشمالى الشرقى يتوصل إليها من باب الشوربة ،
وهما من انشاء عبد الرحمن كئخذ

ومن التقاليد المرعية بالجامع الأزهر أن يكون المؤذن ضريرا ، محافظة على عورات
أهل المساكن المجاورة للأزهر ، وكان لكل مئذنة خلوة ينتظر فيها المؤذن حتى يحين موعد
الأذان ، وكان المؤذن لا يؤدى الأذان إلا بعد التبين الميقاى الذى كان يستدل عليه من
سبع مزاوول موجودة بالجامع الأزهر ، اربع منها بالصحن لمعرفة وقت الظهيرة وثلاث جهة
رواق معمر لمعرفة وقت العصر . وقد اندثرت هذه المزاوول ولم يبق منها غير مزاوولة على يمين
الداخل من باب المزينين واخرى مهملة على السطح . وهما من عمل احمد باشا كور متولى
مصر سنة ١١٦١ هـ وقد نقش عليها هذه الأبيات :

مزولة متقنة ، نظيرها لا يوجد
راسمها حاسبها هذا الوزير الأمد
تاريخها اتقنها ورير مصر أحمد

أبواب الأزهر

للجامع الأزهر تسعة أبواب ، أهمها الباب الرئيسي المعروف بباب المزينين وهو يتكون من بابين لكل منهما مصرعان ، والسبب في تسميته بهذا الاسم هو أن المزينين كانوا يجلسون في الممر الموجود بين المدرسة الطيبرسية والأقبغاوية والذي يفصل بين الباب الخارجى والباب الأصيلى القديم . ويحلقون رؤوس المجاورين . وقد انشأ عبد الرحمن كتحدا باب المزينين ، وقد نقش عليه بماء الذهب تاريخ انشائه في هذه الأبيات :

إن للعلم أزهـسرا يتسامى كسماء ما طاولتها سماء
حيث وفاه ذا البناء ولولا سنة الله ماتسامى البناء
رب ان الهدى هداك وآيا تك نور تهدى به من تشاء
مذ تناهى أرخت باب علوم وفخار به يجاب الدعاء

١٤٦٥

٨٨٧ ٧ ١٦ ١٠٦ - ١١٦٧ هـ

أما الباب الأصيلى للجامع وهو المواجه للداخل ممايلى الصحن فقد جدده السلطان الأشرف قايتباى ، وقد نقش عليه اسم منشئه وتاريخ انشائه .

بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هذا الباب والمثذنة الشريف مولانا السلطان الأشرف

٢٢٥

قايتباى بتاريخ شهر رجب ثلاثة منه سنة ٨٨٨ هـ وفوق هذه الكتابة نقش « لا اله الا الله محمد رسول الله نصر من الله وفتح قريب » بخط ثلث مملوكى جميل وفوق هذا النص نجد نصا آخر « وانما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » .

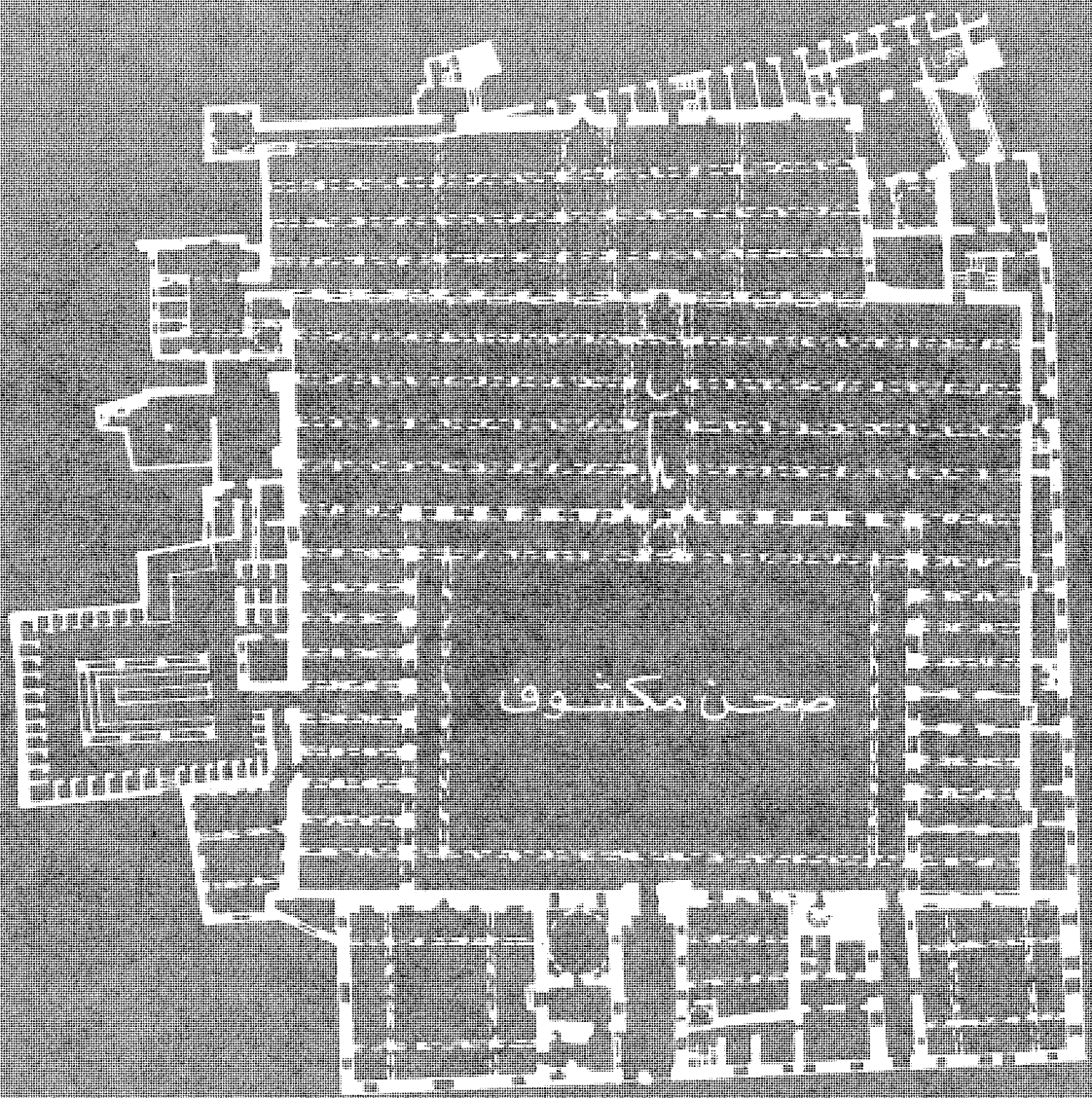
والباب الثانى هو الباب العباسى وهو كذلك فى الواجهة الغربية للجامع وقد أقامته وزارة الأوقاف عندما انشأت الرواق العباسى وهو باب ضخم شاهق الارتفاع نقش على واجهته الحجرية من الخارج هذه الأبيات التى تبين تاريخ انشائه :

للأزهر المعمور باب مواهب ظهر الفتوح به لكل الناس
فأنى السعود يقول فى تاريخه . بشر خديونا بباب عباس

كما نقش عليه مء الذهب كثير من الآيات القرآنية والجمل الدعائية .

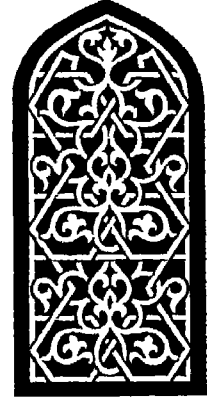
والباب الثالث هو باب المغاربة ، وهو تجاه درب الاتراك ويتوصل منه إلى صحن الجامع بعد المرور بين رواق المغاربة ورواق السنارية والاتراك ، ويعرف الباب الرابع باسم باب الشوام ، وهو فى الضلع الجنوبي للجامع ، فى مواجهة وكالة قايتباى ويتوصل منه إلى ايوان القبلة القديم . وباب الصعايدة وهو فى الضلع الجنوبي للجامع كذلك يطل على حارة الباطلية ، ويتكون من بابين على غرار باب المزينين وذلك لأن منشئهما هو عبد الرحمن كتحدا ومنه يتوصل إلى إيوان القبلة الجديد الذى انشأه كتحدا . والباب السادس يعرف باسم باب الحرمين وهو يسلك من رواق الحرمين وهو مغلق دائما وانشأه كتحدا . اما باب الشورية فإنه يقع فى الطرف الشمالى الشرقى لحائط القبلة وهو يوصل إلى إيوان القبلة الجديد وقد عرف بهذا الاسم لقربه من مطبخ الشورية الذى كان يطبخ فيه الارز فى شهر رمضان ويوزع على فقراء الجامع

والباب الجهرية وهو باب صغير يقع فى الضلع الشمالى للجامع وهو يوصل إلى ايوان القبلة الجديد بعد المرور بالمدرسة الجهرية ، ويطل على شارع الشنوانى امام مسجد العدوى ميدان سيدنا الحسين الآن وقد انشأه جوهر القنقبائى . أما الباب التاسع ويعرف بباب الميضأة وهو يوصل إلى ميضأة الجامع



جامع الأزهر الآن

جامع الحاكم بأمر الله



ينسب جامع الحاكم إلى الخليفة الفاطمي الثالث الحاكم بأمر الله ، لأنه هو الذي أتم بناؤه أما منشئه الأول فهو العزيز بالله والد الحاكم . والعزيز بالله هو ابن المعز لدين الله ، ولد بالمغرب وأمضى بها عهد الصبا والشباب المبكر ، ثم شارك أباه في تحمل مسؤوليات الدولة وأعبائها .

وكان شغل العزيز لدين الله الشاغل في ذلك الحين هو النجاح فيما يحققه أسلافه وأجداده . وهو فتح مصر تمهيدا لمد النفوذ الفاطمي إلى الجزيرة العربية وبلاد الشام حتى حتى تحل الدولة الفاطمية مكان الدولة العباسية التي دب فيها الضعف والاضمحلال .

تتبع العزيز بالله أمر فتح مصر منذ مولده وساهم فيه حتى كتب له النجاح ، فخرج العزيز بالله مع أبيه الخليفة المعز إلى الله مصر التي استقر فيها مع أبيه بحيث لم يمرض عامان على قدومه إليها حتى تولى فيها الخلافة الفاطمية وأصبحت الدولة الفاطمية في عهده امبراطورية كبرى.

رحب المصريون بقدوم المعز وولى عهده العزيز ، فقد كان تغيير الحكم في مصر عاملا على تحسين احوالهم الداخلية ، إذ أن المصريين قد وصلوا تحت حكم الدولة العباسية إلى درجة كبيرة من البؤس والعناء ، لذا أبدى المصريون رضاهم لقيام الدولة الفاطمية في مصر ، ورضوا بالعهد الذي قطعه لهم جوهر الصقلي الذي أمنهم فيه على أرواحهم وأموالهم ووقايتهم من غارات القرامطة الذين طالما تعدوا على حجاج مصر .

وبعد أن انتهى جوهر الصقلي من فتح مصر ، بدأ في انشاء حاضرة جديدة للخلافة الفاطمية تحل مكان الفسطاط والعسكر والقطائع . فوضع أساس العاصمة الجديدة في ليلة ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ وسماها (المنصورية) تخليدا لذكرى المنصور والد المعز ، وظلت تحتفظ بهذا الاسم حتى قدم المعز بعد أربع سنوات فسمى عاصمته القاهرة^(١) .

توفي المعز لدين الله في شهر ربيع الثاني سنة ٣٦٥ بعد أن حكم اربعا وعشرين سنة منها سنتان في مصر وبعد أن عهد لابنه العزيز بالله بالخلافة من بعده .

تولى العزيز بالله الخلافة في شهر ربيع الثاني سنة ٣٦٥ هـ ، وهو في الثانية والعشرين من عمره وهو خليفة شاب في دولة فتية ، ولذا أصبح عهده العصر الذهبي للدولة الفاطمية . يجمع المؤرخون على امتداح العزيز بالله ، في اخلاقه وعقله ، وسياسته وتسامحه ويعتبرونه آخر الخلفاء الفاطميين الأقوياء العظماء . فقد أصبحت الدولة الفاطمية في عهد العزيز امبراطورية عظيمة واستقرت الأحوال الداخلية ، فلم تقم ثورات داخلية وأصبحت الدولة الفاطمية موضع احترام وهيبة من جميع دول العالم .

يجمع المؤرخون على أن عصر الخليفة العزيز بالله كان أكثر العصور التاريخية في مصر تسامحا فقد أطلق الحرية في المسائل الدينية والسياسية ، إذ اعتمد على كثير من أهل الذمة واتخذ اطباؤه منهم .

وإلى جانب سياسة التسامح الديني التي انتهجها العزيز بالله ، نرى تسامحا عنصريا ،

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٤

فلم يفرق العزيز في المعاملة بين العناصر المختلفة التي كانت تقيم في مصر وفي سائر أقاليم الدولة الفاطمية ، بل عمل على حفظ التوازن بينها وجنبها الصراع العنصرى أو الطبقي حتى تعيش هذه العناصر كلها في مجتمع واحد متماسك .

فكان جيش العزيز بالله يتألف من جنود من عناصر مختلفة منهم العرب وقبائل المغرب من البربر ، ومن الصقالية ، ومن الأتراك والديلم . ولم يكن العزيز بالله بقادر على أن يهمل المغاربة ، التي قامت الدولة الفاطمية في المغرب على كواهلهم بالإضافة إلى أنهم يعتقدون المذهب الفاطمي الذي قامت على أساسه الدولة . ومن القبائل المغربية المذكورة قبيلتنا كتامة وزويله كما اعتمد العزيز على الأتراك إذ عهد إلى برجوان بتربية وتثقيف ابنه وولى عهده الحاكم بأمر الله ، وولى بعضهم المناصب الإدارية .

عنى العزيز بالله بتحقيق رفاهية الشعب المصرى فقام باصلاحات كثيرة وعنى بالناحية الإدارية عناية فائقة وحرص على دعوة المصريين إلى الولائم التي كان يقيمها في قصوره في جميع المناسبات الدينية والقومية ، كما اهتم بالاعیاد التي اعتاد المصريون احياءها وخاصة الاحتفال بوفاء النيل الذي كان من أبهر الاحتفالات الفاطمية . وحرص العزيز بالله على تنفيذ ما تعهد به جوهر الصقلی للمصريين عند فتحه مصر ، وأمر الخليفة بأن يسكن المغاربة بأطراف القاهرة ونهاهم عن مضايقة المصريين .

ظهرت المذاهب الاسلامية السنية بمصر وبرغم من أن مذهب الإمام أبي حنيفة هو أقدم المذاهب إلا أن مذهب مالك هو الذى دخل مصر أولاً وانتشر بها ، وظل الحال كذلك إلى أن قدم مصر الامام أبو عبيد الله محمد بن ادريس الشافعى سنة ١٩٨ هـ واعلن مذهبه الجديد بها وجعله يلائم الحياة المصرية فانضوى تحت لوائه الكثير من المصريين ونبغ من المصريين كثير في فقه المالكية والشافعية

كان المذهب الشيعى هو الاساس الذى قامت عليه الدولة الفاطمية ، ولذا عمل الخلفاء الفاطميون على نشر مذهبهم بين المصريين ، ولما كانت المذاهب الدينية لا تفرض بالقوة او بحد السيف بل بالإقناع والترغيب ، فقد عمل الخلفاء الفاطميون على تشجيع المصريين

واغرائهم على اعتناق المذهب^(١) الشيعي وذلك بتقليد الشيعيين منهم المناصب الكبرى وخاصة القضاء ، كما جعل الخليفة العزيز بالله مراكز كثيرة لنشر الدعوة الشيعية منها الجامع الأزهر وجامع أحمد بن طولون وجامع عمرو بن العاص ، وكانت رئاسة هؤلاء الدعاة لرجل يسمى (داعي الدعاة) يعاونه اثنا عشر نقيباً ونواب في سائر المدن المصرية وأصبح القضاة يصدرون احكامهم وفق المذهب الشيعي .

أجمع المؤرخون الأقدمون والمحدثون على امتداح الخليفة العزيز بالله ، فلم يعرف عنه انه شرب الخمر ، أو مارس ما كان يمارسه بعض الخلفاء من عبث أو مجون ، بل انصرف إلى شئون دولته والإهتمام برعاياه وجمع حوله طائفة من العلماء والفقهاء والشعراء وقد وصف المؤرخ ابن الأثير الخليفة العزيز بالله فقال إنه كان أسمر اللون طويلاً ، أصهب الشعر ، أزرق العينين كبيرهما ، عريض المنكبين ، عارفاً بالخيل والجواهر^(٢) .

سار الفاطميون على نهج الخلفاء الأمويين والعباسيين في تولية ابنائهم العهد فكان الخليفة الفاطمي إذا ادرك قرب وفاته عهد بالخلافة إلى أحد أبنائه ، ثم تتجدد هذه البيعة بعد وفاته .

وكان الفاطميون ينظرون إلى المخليفة الفاطمي باعتباره إماماً يرث أباه عن طريق التعيين بالنص ، وأنه لا بد أن يعين الخليفة أو الإمام ولي عهده قبل وفاته حتى لا يخلو العالم من إمام . وقد سن هذا النظام الخليفة الفاطمي القائم ففرض على كل من الخلفاء الفاطميين أن يعين من يخلفه قبل أن يدفن سلفه بيده ، وأن يشهد هذا التعيين أخلص الناس إليه وذلك وفقاً لتعاليم المذهب الإسماعيلي . فقد قال الخليفة الفاطمي المنصور لإبنيه المعز حين عهد إليه : « والله ما أنا آثرتك بما آثرتك به ، بل الله آثرك واختصك وأعطاك واجتباك^(٣) » .

(١) المقرئزي : خطط ج ٢ ص ٢٨٦

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٨١

(٣) التهان : المجالس والمسائرات ج ١ ص ١٥٢

اقتنى الخليفة العزيز بالله السياسة التي رسمها خلفاء الفاطميين في تعيين خلفائهم فعندما اشتد عليه المرض وكان ذلك في مدينة بلبيس وكان قد خرج على رأس الجيش الفاطمي لقتال القرامطة استدعى إليه القاضي محمد بن النعمان المغربي ، وأبا محمد الحسن ابن عمار زعيم كتامة واستشارهما في تولية ابنة المنصور أبي الذي أصبح لقبه بعد توليه الخلافة (الحاكم بأمر الله) وكانت وفاة الخليفة العزيز بالله في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٦٨ هـ وكان نبياً وفاته وقع شديد بالقاهرة فقد ودعته قبيل خروجه على رأس الجيش الفاطمي لقتال البيزنطيين في احتفال رائع كأنما هو الوداع الأخير . ثم ها هي تستقبل الحاكم بأمر الله الخليفة الجديد الذي دخل القاهرة وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة ، وبين يديه جثة أبيه الذي دفن بإحدى حجرات^(١) القصر الشرقي الكبير مع أبيه المعز .

يعتبر الحاكم من الشخصيات التي حار المؤرخون في تقديرها والحكم عليها وذلك لتصرفاته المتناقضة وأوامره المتعارضة . وقد اتهمه المؤرخون بالجنون أو الشذوذ ونفى بعضهم عنه ذلك . والواقع انه مصاب بنوع من جنون العظمة ، من ذلك تأييده لمن نادوا بالوهيته وان كان لا يؤمن تماماً بفكرة التألية ، ولكنه يعتبرها وسيلة لاحترام رعيته له . وقد دافع ابن خلدون عن الحاكم فنق^(٢) عنه اتهام المؤرخين له بالكفر فقال (وأما ما يرى به من الكفر وصدور السجلات باسقاط الصلوات فغير صحيح ولا يقوله ذو عقل ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته)

تمتعت مصر في عهد الحاكم بزخاء اقتصادي أدى إلى ترف ورفاهية وبالتالي إلى الدعة والتراخي ونوع من الفوضى الاجتماعية ، الأمر الذي رأى الحاكم معه أن يقضى على هذه الفوضى ويقر الآداب العامة ومكارم الأخلاق . من ذلك ما رآه من أن يضع حدا لشرب الخمر فمنع استيراد الزبيب أو بيعه كما أمر كل فرد بالا يشتري أكثر من أربعة أرتال عنب في كل مرة . كما أمر باتلاف اشجار الكروم .

(١) كانت تعرف باسم تره الزعفران .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٦٠

أمر الحاكم ألا يصطاد الصيادون سمكا بغير قشر حرصا على الثروة السمكية في البلاد .
كما منع ذبح البقر الا في عيد الاضحى مدفوعا في ذلك بالرغبة في تنمية الثروة الحيوانية .
كما تلجأ الحكومات الحديثة إلى نفس هذه الاجراءات حفاظا على الثروة الحيوانية
والسمكية^(١) .

لم يكن الحاكم شريرا أو شادا في كل أطواره إذ نرى أنه مال إلى التقشف والزهد في حياته
العامة والخاصة ومنع الناس من ذكر عبارة (سيدنا ومولانا) في المكاتبات الواردة إليه وحتم
عليهم أن يلقبوه بأمر المؤمنين . كما أمر بالآ يقبل أحد له الأرض ولا يقبل يده ، كما منع
ضرب الطبول والأبواق حول القصر الفاطمي ، ونهى عن إقامة الزينات في طريقه إلى المصلى
الذى أقامه بجبل المقطم . وصار يخرج للصلاة في أبسط المظاهر .

أولى الحاكم اهتمامه بالقضاء وتطهيره من الرشوة كما طارد العابثين بالأمن . هذا
بالإضافة إلى أن الحاكم كان زاهدا في اموال الدولة رغم ما تكسب له منها من أموال
وتحف^(٢) .

وقد اختلف المؤرخون في مقتل الحاكم بأمر الله ، فذكر بعضهم أن أخته ست الملك
هى التى أوعزت بقتله . وقد تصدى المقرئى^(٣) للرد على مؤيدى هذا الرأى فقال :
« فلما كان لليلتين بقيتا من شوال سنة عشر وأربعمائة فقد الحاكم وقيل ان أخته قتلتها
وليس بصحيح وكان عمره ستا وثلاثين سنة وببعض أشهر وكانت مدة خلافته خمسا وعشرين
سنة وشهرا ، وكان جوادا سفاكا للدماء قتل عددا لا يحصى ، وكانت سيرته من أعجب
السير وخطب له على منابر مصر والشام واقريقية والحجاز . وكان يشتغل بعلوم الأوائل .
وينظر في النجوم وعمل رصدًا واتخذ بيتا في المقطع ينقطع فيه الناس لذلك ، ويقال إنه
كان يعتربه جفاف في دماغه ، فلذلك كثر تناقضه وما أحسن ما قاله فيه بعضهم : كانت
أفعاله لا تعقل ، واجلام وساوسه لا تؤول » .

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٦٠

(٢) جمال سرور : مصر في عهد الدولة الفاطمية ص ٦٤

(٣) الخلط : ج ٤ ص ٧٤

ويقول المسبحى^(١) في مقتل الحاكم « في محرم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل من بنى حسين ثار بالصعيد الأعلى ، فأقر بأنّه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد ، وأظهر قطعة من جلدة رأسه وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فقيل لم قتلته ؟ فقال غيرة لله وللإسلام ، فقيل كيف قتلته ؟ فأخرج سكيننا ضرب به فؤاده فقتل نفسه ، وقال هكذا قتلته ، فقطع رأسه وأنفذ به الحضرة مع ما وجد معه » ويعلق المقرئى على رواية المسبحى فيقول : وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم لا ماتحكيه المشاركة في كتبهم من أن أخته قتلته .

(١) المسبحى : تاريخ مصر

جامع الحاكم

يصف المقرئى^(١) جامع الحاكم فيقول : هذا الجامع محارج باب الفتوح بأحد أبواب قاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد ، وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله . فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل أبوابها حيث هى اليوم ، صار جامع الحاكم داخل القاهرة ، وكان يعرف أولاً بجامع الخطبة ، ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الأنور .

وقد جاء فى تاريخ مصر للمسبحى^(٢) « وفى شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلى باب الفتوح من خارجه . وبدئ فى البناء فيه وتحلىق فيه الفقهاء والذين يتحلقون فى جامع القاهرة (بأى جامع الازهر) وخطب فيه العزيز بالله » .

ويقول فى حوادث سنة ٣٨١ هـ « ولاربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله فى جامعة صلاة الجمعة وخطب ، وكان فى مسيرة بين يديه اكثر من ثلاثة آلاف ، وعليه طيلسان وبيده القضيب (عصا) وفى رجله الحذاء وركب لصلاة الجمعة فى رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة إلى جامعه،ومعه ابنه منصور (هو الحاكم بأمر الله) فجعلت المظلة على منصور وسار العزيز بغير مظلة » . وقال فى حوادث سنة ٣٩٣ هـ : وأمر الحاكم بأمر الله

(١) الخطط ج ٤ ص ٥٥

(٢) المسبحى تاريخ مصر ص ١٦٣

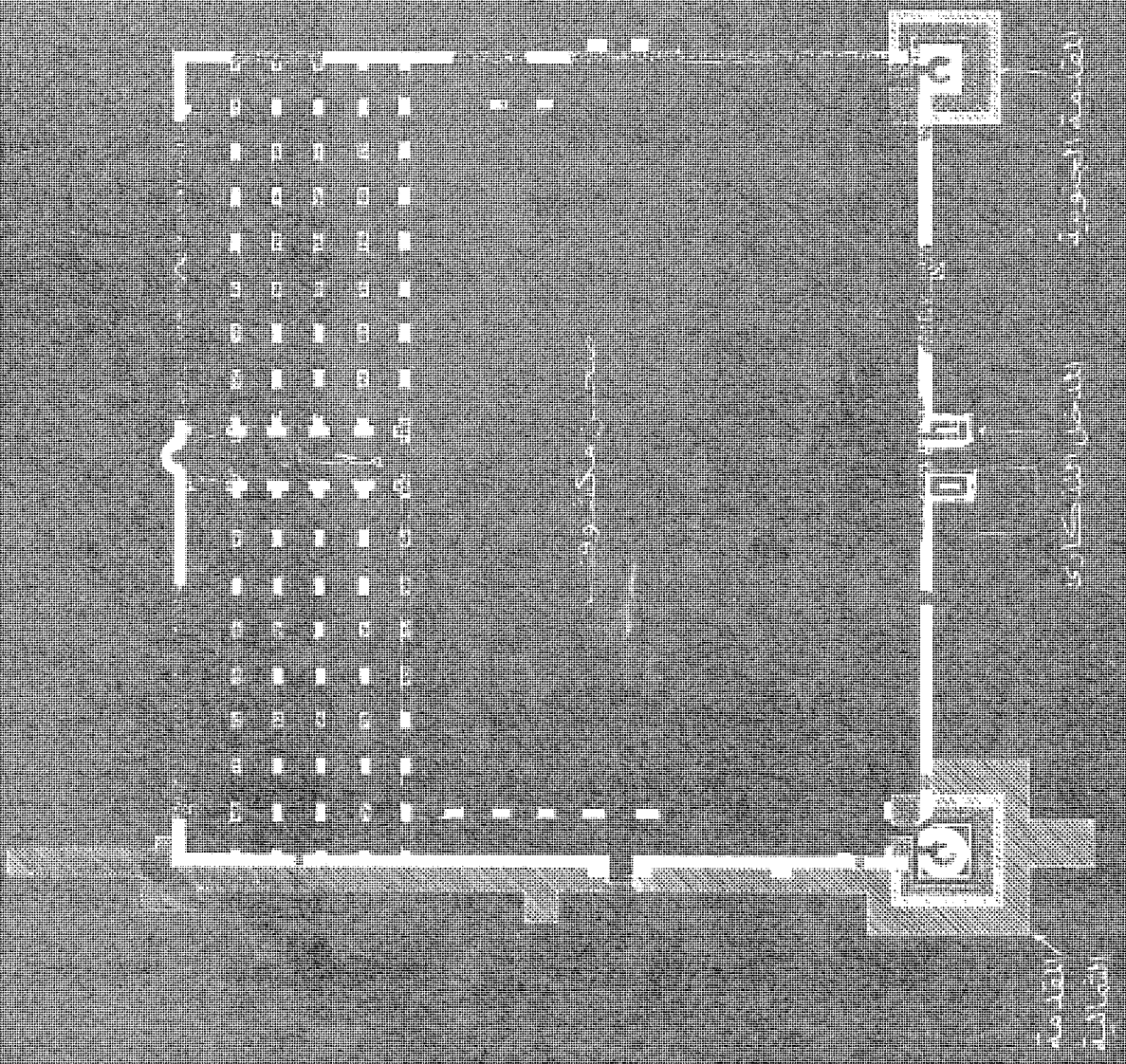
أن يتم بناء الجامع الذي كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ في بنيانه عند باب الفتوح ، فقدر للنفقة عليه أربعون ألف دينار فابتدأ في العمل فيه . وفي سنة ٤٠١ هـ زيد في منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفي سنة ٤٠٣ هـ ، أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج إليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان مقاس ما فرش من الحصر ، ستة وثلاثين ألف ذراع بلغت نفقتها خمسة آلاف دينار « ويضيف المسبحي فيقول : وقد تم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور^(١) ديبقية عملت له وعلق فيه تنانير (ثريات) فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة ، وفرش جميعه بالحصر التي له ، ونصب فيه المنبر ، وتكامل فرشه وتعليقه ، وأذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ٤٠٣ هـ لمن بات بالجامع الأزهر أن يمضوا اليه فمضوا ، وصار الناس طول ليلهم يمشون من كل جامع من الجامعين إلى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر ولا أصحاب الطوف إلى الصبح . وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة . وهي أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه . وفي سنة ٤٠٤ هـ حبس عليه الحاكم عدة قياسر وأملاك للصرف والأنفاق عليه .

وقد سجل على باب الجامع وكذا منبره ، اسمه وتاريخ البدء في اتمامه فقد ذكر ابن عبد الظاهر : وعلى باب الجامع الحاكمي مكتوب بانه أمر بعمله أبو منصور في سنة ٣٩٣ هـ وعلى منبره مكتوب انه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمي في سنة ٤٠٣ هـ . «

وقد توالى يد التجديد والتعمير على هذا الجامع ، ففي عهد الخليفة المستنصر عندما جدد سور القاهرة الشمالي وأدخل جامع الحاكم داخل الأسوار جددت بعض أجزاء المثناة الشمالية الغربية وقد سجل ذلك عليها ، إذ كتب عليها ان ذلك بنى سنة ثلاثين وأربعمائة في زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش . وقد تصدعت بعض جدران المسجد إثر الزلزال الذي حدث سنة ٧٠٢ هـ فأمر برم ما تهدم منه الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وأعاد ما سقط من البدنات وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديدا وجعل له عدة

(١) نسبة إلى مدينة ديبق بالمزلة التي اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية الفاخرة .

- الأصناف
- أضلاع الأركان
- بدر الصالح
- بنايس العاصم
- حدايق



أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد والاسكندرية . كما رتب فيه دروساً أربعة لقراءة الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة وقزر درسا للحديث النبوي وجعل لكل درس مدرسا وعددا كبير من الطلبة .

وقد جدد الجامع وبلط جميعه في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وأضيف إلى أوقافه قطعة أرض من ناحية طنطا (طنطا) قدرها خمسمائة وستون فدانا . ويقول المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ « والجامع الآن متهدم وما من زمن الا ويسقط من سقفه شيء فلا يعاد . فكانت ميضأته صغيرة فأنشأ شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحلئ الفسقيه التي في الميضأة الجديدة سنة ٧٨٠ هـ وبيض مئذنتيه واستجدت المئذنة التي بأعلى الباب المجاور للمنبر سنة ٨٢٧ هـ

ويقول على مبارك^(١) وفي سنة ١٢٢٢ هـ جدد به نقيب الاشراف السيد عمر مكرم أربع بوائك من مؤخره فجعلت مسجدا به منبر وخطبة ومطهره وأخليه .. وله في الروزنامجة بعض احكار وباقى الجامع خرب . ويضيف على مبارك فيقول : وبجوار جامع الحاكم من الجهة الغربية مدفن بناه الحاكم لنفسه ولم يدفن به ، وعرف فيما بعد بمدفن الساعى ، وهو بناء متسع تعلوه قبة ومبخرة مرتفعة ، وفيه شواهد على أسماء الموقى المدفونين هناك .

أما التخطيط الأساسى لجامع الحاكم فيتكون من صحن مكشوف تحيط به من جهاته الاربع أروقة مسقوفة ، ويتكون ايوان القبلة من خمسة صفوف من العقود المحمولة على دعائم مستطيلة اركانها مستديرة على هيئة أعمدة ملتصقة . ويشتمل كل من الرواق البحرى والقبلى على ثلاثة صفوف من الدعائم ، أما الرواق الغربى فيشمل على صفين من الدعائم فقط . ويتوسط رواق القبلة مجاز مرتفع ينهى بقبة امام المحراب ، وفي طرفى جدار القبلة

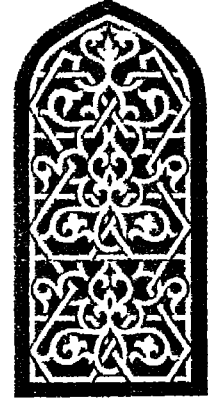
(١) الخلط التوفيقية ج ٥ ص ٨١

أقيمت قبستان ، جددت رقبة الجنوبية منهما ولم يبق من الاخرى سوى ركن واحد من أركانها ولكن مصلحة الآثار اعادتها إلى حالتها الأولى . أما المحراب الأصلي فلم يبق منه غير تجويفه فقد نقلت . إدارة لجنة حفظ الآثار العربية الكسوة الرخامية التي كسى بها عمر مكرم هذا المحراب إلى متحف الفن الاسلامي .

ويمتاز جامع الحاكم بأن المدخل الرئيسي للجامع يبرز عن سمت واجهته الغربية ، وهذه الظاهرة ليس لها مثيل الا في جامع المهديّة بتونس الذي يرجع إلى أوائل القرن الرابع الهجري ، ثم وجدت بعد ذلك في جامع الظاهر ببيرس البندقداري . وتنتهي الواجهة الغربية ببرجين يتكون كل منهما من مكعبين يعلو أحدهما الآخر ، المكعب الأول يرجع إلى وقت انشاء الجامع والمكعب الثاني من عمل ببيرس الجاشنكير . ويوجد في البرج السالمى مثذنة اسطوانية الشكل اما في البرج الجنوبي فتوجد مثذنة أخرى تبدأ مربعة ثم تنتهي بمثلث . وقد نقش على بدن المثذنتين زخاف نباتية وهندسية غاية في الدقة والابداع ، كما حليت بأشرطة كتابية بالخط الكوفي المزهر

* * *

مشهد
القباب السبع
أو السبع بنات
بالقرافة لكبرى جنون الفسطاط



يقول المقرئى^(١) هذه القباب بأخر القرافة الكبرى مما يلى هاينة مصر (أى مصر القديمة) وجاء فى كتاب المغرب^(٢) : أن القباب السبع مشهورة بظاهر الفسطاط وهى عبارة عن مشاهد على سبعة من بنى المغربى قتلهم الخليفة الحاكم بعد فرار الوزير أبى القاسم الحسين بن على بن المغربى وفى ذلك يقول أبو القاسم المغربى :

إذا شئت أن ترنو إلى أطف^(٣) باكيا فدونك فأنظر نحو أرض المقطم
تجد من رجال المغربى عصابة مضمخة الأجسام من حل الدم
فكم تركوا محراب أى معطل وكم تركوا من سورة لم تختم

(١) الخطط - ٢ ص ٤٥٩

(٢) ابن سبىء : المغرب فى حل المغرب ص ٦٩

(٣) الطف البعقة التى قتل فيها الامام الحسين بكر بلاء

وبنو المغربى أصلهم من البصرة صاروا إلى بغداد وكان أحد أفرادها وهو أبو الحسن على بن محمد قد تقلد منصب ديوان المغرب فى الدولة العباسية ببغداد ، فنسب به إلى المغرب . كما تقلد ولده الحسين الذى ولد ببغداد أعمالا كثيرة فى الدولة العباسية ، ومنها تدبير أمر الدولة فى بغداد ، وكان أخو زوجته أبو على هارون بن عبد العزيز الأوارجى من أصحاب أبي بكر محمد بن رائق ، فلما لحق ابن رائق مالحقه بالموصل ، صار الحسين بن على المغربى إلى الشام حيث التقى بأمير مصر محمد بن طغج الأخشيد فأقام عنده ثم حمله هو وجميع أفراد أسرته ممن كانوا ببغداد إلى مصر . ولكن ابن المغربى لم يلبث طويلا فى مصر فقد خرج منها إلى حلب ولحق به سائر أهله ونزلوا عند سيف الدولة الحمدانى وبقوا عنده مدة حياته . ثم شجر بين ابن المغربى وبين ابن سيف الدولة شجار ففارقه وصار إلى (بكجور) بالركة فحسن له مكاتبة العزيز بالله نزار الخليفة الفاطمى بمصر والتحيز إليه ، فلما وردت على العزيز بالله مكاتبة (بكجور) قبله واستدعاه وخرج من الرقة يريد دمشق فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق وخلفه فتسلمها وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة ابن المغربى فلم يتم له الأمر ، فقال لابن المغربى : غررتنى فيما أشرت به على وتنكر له ففر ابن المغربى إلى الرقة ومنها إلى الكوفة وهناك كاتب الخليفة الفاطمى العزيز بالله يشأذنه فى القدوم ، فأذن له وقدم إلى مصر فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة .

وقد أكرم العزيز بالله وفادة أبي الحسن على بن الحسين بن المغربى ، ورتب له فى كل سنة ستة آلاف دينار ، وصار من شيوخ الدولة ، وقد استطاع بفضل الأموال الكثيرة التى كانت تغدق عليه شراء كثير من الأراضى والأملاك ، لعل من أهمها المنطقة التى تقع جنوب القاهرة من الجهة الشرقية فى الطريق إلى المعادى التى تعرف باسم البساتين ، التى عرفت بعد أن اشتراها ابن المغربى باسم (بساتين الوزير) .

ويحدثنا المقرئى عن هذه البساتين : فيقول : هذه البساتين فى الجهة القبلىة من بركة الحبش وهى قرية فيها عدة مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة ، وعرفت البساتين باسم الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن المغربى .

وكان لأبي الحسن بن المغربي هذا ولد أسمه أبو القاسم ذو همة وفطنة وذكاء شديد إلى الحد الذي أزعج والده ، فقال لمؤدب ولده ، وهو علي بن منصور المعروف بأبي الحسن دوخله القادح ، سرا : « أنا أنحاف همة لإبني أبي القاسم أن تؤدي بنا إلى موارد الهلاك ،

فإن كانت الأنفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعتي بها » . ولم يمض وقت طويل حتى صدق حدس أبي الحسن المغربي ، فقد حدث في يوم من الأيام أن قال أبو القاسم لمؤدبه هذا إلى متى نرضى بالخمول الذي نحن فيه ، فقال له وأى خمول هذا ، تأخذون من مولانا في كل سنة ستة آلاف دينار وأبوكم من شيوخ الدولة ، فرد أبو القاسم قائلاً : أريد أن تصير إلى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ، ولأرضي بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان . فقص المؤدب ابن دوخلة القادح ، ما قاله أبو القاسم على والده ، فقال أبوه ، ما أخوفني أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على لحيته وهامته . وعلم ذلك أبو القاسم فصارت بينه وبين مودبه وحشة وكان ذلك في خلافة الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله » . ويكمل المقرئ القصة فيقول : وتحدث القائد أبو عبد الله الحسين بن جوهر ، وكان الحاكم قد أكثر من قتل رؤساء دولته وصار يبعث إلى القائد كلما قتل رئيساً برأسه ويقول هذا عدوى ، وعدوك ، فقبض على أبي الحسن علي بن الحسين المغربي والد الوزير أبي القاسم الحسين وعلي أخيه أبي عبد الله محمد بن الحسين وعلي محسن ومحمد أخوى الوزير المذكور لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربعمائة وفر الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربي من مصر في زى حمال ولحق بحسان بن الجراح .

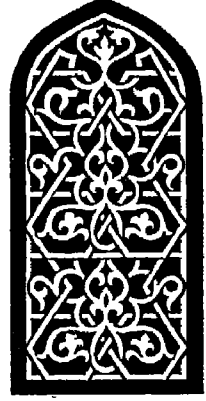
وصف الضريح

إلى الجنوب من الفسطاط (مصر القديمة) يوجد أربعة أضرحة فُقدت جميعها القباب المقامة عليها وكذلك بعض أجزاء من جدرانها . وتقع الأضرحة الأربعة على محور واحد وكلها متشابهة من حيث التصميم المعماري ، إذ يتكون كل منها من مربع طول ضلعه حوالى (٦ر٥) أمتار من الخارج و (٤ر٢٥) أمتار من الداخـل وكل منها يحتوى على محراب إلا واحد منها يحتوى على محرابين . ويحتوى كل ضريح على ثلاث طوابق ، الأسفل مربع الشكل وفى وسط كل ضلع فتحة معقودة . ويمثل الطابق الثانى مرحلة الإنتقال من المربع إلى المثلث ويتكون من أربعة مقرنصات كبيرة فى الأركان الأربعة وبينها أربع نوافذ معقودة . أما الطابق الثالث فهو مثلث الشكل ويكون الرقبة التى تقوم فوقها القبة وفى كل ضلع من أضلاع المثلث يوجد فتحة صغيرة ، أما القبة فللأسف قد سقطت فى جميع الأضرحة . ونلاحظ أن الطابقين العلويين كل منهما داخل فى الطابق الذى أسفله وذلك من الخارج ، أما فى الداخـل فلا نلاحظ ذلك .

وقد بُنى الدور الأول من الأضرحة بالحجر المتحوت ، أما الطابقان الثانى والثالث فمن الآجر وقد غطيت المباني بطبقة سميكة من الجص زال معظمها من الخارج وبقيت أجزاء كثيرة منه فى الداخـل . ويحيط بكل ضريح فناء منفصل مربع الشكل كذلك ، ولكل مدخله فى الضلع الشمالى منه .

وقد قامت لجنة حفظ الآثار الإسلامية بالكشف، عن ضريحين من الأضرحة الثلاثة الباقية وبذلك يكون الموجود حاليا ستة أضرحة أما الضريح السابع فقد إندثر تماما .

مسجد
أبوالمعاطي
بمحافظة دمياط



مدينة دمياط من ثغور مصر القديمة على الشاطئ الشرقي لفرع النيل المعروف بفرع دمياط وقد خضعت للحكم الإسلامي منذ فتح العرب مصر ، فقد ورد في كتاب فتوح البلدان للبلاذري : لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجه عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهله ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط . ومنذ أن دخل العرب مصر ، أخذت بعض القبائل العربية تنزح إليها لإستيطائها وكان بعضهم قد قدم مع عمرو بن العاص ، وجاء البعض الآخر بعد ذلك وكانت لهم إقطاعات في جميع الولايات والأعمال . فانتقلت بطون من قريش ، ومنهم قوم من نصر بن معاوية من هوازن ، ومنذ سنة ٦٤٢ م بدأت دمياط تتعرف على العرب المهاجرين إليها من شبه الجزيرة العربية وإلى المرابطين من رجال الجيش الفاتح ، كما بدأت إقامة المساجد بها ، ولا يزال يوجد بدمياط اليوم مسجد قديم يسمى جامع فاتح يقال أنه يرجع إلى عهد عمرو بن العاص ، جدد عدة مرات فاندثرت معالمه الأثرية الأصلية .

على أنه من الواضح أن العرب لم يجدوا في دمياط وتينيس وسائر جزر بحيرة المنزلة ما يرغبهم في الهجرة إليها في جموع كثيرة ، ولعل ذلك راجع إلى اشتغال أهلها بالملاحة والصناعة وهي حرف تركها العرب لأربابها ، جريا على السياسة التي استنوها لأنفسهم ، وهي ترك الحرف والصناعة والإدارة في أيدي أهلها وأن يتولوا هم الإشراف والحرب . ولذلك فقد ظلت أكثرية أهل دمياط حتى القرن العاشر الميلادي من القبط .

ولما تولت الدولة الفاطمية كان أول ما أوجعت إليه عنايتها بعد استقرار الأمور هو وضع نظام جديد للضرائب ، وتحصيل ما تأخر منها ، فقد جمع من دمياط وتينيس والأشمونين في يوم واحد أكثر من مائتين وعشرين ألف دينار ، وذلك أمر لم تعهده مصر من قبل . وقد أدت حالة الهدوء والاستقرار التي نعمت بها البلاد في العصر الفاطمي إلى ازدهار الصناعة والتجارة ولاسيما في المدن العريقة كدمياط ومدن بحيرة المنزلة التي اشتهرت منذ أقدم العصور بصناعة المنسوجات الجميلة ، والتي أفرد لها كل من تكلم عن مصر من مؤرخي العصور الوسطى صفحات طوال يعدد فيها أنواع منسوجات دمياط وخاماتها وطرزها وألوانها وما إلى ذلك . فيقول المقدسي : أما الثيلب الشطوية (شطا قرية بين دمياط وتينيس) فلا يمكن أن ينسج منها أي شيء إلا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ولا تباع إلا على يد سماسرة قد عقدت عليهم ، وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ، ثم تحمل إلى من يطويها ، ثم إلى من يشدها بالقشر ثم إلى من يشدها بالسنت و إلى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه وكل واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند إقلاعها .

ولم تقتصر نهضة دمياط وكورها في العصر الفاطمي على الناحية الفنية والصناعية فحسب بل شملت كذلك الناحية الثقافية ، فقد كانت مساجدها حافلة بطلاب العلوم الدينية وبالزوار من الفقهاء والشعراء والكتاب ، الذين سجل بعضهم مشاهداتهم كما فعل المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) ومن القضاة أبو الفتح العسقلاني الذي تولى القضاء في دمياط في القرن الخامس الهجري . ومن أدباء دمياط أشعر شعراء الدولة الفاطمية ، ابن قادوس الدمياطي والابن ميخائيل أسقف دمياط وله عدة مؤلفات أخلاقية ودينية .

ولما استقل صلاح الدين بحكم مصر ، وكانت الأنبياء قد وصلت باستعداد جديد للفرنج لغزو دمياط أمر بتحصين قلعة تنيس وأسوارها وترميم سور دمياط وتزويد برجها بالمقاتلة ، تعرضت دمياط لحملة لويس التاسع التي انتهت بالفشل الذريع بالنسبة للصليبيين وأسر فيها لويس التاسع وأنزلوه في دار ابن لقمان في المنصورة . وكان من أثر هذه الحملات المستمرة على دمياط التي انتهت بغزوة لويس التاسع أن تخربت المدينة مما دعا إلى إنشاء بليدة صغيرة بالقرب منها تسمى بالمنشية وكانت ذات أسواق وحمامات ، ومازال بدمياط حتى اليوم حى بهذا الاسم يعرف بالقرية القديمة . وكانت دمياط في القرن الثالث عشر ملجأ للمهاجرين من أهل العراق يجتمعون ويترافقون ويخرجون من دمشق إلى مصر ، فكان أكثرهم ينزل إلى البحر ويحجى من جهة دمياط ويدخلون مصر وهم في أتعس حال .

ولما ضعفت دولة المماليك الشراكسة في القرن السادس عشر ، أضحت دمياط منفي للمتمردين من المماليك ، وأهمل أمرها ووقفت حركة التصدير نتيجة لفرض الضرائب الباهظة ولانتشار الظلم وعبث القراصنة ، وظلت كذلك حتى دخل العثمانيون مصر ، واستولوا عليها سنة ١٥١٧ م . وقد عانت دمياط في العصر العثماني ما عانتها كافة البلاد ولكنها كانت بمنأى نسبيا عن الفتن والصراع بين الهيئات الثلاث الحاكمة ، وهي الوالى والديوان والمماليك . ولما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر في القرن الثامن عشر ، أدلت دمياط بدلها في الدفاع عن كيانها والذود عن إستقلالها ، ولكنها اضطرت في النهاية إلى التسليم . وقد تولى الجنرال كليبر أمر الإشراف على تحصين دمياط خشية إستيلاء الإنجليز أو العثمانيين عليها .

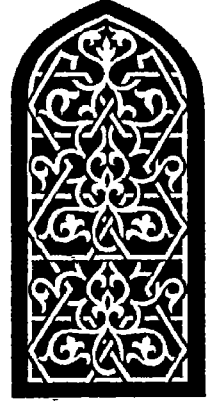
وما زالت دمياط تحتفظ بالكثير من آثارها الإسلامية ، فهناك مسجد المعينى الذى ينسب إلى محمد بن محمد الملقب معين الدين الفارسكورى الأصيل ، الدمياطى المولد والدار والمتوفى سنة ٨٦٠ هـ . وكان معين الدين من كبار التجار في دمياط ، وكان أبوه مشرفا على قاعدة تجار دمياط ، كما كان ينوب عن قضاتها ، وقد بنى بدمياط كثيرا من العمائر أهمها المسجد والمدرسة المعروفين بأسمه ، وجاء في الخطط التوفيقية أنه كان

مولى جوهر العيني . ومن المساجد الهامة بدمياط كذلك مسجد البحر الذى عرف بهذا الاسم لوقوعه على فرع دمياط مباشرة ، ويدل أسلوب عمارته على أنه بنى في العصر العثماني .

وقد أزلت وزارة الأوقاف مسجد البحر حديثا وأنشأت مكانه مسجداً جديداً يعتبر من من روائع العمارة الإسلامية في القرن العشرين . ويعد مسجد المدبولى كذلك من المساجد الهامة ، فقد جاء في الخطط التوفيقية : جامع المدبولى ، وهو المدرسة المدبولية التى أنشأها قايتباى لسيدى إبراهيم المدبولى بعد الثمانمائة من الهجرة « ولكن طرازه المعماري يدل على أنه قد أعيد بناؤه في العصر العثماني في القرن الثامن عشر . وقد عثر على تاريخ على باب المسجد هو سنة ١٨١٤ م مما يدل على أنه جدد مرة ثانية في القرن التاسع عشر » . وإلى جانب هذه المساجد الأثرية يوجد كذلك مجموعة كبيرة من الزوايا والأضرحة أهمها زاوية الرضوانية وضريح جمال الدين شيخه وزاوية البدرى .

أما مسجد أبو المعاطى فيعتبر أقدم مساجد دمياط وأكبرها إذ تبلغ مساحته ما يقرب من فدان ، هذا بالإضافة إلى المحلات التى أدخلت فيه بعد إنشائه . وقد بنيت جدران المسجد الأربعة بحيث تواجه الجهات الأصلية مواجهة تامة دون إحراف ، ولذلك جاءت قبلته في وضع غريب في الزاوية الجنوبية الشرقية الحادثة من تقابل الضلع الجنوبي والضلع الشرقى لهذا المسجد وهذا أمر نادر الحدوث . ويتكون المسجد من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات ، وتحتوى الجهة الجنوبية وهى إيوان القبلة على أربعة أروقة أما الإيوانان الشرقى والغربى فيحتوى كل منهما على رواقين أما الإيوان الشمالى فلا أروقة به . وما يجدر ملاحظته أن أعمدة هذه البوائك مختلفة الألوان ومتعددة التيجان والأشكال كما أن عقودها غير منتظمة الإتجاه أو الشكل مما يدل على كثرة الإصلاحات والتجديدات التى أجريت لهذا المسجد . ويوجد بالمسجد بعض الكتابات التذكارية التى تثبت بعض التجديدات ، فقد عثر حديثا على كتابة على أحد الأعمدة يدل أسلوب خطها الكوفى المزهر على أنها ترجع إلى العصر الفاطمى في القرن الخامس الهجرى . كما عثر على إفريز خشبي يحيط بالقاعة التى تواجه الباب الغربى ، كتب عليه تاريخ إحدى العمارات التى تمت سنة ١٠٧٢ هـ . وبالقرب من الباب الغربى توجد مثناة المسجد وهى مبنية من الحجر وكذا المسجد كله . وكان المسجد يحتوى على مائة وستين عمودا لكن الباقى منها الآن (١٤٤) عمودا .

مسجد
التوبة ببوصير
بمركز الصف
محافظة الجزيرة



الجزيرة من المدن القديمة التي أنشئت وقت الفتح العربي ، قال عنها ياقوت في معجم بلدانه ، الجزيرة بالكسر لغة العرب أى أفضل موضع فيه كله . والجزيرة بليدة في غربى فسطاط مصر وقبالتها على الضفة الغربية لنهر النيل ، ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل كور مصر ، وجاء في الخطط المقرية ، الجزيرة الناحية والجانب والجزير جانب الوادى ، وقد يقال أفضل موضع فيه ، ثم قال . والجزيرة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربى تجاه مدينة الفسطاط ويقول ابن دقماق الجزيرة مدينة إسلامية بنيت سنة ٢١ هـ ، وأنها تقع خلف العمود (المقصود هنا العمود الذى يتوسط بئر مقياس الروضة) وكان الطريق إليها من الجزيرة (أى جزيرة الروضة) على جسر إلى أن قطعة الخليفة الفاطمى .

ويقول مؤرخو مصر فى العصور الوسطى عن السبب الذى من أجله أنشئت مدينة الجزيرة إن عمرو بن العاص لما رجع من الاسكندرية بعد فتحها ونزل الفسطاط ، جمع طائفة من

جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية . فلما استقر عمرو في الفسطاط ، أمر الذين خلفهم في الجيزة أن ينضموا إليه فكرهوا ذلك وقالوا هذا مقدم قدمناه في سبيل الله وأقمنا به ، ما كنا بالذين نرغب عنه ، ونحن به منذ شهر ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يخبره بذلك ، فرد عليه عمر كيف رضيت أن تفرق بينك وبين أعوانك وأصحابك فتجعل بينك وبينهم بحرا ، لا تدرى ما يفاجئهم فلعلك لا تقدر على غيائهم فأجمعهم إليك ولا تفرقهم ، فإن أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من فيء المسلمين . فجمعهم عمرو بن العاص وأخبرهم بما جاء في كتاب عمر بن الخطاب . فامتنعوا عن الخروج من الجيزة ، مادام أمير المؤمنين قدترك لهم الخيار . عند ذلك أمر عمرو ببناء الحصن عليهم ، فكرهوا ذلك وقالوا لا حصن أحصن لنا من سيوفنا . ولكن عمرو أصر على تنفيذ أمر عمر بن الخطاب فأقرع عمرو بين قبيلة همدان ويافع ، وهما القبيلتان اللتان كرهتا بناء الحصن . فوَقعت القرعة على يافع فقامت ببناء الحصن سنة ٢١ هـ و فرغت من بنائه سنة ٢٣ هـ ولما تم بناء الحصن أمرهم عمرو بالخطط بها فاخترت كل قبيلة خطة لها .

ويقول المقرئى ، أن أول مسجد جامع بنى بالجيزة أنشأه محمد بن عبد الله الخازن سنة ٣٥٠ هـ بأمر الأمير على بن الأختيد وأشرف عليه كافور ، وكان الناس قبل ذلك يصلون الجمعة في مسجد همدان . ثم بنيت بعد ذلك عدة جوامع أشهرها الجامع القديم المعروف بجامع أمير الجيوش بدار الجمالى في عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله في القرن الخامس الهجرى .

وجاء في الجبرئى ، أن بالجيزة جامعا يعرف بجامع أبى هريرة الذى جدد في القرن الثانى عشر الهجرى ، على أن أبى هريرة هذا ليس هو الصحابى المعروف ، فقد ذكر السخاوى في تحفة الألباب ، أن أبى هريرة الصحابى مات على بعد فراسخ من المدينة وحمل إليها ودفن بالبقيع .

ويقول الرحالة ابن جبير أنه حدث في القرن الثامن الهجرى أن منع السلطان الناصر محمد بن قلاوون وزيره أن يتعرض إلى شئ مما يتحصل من مال الجيزة ، فصار جميعه

يحمل إليه وأضاف : وبخارج الجيزة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لا علم له أن أبا هريرة الصحابي وليس كذلك ، بل هو منسوب إلى ابن إبنته .

ويصف على مبارك الجيزة في القرن التاسع عشر فيقول ، الجيزة مدينة كثيرة الأسواق والوكائل والخانات وجوانيت مملوءة بالتجارة والبضائع من جميع الأصناف ، كما يوجد بها كثير من أرباب الحرف ، فيوجد بها تجار البز والحرير والنحاس والعقاقير والدخان ومعاصر الزيوت وطواحين بخارية ومعامل للفخار وأنوال النسيج القطن وغيره . وقد اتخذت الجيزة سكناً للأمراء المماليك وكبار رجال الدولة منذ العصر العثماني .

ومن العلماء الذين ينتسبون إلى الجيزة بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله خطيب مصر أهل زمانه ، كان كثير الصحبة بالملك الصالح نجم الدين أيوب ، ولما سافر إلى الحج أهدى إليه ملك اليمن هدية فحنق عليه الملك الصالح وفارق صحبته . ومنهم الطبيب علي بن رضوان بن علي بن جعفر كان عالم مصر في أيام المستنصر بالله الخليفة الفاطمي وكان أول أمره منجماً ، ثم قرأ شيئاً في الطب وشيئاً في المنطق وصنف كتباً بلغت إثنين بعد المائة كلها مبتكرة مستنبطة .

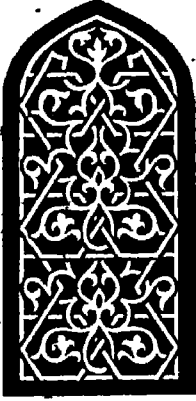
وصف المسجد

ومما تقدم يتبين لنا أن مدينة الجيزة هي ثانية إثنين أختطهما العرب بعد فتح مصر ، الأولى مدينة الفسطاط (مصر القديمة الحالية) سنة ٢١ هـ والثانية الجيزة سنة ٢٣ هـ . ومن الآثار الإسلامية الهامة التي ما تزال باقية حتى اليوم المسجد الموجود ببوصير من أعمال الجيزة والمعروف باسم مسجد موسى أو مسجد التوبة . وقد اختلف الكتاب والمؤرخون في تسميته وذهبوا في ذلك مذاهب شتى خرجت في كثير من الأحيان عن التاريخ الواقعي والقصة المقبولة أو المعقولة إلى حد الخرافة والأسطورة . ومن القصص التي يرويها المقرئ عن هذا المسجد ما يلي : الجيزة ، يقال أن مسجد التوبة الذي بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذي قذفته أمه في النيل ، وبه النخلة التي أرضعت السيدة مريم تحتها طفلها اليسوع عليه السلام . كما يضيف المقرئ نقلا عن القضاة الرواية التالية : سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة ، أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان . وفيه أثر نبين أحدهما سجن يوسف ، الذي قيل أن يوسف عليه السلام سجن به سبع سنين ، وكان الوحي ينزل عليه فيه ، والنبي الآخر موسى عليه السلام وقد بنى على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى أو مسجد التوبة .

ولا يعني في هذا البحث أن نحقق ما جاء في هذه القصص ، وذلك لإستحالة إثباتها ماديا أو أثريا أو تاريخيا ، ولكن الذي نستطيع أن نقول به أن هذه المنطقة ظلت طوال العصر الإسلامي ينظر إليها كمنطقة مباركة « يرجى أن يستجاب فيها الدعاء » ويقول

القضاعي في ذلك ، أن كافور الأحمدي سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف بإجابة الدعاء ليدعو فيه ، فأشار عليه بالدعاء على سطح سجن يوسف ثم يضيف ، وكان لسجن يوسف وقت يمضي إليه الناس يتفرجون عليه . وذكر المسبحي في حوادث سنة ٤١٥ هـ أن الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله ، خرج وعدى في سائر عساكره إلى الجيزة في أربع عشاريات (سفن) وأربع عشرة بغلة من بغال النقل ، ومعه خاصته وحرمه إلى سجن يوسف عليه السلام ، وأقام هناك يومين وليلتين .

وما يؤكد عناية الفاطميين بهذا المكان ، وجود بقايا لمسجد قديم إندثر معظم أجزائه ولم يبق منه غير السور الخارجي والمحراب وهما من عمائر الدولة الفاطمية ويقع المسجد على سفح الجبل الشرقي بمركز الصف فهو بذلك يشرف على المناطق المجاورة كما تراه السفن العابرة في نهر النيل . وبجانب المسجد القديم يوجد مسجد مجدد يعرف باسم مسجد التوبة عبارة عن بناء مربع في أركانه مقرنصات كبيرة حولت المربع إلى مثنى أقيمت فوقه رقبة مثمنة فتحت في أضلاعها نوافذ لإضاءة المكان . ويعلو الرقبة قبة مديبة . ومن المرجح أن تكون القبة كذلك من أعمال العصر الفاطمي إلا أن أعمال الإصلاح والترميم قد غيرت الكثير من معالمها الأصلية .



الجامع العتيقيق بمحافظة سوهاج

سوهاج مدينة مصرية قديمة في الصعيد الأوسط ، كانت تابعة لكورة القوصية في العصر الفاطمي ثم أعمال القوصية في العصر المملوكي ، وبعد أن ألغيت ولاية القوصية سنة ١٥١٧ م أصبحت تابعة لولاية جرجا ، وفي القرن العشرين أصبحت سوهاج قاعدة مديرية جرجا ، وفي سنة ١٩٦٠ أصبحت عاصمة سوهاج .

وجاء في القاموس^(١) الجغرافي أن سوهاج قرية صغيرة كان أسمها في العصر الفرعوني (بونباي) كما وردت في لوحة تذكارية جنائزية منقولة من سوهاج ، أما أسمها المدني فهو (باهو) وأسمها القبطي (بونباهي) . ووردت في معجم البلدان ، سوهاى قرية بمصر من قرى أنخيم وردت باسم سوهاى في قوانين الدواوين لابن ممتى . وإن جاءت في بعض معاجم البلدان فحرفة باسم سوماي وقد استمرت باسم سوهاى في دفاتر الروزنامة القديمة وتاريخ (أى دفاتر تقدير الربيع أى ما تغله الأرض) سنة ١٢٣١ هـ ، ثم حرف إلى سوهاج ،

(١) القاموس الجغرافي ص ٩٨ .

فوردت به لأول مرة في قائمة مساحة سنة ١٢٧٢ هـ ولا يزال هذا اسمها إلى اليوم ، ووردت باسم شوهاى في كتاب السلوك للمقرئزى ولعله تصحيف لاسم شوهاى .

وكانت شوهاج تشتهر بصيد السمك منذ أقدم العصور ، الذى كان يعمل منه نوع من الطعام يعرف باسم الملوحة ، ويقبل أهل الصعيد عامة وأهل شوهاج خاصة على تناوله ، وهو يقابل (المش) عند أهل الدلتا . ويقول الفيروزبادى عن الملوحة أنها تصلح المعدة ، أما القزوينى فيقول أن التمضمض بها نافع في إزالة أسنن من الفم .

وفي جزيرة التبيل شرقى مدينة شوهاج ، توجد نزلة صغيرة يسكنها جماعة من عرب بنى واصل يقال لهم أولاد محروس ، وقد عمّر أولاد محروس النزلة وبنوا فيها المساجد والبيوت وغرسوا النخيل والأشجار ، وزرعوا قصب السكر وأنواع الخضر التى كانوا يبيعونها لشوهاج وأخميم . كما كانوا يزرعون أنواعا من الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون ، وكان مشهورا في القاهرة باسم الأفيون الأخميمى .

وبمدينة شوهاج مساجد جامعة وزوايا عامرة ، وأكبر مساجدها الجامع القديم الذى يرجع إلى العصر الفاطمى في القرن الخامس الهجرى ، إلا أن التجديدات والإضافات التى عملت له في القرن التاسع عشر غيرت معالمه الأصيلة . كما الحق بالجامع كتاب فأصبح يشبه مساجد القاهرة في العصر العثمانى . ومن أشهر مساجد شوهاج ، مسجد الشيخ العارف بالله تعالى ، وهو مسجد كبير متسع به ضريح للشيخ العارف ويضم كتابا لتعليم الأطفال الصغار كما يضم مكتبة تحوى الكثير من المخطوطات والكتب الدينية والدنيوية ، ومن حسنات الشيخ العارف أنه رتب للأطفال جرايات في الصباح ، وثريدا في المساء واستمرت ذريته من بعده تؤدى هذه الجرايات للأطفال .

ويقول الجبرتى أنه كان للشيخ العارف رزقه (عزبة) مرصودة على البر تبلغ مساحتها ستمائة فدان يزرعها وينفق منها على الفقراء والمستحقين كأهل العلم والمعلمين ونحوهم . ويضيف الجبرتى فيقول : « وكان (أى العارف) مشهورا كأسلافه معتقدا في تلك الناحية وغيرها ،

ومنزله محط لرجال الوافدين والقاصدين من الأكابر والاصاغر والفقراء والمحتاجين فيقرى
كلا بما يليق به .

ولا يكتفى بذلك بل يرتب لضيوفه المرتبات والاحتياجات ، وعند انصرافهم يزودهم
ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل والتمر والأغنام ، وهذا دأبه ودأب أسلافه من قبله
على الدوام » .

وجاء في الخطط التوفيقية أنه يوجد بجوار مسجد الشيخ العارف بالله مدافن للأمراء
والصناجق ممن تولى حكم مصر من قبل دولة المماليك ومن قبل باشوات الدولة العثمانية .
كما يوجد قبر مراد بك الذي حرّض المماليك ضد محمد علي عند تولية الحكم ثم فر إلى
الصعيد واستقر به المقام في مدينة سوهاج ، وهناك مرض بالطاعون ودفن بجوار الشيخ
العارف .

وصف الجامع

على أن أقدم مساجد سوهاج الأثرية التي ما تزال تحتفظ بكثير من معالمها الأثرية الجامع العتيق ، الذي يرجع إلى العصر الفاطمي كما هو ثابت في لوح تذكاري من الرخام مقاسه (٥٠×٨٠) سم نقش عليه بالخط الكوفي المزهر الجميل الذي يعتبر من مميزات الخط العربي في ذلك العصر ، النص الآتي : « وعمارته ولي عهد أمير المؤمنين ابن الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، شيد الله أركان الإسلام بعزائمه وأمضى في أعناق الدعاوى شغار صوارمه ، وأنفذ في أقطار البسيطة أحكامه وضاعف صلواته وسلامه ، إبتغاء ثواب الله ومرضاته ، وتكثر البيوت عبادته ، وإشعارا بنزول النصر على جنده المنصورة وميقاته وذلك في محرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

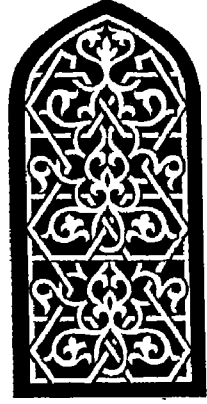
ويتكون المسجد من صحن مربع مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات ، ويحتوي إيوان القبلة على أربعة صفوف من الدعائم المبنية تقسم الإيوان إلى أربعة أروقة ، وتقوم على الدعائم عقود مدببة يحيط بها من وجهيها أفريز مكون من صفين من الآجر الأحمر . وبهذا الإيوان يوجد محراب مجوف زخرفت توأشبحه وكذا طاقيته بطريقة الطوب المنجور أو المكحل ، وهي عبارة عن إحاطه قالب الآجر بمونة ملونة قد تكون بيضاء أو سوداء . وقد انتشرت هذه الطريقة في زخرفة واجهات العمائر في الصعيد وكذا سواحل مصر وخاصة رشيد والاسكندرية . أما الإيوانات الثلاث الأخرى التي تحيط بصحن الجامع فيتكون كل منها من صفين من الدعائم تقسمه إلى رواقين .

وقد توالى يد الإصلاح والتجديد على هذا المسجد خلال العصور فتغيرت معالم مثذنته القديمة الفاطمية الطراز وحلت محلها مثذنة ترجع إلى العصر المملوكي وتتكون من أربع طبقات تنتهي على شكل مبخرة . ويعرف المسجد العتيق الآن باسم الجامع الفرشوطي ، ولم أجد لهذه التسمية من تعليل مقبول ، اللهم ألا أن يكون واحد ممن تولى الإمامة والقراءة أو الخدمة فيه من مدينة فرشوط بمحافظة قنا ، أو أن تكون قد أوقفت عليه أوقاف في مدينة فرشوط. ويحتوى المسجد على لوحة تذكارية كتب عليها مرسوم صادر من السلطان الغوري يثبت فيه ملكية أصحاب الحرف في عهده للأملاك التي أوقفها عليهم ، ولكي يضمن لهذا المرسوم الإعلان والدوام أثبتته في المسجد حتى يكسبه هبة دينية . والحقيقة أن هذه الطريقة في الإعلان والدعاية في القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر تعتبر حدثا يستحق الالتفات والتنويه وخاصة من الجهات القائمة على الأعلام . فقد اختار السلطان الغوري أهم وأقدم مساجد المدينة وذلك لكثرة إقبال المصلين عليه ، كما أنه خصص مسجدا جامعاً للإعلان عن مرسومه وهنا يجب أن نذكر كلمة وجيزة عن الفرق بين المسجد والمسجد الجامع ، فالمسجد الجامع كل مكان تؤدى فيه الصلاة ، أما المسجد الجامع فهو المسجد الرسمي للدولة الذي يؤم فيه الخليفة أو من ينوب عنه المسلمين في صلاة الجمعة .

أما ما جاء في هذا المرسوم ، خاصة بوقف بعض الممتلكات في مدينة سوهاج لرعاية بعض العمال وأصحاب الحرف وصغار التجار وحمايتهم من العوز والضياع فظاهرة اجتماعية لها قيمتها وقدرها في ذلك الوقت ، فهي تدل على أن عمال مصر كانوا على أقل تقدير منذ القرن الخامس عشر موضوع رعاية وعناية الدولة . وقد كتب المرسوم على لوح من الرخام مقاسه (١٢٥ × ٥٠ سم) وثبت على قاعدة المثذنة وفيما يلي نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم رسم بأمر مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوة الغوري خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته ، بمنع من يتعرض للبزازين (صناع النسيج) والصناعية الفزازين والإسكافية بناحية سوهاج في وقف الشهيد الأشرف قايتباي رحم الله عهده ، المنتهى بنظر المقر لاتابك قيمة أتابك العساكر المنصورة أعز الله أنصاره . وأن المغرم الذي عليهم مقطوع لوالد الولد إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم ، واستجلابا لدعاء المجابا في الصحائف الشريفة يسر الله تعالى بتاريخه) .

الجامع العمري
بواحة سيوة
بمحافظة مرسى مطروح



عرفت واحة سيوة منذ أقدم العصور باسم جنة الصحراء ، فقد قصدها الملوك والغزاة الفاتحون طلبا للراحة والاستجمام الجسدى والروحى ويؤيد هذا القول ما تركته من معابد وآثار . ويرجع تاريخ إتصال سيوة بالعالم إلى سنة ١٥٠٠ م ، فقد بلغت شأنًا عظيمًا فى عهد رمسيس الثالث وظلت خاضعة للحكم المصرى حتى سنة ٥٥٠ ق.م . وفى سنة ٥٢٥ ق.م حاول قمبيز ملك الفرس غزوها فسير إليها جيشا من جنوده وفرسانه الأقوياء . وكان هدفه من إرسال هذا الجيش تحطيم معبد آمون إلا أن الجيش هلك عن آخره ولم يبق من جنوده من يعود إليه ليحكى له المصير الرهيب الذى لقيه الجيش . وفى سنة ٣٣١ ق.م يمم الاسكندر المقدونى وجهه شطر سيوة مخترقا الصحراء من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ولم يكن غرضه من هذه الزيارة التدمير والتخريب كقمبيز ، ولكنه كان يبنى التودد إلى المصريين عن طريق آمون وكهنته . ولما جاء الرومان إلى مصر استعمروا الواحة كذلك فقد كانت تدمم بالحاصلات الجيدة من الزيتون والبلح .

ولما ظهرت المسيحية وبدأ عهد الاضطهاد الديني الذي كان يلقاه المسيحيون على أيدي أباطرة الرومان ، فر كثير من القساوسة والرهبان إلى سيوة واتخذوها ملجأ لهم وأنشأوا فيها الكنائس والأديار واستتبع ذلك دخول كثير من أهلها في الدين المسيحي .

وفتح العرب مصر سنة ٦٤١ م ، إلا أن واحة سيوة ظلت مجهولة حتى سنة ٥٠ هـ فقد حدث في عهد والي مصر عبد العزيز بن مروان أن أخبره بعض العرب أنهم ضلوا طريقهم في الصحراء ، وأنهم عثروا على بلد غني بالمحصولات والفواكه ، فأرسل عبد العزيز جيشا للبحث عنها ، ولكن الجيش عاد بعد شهر دون أن يعثر على الواحة المختفية في الصحراء وظلت سيوة مجهولة لا يدركها أحد ، حتى سنة ٨٠ هـ إذ عثر عليها موسى بن نصير بعد مسيرة سبعة أيام ، وأشرف عليها فرأى مدينة حصينة أبوها صعبة المرتقى حاول أن يغزوها ولكن جهوده باءت بالفشل ، فحاصرها وظل على حصارها مدة طويلة ولم يفلح في دخولها واضطر أخيرا إلى العودة دونها ، وفي القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي تمكن العرب من دخولها عن طريق بني هلال وبعض القبائل العربية . ومن ثم بدأ انتشار الإسلام بها ، إلا أنها لم تخضع خضوعا تاما للحكم الإسلامي إلا في أواخر العصر الفاطمي سنة ١١٠٠ م .

ومنذ نهاية العصر الفاطمي إنقطعت أخبار سيوة ولم نسمع عنها شيئا يذكر حتى سنة ١٨٣٠ م حين اشتد الخلاف بين أهلها وانقسموا فريقين واستنجد فريق منهم بوالى مصر ، فأرسل إليها جيشا أخضعها خضوعا تاما وضمت سيوة إلى حكم مصر نهائيا ، وفرضت عليها الجزية . وظلت سيوة على هذا الحال حتى ظهر السنوسى الكبير ، فنشر تعاليمه في أرجاء سيوة وأقام فيها كثيرا من الزوايا ، وامتد سلطانه بين العرب حتى أقام في الواحة محكمة لمعاقبة المذنبين . وفي أواخر أيامه قدم القاهرة وعسكر بالقرب من أهرام الجيزة حيث استقبل استقبال الملوك . وجاء في الخطط التوفيقية أن « سيوة كانت قاعدة الواحات البحرية التابعة لمديرية البحيرة . وفي سنة ١٩١٧ م ضمت لمحافظة الصحراء الغربية وفي سنة ١٩٦٠ أصبحت تتبع محافظة مرسى مطروح .

وقد وردت سيوة في المراجع العربية باسم (سنتريه) فيقول المقرئزي أن مدينة (سنتريه) من جملة الواحات وهي الآن ، أى في القرن الخامس عشر ، بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البربر يعرفون بسيوة ولغتهم تعرف بالسيوية وهي تقرب من لغة زناتة . وبها حدائق نخل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك من كرم كثير . وبها الآن (في القرن الخامس عشر) نحو عشرين عينا تسبح بماء عذب . ومن طريف ما يقوله المقرئزي عن أهلها « وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفراد منهم وتسمع الناس بها عزيز الجن » .

وجاء في معجم البلدان : « سنتريه بلد في غرب الفيوم دون فزان السودان وهي آخر أعمال مصر وتعد من نواح واح الثالثة ، وهي قصبة الواحة ، وقد نسب إليها بعض أهل العلم . وقال البكري ، : سنتريه كثيرة الثمار والعيون والحصون وأهلها كلهم بربر لا عرب فيهم » .

وواحة سيوة عبارة عن منخفض عظيم في صحراء ليبيا يحدها شرقا واحة الزيتون وغربا ناحية المراعى . والأرض المنزرعة بها تبلغ ربع مساحتها والباقي عبارة عن أرض سبخة وتلال رملية وبحيرات مالحة ، وتتألف الواحة نفسها من عدة واحات صغيرة أهمها واحة سيوة وتنقسم إلى سيوة شرق وسيوة غرب ، وواحة الأغورمى ، والمراغى وخميسة وأبو الشروف وقوريشت والزيتون . ويتبعها إداريا عدة واحات صغيرة متلاصقة من الشرق والغرب وتسمى الحطايا . وللوصول إلى سيوة عدة طرق ويسمى العرب هذه الطرق بالمسارب التي تسمى عادة بأسماء الآبار التي تقع عليها . على أن أهم المسارب وأحسنها هو طريق مطروح سيوة وهو الطريق الذى سلكه الأسكندر المقدونى ، ويحتوى على كثير من الخزانات للمياه التي يرجع معظمها إلى العهد الرومانى ، والتي أعيد حفرها حديثا بعد أن كان قد طمس معظمها

وأهل سيوة وشعبها بسطاء وديعون نشأوا على الفطرة ، وكان لانقاعهم عن العالم مدة طويلة تأثير على أخلاقهم ، ولذلك فإن الكثير من معتقداتهم هي في الواقع رواسب الماضى البعيد ، الذى يرجع إلى عهد الفراعنة ، ففي سيوة يكثر المنجمون والسحرة من

الرجال والنساء ، وهم متخصصون في كتابة الأحجية والتائم بأنواعها ويعتقدون فيها إعتقادا كبيرا ، ويحملها الجميع بلا استثناء ، وهم يعتقدون في تناسخ الأرواح فيؤمنون بتقمص الأرواح الشريرة في الحيوانات كالماعز والبقر والحمير ، ولإنها إذ قابلت إنسانا أخذت في التضخم حتى تبلغ أبواب السماء

ولأهل سيوة تقاليد خاصة بهم ، منها أن العروس تتوجه بعد عقد القران إلى العين تستحم وتلبس رداء أبيض وتمكث في حجرة منفردة بحيث لا تراها العذارى . ويطلقون على الأرملة اسم (الغولة) ويتجنبون رؤيتها مدة أربعين يوما من وفاة زوجها . وعندما يريد الرجل السفر ترش والدته أو أقرب الناس إليه لبنا وتدير رغيفا من العخبز حول رأسه سبع مرات وكل من تسلم عليه من النساء تضع في يده بيضة ويخرج معه الرجال بعد ضلالة العصر إلى خارج البلد ويدعون له بالسلامة والتوفيق ثم يؤذن أحدهم الآذان الشرعى ثم ينصرفون وعند عودته ينتظر خارج البلد ويرسل رسولا إلى أهله فيخرج أهله إلى مقابلته .



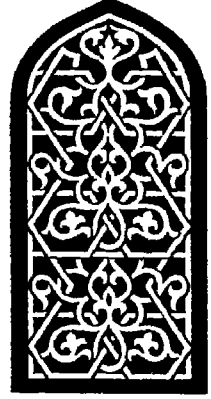
وصف الجامع

ومن الاثار الإسلامية التي ما تزال باقية حتى الآن بسيوة الجامع العمرى العتيق ، ويقال أنه يرجع إلى العصر الفاطمي ، أي أنه قد مضى عليه نحو ألف عام . ويتكون المسجد من مربع يتوسطه صحن مكشوف تحيط به الأورقة من ثلاث جهات . وتقع القبلة في الإيوان الشرقي الذي يحتوي على صفيين من الدعائم تقسم الإيوان إلى ثلاثة أروقة ويعلو الدعائم عقود مدبية ، أما السقف فمن جنوع النخيل . وبكل من الإيوان الشمالي والجنوبي صف واحد من الدعائم ، أما الجهة الغربية فخالية من الأروقة . والمسجد مبنى كله من الطوب اللبن والطيني (الجالوص) . وللمسجد ثلاثة أبواب ويقع الرئيسي منها في الجهة الغربية المقابلة لإيوان القبلة ، وإلى اليسار من هذا المدخل توجد المثذنة وهي مخروطية الشكل وتشبه إلى حد كبير مآذن مساجد محافظة أسوان وقوص وأسنا والجيوشي وكلها ترجع إلى العصر الفاطمي . ويطلق أهل سيوة على المثذنة اسم الصومعة وهو نفس الاسم الذي يطلقه مسلمو شمال أفريقية على المآذن .

ويعتبر المسجد في واحة سيوة إلى جانب وظيفته الدينية مقر الحكم ففيه يجتمع رؤساء القبائل وأعيان الواحة ، كما أنه مقر القضاء . والنظام القضائي هناك مستمد من النظام القضائي الذي وضعه المسلمون في شمال أفريقية والأندلس منذ فتحهم لتلك البلاد . ويقال

أن القانون المعمول به سجل بالخط الكوفي وبقي في الواحة تتوارثه طبقة معينة من القضاة . وكان القانون يتألف من ست وثلاثين مادة ، ولما أضمحل نفوذ القضاة نتيجة للاستعمار العثماني والإيطالي لصحراء ليبيا بطل تنفيذ القانون القديم وحل محله القضاء بالعرف واستمر الحال على ذلك حتى سنة ١٨٧٣ م حين شكل مجلس من الأعيان عرف بالمجلس الكبير ، ومجلس آخر يضم مشايخ الواحة عرف بمجلس المشايخ يعمل تحت إشراف مجلس الأعيان . ولما أصبحت سيوة تتبع مديرية البحيرة وضع لها قانون جديد وفي سنة ١٩٤٦ تقرر تعميم القضاء المصرى في أنحاء الصحراء .

* * *



مشهد السبعة وسبعين وليًا بمدينة أسوان

يقول الأذفوى : وقد خرج من أسوان بخلائق كثيرة لا يحصون من أهل لعلم والرواية والأدب . ويقال أن قاضي قوص ذهب مرة لزيارة أسوان فخرج لاستقباله أربعمئة راكب بغلة للقائه . ويضيف : وكان بها ثمانون رسولاً من رسل الشرع ، كما أُخبرت عن مخطوط فيه أسم أربعين شريفًا خاصًا ومخطوطًا آخر فيه سبعون شريفًا دون غيرهم . كما حصلت على مخطوط به أسماء أربعين من أبناء الصحابة مؤرخ بعد العشرين وستائة .

وقد انتشر الإسلام بأسوان منذ بدء ظهوره ، فقد عثر بها على شاهد قبر يرجع إلى سنة ٣١ هـ كما عثر على شواهد قبور أخرى مكتوب عليها الاسم ، ثم يجيء بعده كلمة الأنصارى ، ومعنى ذلك أن مدينة أسوان سكنها أقوام أتوا من شبه الجزيرة العربية من القرن الأول الهجرى ممن عاصروا الرسول عليه الصلاة والسلام .

إزدهرت أسوان في العصر الإسلامي ، إذ ظلت منذ الفتح حتى القرن السادس الهجرى

طريقا إلى عيداب حيث تبحر السفن إلى الحجاز والهند ، واشتغل أهلها بالتجارة وخاصة العطارّة وسن الفيل والصمغ وريش النعام ، كما كانت تمتاز بالتمر ، ويقول المقریزی في ذلك : والبلد كثير النخل ، خصيب كثير الخير ، تودع النواه في الأرض فتنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ، ويقول القاضي الفاضل ، أن متحصل ثغر أسوان في سنة واحدة ثلاثون ألفا أردب من التمر .

وكانت حدود أسوان متداخلة مع بلاد النوبة ، ولذلك كان على من يملك من أهلها ضياعا داخلة بأرض النوبة أن يؤدي خراجها إلى ملك بلاد النوبة ، وقد أبتيعت هذه الضياع من بعض رجال النوبة في صدر الإسلام في عهد الدولة الأموية وأوائل العصر العباسي . وقد أغار ملك النوبة سنة ٣٤٤ هـ في العهد الأخشيدى على أسوان فخرج إليه محمد ابن عبد الله الخازن بجنوده برا وبحرا وهزمه وأسر وسبي كثيرا من النوبيين وسار جنوبا حتى وصل (أبريم) وفتحها . وكان ثغر أسوان حتى نهاية العصر الفاطمي خاضعا خضوعا تاما للدولة ، فقد كان بأسوان دائما قوات من الجيش على أهبة الاستعداد لحمايته ضد غارات النوبة والسودان ، فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل أمر الثغر ، مما شجع ملك النوبة على الهجوم والاستيلاء عليه .

وقد سكن أسوان واستوطن بها بنو الكنز ، وهم بطن من ربيعة بن نزار ، وكانوا ينزلون اليمامة ، وقدموا مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٤٠ هـ في أعداد كبيرة ونزلت طائفة منهم بأعلى الصعيد ، ويقول عنهم الأدفوي : وكان بها (أسوان) بنو الكنز أمراء أصائل من ربيعة ، أهل فتوه ومكارم ومدحون بمقصودون من البلاد الشاسعة والأماكن المتباعدة صنع لهم الفاضل أبو الحسن على بن عرام الأسواني سيرة وذكر مناقبهم وحالهم وجمع أسماء من مدحهم من أهل ثغر أسوان ، مومن ورد عليهم . وقد أدركنا منهم (الأدفوي) فخر الدين لمكا وابن أخيه نجم الدين عمر وكانا مشهورين بالمكارم والإحسان .

ويقول ابن عرام الأسواني في مدح كنز الدولة بن متوج :

رضيت بسطان الهوى متسلطا علي مهجتي في الحكم بالجور لا العدل
بقلبي سهم لا بقلبك صائب رميت به من سحر أعينها النجل
تنام خلى البال نَمَا يحسه شيخ كحلت عيناه بالسهد لا الكحل

وفي القرن السادس الهجري وصل بنو الكنز من القوة والثراء في أسوان درجة كبيرة مما جعلهم يعتقدون أنه في استطاعتهم مناوئة الدولة الأيوبية واسترجاع خلفاء الدولة الفاطمية ، فقد ورد في حوادث سنة ٥٧٠ هـ في كتاب السلوك للمقريزي : وفيها جمع كنز الدولة وإلى أسوان العرب والسودان وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية ، وأنفق في جموعه أموالا جزيلة ، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم ، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين فخرج في قرية طود رجل يعرف بعباس بن شادي ، وأخذ بلاد قوص وانتهب أموالها ، فجهز صلاح الدين أخاه الملك العادل في جيش كثيف ومعه الخطير مهذب ابن مماتي ، فلقى كنز الدولة بناحية طود ، وكانت بينهما حروب فر منها كنز الدولة ، بعد ما قتل أكثر عسكره ، ثم قتل كنز الدولة ، وقدم العادل إلى القاهرة .

ما تقدم يتبين لنا أن بنو الكنز كانوا متشيعين للفواطم ، ولذلك فمن المرجح أن يكون المسجد الذي يعرف الآن لدى أهل أسوان باسم (السبعة وسبعين وليا) بناه بنو الكنز في العصر الفاطمي بالقرب من قباب وأضرحة موتاهم من الشخصيات الورعة التقية وهم كثيرة ، خاصة وأنهم وفدوا على أسوان منذ سنة ٢٤٠ هـ . هذا بالإضافة إلى أن التصميم المعماري للمسجد يثبت أنه فاطمي كما سنوضح ذلك في حينه .

وعلى أثر إنكسار جيش كنز الدولة ، تقدم جيش صلاح الدين إلى أسوان ودخلوا بيوت بنى الكنز فوجدوا بها قصائد في مدحهم منها :

وينجده إن خانة الدهر أو سطا أناس إذا ما انجد الذل اتهموا
أجاروا فما تحت الكواكب خائف وجادوا فما فوق البسيطة معدم

فقال الملك العادل أخو صلاح الدين ، قائد الجيش : وما عند هذا البدوى (كنز الدولة يجازى به على هذه القصيدة ، فوجد أنه أجازه عليها بألف دينار .

ويضيف الأدفوى فيقول : وأخبرت أنه أوقف عليه ساقية تساورى ألف دينار وإنها وقف عليهم إلى الآن « أى فى القرن الثامن الهجرى (١٤ م) » .

ومنذ العصر الأيوبي أصبح ملوك وسلاطين مصر ينظرون إلى بنى الكنز نظرة شك وريبة ولذا كانوا كثيرا ما يصادرون أملاكهم وأموالهم حتى يضحفهم ويكسرون شوكتهم ، فى عصر الناصر محمد بن قلاوون ، طلب الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة إذاك ، نجم الدين الكنزى ، فقال له : والله ما أعطيك حبة ، فحبسه بالقلعة مدة ، فرتب نجم الدين لمن معه فى الحبس ، لكل محبوس رغيفين وزبديّة فى كل يوم ، ولم يجد فى المكان سقاية فجعل به سقاية نقرا فى الحجر .

وكان بنو الكنز أهل جود وكرم فقد جاء فى كشف الغمة للمقربرى : لما كان زمن الغلاء فى سنة أربع وتسعين وسبائة ، قام (بنو الكنز) بفقراء أسوان وأعطوا الغلال حتى نفلت ثم الثمار حتى فرغت تم ذبحوا الغنم حتى خرج الغلاء . ولهم بأسوان آثار جميلة وأوقاف على وجوه البرجزيلة .

وفى سنة ٧٩٠ هـ إستطاع بنو الكنز أن يستردوا ثغر أسوان من ملك النوبة ولكنهم احتفظوا به لأنفسهم فقامت بينهم وبين ولاية أسوان من قبل دولة المماليك عدة حروب حتى كانت محنة سنة ٨٠٦ هـ عندما انخفض منسوب النيل وحدثت مجاعة وخرّب إقليم الصعيد ، وتخلت الدولة عن أسوان ، ولم يبق للسلطان فى المدينة وال . واستمر الحال على ذلك بضع سنين حتى زحف أهل هواره على بنى الكنز سنة ٨١٥ هـ وهزمهم وهدموا سور المدينة وتركوها خرابايبايا . وفى نهاية القرن التاسع الهجرى استعادت المدينة مكانتها التجارية .

وكما كانت أسوان مركز تجاريا ، كانت كذلك مركزا ثقافيا مهما فى القرنين السادس والسابع للهجرة ، فقد كان بها ثلاث مدارس لتدريس علوم الشريعة واللغة العربية

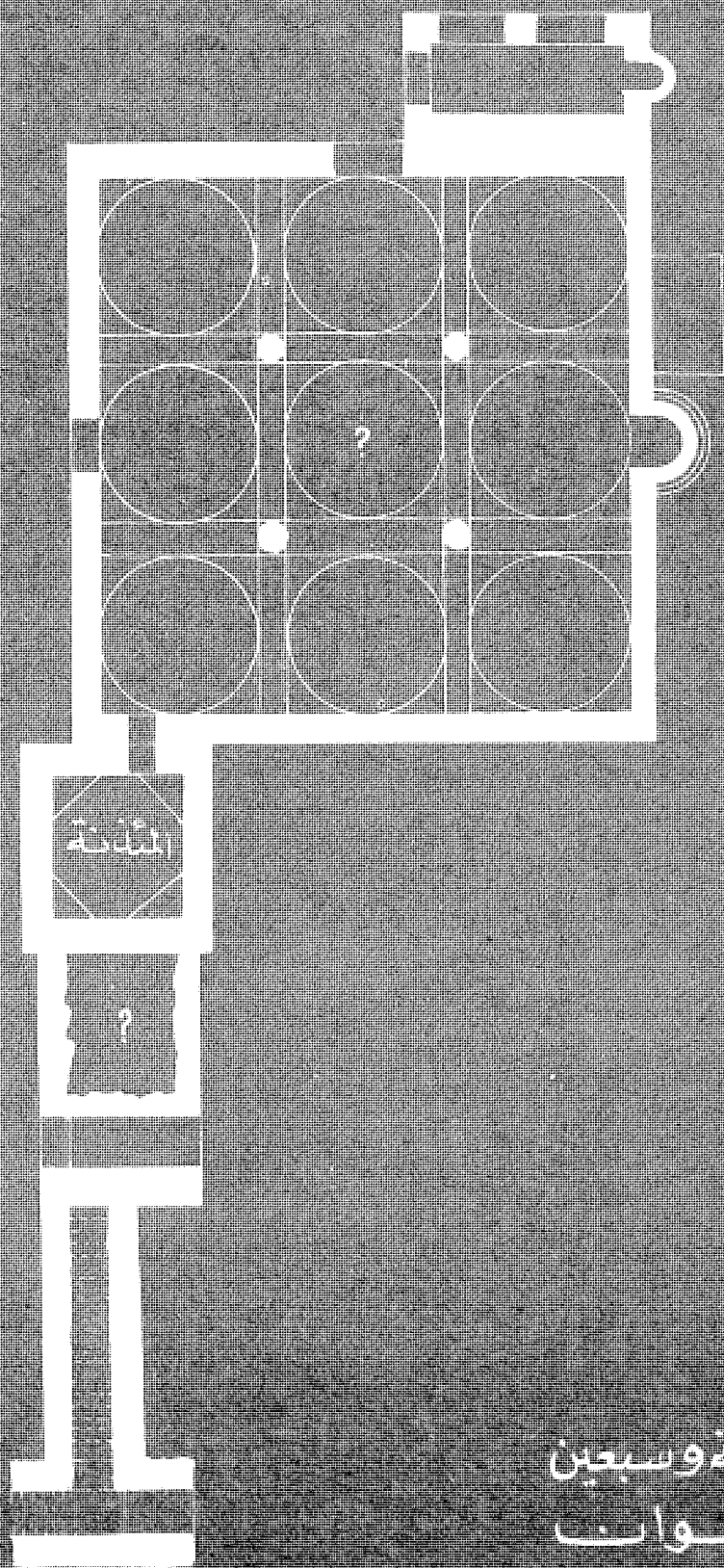
أقدمها مدرسة أسوان ، وقد درس بها العلامة إسماعيل بن محمد بن حسان الأنصارى ، والمدرسة السيفية وقد تولى التدريس فيها العلامة عمر بن محمود الأنصارى المتوفى سنة ٦٦٧ هـ ، والمدرسة النجمية (نسبة إلى الأمير الكنزى نجم الدين عمر) وقد درس بها علماء أجلاء منهم العلامة الحسن بن محمد بن عبد العزيز المفضل المتوفى سنة ٧٠٢ هـ ، وقد تخرج في هذه المدارس عدد كبير من العلماء والأدباء .

وقد يكون من الطريف أن نذكر أن فكرة بناء خزان بأسوان نشأت في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي في أوائل القرن الخامس الهجرى (١١ م) ، فقد بلغه أن الرياضى الكبير والمهندس البصرى الحسن بن الهيثم قال : لو كنت في مصر لعملت في نيلها عملا يصلح به النفع في كل حالة من زيادة ونقص ، فأرسل إليه الحاكم ، يدعوه إلى الحضور ويرغبه في ذلك ، فلما وصل إلى الشلال وعاین الموقع الذى تخيره ، ولامر ما امتنع عن تنفيذ فكرته وتظاهر بالجنون .

وصف المشهد

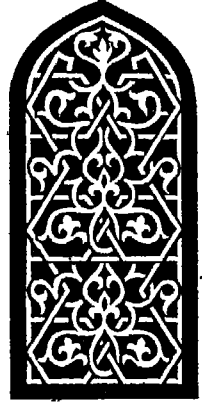
وقد احتفظت لنا جبانة أسوان بعدد كبير من القبور وشواهدها التي يمتد تاريخها من القرن الثاني للهجرة حتى نهاية العصر المملوكي . وبهذه الجبانة توجد أول محاولة لإقامة القباب على الأضرحة في مصر في العصر الفاطمي ، ومن أهم آثار أسوان الإسلامية (السبعة وسبعين وليا) الذي يقول عنه الأسوانيون أنه ضريح ، ولكنه في الواقع مسجد كما يتضح من تخطيطه ، فهو يتكون من شكل رباعي تبلغ مساحته (١٢) مترا مربعا يقسمه صفان من البوائك إلى ثلاثة أروقة ، وتتكون كل بائكة من عمودين من الجرانيت تعلوها عقود تقوم فوقها قباب ضحلة ، وهكذا نرى أن المسجد قد غطى بتسع قباب . وللمسجد مدخلان في مواجهة حائط القبلة يؤديان إلى ردهة بعرض المسجد تتقدم الأروقة .

ويشبه مسجد (السبعة وسبعين وليا) مشهد ابن طباطبا بالقاهرة ، غير أن الدعائم ذات التخطيط المتعامد قد حل محلها أعمدة من الجرانيت في أسوان ، كما أن المحراب في أسوان مستدير من الخارج بخلاف طباطبا فهو مربع وبذلك يمكن إرجاع هذا الأثر إلى العصر الفاطمي .



ضريح السبعة وسبعين
ولياً بأشواط

الجامع العتيق
بإسنا
بمحافظة قنا



إسنا مدينة مصرية قديمة بالصعيد الأعلى ، ذكرها جويتية فقال ، إن أسماها المقدس (Hat Khnounmou) ومعناها قصر الإله خنوم وهي ترمز للسماء ، وأسمها المدني (aount) أو aounit أو (Tasn) وهو أسمها في العصر الروماني ومنه أخذ أسمها القبطي (Seni) أو (Sna) أو (Esna) ومنه أسمها العربي وهو إسنا . أما أسمها الروماني فهو (Latopolis) وكانت في العصر الفاطمي قاعدة كورة^(١) وفي العصر المملوكي كانت من أعمال القوصية ، وفي العصر العثماني أصبحت من أعمال ولاية جرجا . وفي سنة ١٨٣٣ أصبحت إسنا قاعدة مأمورية قائمة بذاتها ، وكانت هذه المأمورية تضم أحيانا إلى قنا ويتكون منهما مديرية واحدة . وفي سنة ١٨٦٨^(٢) فصلت إسنا عن قنا وأصبحت مديرية إسنا ، وكانت

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٦٠

(٢) القاموس الجغرافي ج ٤ ص ١٥٢

تتكون من أربعة أقسام وهي إسنا وإدفو والكنوز وحلفا . ولما ظهرت أخطار الثورة المهدية في السودان ألغيت مديرية إسنا وأضيفت إلى مديرية قنا وكان ذلك سنة ١٨٨٨ م .

كانت إسنا ولا تزال مدينة عظيمة بلغ عدد منازلها في القرن (١٤) ثلاثة عشر ألف منزل كلها مبنية بالآجر ، وكان بها سبعون^(١) حارة كبيرة . وكان بها ثلثمائة وسبعون فدانا مغروسة نخيلا وكروما وقصبا ، قال الأدفوي^(٢) ، إنه كان يتحصل سنويا من إسنا أربعون ألف أردب تمرا وإثنا عشر ألف أردب زبيبا . وكان بها كثير من المتاجر والحوانيت والحانات ترد إليها البضائع من القاهرة والأقاليم القبلية وأهمها الأقمشة ، كالبرد والأردية المسماه الشقق الخاصة بالرجال والنساء ، وكان بها كثير من الحرف كصناعة المنسوجات الصوفية السمكة المعروفة (بالكليم) وصناعة المقاطف ونحوها مما يصنع من سعف النخيل ، كذلك كان يرد إلى إسنا القوافل الآتية من سنار تحمل إليها الحاصلات السودانية كما كانت تشتهر بأبراج الحمام^(٣) .

ومن الأحداث التاريخية الهامة التي وقعت بأسنا وذكرها ابن تغرى^(٤) بردى ، خروج ابن الصوفي العلوى بالصعيد ودخوله إسنا سنة ٢٥٥ هـ فنهبها وقتل أهلها ، وكان الوالى على مصر في ذلك الوقت هو أحمد ابن طولون ، فبعث إليه بجيش لالتقى مع ابن الصوفي في ناحية (هو) فانهزم جيش ابن طولون ، فأرسل إليه جيشا آخر فالتقى بأخميم وانهزم ابن الصوفي وفر إلى أسوان ثم إلى مكة .

ويقيم بأسنا عدد غير قليل من الأقباط ، ولذلك فإننا نجد بها الكثير من الكنائس والأديرة ولعل أهمها دير وكنيسة منعزلان عنها وفي الجهة القبلية ، وتعرف الكنيسة مقتلة النصارى نسبة لاستشهاد كثير منهم بها في العصر الروماني^(٥) كما أن ديرها كان من أشهر أديرة الصعيد الأعلى .

(١) معجم البلدان ج ٩ ص ٢٢٩

(٢) الطالع الصعيد ص ١٧

(٣) الخطة التوفيقية ج ٨ ص ٦٠

(٤) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦

(٥) أبو صالح الارمى ص ٨٧

وبالمدينة كثير من المساجد الجامعة أقدمها الجامع العمري الكبير^(١) الذى يحتوى على لوحة تأسيسية منقوش عليها اسم بدر الجمالى سنة ٤٧٠ هـ فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى .

ومن المساجد الهامة هناك ، جامع الضوى نسبة إلى الشيخ الضوى المدفون بقبة متصلة بالجامع . وكان باسنا كثير من البيوت المعروفة بالأصالة والرياسة والفضل حتى قيل إنه كان بها فى وقت واحد سبعون شاعرا ، وخرج منها عد جمع كبير من أهل العلم والأدب . ومن بيوتها العريقة بنو السديد وبنو الخطيب وبنو اشواق وبنو النضر ، فقد تولى معظم أعضائها مراكز رئيسية وهم الذين بنو جامع الخطبة سنة ٤٢٠ هـ ، ثم أضافوا إليه زيادة سنة ٤٩٥ هـ ، وإن كانت يد الإصلاح والتعمير قد توالى عليه فلم تترك أثرا للمبنى القديم . وكان المذهب الشيعى منتشرا باسنا حتى العصر المملوكى ، وقد استطاع الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطى عندما وفد إليها أن يخفف من حدة التشيع .

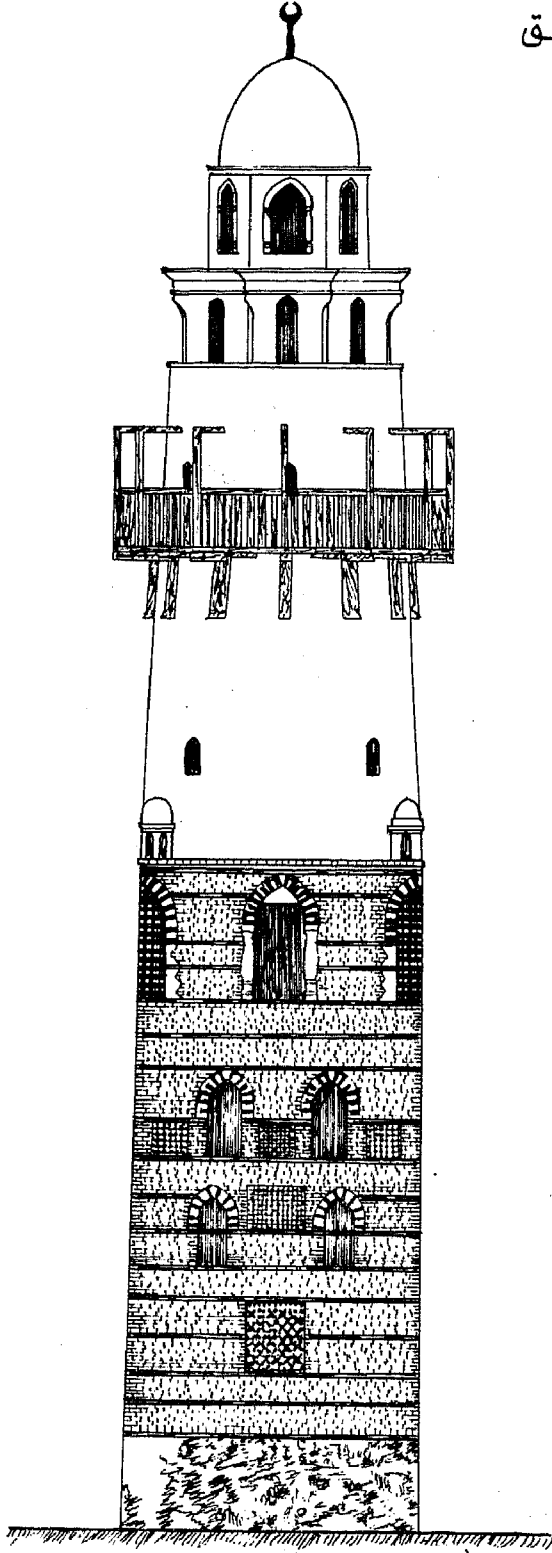
وصف الجامع

ومن أهم مساجد إسنا الجامع العتيق ، ويعرف كذلك باسم الجامع العمري ، وهذه التسمية الأخيرة تكاد تطلق على أقدم مسجد في كل إقليم أو منطقة من مناطق مصر وذلك نسبة إلى أن جامع عمرو بن العاص هو أول مسجد أنشئ في مصر الإسلامية .

يرجع تاريخ هذا المسجد إلى العصر الفاطمي ، وقد تهدم المسجد القديم وجُدد عدة مرات فتغيرت معالمه الأصلية ولم يبق منه غير المئذنة التي تقع في الركن القبلي من الواجهة الغربية للمسجد . وقد طرأ على قاعدتها بعض التغيير أثناء العمارة التي أجريت للباب الغربي سنة ١٢٩٥ هـ . وعلى قاعدة المئذنة مزولة من عمل خليل أفندي إبراهيم مهندس الخريطة الفلكية سنة ١٢٨٧ هـ . وقد ثبت على يمين المحراب لوح من الرخام مقاسه ٢٩ × ٥٨ سم مكتوب عليه بالخط الكوفي « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

صلوات الله وبركاته على مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى آباءه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بعمارة هذا الجامع المبارك السيد الأجل أمير الجيش سيف الإسلام ناصر أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته ، وأعلى كلمته القاضي أبا الحسن على بن أحمد بن النضر فأسس في النصف من ذي الحجة سنة تسع وستين وأربع مائة

اسنا - منارة جامع العمري أو العتيق



وسقف في النصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربع مائة وفقه الله لرضاته وأعانه على طاعته كما يصرف إهتمامه إلى عمارته ..»

وقد احتوى النص التذكارى اسم (ابن النضر) على اعتبار أنه قام بعملية التعمير من قبل بدر الجمالى ، ويحدثنا الأذفوى^(١) عن بنى النضر فيقول « وبنو النضر رؤساء أعيان وهم الذين بنو جامع الخطبة باسنا بعد العشرين وأربعمائة » ويضيف على ذلك فيقول « وبنى الزيادة التى فيه على بن محمد منهم فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وكان ذلك ناظر الأحباس بالأعمال القوصية » .

يتبين لنا من هذا النص الأخير أن الذى عمّر هذا الجامع هم بنو النضر سنة ٤٢٠ هـ ثم زادوا فى عمارته سنة ٤٥٩ هـ ، وليس بدر الجمالى كما يقول حسن عبد الوهاب^(٢) ، ولكن من المرجح أن يكون قد أعيد بناء بعض أجزاء الجامع كما هو ثابت فى اللوحة التأسيسية بدر الجمالى ذلك على يدى على بن النضر .

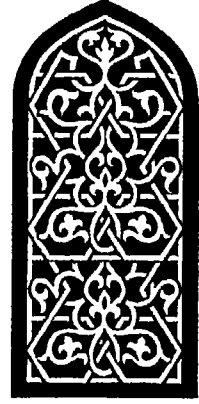
وتعتبر مئذنة جامع إسنا من أقدم المآذن المؤرخة فى مصر الإسلامية ، وعلى غرارها أنشئت مآذن الوجه القبلى ، كما بقيت اللوحة التذكارية لإنشائها وهى مثبتة على يسار المحراب مكتوبة بالخط الكوفى ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . أمر بإنشاء هذه المئذنة الأجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة تاج المعالى ذو العز بن حسام أمير المؤمنين أبو منصور سارتيكين الجيوشى نصره الله وظفره وأحسن عونه فى شهور سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، إبتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ورجاء الدار الآخرة والامن عقابه رحمه الله تعالى وحشره مع مواليه صلوات الله عليهم أجمعين ورحم من ترحم عليهم آمين يارب العالمين » .

(١) الطالع السعيد ص ١٧

(٢) تاريخ المساجد الأثرية ص ٦٦

مسجد
زاوية الجيوشي
بسفح جبل المقطم



لقد كان للسياسة التي اتبعتها خلفاء الدولة الفاطمية في اعتمادهم على أجناس مختلفة في تأليف جيشهم أسوأ الأثر في أمن البلاد واستقرارها ، فقد أدت هذه السياسة إلى قيام التنافس المستمر بين تلك الأجناس ، وإذا كان خطر تلك السياسة لم يظهر في عهد الخلفاء الأقوياء ، إلا أنه ظهر واضحا جليا عندما بدأت البلاد تتعرض للأخطار الخارجية . ومما زاد الحالة سوءا تلك المجاعة التي بدأت بانخفاض النيل سنة ٤٥٧ هـ واستمرت سبع سنين ، مما أدى إلى قلة الاقوات بمصر والقاهرة وغلّت الأسعار حتى 'بلغ ثمن الرغيف من الخبز أربعة عشر درهما وأردب القمح ثمانين دينارا والبيضة الواحدة دينارا ، وكان ذلك في عهد الخليفة المستنصر بالله حتى عرفت تلك الازمة باسم الشدة المستنصرية .

إزاء تلك الظروف جميعها اضطر الخليفة المستنصر سنة ٤٦٦ هـ أن يبعث إلى بدر الجمالي وإلى عكا يطلب منه القلوم ليتولى تدبير شؤون الدولة في مصر ويصلح ما فسد منها فاشترط أن يحضر معه من يختاره من جنوده وعساكره بالشام حتى يستغنى تماما عن طوائف الجند

المتنافسة التي تكوّن جيش الخلافة بمصر . ولما قبل الخليفة شرطه بل رحب به ، أبحر بدر الجمالى من عكا ومعه جند كثير من بنى جلدته من الأرمن وغيرهم ونزل مع جنده بدمياط ، ثم واصل سيره حتى وصل إلى قليوب ، وهناك بعث الى المستنصر يقول له إنه لن يدخل القاهرة الا بعد قتل القائد التركى ، الذى كان سببا في إثارة كثير من المتاعب والشغب فوافق الخليفة على طلبه .

وبدر الجمالى الملقب بأمير الجيوش ، هو أبو النجم بدر الجمالى كان مملوكا أرمنيا لجمال الدولة بن عمار ، فلذلك عرف بالجمالى ومازال يأخذ بالجدوالهمة والعزم فى كل ما يوكل إليه ويباشره وينتقل فى الخدم من درجة إلى أخرى حتى ولى إمارة دمشق من قبل المستنصر سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، ثم تقلد نيابة عكا سنة ستين ، فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن ، والاحوال بحاضرة الدولة قد فسدت ، كتب اليه المستنصر كما سبق القول ، يستدعيه ليكون المتولى لتدبير أمر دولته .

ويصف المقرئى رحلة بدر الجمالى البحرية من مكا إلى مصر بشئ من التفصيل ليبين انه كان حسن الحظ دائما حتى فى مواطن الهلاك فيقول : « وركب البحر من عكا وسار بمائة مركب بعد أن قيل له ان العادة لم تجر بركوب البحر فى الشتاء لهيجانه ، ولخوف التلف . فأبى عليهم وأقلع فتأدى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدة أربعين يوما حتى كثر التعجب من ذلك وعدّ من سعادته فوصل إلى تنيس ودمياط ، واقترض المال من تجارها ومياسيرها ، وقام بأمر ضيافته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتى كبير أهل البحيرة ، وسار إلى قليوب فنزل بها وأرسل إلى المستنصر يقول : لا أدخل مصر حتى تقبض على (بلدكوش) وكان أحد الأمراء الاتراك ، فقبض عليه المستنصر واعتقله بخزانة البنود » .

ويسير المقرئى فى سرد قصة مجئ بدر الجمالى إلى مصر حتى ينتهى إلى وصف ، كيف تمكن بدر من التخلص من الامراء والقواد المشاغبيين فى أول ليلة وطئت فيها أقدامه القاهرة فيقول : « فتهيأ له أن قبض على جميع أمراء الدولة وذلك انه لما قدم لم يكن لعند الامراء

علم باستدعائه فما منهم الا من أضافة وقدم إليه فلما انقضت نوبتهم في ضيافته استدعاهم إلى منزله في دعوة صنعها لهم ، وبيت مع أصحابه أن القوم إذا أجنهم الليل فانهم لا يد يحتاجون إلى الخلاء فمن قام منهم يقتل هناك . ووكل بكل واحدا واحدا من أصحابه ، وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامير من دار ومال وضياع وغيره » .

ويصف المقریزی مظاهر الحفاوة والكرم التي استقبل بها بدر الامراء بداره بحارة برجوان (بحى الجمالية الآن) حتى يجئ إلى كيفية القضاء عليهم فيقول^(١) : « فصار الامراء إليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين ، فما طلع ضوء^(٢) النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤوسهم بين يديه فقويت شوكته وعظم أمره وخلع عليه الخليفة المستنصر بالطيلسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد في القابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين » .

ويصف ابن تغرى بردى حالة الخلافة في وزارة بدر الجمالى فيقول : وقد تحكّم في مصر تحكّم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر ، واسنبد بالأمور فضبطها أحسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها إلا خالقها ، الا انه عمّر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها باتلاف المفسدين من أهلها . وكانت له محاسن منها أنه أباح الأرض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت أحوال الفلاحين واستغنوا في أيامه . ومنها حضور التجار إلى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في أيام الشدة ، ومنها كثرة كرمه .

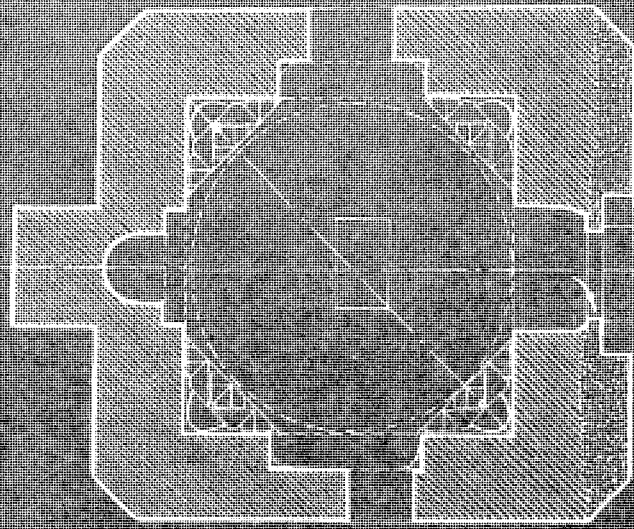
ولعل من أهم آثار بدر الجمالى التي ما تزال باقية بالقاهرة والتي تشهد له بالقوة والجبروت الابواب الثلاث الباقية بالسور الثاني الذي أقامه حول القاهرة وهي باب النصر وباب الفتوح في الشمال وباب زويطه في الجنوب . ويحدثنا المقریزی عن سور القاهرة فيقول : أعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرات : الاولى وضعه القائد جوهر المرة الثانية وضعه لهير الجيوش بدر الجمالى في أيام الخليفة المستنصر ، والمرة الثالثة بناه الأمير الخصى بهاء الدين قرقوش الأسدى في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب » .

(١) المخطوط ج ١ ص ٣٨٢

(٢) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٣

ويُفصل في وصف السور الثاني فيقول : بناه أمير الجيوش في سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير ، وفيما بين باب الفتوح الذي عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن . وزاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم إلى باب النصر الآن . وجعل السور من الطوب اللين وأقام الأبواب من الحجارة .

وتوفي بدر الجمالي في سنة سبع وثمانين وأربعمائة وكانت مدته بمصر إحدى وعشرين سنة وهو أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر . وقد اختلف المؤرخون في تحديد مكان قبره فبعضهم قال انه دفن بزوايته بسفح جبل المقطم ، ولكن الغالبية العظمى ينفون ذلك ويؤكدون دفنه في مقبرة خارج باب النصر .



المدخل الرئيسي

مقياس ١ : ١٠٠

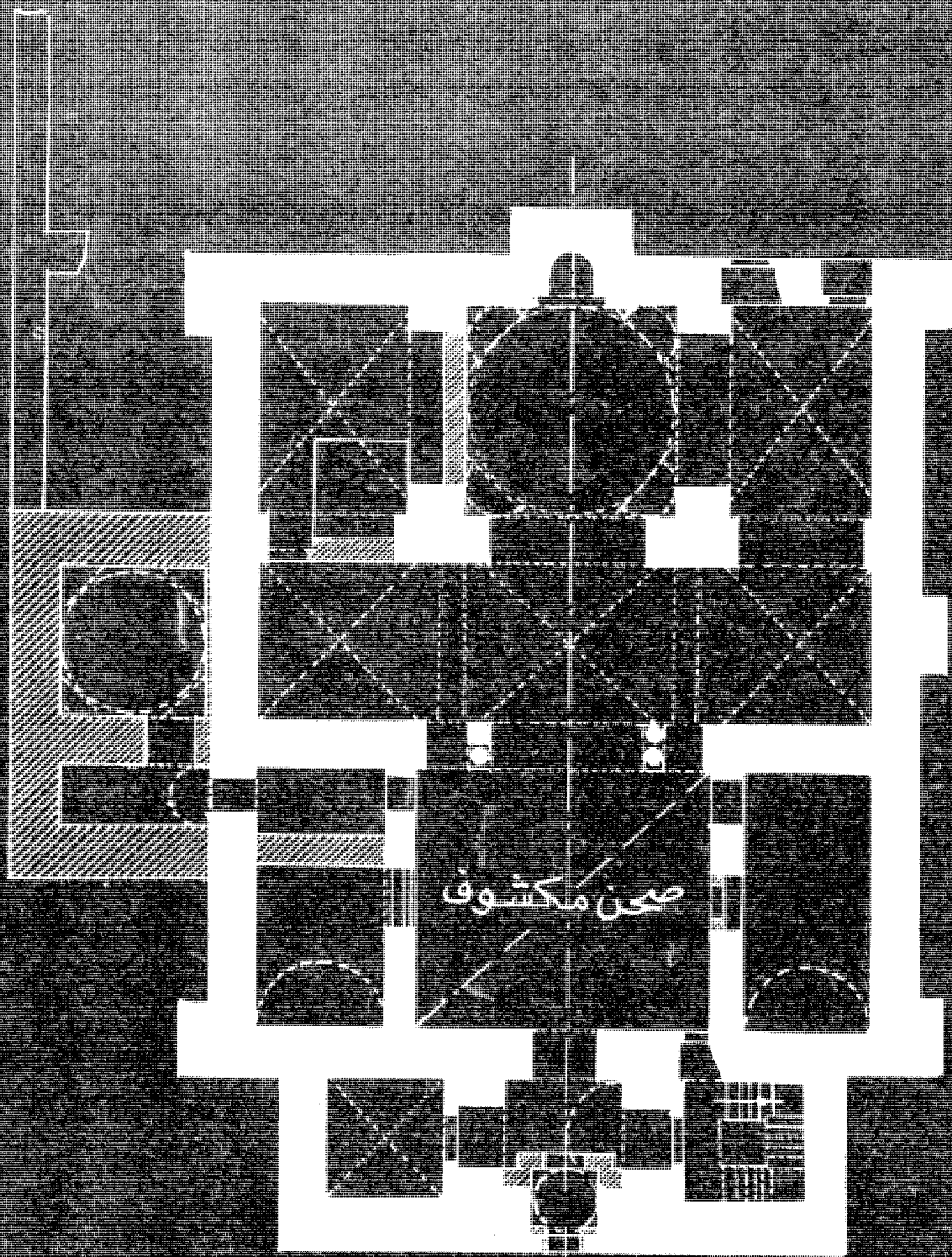
ضريح الشيخ بونسا
"محتمل مدار الجسم الى"

وصف المسجد

تقع زاوية الجيوشى على قمة جبل المقطم فى مواجهة قلعة صلاح الدين وفوق جامع أخيه يوسف مباشرة ، وهى بموقعها هذا تشرف على منطقة القرافة الصغرى بالأمام الشافعى والجزء المثل على النيل من مصر القديمة والمراعى الخضراء بمنقطة البساتين .

وهى عبارة عن مستطيل يقسمه محور إلى نصفين متماثلين تماما ، اللهم الا الجانب الشمالى الشرقى حيث اضيف إليه فيما بعد بئر . وتبلغ مساحة الزاوية خمسة عشر مترا عرضا فى ثمانية عشر مترا طولا ، ويقع المدخل الرئيسى فى الواجهة الشمالية الغربية تحت المثانة مباشرة . ويتكون المدخل من باب صغير يعلوه عقد مدبب يؤدى إلى ردهة مقببة فوقها ردهة أخرى مغطاة بقبة صغيرة موضوعة على الجدران المربعة مباشرة دون مقرنصات . وعلى جانبي الردهة يوجد حجرتان صغيرتان ، اليسرى منهما مغطاة بقبو متقاطع ، وبها نافذة فى أعلى الجدار الشمالى ، وتحتوى هذه الحجرة على (بيارة) . أما الحجرة اليمنى فهى مكشوفة وبها درج يؤدى إلى سطح الزاوية .

وندخل من الردهة الخارجية عن طريق عقد مدبب إلى صحن الزاوية الذى تبلغ مساحته (٦٥) - (٥٥) متر وعلى جانبه غرفتان مستطيلتان يدخل اليهما من فتحتين معقودتين بالصحن . وقد اقتطع جزء من الغرفة اليسرى وغطى بقبو مستعرض وفتح له فتحة فى الجدار الشمالى ليؤدى إلى (البيارة) .



مدخل رئيسي

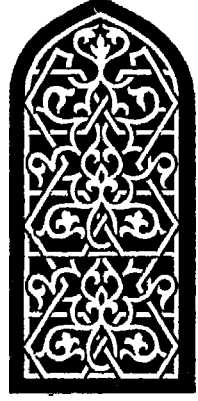
مسجد الجيوشي

وبالجهة الشرقية للصحن يوجد مدخل ذو ثلاثة عقود مدببة المتوسط منها متسع والجانبان صغيران ، وتعتمد العقود على عمودين متجاورين من الرخام وهي مختلفة الأحجام والتيجان وتؤدي هذه الواجهة ذات الثلاثة عقود إلى ردهة كبيرة مستطيلة مغطاة بثلاثة عقود متقاطعة ، وتؤدي هذه الردهة الكبيرة بدورها إلى ثلاثة عقود ، العقد المتوسط يؤدي إلى مربع مغطى بقبة ، وفي صدره المحراب والمربعان الجانبيان مغطيان بأقباء متقاطعة . وبالمربع الأيسر يوجد قبر أحد الشيوخ وان كانت العامة تقول انه قبر سيدى الجيوشى على اسم منشئ الزاوية .

ولعل أجمل ما فى هذا المحراب الزخارف الجصية التى تحيط بالمحراب التى تشبه زخارف الجامع الأزهر . ويتكون المحراب من حنية مستديرة يعلوها عقد مدبب يرتكز على عمودين فقدنا الآن ويحيط بالمحراب شريط من الكتابة بالخط الكوفى المزهر كما يوجد شريط من الكتابة من سورة الفاتحة يحيط بالمربع الذى تعلوه القبة ، كما نقش على شكل دائرة فى سمت القبة الآية (٣٩) ؛ من سورة يس « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » وفى الوسط نقش اسم محمد وعلى مكررين ثلاث مرات على شكل نجمة ذات ستة رؤوس .

وتتكون المئذنة من برج مربع بارتفاع (١٤ر١٨) مترا ويعلو ذلك صفان من الدلايات مبنية من الآجر والجص ، وفى داخل هذا المكعب يوجد مكعب صغير به اربع نوافذ معقودة ويعلو هذا رقبة مثمثة بكل وجه منها نافذة معقودة ويعلو ذلك قبة صغيرة . وبذلك يكون ارتفاع المئذنة كلها (٢٠) مترا ، وهى تحتوى على طابقيين من الداخل .

اما تاريخ الزاوية فمنقوش على لوحة من الرخام تعلو عتب المدخل الرئيسى . وتتكون الكتابة من خمس سطور من الخط ، جاء فيها انشأ هذه الزاوية مولى أمير المؤمنين الأمام المستنصر بالله أمير الجيوش فى المحرم من سنة ثمانية وسبعين وأربعمائة .



مسجد
الشيخ عطية عز الدين بن يحيى
المعروف بأبي الريش بمدينة دمنهور

ينتهي نسب الشيخ عطية عز الدين إلى الإمام ادريس بن عبد الله بن الحسن العلوى الذى فر إلى بلاد المغرب الأقصى حيث أسس دولة الادراسة . وكان ذلك فى عهد الخليفة هارون الرشيد على إثر محاربة العباسيين للعلويين والانتصار عليهم فى موقعة (فخ) التى استشهد فيها عدد كبير من العلويين واتباعهم . وقد بقيت أسرة شيخنا فى فرشلة بالمغرب الاقصى فى كنف أجدادهم الادراسة حتى أوائل القرن الرابع الهجرى ولما بدأت دولة الادراسة يدب فيها الضعف بسبب مناوئة الفواطم لهم ، رحل جد الشيخ عطية يحيى بن محمود الفرشلى إلى مكة المكرمة حيث أنجب ولده عز الدين وكان ذلك سنة ٣١١ هـ فى عهد الخليفة العباسى المقتدر بالله . وقد بقى عز الدولة فى مكة حتى بلغ الواحد والسبعين من عمره ثم رحل منها إلى المدينة المنورة وكان ذلك فى عهد الوالى الحسن بن طاهر بن مسلم من أحفاد الحسين ، المعين من قبل الخليفة الفاطمى العزيز بالله فى مصر . وقد كان مجيئ عز الدين إلى المدينة بناء على رغبة الحسن بن طاهر الملحة فى الحضور إليه لما سمعه عنه من الورع

والتقوى وسداد الرأى والتفاف بنى الحسن حوله . وقد لعب عز الدين والد شيخنا دورا فعالا فى تاريخ المدينة السياسى فى ذلك الوقت كان له أكبر الأثر فى بقائها فى يد الشيعة الفواطم ، فقد حدث فى عهده أن حاول الخليفة العباسى أن يغرى والى مكة والمدينة بالمال والخلع التى بعثها اليهما كما وعدهما بالعمل على ابقاء الحكم وراثيا فى ابناهما من بعدهما لكنهما رفضا تلك العروض جميعا قائلين له : إن الخطبة فى مكة والمدينة تقام للخليفة الحاكم بأمر الله دون سواه .

وفى المدينة المنورة ولد الشيخ عطية أبو أريش سنة ٣٩٤ هـ حيث أمضى طفولته ومعظم شبابه وتلقى العلم على أيدي فقائها وعلمائها ولم يتقيد فى دراساته الدينية والفقهية بمذهب آبائه واجداده الشيعى بل درس وتفقه فى المذهب السننى المالكى . وفى مدرسة الإمام مالك بالمدينة ظهر أمر شيخنا خاصة وهو العلوى النسب . ولعل السبب فى اختيار الشيخ عطية مذهب مالك فى ذلك الوقت دون غيره من مذاهب السنة الأخرى هو أن الإمام مالك اعتمد فى مذهبه على أصليين هما قول الصحابي وعمل أهل المدينة وهما الأمران اللذان صبغا مدرسته الفقهية بتضييق الرأى إذا قورنت بغيرهما من مدارس الفقه المعاصرة . وقد خلف لنا مالك كتاب (الموطأ) وفيه أحاديث جمعها من خمسة وتسعين رجلا كلهم مدينون الا ستة ، وما رواه عن الستة قليل . ورغبة فى الاطلاع على آثار مالك غير المباشرة ، التى جمع منها أسد بن القرات تلميذ مالك ستة وثلاثين ألف مسألة فقهية وحملها إلى العراق ، رحل الشيخ عطية إلى بغداد ولكنه لم يستطع البقاء هناك طويلا نظرا لاضطراب الأحوال بسبب الخلاف الدائم بين الخلفاء العباسيين وبين بنى بويه وخاصة بعد وفاة بهاء الدولة البويهى فى عهد الخليفة القادر بالله العباسى سنة ٤١٦ هـ فتركها وحضر إلى مصر .

وكان مجئ الشيخ عطية إلى مصر فى عهد الخليفة الظاهر الفاطمى الذى اتسم عهده باللين والتسامح ازاء السننيين إذ ترك لهم مطلق الحرية فى أداء شعائهم ، كما أهملت بعض المظاهر الشيعية ، فصار المؤذنون لا يحرسون على ذكر عبارة حى على خير العمل فى الآذان وصارت تعاليم مذهب الإمام مالك والإمام الشافعى والإمام احمد بن حنبل تدرس فى عهده

فصار الخليفة الظاهر يراعى مذهب الإمام مالك ومن سأله الحكم به اجابه ، كما يقول القلقشندي^(١) اما مذهب الإمام أبوحنيفة فلم يلق تأييدا من الفاطميين لأنه مذهب العباسيين .

وفي مصر نزل الشيخ عطيه بمسجد عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط وهناك درس المذهب الشافعي وتفقه فيه حتى كان يفتي ويقضى به في الجامع العمري . وكان الشيخ عطيه ورعا تقيا دمث الاخلاق ولذا كثر تلاميذه ومريدوه . ولما سمع به الخليفة الظاهر استدعاه إلى مجلسه وكان يظهره على الأمراء والوزراء ، بل يقال إنه كان يتردد عليه في خلوته التي اتخذها له في الجيزة بالقرب من الأهرام . ولما عرف أمره لعرب الشرقية أتوا إليه بالمسجد العمري وطلبوا إليه الحضور إلى الشرقية حيث ينتفع به كثير من القبائل العربية التي تسكن تلك الجهة . وقد استجاب لهم الشيخ عطيه وذهب إلى الشرقية حيث أقام فترة من الزمن ، وما يزال يوجد بالقرب من مدينة بلبيس خلوة تعرف باسم خلوة أبو الريش . وقد عرف الشيخ عطيه باسم أبو الريش لأنه رحمة الله عليه كانت به حكمة لا يستطيع معها أن يلبس أو يفترش الصوف لذلك فإنه كان يحشو غطاءه ووسادته بالريش ويحرص دائما أن يحملها على ظهره أيضا رحل ولذا فإن ملابسه كانت دائما مملوءة بزعب الريش فعرف به .

ولما عرف الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بسفر الشيخ أبو الريش إلى الشرقية أرسل في استدعائه خشية أن يكون قد ألم به أذى في القاهرة ، فلما حضر الشيخ وعرف الخليفة منه انه إنما ذهب إلى الشرقية نزولا على رغبة جميع القبائل العربية هناك ، أمره بالبقاء في القاهرة بقصد التبرك والانتفاع منه ولكن الحقيقة أن الخليفة خشى من بقاء أبو الريش في الشرقية أن يتأثر بمذهبه الشافعي القبائل العربية هناك .

وقد بقى الشيخ أبو الريش معزرا مكرما بمدينة القاهرة حتى تقلد بدر الجمالي الوزارة في أواخر عهد الخليفة المستنصر ، وكان مغاليا في مذهبه الشيعي ، وظهر روح العداء والكراهية ازاء أهل السنة . وأمر بإضافة حى على خير العمل إلى الآذان ، كما أعاد بدر

(١) القلقشندي صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩٥ .

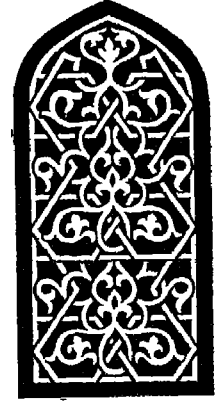
الجمالى نقش عبارات تتضمن لعن الصحابة على الجدران واصدر أوامره أن يكون التكبير على الميت خمسا طبقا للمذهب الشيعى ، كما جاء فى النجوم الزاهرة . وازاء هذه التصرفات العدائية الشديدة اضطر الشيخ أبو الريش أن يرحل سرا إلى الدلتا وكان ذلك سنة ٤٧٨ هـ وأخذ ينتقل من بلدة إلى أخرى حتى استقر به المقام فى نهاية تلك السنة فى مدينة دمنهور واتخذ له خلوة وانقطع فيها للعبادة وبقي كذلك حتى توفى لا يخرج من خلوته إلا فى المناسبات والأعياد ، ولما توفى سنة ٤٨٤ هـ دفن بتلك الخلوة .

وقد صحب الشيخ أبو الريش معه فى رحلته إلى دمنهور زوجته التى بنى بها منذ قدومه مصر وهى أبنة أحد اشراف اليمن من الزيديين ورزق منها بخمسة أولاد . وبقيت عائلته بعد وفاته فى مدينة دمنهور . ولما توفى أبنه الأكبر محمد شمس الدين قضيب دفن بجوار والده من الجهة الشرقية ودفن ابنه الثانى محمد الشبلى بجواره من الجهة الجنوبية . ويقول على مبارك أن الاحتفال بمولد الشيخ أبو الريش بدمنهور يأتى فى المرتبة الثانية بعد مولد سيدى ابراهيم الدسوقى .

وصف الجامع

ومما يؤسف له ان وزارة الأوقاف قد ازالَت الصريح الذي بنى للشيخ أبو الريش في العصر الأيوبي تماماً عندما أقامت المسجد الحديث . ويتكون المسجد الحالي من تخطيط مربع الشكل يتوسطه صحن مربع مغطى بسقف يشبه (الشخصيشخة) ويقوم السقف على أربع دعائم كبيرة ويجوارها اعمدة صناعية ويعلو الدعائم وكذا الأعمدة تيجان ذات طراز إسلامي جميل على شكل دلايات . ويحيط بالصحن من جهاته الأربع ما يشبه الايوانات في المدارس الايوبية والملوكية إلا أنها غير مقلدة الجوانب وغير مغطاة باقباة بل يغطيها سقف خشبي مسطح أقل ارتفاعاً من سقف الصحن ، وقد نقش سقف المسجد كله برسوم زيتية قوامها زخارف هندسية ونباتية محورة بأسلوب الارابيسك . وبكل ضلع من اضلاع المسجد عدا جدار القبلة نوافذ قنصلية غشيت بزجاج معشق متعدد الألوان وبجانب المحراب يوجد منبر خشبي مصنوع بطريقة الحشوات المجمع . والمدخل الرئيسي للمسجد يوجد بالجهة الشمالية الغربية المواجهة لحائط القبلة ، ويتكون المدخل من ثلاث أبواب معقوده والباب الأوسط منها اكبرها ويتقدمها ظلة يصعد إليها بخمس درجات وللمسجد مدخل ثان في الجهة الشمالية الشرقية .

أما صريح الشيخ أبو الريش فيوجد خلف جدار القبلة جنوب المنبر ، وهو عبارة عن غرفة مربعة تعلوها قبة على رقبة مرتفعة فتحت بها ثمان نوافذ للإضاءة وإلى جانب الصريح من جهته اليسرى يوجد صريح أبنه محمد شبل وعلى يمين المحراب يوجد صريح ابنه الأكبر محمد شمس الدين قضيبي .



جامع أبي الفضل الوزيري بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية

المحلة من المدن المصرية القديمة أسماها القبطى (دقلا) ولما فتحها العرب سموها محلة دقلة . وعرفت بمحلة شرقيون ثم سميت المحلة الكبرى لأنها أكبر البلاد المسماة باسم المحلة بمصر . وذكرها المقدسى باسم المحلة الكبرى وقال أنها مدينة على نهر الاسكندرية (أى فرع رشيد) بها جامع لطيف وليس بها أسواق كثيرة غير أنها عامرة نزيهة الشط حسنة النهر تقابلها صندفا عامرة كذلك وبها جامع ، شبيها بمدينة واسط الا أنه ليس بينهما جسر بل يعبرون فى المراكب . ووصفها الادريسي قال : المحلة مدينة ذات أسواق عامرة وتجارات شاملة . وذكرها ياقوت ، المحلة عدة مواضع بمصر منها محلة دقلة وهى أكبرها وأشهرها وتقع بين القاهرة ودمياط . ووصفها ابن دقماق وصفا شاملا ، قال ، وتعرف بمدينة المحلة وهى قصبه اقليم الغربية من الديار المصرية . وولايتها تعرف قديما بالوزارة الصغيرة . ثم يضيف ، وفى بلاد مصر نحو المائة قرية تعرف كل منها بالمحلة تتميز بلقب تعرف به به أو بنسبة تعرف بها . والمحلة هذه مدينة كبيرة ذات أسواق وبها جامع ومدارس وقياسر وبزازين وفنادق ، ومنارة ويشقها نهر من النيل . »

ويصف على مبارك في خطته المحلة الكبرى في القرن التاسع عشر فيقول ، وبها نحو خمس وعشرين ساقية بعضها بأرض المزارع وبعضها داخل السكن لبعدها عن سطح الأرض وقت التحريق . وفيها أرباب حرف كثيرون من جميع الصنائع وخاصة صناعة الحرير ونسجه ، ففيها أنوال كثيرة لنسج عصائب الحرير وثياب الكريشة الحريرية والملات . وفيها تجار مشهورون يتجرون في جميع بضائع القطر ومزارعون ، وزمام أطيانها نحو أربعة آلاف فدان . ويضيف على مبارك فيقول : ثم أن هذه المدينة على غاية من حسن الموقع وطيب الهواء تورث الطباع سلامة والأذهان جودة فإن للبقاع تأثيرا في الطباع فلذا كانت متبعا لكثير من الافاضل ومنشأ للعلماء الجهابذة الأمثال وإن ولم ينسب إليها إلا الجلال المحلي لكفاها فخرا ، الذي ولد سنة ٧٠١ هـ واشتغل وبرع في الفنون فقها وكلاما واصولا ونحو ومنطقا وغيرها .

وتحتفظ المحلة الكبرى لحسن الحظ بالكثير من آثارها الإسلامية بعضها ديني كالمساجد وتبلغ نحو من أربعين مسجدا غير الزوايا الصغيرة وأكثرها عامر تقام فيه الشعائر كالجمعة والجماعة ، والآخر مدني كالوكالات والخانات والقيساريات وما شابه ذلك . ومن أقدم آثارها مسجد الغمري فهو يرجع إلى العصر الفاطمي في القرن السادس الهجري ، وقد أعيد بناؤه عدة مرات فتغيرت معالمه الأصلية ، والمسجد الحالي بحالة سيئة ، ولم يبق من المسجد الأصيل غير لوحته التأسيسية وهي مثبتة بجوار المحراب . وقد نقش عليها بالخط الكوفي المزهر ، تاريخ الإنشاء واسم المنشئ ، والنص كما يأتي : بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر إلى . . . المهتدين . مما أمر بعمله السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين ، عضد الله به الدين وأمتع بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وأنفذ في البسيطة أوامره وأحكامه على يد عبده ومملوكه القاضي . . أبو الفتح المسلم بن علي بن الحسن متولى الحكم الشريف في الغربية في المحرم سنة ثمان وخمس مائة . وهناك لوحة رخامية أخرى مثبتة على واجهه المسجد نقش عليها بالخط الكوفي الجميل آيات من القرآن الكريم وبعض الألقاب والأسماء وقد محيت هذه الاسماء عن عمد .

ومن المساجد الهامة بمدينة المحلة كذلك مسجد الطريني الكبير المعروف باسم المتولى الذي أنشأه الشيخ أحمد بن علي بن يوسف الشهاب أبو العباس المحلى بالمشهور بالطريني ، كما أنشأ مدرسة بجوار المسجد . وقد جاء في الضوء اللامع للسخاوي أنه توفي في ربيع الأول سنة ٨٣١ ، وجاء في الخطط التوفيقية أن مسجد المتولى أعيد بناء معظم أجزائه ورسم في القرن التاسع عشر وكان ذلك بمعرفة شرفي بيك والشيخ محمد الجمل ناظر مدرسته . وتبلغ مساحة المسجد نحو فدانين وهو بذلك أكبر مساجد المحلة ، بل مساجد المحافظة كلها . ويتكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جهاته الأربع ، وتعتمد عقود الأيوانات على أعمدة بعضها من الجرانيت والبعض الآخر من الرخام مما يدل على أنها أخذت من عمائر قديمة بالمنطقة . وبالمسجد منبر خشبي طعمت بعض حشواته المجمة بالعاج والصدف كما نقش عليه اسم منشئه : أنشأ هذا المنبر الشريف الفقير إلى الله تعالى ابراهيم مراوح في شهر جمادى الآخر سنة ١١٢٧ هـ . ويوجد بالمسجد منارة في الركن الشمالى الشرقى منه وتتكون من قاعدة مربعة تعلوها طبقة مثمثة الشكل ثم مثنى ثمان تعلوه خوذة مخوصة ، وتعد هذه المئذنة من أجمل المآذن التي ترجع إلى العصر المملوكى .

ومن العمائر المدنية الهامة في مدينة المحلة الوكالة التي أقامها السلطان الغورى سنة ١٥١٠ هـ وأوقف عليها كثيرا من الأراضى الزراعية الموجودة بمحافظة الغربية . ومن العمائر الأثرية الكثيرة الإنتشار بالمحلة الحمامات ، إذ يبلغ عدد الباقى منها خمسة . ويشتمل الحمام عادة على مدخل مربع الشكل تقريبا تتوسطه فسقية مغطاة بسقف محمول على أربعة أعمدة من الرخام كما يحيط بها منطقة من الفسيفساء الرخامية . ويحيط بالفسقية أربعة إيوانات مفروش أرضيتها بالرخام الملون وبجوانبها مصاطب معدة لاستراحة المستحمين ، ومن الأجزاء الهامة في الحمام خلوة المغطس . وأهم الحمامات الباقية في المحلة حمام جاويش وحمام عليش وحمام المتولى وأكبرها وأهمها حمام حسن إبراهيم عزب .

ومن آثار العصر العثمانى الهامة في المحلة مسجد الحاج عبد الله عاصى الذى أنشئ سنة ١١٣٥ هـ ، وقد زالت الآن معظم معالمه ولم يبق غير مئذنته .

وصف الجامع

ومن أهم وأشهر مساجد المحلة الأثرية المسجد المعروف باسم مسجد أبي الفضل الوزيري الذي أنشأه الشيخ أبو الفضل الوزيري بسويقة النصارى وكان ذلك في القرن الثامن الهجري. وقد بنى أبو الفضل مسجده بجانب ضريح قديم لأحد أولياء الله الصالحين وهو أبو عبد الله النفيس بن الاسعد فضائل الذي عاش في العصر الأيوبي في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب . وكان الضريح عبارة عن بناء صغير مربع الشكل تعلوه قبة تقوم على مقرنصات في الأركان تشبه إلى حد كبير قباب الدولة الفاطمية في جبانة أسوان القديمة . وقد اندثرت القبة الآن ولم يبق منها غير عمود القبر وهو من الرخام مقاسه ١٦ ، ٣ متر وقد سجل عليه اسم صاحب الضريح وتاريخ وفاته : بسم الله الرحمن الرحيم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . هذا قبر الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو الله أبي عبد الله النفيس ابن الأسعد فضائل ، توفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وستائة رحمه الله ورحم من ترحم عليه . وعلى الوجه الآخر من العمود نقش ما يأتي : هذا عمل الحكم علي بن أبي العز المرخم رحم الله من دعى له بالتوبة . وقد حفرت هذه الكتابة على العمود حفرا بارزا بالخط النسخي الجميل .

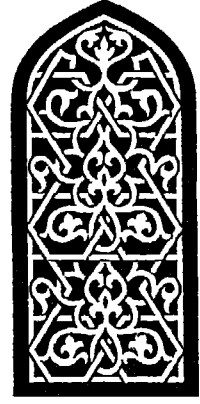
أما المسجد الذي أقامه أبو الفضل فقد تغير كثير من معالمه عندما رمم في العصر العثماني سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف على يدي محمود الشعار . على أن وزارة الأوقاف قد أزالَت المسجد القديم في النصف الثاني من القرن العشرين عندما وجدت مبانيه قد تصدعت ولم تعد

تحتمل الترميم وأقامت مكانه مسجداً جديداً يعد تحفة فنية حوت كل مميزات عمارة المساجد في مصر في القرن العشرين . وقد زادت مساحة المسجد الجديد كثيراً عن مساحة المسجد القديم فقد تنازل أصحاب المنازل المجاورة عنها لكي تضاف إلى مساحة المسجد كما تركوا أمامه مساحة كبيرة تفصله عن المباني المجاورة .

ويتكون المسجد الحالي من تخطيط مربع تقريباً به ست بوائك من الأعمدة قسمت المسجد إلى سبعة أروقة موازية لحائط القبلة . وتحمل الأعمدة عقوداً مدببة يعلوها سقف مسطح من الخشب طلي بنقوش زيتية مكونة من زخارف هندسية قوامها الطبق النجمي . وفي وسط المسجد توجد قبة تقوم على أربعة دعائم وبين كل دعائمين يوجد عمودان ، ويعلم هذه الدعائم والأعمدة رقبة مربعة تحولت إلى مثنى عن طريق مثلثات كروية فأصبح من السهل إقامة القبة فوقها . وقد فتح في رقبة القبة ثمان نوافذ ملكت بزجاج معشق جميل . أما باطن القبة فقد طلي بزخارف زيتية مماثلة لسقف المسجد . وللمسجد مدخلان رئيسيان أحدهما في الجهة الشرقية وآخر في الجهة الغربية ، أما مئذنة المسجد فتوجد في الركن الجنوبي الشرقي . ويوجد ضريح أبي عبد الله النفيس بن الأسعد فضائل في الجهة الغربية .

* * *

جامع الأولياء بالقرافة الكبرى



عرف جامع الأولياء في العصر الفاطمي باسم جامع القرافة وكان موضعه عند فتح مصر بخِطه (بحى) المغافرة وهو مسجد بناه عبد الله بن مانع بن مورع عرف بمسجد القبّة .

ويحدثنا القضاعى عن هذا الجامع فيقول : كان القراء يحضرون فيه ثم بُنى عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة المعزية في سنة ست وستين وثلثمائة وهى أم الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أم ولد ، يقال لها تغريد وتدعى (درزان) . قام ببناؤه لها الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب في شهر رمضان من السنة المذكورة « ويستطرد القضاعى في وصف الجامع فيقول : « وهو على نحو بناء الجامع الأزهر بالقاهرة ، وكان بهذا الجامع بستان لطيف وصهريج في غربيه . وبابه الذى يدخل منه ذو المصاطب الكبير الأوسط ، يقع تحت مثلثة الجامع المرتفعة ، وهو باب خشبي مصفح بالحديد ويؤدى إلى مجاز يمتد عموديا حتى المحراب . اما إيوان القبلة فله عدة أبواب عدتها أربعة عشرة بابا

يتقدم كلا منها سقيفة مقببة تقوم على عمودين من الرخام وهو مكندج^(١) مزوق باللازورد
والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ . وسقوف الجامع مدهونة ومزوقة بألوان متعددة كذلك
زخرفت حناياه وعقوده باللدهانات وأنواع الأصباغ من صنعه البصريين وعلى رأسهم شيخ
المزوقين الكتامى والنازوك . وكان يوجد أمام الباب السابع قنطرة مزوقة تنتهى عند حافة
شاذروان (فسقية) من الرخام مدرج بدرج .

وقد أطنب صاحب كتاب « طبقات المصورين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس
في اخبار المزوقين من الناس) في وصف النقوش والتزويق التي زخرفت بها الجامع وكذا
التصاوير التي نقشت على جدران قصر القرافة ، فيقول : وكان اليازورى قد أحضر بمجلسه
المصوران القصير وابن عزيز ، فقال ابن عزيز أنا أصور صورة إذا رآها الناظر ظن أنها خارجة
من الحائط ، فقال القصير لكن أنا أصورها فإذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة في الحائط ،
فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا ما وعدا به فصورا صورة راقصتين في تجويف حنيتين
مدهونتين متقابلتين هذه ترى وكأنها داخلة في الحائط وتلك ترى وكأنها خارجة من الحائط
فصور القصير راقصة بثياب بيض في تجويف حنية دهنها أسود كأنها داخلة في تجويف الحنية
وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر في صورة صفراء كأنها بارزة من الحنية فاستحسن
اليازورى ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيرا من الذهب .

ويضيف المقرئى في وصف جامع الأولياء فيقول : وكان هذا الجامع من محاسن البناء
وكان بنو الجوهري يعظون بهذا الجامع على كرسى في الثلاثة أشهر فتمر لهم مجالس مبعجلة
تروق وتشوق ويقوم خادمهم زهر البان وهو شيخ كبير ومعه « زنجلة » إذا توسط أحدهم
في الوعظ يقول :

وتصدقى لا تأمنى أن تسأل فإذا سألت عرفت ذل السائل

(١) مكندج : كلمة أعجمية معربة من كنده ومعناها مجوف .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٣١٨

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٣ ، المقرئى ج ٢ ص ٣١٩

ثم يدور على الرجال والنساء فيلقى له في الزنجلة ما يسره الله تعالى فإذا فرغ من الطواف وضع الزنجلة أمام الشيخ فإذا فرغ من وعظه فرق على الفقراء ما قسم لهم وأخذ الشيخ ما قسم له وهو الباقي ونزل من الكرسي . ويضيف المقرئ في وصف حالة الجامع في عصره في القرن الخامس عشر فيقول : « وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون به في ليالي الصيف للسمر في ضوء القمر في صحنه ، أما في الشتاء فإنهم ينامون في داخل إيوان القبلة عند المنبر وكانت تقدم لهم الأشربة والحلوى وغير ذلك » .

وفي سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الوزير أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالأجل المأمون البطائحي وكيله أبا البركات محمد بن عثمان ان يجدد هذا الجامع ويرمه وأن يعمر بجانبه طاحونا للسبيل ويبتاع لها الدواب ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من يجعله أمينا عليه ويطلق له ما يكفيه مع علف الدواب وجميع المؤن ويشترط عليه أن يواسى الضعفاء ويحمل عنهم كلفة طحن اقواتهم ويؤدى الأمانة فيها .

ويتحدث ابن تغرى بردى عن حالة جامع الأولياء في عهده فيقول : ولم يزل هذا الجامع على عمارته إلى أن احترق في السنة التي احترق فيها جامع عمرو بن العاص سنة اربع وستين وخمسمائة عند نزول مرى ملك الفرنج على القاهرة وحصارها . ويضيف ابن تغرى بردى فيقول : « وكان الذى تولى احراق هذا الجامع ابن سماقة بإشارة الأستاذ مؤتمن الخلافة جوهر ، وهو الذى أمر المذكور بحرق جامع عمرو بمصر . ولما سئل عن ذلك قال : « لثلا يخطب فيه لبنى العباس ، ولم يبق من هذا الجامع بعد حريقه سوى المحراب الأخضر . وكان مؤذن هذا الجامع في أيام المستنصر بن بقاء المحدث ابن بنت عبد الغنى بن سعيد الحافظ . وقد أدركته لما كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكارنة وهو مقصود للبركة فلما كانت الحوادث والمحن في سنة ست وثمانمئة قل الساكن بالقرافة وصار هذا الجامع طول الأيام مغلقا وربما أقيمت فيه الجمعة .

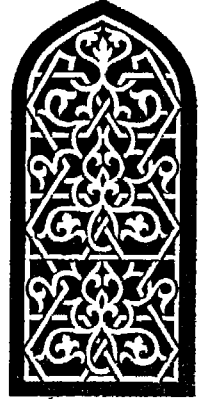
ويقول أحمد رمزي^(١) : أما اليوم فيعرف جامع الأولياء باسم (حوش أبي علي) وقد زال ولم يبق منه إلا آثار بعض جدرانه . وفي الجنوب الشرقى لهذا الجامع يوجد مسجد قديم يعرف اليوم بحوش خضراء الشريفة آثاره قائمة في الفضاء الواقع بين جبانة سيدى عقبة ومصر القديمة .

وأنى أهيب بمصلحة الآثار وكذا وزارة الأوقاف وجميع الجهات المعنية بالآثار الإسلامية أن تعيد بناء هذا المسجد ففيه أحياء لأقدم مسجد فاطمي بمدينة الفسطاط ، خاصة وأنه ما يزال واضح المعالم .

* * *

(١) هاشم النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٣

مسجد خضرة الشريفة



يقع هذا المصلى منفردا في القرافة الكبرى جنوب شرق القسطنطينية وعلى بعد ٧٥٠ مترا من مشهد القباب السبع . وبرغم أن المبنى بحالة لا بأس بها ويدل على أنه يحوى جدث شخصية لها قيمتها الا أن أحدا من المؤرخين أو كتاب السر أو التراجم لم يذكر شيئا ذا قيمة عن صاحب هذا المصلى أو الضريح . فقد ورد ذكره في كتاب الخطط للمقرئى^(١) ضمن المصليات التى بالقرافة الكبرى فقال : مصلى الشريفة بدرب القرافة بحدره الجباسين وخطه الصدف ، بناه أبو محمد عبد الله بن الارسوفى الشامى التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

ويقول ابن الزيات^(٢) عند الكلام عن أضرحة القرافة « وبحارة العوامة تربي لطيفة على شرعة الطريق بها قبر السيدة الشريفة الخضراء ومعها قبر الشيخ على الفانى التكرورى امام

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٥٤

(٢) الكواكب السيارة : ص ١٧٨

الجامع ذكره ابن الملقن في طبقات الأولياء ، توفي سنة احدى وسبعين وستمائة » . كذلك ذكر هذا المصلى على مبارك في خططه عند الحديث عن جامع القرافة المعروف باسم الأولياء ، فقال : جامع الأولياء بالقرافة الكبرى . كان موضعه يعرف بخطه المعافر وهو مسجد بناه عبد الله بن مانع مورع ويعرف بمسجد القبّة . ثم بنى عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة تغريد زوجة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وأمّ الخليفة العزيز بالله سنة ست وستين وثلثمائة » . وبعد أن ينتهى على مبارك^(١) من وصف جامع الأولياء يقول : وبجواره من الجهة الشمالية محل يعرف بالشريفة مبنى من الحجر المتين وبه محراب كبير تكتنفه أربعة محاريب صغيرة وليس به سقف وفي غربيه بنحو ألف متر محل يعرف باصطبل عنتر جعل اليوم جبخانه » .

(١) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٦٣

وصف المسجد

يتكون المسجد من مستطيل تبلغ مساحته 20×30 مترا وتقويه دعائم ساندته باركانه الأربعة يبلغ كل منها 140 مترا وتبرز عن سمت الجدران الخارجية بمقدار 36 مترا . ويبلغ ارتفاع المصلى 6 أمتار تقريبا . ويقع المدخل الرئيسى للمبنى فى الركن الشمالى الغربى منه ويبرز عن الواجهة بمقدار 5 مترا ، ويؤدى إلى ردهة أولى تؤدى إلى ردهة ثانية بها بابان أحدهما معقود ويؤدى إلى الصحن والثانى صغير ويؤدى إلى درج يصعد بنا إلى غرفة صغيرة فى الدور الثانى - أندثر معظمها الآن وربما كانت تعلوها مثذنة الجامع ، مساحة الصحن 1735 2280 متر .

وبجهة الفعلة يوجد ثلاثة أيوانات أو غرف المتوسطة منها أكبرها وهو مربع الشكل إذ تبلغ مساحته 640 مترا مربعا فى صدره محراب كبير وعلى جانبيه حنيتان مربعتان . وبهذا الإيوان توجد مقبرة لعلها مقبرة السيدة خضرة الشريفة ويعلو الإيوان الأوسط قبة كبيرة ، أما الإيوانان الجانبيان فمستطيلا الشكل وبهما بقايا زخارف جصية ومن المرجح ان سقفهما كان من الخشب . وبالإيوان الجنوبى منهما توجد مقبرة لعلها مقبرة الشيخ على الفائق التكرورى أمام المسجد المتوفى سنة احدى وسبعين وسبائة .

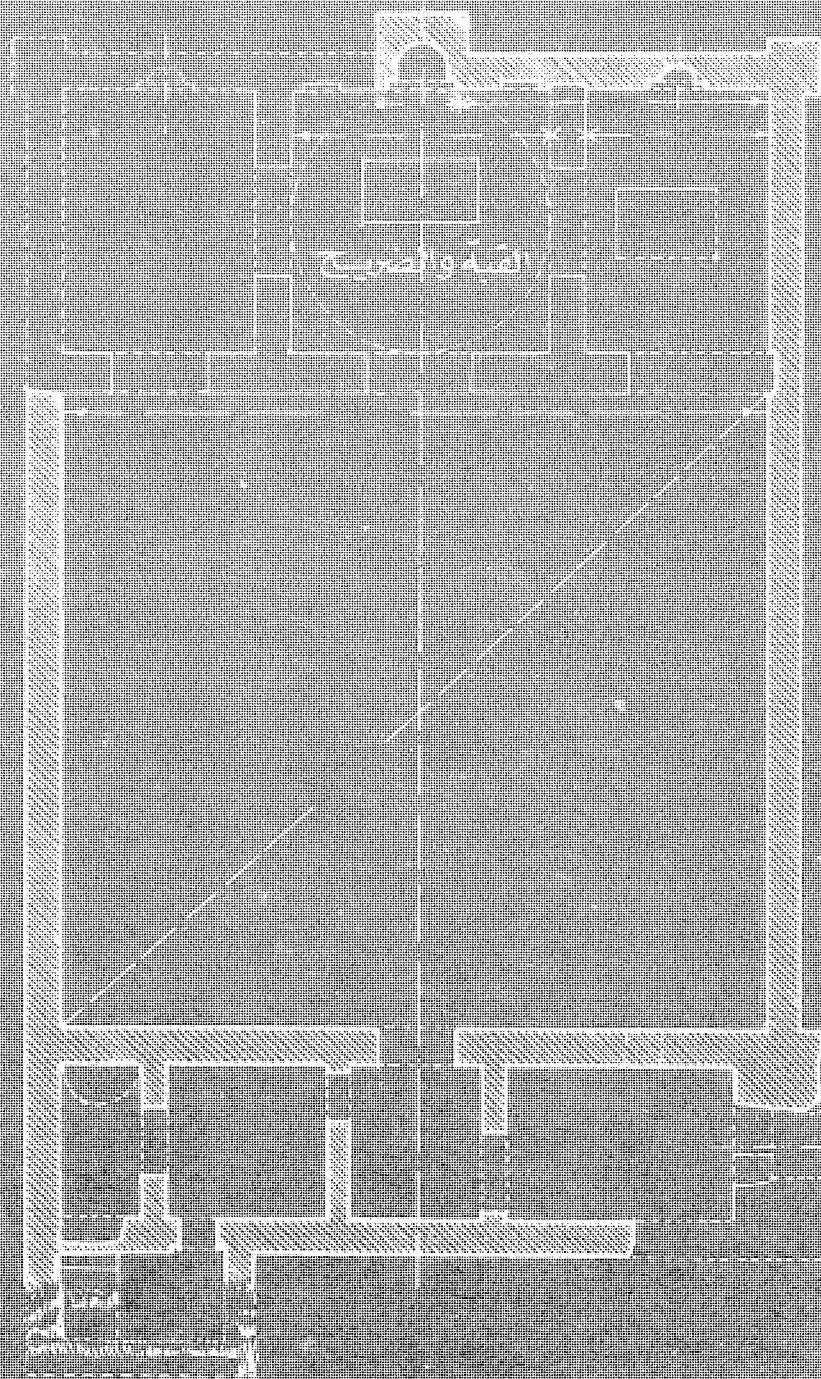
على أننى لا أميل إلى تسمية هذا المسجد باسم مصلى ، إذ أن مساحته تبلغ (600) مترا مربعا ، كما أنه يحتوى على كل مقومات المسجد ، فهو يشتمل على ثلاثة محاريب ،

ومن المرجح بل المؤكد أن جوانب المسجد الثلاثة كانت تحتوى على بوائك وأروقة للمصلين كما أننى أرجح أن يكون الدرج المؤدى إلى الدور الثانى هو درج مثذنة المسجد التى سقطت واندثرت معالمها بعد أن أخذ أهالى البساتين المجاورة أحجارها وأخشابها .

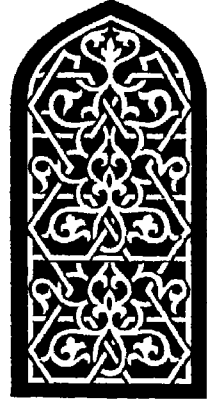
كما أن ليس من المعقول أو المقبول عقلا ومنطقا أن يعين إماما له قيمته ويترجم له ، مثل الشيخ الفانى التكرورى ، لمصلى بل المعروف أن الإمامة تكون للمساجد الجامعة أو المساجد الهامة .

أما من حيث الأسلوب المعمارى بالنسبة للمبنى القائم الآن ، فهو مملوكى الطراز ، فمن الواضح أنه يشبه إلى حد ما جامع الظاهر بيبرس الذى أنشئ سنة ٦٦٦ هـ وكذا ضريح القاضى العز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . فمسجد حضرة الشريفة وكذا جامع الظاهر قد قسم رواقهما المجاور للمحراب إلى ثلاثة أقسام وغطى الأوسط منها بقبة تتقدم المحراب ، كما أن كلا منهما يحتوى على صحن مكشوف تحيط به الدروقة من ثلاث جهات .

والذى أرجحه بالنسبة لشخصية صاحب الضريح الموجود والذى عرف المسجد باسمه وهو (خضره الشريفة) أن تكون أحد أفراد آل البيت ممن أتوا إلى مصر قبل مجئ الدولة الفاطمية ، ولما ماتت دفنت بخطه المعافر وبنى عليها عبد الله بن مانع قبه وألحق بها مسجدا فعرف بمسجد القبة ، كما هو ثابت فى المراجع التاريخية السابق ذكرها . وإلى جوار مسجد القبة أقامت السيدة تغريد زوجة الخليفة المغز لدين الله جامعها المعروف باسم جامع الأولياء . ولما احترقت مدينة الفسطاط فى نهاية العصر الفاطمى وكذا ما بها من المساجد والعمائر مثل جامع عمرو وجامع الأولياء ، احترق مسجد القبة بطبيعة الحال . وكما يقول المقريرى فقيده أعيد بناء مسجد القبة فى العصر الأيوبي سنة ٥٧٧ على يدى أبو محمد عبد الله الدسوقى الشاصر . وفى العصر المملوكى أعيد بناؤه للمرة الثالثة ، وذلك اعتمادا على أسلوبه المعمارى القائم الآن ، وكذا تاريخ وفاة إمامه الشيخ التكرورى سنة ٦٧١ هـ .



مسجد حاضرة الشريفة



جامع الرفاعي بالقلعة

الإمام أحمد الرفاعي هو ابن صالح أحمد محيي الدين بن العباس ، ولد الرفاعي . يتما بجزيرة أم عبيدة قرب واصل بالعراق سنة ٥١٢ هـ ، إذ توفى والده وهو في بطن أمه فكفله خاله الشيخ منصور البطائحي . وينسب الرفاعي إلى جده السابع رفاعه ، الذي هاجر إلى المغرب هرباً من اضطهاد العباسيين للعلويين في المشرق ، فهو بذلك علوي . واستقر رفاعه باشبيلية حيث تزوج وأنجب عدداً كبيراً من الأولاد . وقد سافر حفيده يحيى إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، وبعد إقامة قصيرة في مكة رحل بعدها إلى البصرة حيث استقر به المقام وأنجب ولديه الحسن الرفاعي وأحمد الرفاعي . وقد تلقى الرفاعي علومه الدينية وحفظ القرآن وهو ما يزال حدثاً صغيراً ، ويقال أنه بدأ يتردد على حلقات على يد كبار العلماء وهو في السابعة من عمره وفي مقدمتهم خاله الشيخ منصور البطائحي وعلى الواسطي . كما كان يتردد كثيراً على الإمام الخرنوبي ويقوم عنده كل عام فترة من الزمن يتعلم على يديه وينهل من علمه وورعه واستمر على هذا حتى توفى (الخرنوبي) .

على أن تردد الرفاعي على أئمة الصوفية وفقائها لم يشغله عن أن يكسب قوته بعرق جبينه فقد زاول الرفاعي كل الحرف حتى لا يعتمد على أحد وحتى لا يكون عالة الغير . فقد عمل الرفاعي حطابا كما عمل في حمل المياه إلى المنازل وخاصة بيوت الأرامل والعجزة والمساكين في قرية أم عبيدة . ولذلك فقد كان يشترط على تلاميذه ومريديه أن يكون لهم عمل فإن لم يكن فليبحث ، فإن عجز ساعده هو على إيجاد عمل أو حرفة له ، وكان يقول رضى الله عنه : لا ينضم إلى صفوفنا عاطل . وفي الخامسة والعشرين من عمره توفى خاله الشيخ منصور البطائحي بعد أن ولاة خلافة طريقته فأخذ يلقي دروسه في المسجد الكبير بالبصرة وقد عبر عن طريقه في أقوال واضحة صريحة فهو يقول : طريقى دين بلا بدعة وهمة بلا كسل وعمل بلا رياء وقلب بلا شغل ونفس بلا شهوة

ومثل هذه الكلمات الصريحة الواضحة ومثل حياة الرفاعي البسيطة التي قضها في أعمال وحرف شاقة تدعوننا أن نعرض إلى ما ينسب إلى الطائفة الرفاعية من كرامة مسك الثعابين واختراق جسد الانسان بمواد صلبة مثل السبخ من غير أحداث جرح أو اراقة دماء . ولكننا لم نعثر في ترجمة الإمام الرفاعي على ذكر أو على إشارة من قريب أو بعيد أنه أتى بمثل هذه الكرامات ، غير ماجاء منها من أتباعه كما يقول ابن خلكان :

« ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية النزول في الثنائير وهي تتضرم بالنار فيطفئونها » . ويعلق فريد وجدى على ذلك بقوله : « أما ما يروى عن أتباع الرفاعي من أكل النار والجلوس عليها وغير ذلك فيظهر أنه صحيح . وهو حين يدخل الانسان في حالة غير اعتيادية سواء أكانت بالذكر أو بالتنويم المغناطيسى » . على أننا إذا رجعنا إلى الديانات الهندية القديمة لوجدنا في الديانة الجينية التي تجعل الجسد في خدمة الروح ، ما يفسر بعض ما يأتى الرفاعية من أعمال غريبة . فإن معتقدى الديانة الجينية يقووهون بأعمال خارقة تشبه السحر . وقد أشار الصوفى ابن العربى إلى نوع من الرياضة الجسمانية والروحية يؤهل مزاوليها على الاتيان بأعمال خارقة . وفي العصر الحاضر تعرف هذه الرياضة الجسمانية (بالجودو) .

وقد ترك لنا الرفاعي الكثير من الاوراد والكتب في مختلف العلوم الدينية في التوحيد والتفسير والحديث والتصوف والفقہ مثل كتاب (البهجة وشرح التنبيه في الفقه الشافعي) . وتوفي الرفاعي في قرية أم عبيدة سنة ٥٧٢ هـ ودفن في ضريحه هناك .

أما رفاعي مصر فهو أحد أحفاده وهو علي أبو الشباك ، وقد ولد له علي مصر سنة ٦٨٣ هـ وتزوج حفيده الملك الأفضل أحد أمراء المماليك في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ، فأنجب منها ولده علي . وقد رحل أحمد الصياد حفيد الإمام أحمد الرفاعي عن مصر قبل أن يولد ابنه علي ، فبقى علي في كنف أمه وأهلها في مصر واتخذ طريقة جده الصوفية وأخذ يدعو لها وجعل من سكن أسرته وعائلته في سوق السلاح مقرا للطرق الرفاعية

علي أن « علي أبي الشباك » حفيد الرفاعي ، لم يكن هو أول من دعا إلى الرفاعية في مصر فقد سبقه إلى ذلك الشيخ أبو الفتح الواسطي الذي وفد إلى مصر من العراق في أوائل القرن السابع الهجري ، أي قبل علي الشباك بنصف قرن تقريبا ، فأقام بمدينة الاسكندرية وبدأ ينشر الصوفية على الطريقة الرفاعية .

وصف الجامع

أما مسجد الرفاعي الحالى فقد كان يشغل جزءا من أرضه مسجد قديم يرجع إلى العصر الفاطمى عرف باسم مسجد الذخيرة قال عنه المقرئى : يقع مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل بأول الرملة تجاه مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون . انشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ومتولى الحسبة سنة ست عشرة وخمسمائة « ويضيف المقرئى : وقد عرف هذا المسجد أيضا باسم (لبالله) وذلك لأن ذخيرة الملك جعفر كان يقبض الناس من الطريق ويخسفهم فيحلفونه ويقولون (لبالله) فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجره ، ولم يعمل فيه منذ إنشائه إلا صانع مكره أو فاعل مقيد وكتب عليه هذا البيت المشهور :

بنى مسجدا لله من غير حلة وكان بحمد الله غير موفق

وجاء فى الخطط التوفيقية ، أنه كان يشغل جزءا آخر من مسجد الرفاعى ، زاوية كانت تعرف باسم الزاوية البيضاء أو الزاوية الرفاعية ، كان بها عدة أضرحة منها ضريح سيدى على أبى الشباك وسيدى يحيى الأنصارى والسيد حسين الشبخونى شيخ سجاده الرفاعية سابقا . وكان يرد لزيارة سيدى على أبى الشباك (حفيد الامام الرفاعى) هذا خلق كثير من مصر وغيرها وخصوصا المصابين بالأمراض العصبية المعروفة عند العامة (بالرياح

الطبيعية). وفي سنة ست وثمانين ومائتين وألف هجرية أشترت السيدة خوشيار والدة الخديو اسماعيل أرض مسجد الذخيرة والأماكن الواقعة بجوار زاوية الرفاعي من الجهات الأربع فشملت حوش بردق المعروف بحوش الحدادين والحمام الذي كان هناك . ويقول على مبارك ، ولكنه لم يعرف باسم السيدة خوشيار بل بقى باسم الرفاعي نسبة إلى زاوية الرفاعي ، وأمرت أن يعمل ضريح لسيدى علىّ أبي الشباك الرفاعي وسيدى يحيى الأنصارى ومدافن لها ولن يموت من ذريتها .

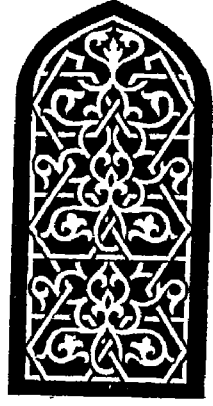
ويتكون تخطيط مسجد الرفاعي من مربع تبلغ مساحته ١٧٦٧ مترا به صفان من الدعائم بأركانها الأربعة أعمدة ملتصقة . وتقسم الدعائم المسجد إلى ثلاثة أروقة . أقيم على عقود الرواق الأوسط ، وفي وسط المسجد رقبة بها نوافذ تعلوها قبة كبيرة . وفي وسط الجدار الشرقى يوجد محراب كبير يكتنفه من جانبيه عمودان من الرخام أحدهما أبيض والآخر أخضر داكن ، وحلى باطن المحراب وكذا تواشيعه بفسيفساء من الرخام الدقيق والصدف ، ويعلوه شريط من الكتابة بالخط الثلث الجميل « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » وفوق الكتابة ثلاثة صفوف من المقرنصات المذهبة . وقد كسيت جدران المسجد جميعها وكذا الدعائم بالرخام أما الأعمدة فكلها من الرخام المستورد من تركيا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا، والجزء الأكبر منه مقطوع من محاجر بنى سويف وخاصة الأخضر منه : وبالمسجد منبر وكرسی للمصنّف مصنوعان من خشب الساج الهندي بطريقة الخراط والحشوات المجمعّة المطعّمة بالعاج والصدف والأبنوس .

وللمسجد ثلاثة أبواب رئيسية ، منها واحد في الجهة الشرقية يؤدي إلى ردهة مستعرضة يتوسطها إيوان يؤدي إلى ضريح الشيخ علىّ أبي الشباك الرفاعي . وعلى الجانب الشمالى من الردهة ومن المسجد كله يوجد مقابر ذرية خوشيار . وفي الجهة الجنوبية من المسجد يوجد البابان الآخران وبينهما ضريح الشيخ يحيى الأنصارى . والأبواب الثلاثة معلقة إذ يصعد

إليها بمجموعة من الدرجات وبالمسجد مجموعة كبيرة ونادرة من المشكاوات الزجاجية ومن الثريات المعدنية المكفّنة بالذهب والفضة . وقد استغرق بناء هذا المسجد ثلاثة وأربعين عاما ، فقد بدأ انشاؤه سنة ١٢٦٨ هـ وانتهى سنة ١٣٢٩ هـ والسبب في ذلك يرجع إلى وفاة السيدة خوشيار فتوقف العمل به فترة طويلة ثم استؤنف مرة ثانية . وقد بلغت تكاليف بناء هذا المسجد (١٣٢٥٠٠) جنيه هذا بالإضافة إلى ثمن السجاد والأبسطة وكذا الثريات المعدنية والمشكايات الزجاجية وأجور الأيدي العاملة المصرية .

* * *

جامع الأمير زياد بقرية الشيخ زياد بمحافظة المنيا



المنيا مدينة مصرية قديمة ، أسماها القديم (موفى) ومعناه المرضعة ، وذلك نسبة إلى الأعتقاد الذى كان يسود تلك المنطقة قديما من أن أم موسى بعد أن أَلقت برضيعها فى اليم استقر بها المقام فى المنيا حيث عثر عليها فرعون مصر لتتولى ارضاع موسى ، ومن هنا عرفت المدينة باسم مدينة المرضعة فى اللغة المصرية القديمة . وهناك جمهور آخر من مؤرخى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى يقول بأن كلمة المنيا اسم عربى ، فقد جاء فى الخطط المقرزية (منية الخصيب نسبة إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل الخليفة العباسى هارون الرشيد . وجاء فى قوانين اللواوين لأبن ممتى ، منية بنى خصيب من أعمال الأشمونين ، وهى قرية عامرة حولها جنات وأرض متصلة العمارات وقصب وأعناب كثيرة ومتنزهات ومبان حسان . وقال ياقوت ، منية أبى الخصيب مدينة كبيرة على الشاطئ الغربى للنيل فى الصعيد الأدنى بمصر ، وهى ذات مرثى (مناظر) جميلة وبها مدارس وحمامات وأسواق ، وأضاف ، ويقال أن الخصيب عمرها أيام ولايته وأنشأها لأبنه وسماها باسمه فعرفت به .

وذكر ابن بطوطة في رحلته ، قصة طريفة عن مدينة المنيا رأيت أن أذكرها على ما فيها من أحداث تشبه الأساطير : يقال أن بعض خلفاء بني العباس تغير على أهل مصر فأراد أن يوليها أحقر عبده إذلالاً لهم وتنكيلاً بهم ليسير فيهم سيرة سوء ، وكان أحقر عبده هو الخصيب إذ كان يتولى تسخين الحمام ، فخلع عليه ولاية مصر . فلما استقر خصيب بمصر سار في أهلها أحسن سيرة واشتهر بالكرم فكان أكابر أهل البلاد وأقارب الخلفاء يفتدون إلى مصر من أقصى بلاد العالم الإسلامي وأدناها ، ويقصدونه فيجزل لهم العطايا . وافتقد الخليفة (هارون الرشيد) يوماً بعض أقاربه وغاب عنه ثم حضر بعد مدة فسأله عن مغيبه فذكر أنه قصد خصبيا بمصر ، وذكر له ما أعطاه ، وكان مبلغا كبيرا من الدنانير وقدرا عظيما من منتجات البلاد وأثنى عليه فغضب الخليفة وأمر بسمل عيني خصيب واخراجه من مصر إلى بغداد ، وأن يطرح في أسواقها . فلما أتاه الأمر بالقبض عليه ، حيل بينه وبين دخول منزله ، وكان معه ياقوته عظيمة فخبأها عنده وخاطها في قميصه ليلا . ثم اقتيد إلى بغداد بعد أن سملت عيناه وطرح في السوق ، فمر عليه بعض الشعراء وهو مطروح ، فقال ياخصيب ، إني كنت قد قصدتك من بغداد إلى مصر ممتدحا فوافقت انصرافك عنها ، وأحبيت أن تسمع القصيدة التي نظمتها فيك ، فقال كيف لي بسماعها وأنا على ماتراه ، قال الشاعر : انما قصدى سماعك لها ، اما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزلت لهم جزاك الله خيرا وأنشد :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلكما بحر

فلما أتى الشاعر على آخر القصيدة ، قال له الخصيب ، افتق هذه الخياطة ففعل ، فقال خذ هذه الياقوتة فأبى ، فأقسم عليه فأخذها وذهب إلى سوق الجوهريين ليبيعه فلما عرضها عليهم قالوا له هذه لا تصلح إلا للخليفة ، فرفعوا أمرها إليه فأمر بإحضار الشاعر واستفهم عن أمر الياقوتة فأخبره بخبرها فتأسف على ما فعله بخصيب وأمر بإحضاره بين يديه وأجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب أن يعطيه هذه المنية ، ففعل فسكنها خصيب إلى أن توفي وأورثها عقبه . وكلمة مينة اختصار لكلمة ميناء ، إذ أن المدينة تقع على شاطئ النيل الغربي .

وصف الجامع

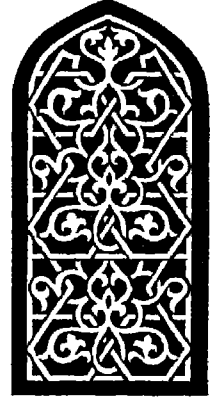
ومن أقدم مساجد محافظة المنيا وأشهرها مسجد الأمير زياد الموجود بقرية الشيخ زياد بمركز مغاغة ، وكان اسم قرية الشيخ زياد الأصلي ديروط بلهاسة وكانت تتبع إقليم البهنسا ، ثم تغير اسمها إلى الشيخ زياد وذلك لوجود ضريح الشيخ زياد بن المغيرة بها . وقد جاء في المقرئزي أن بها جامعا أنشأه زياد بن المغيرة بن عمر العتكي ، الذي توفي في المحرم من سنة ١٩١ هـ فدفن بها .

أما المسجد الموجود حاليا فيرجع تاريخ انشائه على أقل تقدير إلى العصر الفاطمي ، كما هو ثابت من الكتابة الموجودة على الأعمدة الرخامية التي عثرت عليها مصلحة الآثار في إحدى الحجرات المتخربة بالمسجد ، والكتابة مؤرخة سنة ٥١٧ هـ كما أن أسلوب الخط تظهر به بداية الخط النسخ الذي ظهر في أواخر العصر الفاطمي ، أي في القرن السادس الهجري . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن كثيرا من الأعمدة الرخامية الموجودة الآن في المسجد المجدد فاطمية الطراز وتشبه تلك التي عثر عليها في الحجرة المتخربة سواء أكان من ناحية المادة الخام أم من ناحية طراز زخرفة تيجان الأعمدة .

ومن الثابت أن السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي قد أعاد بناء هذا المسجد كما هو مدون على اللوحة المثبتة بداخل الضريح المدفون به زياد بن المغيرة بن عمرو العتكي

جدران الضريح إلا أن القبة المقامة عليه ما تزال حافظة لأصلها . وقد تدمر معظم ويتكون الضريح من حجرة مربعة الشكل تقريبا بها دخول من الجهة الجنوبية الشرقية حيث يوجد المحراب وهي بذلك تشبه شكل الإيوان إلا أنها قليلة العمق . ويعلو جدران المربع سبعة صفوف من المقرنصات الجميلة حولت في النهاية المربع إلى مئذنة أقيمت فوقه القبة المدببة . أما من الخارج فإن الجزء المحصور بين المربع والقبة فيبدو على شكل ثلاث درجات تتجه إلى الداخل وهي مرحلة تحويل المربع إلى مئذنة إقامه القبة المستديرة فوقه .

* * *



جامع الأقرم

أنشأ هذا الجامع الخليفة الأمر بأحكام الله ابن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بالله على بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله ولد في أول^(١) سنة تسعين وأربعمائة ، واستخلف وله خمس سنين وبقي في الملك تسعا وعشرين سنة وتسعة أشهر .

ويصف لنا المقرئ الهيثم التي بويغ بها الأمر بالخلافة فيقول : « وأحضره الأفضل ابن أمير الجيوش وباع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالأمر بأحكام الله وركب الأفضل فرسا وجعل في السرج شيا وأركبه عليه لينمو شخص الأمر وصار ظهره في حجر الأفضل ، فلم يزل تحت حجره حتى قتل الأفضل ليلة عيد الفطر » .

ويقول الحافظ الذهبي : وكان مدير سلطانه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش ،

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٠

ولى الأمر وهو صبي فلما كبر قتل الأفضل وأقام في الوزارة المأمون أبا عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحي . فظلم وأساء السيرة إلى أن قبض عليه الأمر سنة تسع عشرة وخمسمائة وصادره ثم قتله في سنة اثنتين وعشرين وصلبه وقتل معه خمسة من اخوته .

وفي أيام الأمر أخذ الفرنج عكا سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، وأخذوا طرابلس في سنة اثنتين وخمسمائة فقتلوا وسبوا ، وجاءتها نجدة المصريين بعد فوات المصلحة ، وأخذوا عرقة وبانياس . ثم قصد الملك بردويل الافرنجي مصر ليأخذها ودخل الفرما وأحرق جامعها ومساجدها ، فاهلكه الله قبل أن يصل إلى العريش ، فشق أصحابه بطنه وصبروه ورموا جسوته (أمعاءه) هناك فهي ترجم إلى اليوم بالسبخة ودفنوه بقمامة » .

وكان الأمر ربعة شديد الأدمة جاحظ العينين حسن الحظ ، حيد العقل والمعرفة وكان للأمر نظم ونظر في الأدب ، ومما نسب إليه من الشعر قوله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى الا الهى وله الفضل
جسدى نبي وامامى أبى ومذهبي التوحيد والعدل

وقد نسب هذا الشعر لغيره من الفاطميين مثل الخليفة المستنصر وقد انفرد الأمر بحفظ القرآن دون جميع خلفاء مصر من الفاطميين .

ويقول المقرئى^(١) : وهو الذى جدد رسوم الدولة وأعاد إليها بهجتها. بعد ما كان الأفضل أبطل ذلك ونقل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة إلى دار الملك بمصر (أى بالفسطاط) .

كما قيل إن الأمر كان فيه هوج^(٢) عند طلوعه المنبر في خطبته في الجُمع والأعياد فاستحيا المأمون بن البطائحي أن يشافهه بما يقع له من الهوج وأراد أن يفهمها له من غير مشافهة فقال له : يا مولانا ، قد مضى من الشهر أيام وبعد غد جمعة الراحة فإن حسن في الرأى

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٩١

(٢) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٥

أن يخرج مولانا بحاشيته خاصة من باب تربة الزعفران إلى القصر النافعي^(١) فما فيه سوى عجائز وألزام ، ويجلس مولانا على القبة التي على المحراب قبالة الخطيب ليشهد نائبه كيف يخطب ، فإنه رجل شريف فصيح اللسان حافظ القرآن . فأجابه الخليفة الأمر إلى ذلك فلما حضر الجامع وجلس في القبة وفتح الروشن وقام الخطيب فخطب ، وبينما هو في الخطبة الثانية وإذا بالهوى قد فتح الطاق فرفع الخطيب رأسه فوق وجهه في وجه الخليفة فعرفه فارتج عليه وارتاع ولم يدر ما يقول حتى فتح الله عليه فقال : معاشر المسلمين نفعكم الله وإياي بما سمعتم ، وعن الضلال عصمكم ، قال الله تعالى في كتابه العزيز (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) (إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . إلى آخر الآية) وصلى بالناس فلما انفض المجلس تكلم الأمر مع وزيره المذكور بما وقع للخطيب ، انفتح الكلام للوزير وتكلم فيما كان بصدده فرجع الأمر عن الخطابة واستناب وزيره ، فصار الوزير يخطب بجامع القاهرة وجامع ابن طولون وجامع مصر (أى جامع عمرو) .

ويقول ابن أبي منصور^(٢) إن ابتداء خطبة الوزير المأمون كانت في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ وترك الأمر الخطابة مع ما كان له في ذلك من الرغبة الزائدة ، حتى أنه كان قد اقترح أشياء أخرى في خروجه إلى الجامع زيادة على ما كانت تفعله أبائوه . غير أنه كان يخطب في الأعياد بعدما استناب وزيره المأمون بن البطائحي في خطبة الجمعة . فكان الأمر إذا خرج في خطبة العيد خرج إلى المصلى ويخرجون قبله على العادة بالفرش والآلات وعلق بالمحاريب الشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة ، وبأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معظمة ، وهي قطعة من حصير ، ذكر أنها كانت من حصير لجعفر الصادق ، وكانت مما أخذه الحاكم بأمر الله عند فتح دار جعفر الصادق . ثم تغلق الأبواب الثلاثة التي بجانب القبة التي في صدرها المحراب ، ثم تغلق الستور بالمحراب وجانبي المئبر ، ويفرش درجة ، وينصب اللوآان ويعلقان عليه ، ويقف متولى ذلك والقاضي تحت المنبر ويطلق البخور ، ويتقدم

(١) القصر النافعي بالقصر الفاطمي الكبير الشرق ، موقعه الآن قبل سيدنا الحسين حتى شارع السكة الحديدية وما يقابل ذلك من المباني الواقعة بين السكة الحديدية وسكة خان الخليل . وكان يسكن هذا القصر عجائز القصر الكبير وأقارب الأشراف (التتبع الزاهرة ج ٤ ص ٤٨) .

(٢) تاريخ ابن أبي المنصور ص ١٧٦

الوزير بألا يفتح الباب أحد ، وهو الباب الذي يدخل الخليفة منه ويقف عليه ، ويقعد الداعي في الدهليز ويقرأ المقرئون بين يديه ويدخل الأمراء والأشراف والشهود والشيوخ ولا يدخل غيرهم إلا بضمان من الداعي فإذا استحقت الصلاة أقبل الخليفة في زيه .

ويتحدث ابن خلكان^(١) عن صفات الأمر فيقول : وكان الأمر سئ الرأي جائر السيرة مستهترا متظاهرا باللهو واللعب « ويضيف الذهبي^(٢) على ذلك فيقول : « كان رافضيا كآبائه فاسقا ظالما جبارا متظاهرا بالمنكر واللغو ذا كبر وجبروت . ويفصل لنا المقرئ مظاهر حب الأمر للهو فيقص علينا القصة الآتية عند حديثه عن الهودج^(٣) الذي بناه الأمر بجزيرة الروضة فيقول : « إن الخليفة الأمر كان قد ابتلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون في البوادي ، فبلغه أن بالصعيد جارية من اكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة جميلة ، فيقال أنه (أي الأمر) تزنى بزى بداء العرب وصار يجول في الاحياء إلى أن انتهى إلى حيها وبات هناك في ضائفة وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع إلى مقر ملكه وسرير خلافته فأرسل إلى أهلها يخطبها فأجابوه إلى ذلك وزوجوها منه فلما صارت إلى القصور صعب عليها مفارقة ما اعتادت عليه وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الروضة المعروف بالهودج وكان على شاطئ النيل في شكل غريب » .

ويضيف المقرئ في قصة البدوية فيقول : وقد أكثر الناس في حديث البدوية (عالية) وابن مياح من بنى عمها الذي بقيت متعلقه الخاطر به ، حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث أبطال الف ليلة وليلة وما أشبه ذلك .

ولم يزل الأمر يتردد إلى الهودج بالروضة للنزهة فيه إلى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج في يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من النزارية وضربوه بالسكاكين حتى مات .

(١) وفيات الأعيان (طبع بولاق سنة ١٢٧٥ هـ)

(٢) تاريخ الاسلام للحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (كان سنياً متعصباً ضد الشيعة وخاصة الشيعة الاسماعيلية) .

(٣) المخطط ج ٢ ص ١٨١

ويحدثنا العلامة أبو المظفر^(١) عن السبب في قتل النزارية للآمر فيقول : كان الأمر مطلوباً من جماعة من أعوان عمه نزار^(٢) المقتول بيد أبيه بعد واقعة الاسكندرية فاتصل بالأمر أن جماعة من النزارية حضروا إلى القاهرة ويريدون قتله ، فاحترز الأمر على نفسه وتحيل في قبضهم ، فلم يُقدر له ذلك لما أَراده الله وفشا أمر النزارية وكانوا عشرة ، فخافوا أن يقع عليهم الأمر فيقتلهم قبل قتله ، فاجتمعوا في بيت وقال بعضهم لبعض ، قد فشا أمرنا ولا نأمن أن يظفر بنا فيقتلنا ، ومن المصلحة والرأى أن نقتل واحدا منا ونلقى برأسه بين القصرين فإن عرفوه فلا مقام لنا عندهم ، وإن لم يعرفوه تم لنا ما نريد لأن القوم في غفلة وفعلاً قتل واحد منهم نفسه بسكين في جوفه فمات من وقته ، فأخذوا رأسه فرموه في الليل بين القصرين . فلما وجد الرأس اجتمع عليه الناس وأبصروه ، فلم يقل أحد منهم أنا . أعرفه . فحمل إلى الوالى فاحضر الوالى عرفاء الأسواق وأرباب المعاش فلم يعرف ، فأحضر أيضاً أصحاب الرباع والحرارات فلم يعرف ، ففرح التسعة بذلك ووثقوا بالمقام في القاهرة لقضاء مرادهم ، واتفق للخليفة الأمر أن يمضى إلى الهودج بجزيرة الروضة لزيارة زوجته البدوية (العالية) فعلم النزارية التسعة بركوبه فجاءوا إلى الجزيرة ، ووجدوا قبالة الطالع من الجسر فرناً فدخلوا فيه قبل مجئ الخليفة الأمر ، ودفعوا إلى الفرن دراهم وافرة ليعمل لهم بها فطيراً بسمن وعسل ففرح الفرن بها وعمل لهم الفطير فبينما هم يأكلون إذ طلع الخليفة الأمر من آخر الجسر ولقد تقلل عنه الركابية ومن يصونه لخرج الجواز على الجسر لضيقه ،

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لشمس الدين لأبي المظفر سبط الجوزى ص ١٠٩

(٢) كان الخليفة المستنصر قد اجلس بعده ابنه أبا المنصور نزارا اكبر أواده وجعل اليه ولاية العهد ، فلما مرض المستنصر اراد أخذ البيعة له فتقاعد وزيره الأفضل شاهنشاه حتماً مات المستنصر ، وكان ذلك كراهة من الأفضل في نزار ، وسببه أن نزار رأى الأفضل في يوم راكبا وقد دخل من أحد أبواب القصر ، فصاح به نزار ، انزل يا أرمى يانجس ، فحقدها عليه الأفضل ، فاجتمع الأفضل بعد موت المستنصر بالأمراء والخواص وخوفهم من نزار واثار عليهم بولاية أخيه الصغير ابى القاسم وتعمته بالمستعمل بالله فرضوا بذلك اما نزار فقد فر إلى الاسكندرية فتوجه الأفضل إلى الاسكندرية وهزم نزار واحضره إلى القاهرة حيث قتله المستعمل وبنى عليه حائطا (في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٤) .

فلما قابلوه وثبوا عليه وثبة رجل واحد وضربوه بالسكاكين حتى أن واحدا منهم ركب وراءه
وضربه عدة ضربات وأدركهم الناس فقتل التسعة .

ويقول ابن تغرى^(١) بردى : وحمل الأمر في عشارى إلى قصر اللؤلؤة ، وقيل : إن بعض
منجميه كان عرفه أنه يموت مقتولا بالسكاكين فكان الأمر كثيرا ما يلهج بقوله الأمر
مسكين المقتول بالسكين .

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٨٥

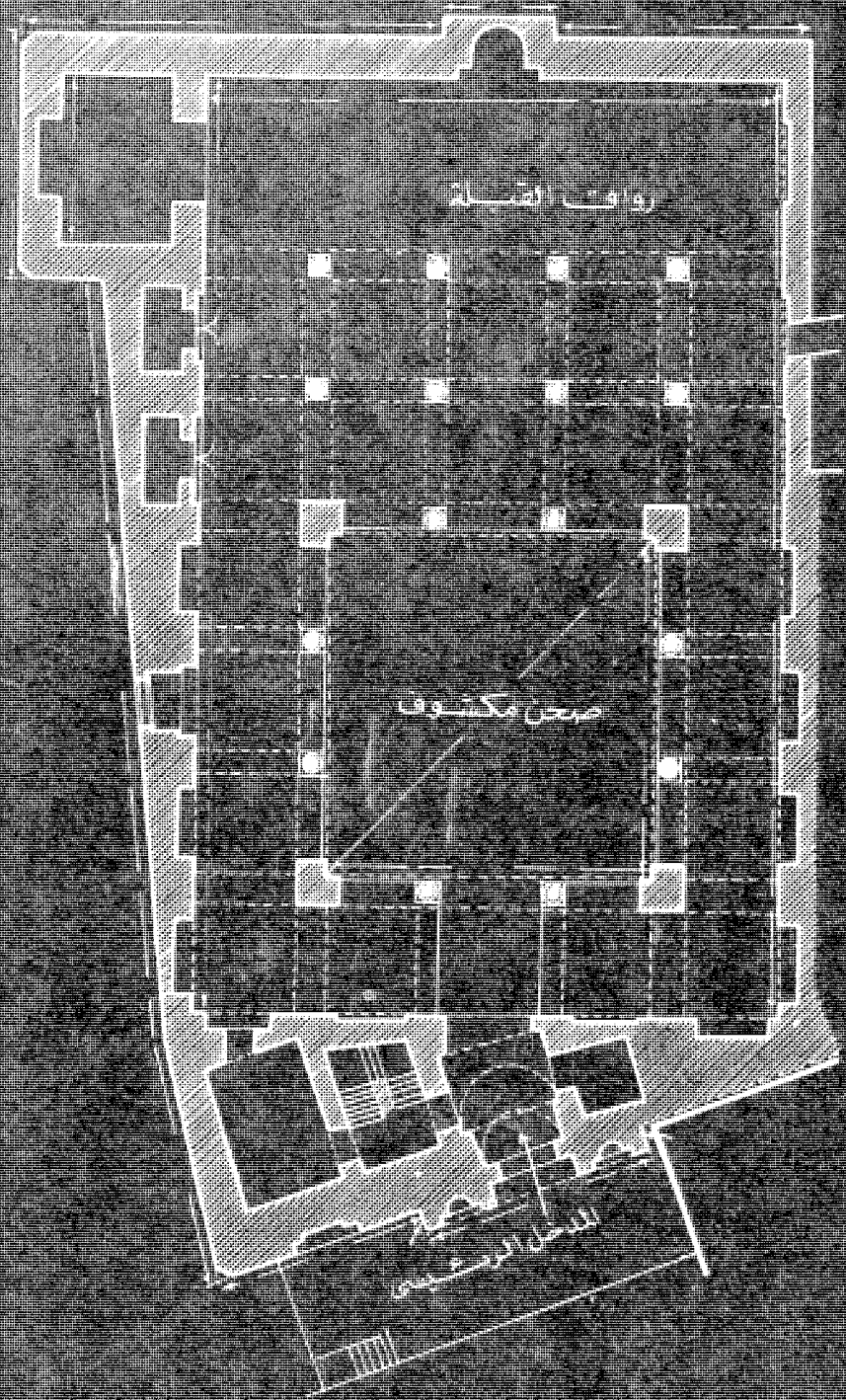
وصف الجامع

يقول ابن ظهيرة^(١) الجامع الأقرم بمرجوش على يمين السائر إلى باب الفتوح ، وكان مكانه برية تعرف ببئر العظام وهي الآن خلف جدار قبلة الجامع . أما ابن عبد الظاهر^(٢) فيقول : كان مكان جامع الأقرم علافون والحوض مكان المنطرة ، فتحدث الخليفة الأمر مع الوزير المأمون بن البطائحى فى انشائه جامعاً فلم يترك قدام القصر دكاناً وبُنى تحت الجامع المذكور فى أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح ، وكمل الجامع المذكور فى أيامه وذلك فى سنة تسع عشرة وخمسةائة وقد كتب عليه اسم الأمر والمأمون . ويقول المقرئى : إن الأمر اشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر وحبسهما على سدنته ووقود مصابيحهم ومن يتولى أمره ، ومازال اسم المأمون والأمر على لوح فوق المحراب ولم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الأقرم .

ويذكر المقرئى التجديدات التى أجريت للجامع الأقرم فى عهد السلطان الظاهر برقوق على يدى وزيره يلبغا السالى فيقول : فلما كان شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة حدده الأمير الوزير المشير الاستادار يلبغا بن عبد الله السالى أحد مماليك الظاهرية فأنشأ بظاهر باب البحرى حوانيت يعلوها طباق وجدد فى صحن بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزابيز من النحاس . كما نصب

(١) الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة (تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٩م)

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٩٠



فيه منبرا فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة ، وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبي أحد نواب القضاة الحنفية . كذلك بنى على يمينه المحراب البحري مثذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب .

ومن الطريف أن المقریزی لم يستحسن بعض تلك التجديدات التي أدخلها يلغا السالمى على جامع الأقمر ، ولذلك نجده يذهب إليه ويبلغه انتقاده وقد سجل هذا النقد ورد يلغا عليه فى كتابه الخطط ، فقال : فقلت له قد أعجبنى ما صنعت بهذا الجامع ماخلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء ، فإن الخطبة غير محتاج إليها ها هنا لقرب الخطب من هذا الجامع وبركة الماء تضيق الصحن ، وقد أنشأت ميضأة بجوار بابه الذى من جهة الركن المخلق . فرد عليه يلغا قائلا : أما عن الخطبة وإقامة المنبر فما أنا بالذى أحدثه فقد قال ابن الطوير فى كتابه (نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين) عند ذكر جلوس الخليفة فى المواليد الستة : ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك يحضر خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك ، فهذا أمر قد كان فى الدولة الفاطمية ، وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين .

كذلك وضع يلغا فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه اسم الخليفة الأمر (أى اسم منشى المسجد) وذكر فيه تجديده لهذا الجامع ورسم فيه نعوته وألقابه وجدد أيضا حوض هذا الجامع الذى تشرب منه الدواب وهو فى ظهر الجامع تجاه الركن المخلق . ويضيف المقریزی فيقول : وهذا الجامع درس من قديم الزمان (لعله يريد أن يقول من العصر الفاطمى) ولم تزل مثذنته التى جدها السالكى والبركة إلى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولى نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المثذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل الماء من البركة لإفساد الماء بمروره جدار الجامع القبلى والخطبة قائمة به إلى الآن (أى إلى سنة ٨٤٥ هـ) .

يعتبر الجامع الأقمر أول مسجد فى مصر صمم على أن تكون واجهته تتفق وتخطيط الشارع الذى يطل عليه كما أنه من أوائل العمائر الإسلامية فى مصر التى حظيت واجهاتها

بزخارف معمارية من دلايات ونقوش خطية ونباتية محفورة في الحجر^(١). ويتكون الجامع من صحن تبلغ مساحته ٩٧٧ر١٧ ١٠ر١٧ مترا تحيط به من جميع الجهات بائحة من ثلاثة عقود. ويتكون إيوان القبلة من ثلاثة أروقة أما الجهات الثلاث الأخرى فتحتوى كل منها على رواق واحد. وواجهة المسجد ليست موازية للحائط الشمالى الغربى للمسجد بل تقطعه فى زاوية حادة مقدارها (٢١°) وذلك حتى تتفق وتخطيط الشارع. وقد مكن الفراغ الناتج بين الحائط الشمالى الغربى وبين واجهة المسجد، المعمار لكى يبني غرفتين (وبير سلم). ويتكون ممر المدخل من شكل منكسر يبدأ من منتصف الواجهة الخارجية وينتهى فى منتصف الحائط الشمالى الغربى.

وتتكون واجهة المسجد من باب على جانبيه حنيتان يبلغ عرضها ٧ر١٠ مترا وتبرز عن باقى جدار الواجهة بمقدار ٦٨ مترا. وتمتد الواجهة من الجهة الشمالية ٦ر٤٢ مترا، أما الجهة الجنوبية من الواجهة فتغطيها الدور المجاورة. وقد حفلت الواجهة بالعديد من أنواع الزخارف المعمارية، فالباب يعلوه عقد مسطح صنعته معشقة يعلوها شريط ضيق من الكتابة يمتد بعرض الجزء البارز من الواجهة ونصها: (بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمله فى مولانا وسيدنا الأمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وبنائهما الأكرمين تقربا إلى الله الجواد آمين - اللهم انصر جيوش الإمام الأمر بأحكام الله المؤمنين على كافة المشركين السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو عبد الله محمد الأمرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته فى سنة تسع عشرة وخمسمائة لإقامة البرهان).

ويعلو الحنيتان الجانبيتان عقدان مفصصان ويعلوهما شريط من الكتابة ونصها: (بسم الله الرحمن الرحيم أمر فى مولانا وسيدنا الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وبنائهما الأكرمين السيد الأجل المأمون أمير الجيوش

Creswell : The Muslim architecture in Egypt vol. I p. (241).

(١)

ناصر الإمام - المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبى عبد الله محمد الآمرى عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته - تسعة عشرة وخمسمائة والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل) ويمتد بطول الواجهة ، ويأتى فوق شريط الكتابة وعلى امتداد الحنيتين توجد حنيتان مستطيلتان بهما أربعة صفوف من الدلايات . ويعلو الحنيتين المربعتين حنيتان صغيرتان يعلوهما عقدان مفصصان يرتكز كل منهما على عمودين ملصقين وفى وسط كل حنية توجد نصف دائرة مفصصة على شكل مروحة . أما باب المدخل فيعلوه عقد منكسر ومفصص وبواسطة دائرة مقسمة إلى ثلاث أشرطة فى الوسط كتابة نصها (محمد مكررة وعلى) ويحيط بالوسط شريط به كتابة نصها (بسم الله الرحمن الرحيم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس آل البيت ويظهركم تطهيرا) وفى كوشى العقد توجد زهرة ذات خمسة عشر بتلة . وعلى الجانب الأيمن للمدخل يوجد حنية كبيرة يعلوها عقد نصف دائرى ممتد مفصص ويزخرفه صفان من الدلايات وعلى جانبي الحنية مربعان بهما زخارف نباتية . ويعلو الحنية دائرة فقد ما كان بها من زخارف جصية وعلى جانبي الدائرة حنيتان صغيرتان على شكل نافذتان بهما زخارف نباتية وهندسية وكتابية نصها (لا إله الا الله محمد رسول الله على ولى الله) وتنتهى الواجهة من الجهة الشمالية بشطفة بداخلها صفان من الدلايات وهى التى يعبر عنها المقريزى بكلمة (ركن مخلوق) ويقوم فى صدر المسجد محراب مكسى بفسيفساء رخامية متعددة الألوان لعلها من الأعمال والتجديدات التى أجريت فى عهد السلطان برقوق وكذلك الأعمدة المنتصقة على جانبي المحراب . وفوق المحراب توجد لوحة رخامية سجل عليها الأمير يلبغا العمارة التى أجراها ونصها : (بسم الله الرحمن الرحيم فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض - أمر بعمل المنبر والمنارة وغيره بعد اندراسه فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق حرس الله نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى أبو المعالى عبد الله يلبغا السالمى الحننى الصوفى . لطف الله به فى الدارين آمين . . فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وكان بنى هذا الجامع فى أيام الخليفة الأمر باحكام الله ابن المستعلى بالله فى سنة تسع عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية (١) .

(١) المساجد الأثرية حسن عبد الوهاب ص ٧٢

والمنبر الموجود بالمسجد الآن هو بقايا المنبر الفاطمي وقد ثبت فوق بابهِ اللوحة التي كانت على باب يلبغا ، أما منبر يلبغا فكما يقول حسن عبد الوهاب^(١) فقد . واللوحة الموجودة على المنبر الموجود حاليا كتب عليها النص الآتي : (وقالوا الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا . أمر بعمل هذا المنبر أيام مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق نصره الله غرس نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله يلبغا السالمى الحنفي الصوفي الظاهري لطف الله به في الدارين آمين . في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

والظاهرة الغربية في هذا المسجد هو تغطية الأروقة ، إذ نلاحظ أنها مغطاة بقياب ضحلة تقوم على مثلثات مقعرة كروية ، ما عدا الرواق المجاور للمحراب فهو مغطى بسقف خشبي مسطح . ويعتقد كزويل^(٢) أن هذا النوع من التغطية ترجع إلى عصر السلطان برقوق ، هذا برغم أن هذه الظاهرة قد وجدت من قبل في ضريح ابن طباطبا وكذلك في باب الفتوح وباب النصر وفي مشهد اخوة يوسف .

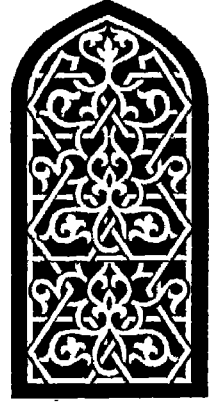
ويقول الجبرتي^(٣) إن الجامع الأقرم جدد في العصر العثماني على يد سليمان أغا السلحدار وذلك في شهر شعبان سنة ١٢٣٦ هـ (سنة ١٧٢١ م) ويقول فان برشم إن آثار هذا التجديد واضح في (طبله) العقود التي تحيط بالصحن .

* * *

(١) المساجد الأثرية ص ٧٣

(٢) Creswell : P. 245

(٣) الجبرتي ج ٤ ص ٣١٨



مسجد النبي دانيال بمحافظة الإسكندرية

نلاحظ في مصر عامة والإسكندرية خاصة وجود مساجد إسلامية تنسب إلى أنبياء ورسل سبقوا المسيحية والإسلام وهي ظاهرة تستحق الالتفات والتفسير . ولعل ذلك يرجع إلى أحد أمرين ، الأول هو أن هذه المساجد ربما كانت معابد قديمة حولت إلى مساجد أو أنها بنيت في مكانها . والأمر الثاني يرجع إلى وجود جاليات يهودية كبيرة في مدينة الإسكندرية في العصر الروماني ومن الثابت أنها سكنت مناطق معروفة أطلقت عليها أسماء أنبيائها . وظلت هذه الأسماء في القصبس والتراث الشعبي حتى جاء العرب وأسسوا مساجد فعرفت بالأسماء الشائعة والمعروفة في تلك المناطق ومما يؤيد الرأي الأخير أننا إذا استعرضنا أسماء هذه المساجد لوجدناها لأنبياء بني إسرائيل مثل مسجد سليمان عند قنطرة سليمان ومسجد الخضر بالقيسارية وأهمها مسجد النبي دانيال بالشارع المعروف باسمه .

أما عن وجود قبر النبي دانيال بمدينة الإسكندرية فقد تضاربت فيه الأقوال فقد أجمعت المراجع العربية القديمة وخاصة معاجم البلدان على وجود قبر النبي دانيال بمدينة سوس بإيران،

فقد جاء فيها عند ذكر فتوح الإسلام لبلاد العجم : أن أبا موسى الأشعري بعد أن فتح السوس وجد خزانة مغلقة ، ففتحها فوجد فيها حجرا طويلا على مثال الحوض وفيه رجل ميت قد كفن بأكفان منسوجة بالذهب فكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره ويطلب رأيه . فأخبره الإمام على بأنه قبر النبي دانيال ، فأمر سيدنا عمر بدفنه « وهناك مراجع مخطوطة تقول بوجود قبر النبي دانيال بمدينة الموصل . كما أن كتب الرحالة لم تشر إلى وجود مقبرة للنبي دانيال بمدينة الاسكندرية . على أننا وجدنا في كتاب (زبدة كشف الممالك) لفرج الدين الظاهري ، نائب سلطنة الاسكندرية في العصر المملوكي في القرن التاسع الهجري مانصه : وبها (أى الاسكندرية من المزارات والأماكن المباركة ما يطول شرحه ، منها مشهد النبي دانيال عليه السلام » .

وجاء في كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني : الشيخ محمد دانيال الموصلي أحد شيوخ المذهب الشافعي قدم الاسكندرية في نهاية القرن الثامن الهجري واتخذ (مسجد الاسكندرية) (كما كان يسمى حينئذ) مكاناً يدرس فيه الأصول وعلم الفرائض على نهج الشافعية حتى وفاته سنة ٨١٠ هـ فدفن في المسجد وأصبح ضريحه مزاراً للناس .

وهكذا نرى أن المسجد أخذ اسمه من اسم الشيخ محمد دانيال الموصلي ، ولا صحة لما قيل عن وجود قبر النبي دانيال بالمسجد أو أن للمسجد بني مكانه . ولكن تشابه الإسمين هو الذي جعل العامة في العصور اللاحقة تعتقد أن المسجد بني على قبر النبي دانيال .

وعندما بدأت عمليات البحث والتنقيب عن الآثار في مصر في القرن التاسع عشر ، لازمت مسجد النبي دانيال فكرة وجود قبر الاسكندر فيه ، وقد أيد هذا الرأي مقالته محمود باشا الفلكي من أن النبي دانيال توفي قبل انشاء الاسكندرية بأكثر من ثلاثة قرون . وعلى أية حال فمما لا شك فيه أن اقتران اسم النبي دانيال بهذا المكان لا بد وأن يرتبط بقصص أو تراث شعبي قديم .

وصف الضريح

أما الضريح الحالى فقد قام المرحوم حسن عبد الوهاب بعمل حفائر فى المقبرة التى تنخفض عن سطح الأرض بمقدار ثلاثة أمتار فوجد ما يأتى : فى وسط الضريح تابوت خشبي كبير عليه سطر مكتوب عليه (قبر النبي دانيال) ويجاوره تابوت آخر أصغر منه عليه سطر آخر مكتوب عليه (قبر الحكيم لقمان) . وعندما حفر تحت التوابيت وجد حفرة حديثة الردم بها مجموعة من شواهد القبور والأعمدة ، وعند فحصها تبين له أن هذه البقعة قد استعملت مقبرة اسلامية منذ ألف سنة على أقل تقدير بدليل : العثور على شاهد قبر مكتوب بالخط الكوفي فى القرن الرابع الهجرى وشاهد آخر مؤرخ سنة ٥٢٠ هـ وشاهد مؤرخ سنة ٥٦١ هـ . كما وجد مجموعة من الشواهد بالمسجد مؤرخة يرجع أقدمها إلى سنة ٥٩٠ هـ باسم ظافر بن جماعة بن شعيب وشاهد آخر باسم أبو الفقر الفاسى سنة ٦٣٣ هـ وثالث مؤرخ سنة ٧١٤ هـ .

وهناك من المراجع التاريخية ما يؤيد استعمال ضريح النبي دانيال مقبرة اسلامية فقد جاء فى معجم السلفى الذى قدم الاسكندرية سنة ٥١١ هـ وتوفى سنة ٥٧٦ هـ ، ذكر من لقيه من علماء الاسكندرية وغيرها وتاريخ وفاتهم ثم يضيف : ومنهم من دفن فى مقبره وعله (وهى منطقة مسجد الطرطوشى فى حى باب الكرسته) ومنهم من دفن فى مقبرة باب البحر (منطقة مسجد أبو العباس المرسى) ومنهم من دفن فى مقبرة الديرسان (منطقة ضريح النبي دانيال) .

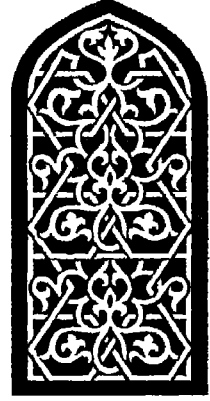
وصف الجامع

اما المسجد الموجود حاليا فيرجع إلى القرن التاسع عشر ويتكون من مستطيل به سبعة صفوف من الأعمدة تقسم المسجد إلى ثمانية أروقة موازية لحائط القبلة . وتقوم على الأعمدة عقود نصف دائرية يعلوها سقف خشبي . وفي الجهة الشمالية للمسجد يوجد المدخل الرئيسي للمسجد الذي يصعد إليه بمجموعة كبيرة من الدرجات . وإلى جانب المدخل الرئيسي توجد زيادة تتكون من صحن مكشوف يحيط به صف من البوائق المغطاة بسقف خشبي ويلحق . بهذه الزيادة الميضأة ودورة المياه .

وفي منتصف الجهة الشرقية للمسجد يوجد الضريح ويتكون من أربعة ايوانات متعامدة يبرز ثلاثة منها في داخل المسجد والايوان الرابع خارج عن سمت ضلع المسجد الشرقي . ويغطي الايوانات الأربعة أقباء تنتهي بعقود مدببة ، وفي وسط أرضيتها توجد فتحة مثمثة يحيط بها حاجز خشبي مصنوع بطريقة الخرط . ويرتكز الحاجز الخشبي على رقبة مثمثة كذلك مكونة من ثلاثة صفوف من المقرنصات تعلو أربعة عقود تقوم على دعائم تتوسط الحجرة التي يوجد بها التابوتان الخشبيان المنسوبان إلى النبي دنيال والحكيم لقمان .

ويعلو الضريح قبة في وسطه تقوم على رقبة مثمثة مكونة من أربع مقرنصات وأربع نوافذ ، وقد ملئت النوافذ بزجاج معشق متعدد الألوان .

مسجد
”أبوبكر الطرطوشي“
بمحافظة الإسكندرية



هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري
الطرطوشي المشهور بابن أبي رندقة . ولد في سنة ٤٥٠ أو ٤٥١ في مدينة طرطوشة وإليها
ينسب .

وطرطوشة مدينة كبيرة من مدن الأندلس ، تقوم على سفح جبل إلى الشرق من مدينة
بلنسية وقرطبة ، بينها وبين البحر عشرون ميلا ، وهي مدينة منيعة يحيط بها سور حصين من
الصخر بناه بنو أمية . ويضيف ابن تغري بردى فيقول : (وهي قريبة من البحر متقنة
العمارة مبنية على نهر ابره) (١) .

وفي هذه المدينة الأندلسية الكبيرة نشأ فقيهنا وعالمنا أبو بكر الطرطوشي وفيها أمضى
فترة طفولته وحداثته صباحه . وفي مسجدنا الكبير تلقى علومه الأولى ، ولما شب عن الطوق

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣١

رحل إلى مدن الأندلس الكبيرة الأخرى يستزيد من العلم والمعرفة ويتصل بكبار العلماء والفقهاء ، وانتهى به المطاف في سرقسطة بالأندلس حيث التقى بعالمها الكبير القاضي أبي الوليد الباجي وأخذ الطروشى عن الباجي شيخ علماء الأندلس خاصة بعد وفاة ابن حزم . طريقته في مناقشة ونقد الموضوعات الدينية والعلمية على السواء .

على أننا لا نعرف شيئاً عن أسرة أبي بكر الطروشى ، فإن المراجع التي أرخت له لم تذكر شيئاً يذكر عن أسرته . أما عن كلمة (أبي رندقة) فترجعها المراجع الأوروبية إلى أصل فرنسي تريد من وراء ذلك ارجاع أصله إلى اسبانيا المسيحية ولكن ذلك غير صحيح إذ أن نسبه واضح كما قدمنا وينتهى إلى قريش .

ويقول الدكتور الشيال : والذي نرجحه اعتماداً على ما جاء في كتابه (سراج الملوك) من قصص وروايات عن أفراد أسرة والدته وعن والده ، أن والده كان عالماً أو من المشتغلين بالعلم ولذلك وجّه أبنه هذه الوجهة وأن أسرته كانت على شئ من الثراء ولذلك استطاع أبو بكر الطروشى أن يعيش في وطنه حتى الخامسة والعشرين من عمره وهو عائلة على أهله يطلب العلم وهم يكفونه واستطاع أن يزود قبل خروجه للرحلة بنفقة وفيرة .

وفي سنة ٤٧٦ هـ غادر الطروشى وطنه متجهاً إلى المشرق لتأدية فريضة الحج وقد استقر بمكة قليلاً بعد أداء الفريضة يلقى بها بعض الدروس ومنها استأنف رحلته إلى بغداد . وكانت بغداد في ذلك الوقت مزدهمة بالعلماء والفقهاء تنبض بالنشاط العلمى وكانت المدرسة النظامية هناك هي قلب الحركة العلمية والفكرية . ومن رجال المدرسة الذين تعاقبوا على التدريس بها والذين أخذ عنهم الطروشى أبو اسحاق الشيرازى وأبو بكر الشاش وأبو نصر بن الصباغ . وفي بغداد اتجه الطروشى إلى التصوف متأثراً في ذلك بحياة العلماء الذين قابلهم هناك فبدأ من ذلك الحين يأخذ نفسه به حتى عده من كتبوا عنه واحداً من المتصوفة الزاهدين وقد سمع كثيراً من الشعر من شيوخه العراقيين ورواه عنهم فيما بعد في كتابه (سراج الملوك) .

دخل أبو بكر الطروشى الشام بعد أن أتم دراسته في بغداد وكون لنفسه فلسفة خاصة

تقوم على الزهد والسعى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقضى الفترة التي عاشها في الشام يعلم الناس ويفقههم في أمور دينهم ودينامهم فأقبلوا عليه وأحبوه ، فعلا اسمه وبعد صيته وعاش هناك متقشفا عابدا زاهدا منقبضا عن الناس .

كانت الاسكندرية عند وصول الطرطوشى إليها قادمة من الشام ومارا برشيد وشيكة الخروج من أزمة بل أزمات خطيرة بدأت بالمجاعة الكبرى التي حدثت في عهد الخليفة المستنصر الفاطمى في القرن الخامس الهجرى نتيجة انخفاض النيل مدة سبع سنوات فاشتد الغلاء وانتشر الوباء حتى عم مصر كلها فاستعان الخليفة المستنصر بواليه على عكا أمير الجيوش بدر الجمالى . وبعد موت الخليفة المستنصر بادر وزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى فأجلس أبا القاسم أحمد أصغر أولاد المستنصر على عرش الخلافة فغضب الابن الأكبر نزار وفر إلى الاسكندرية فحاصر الأفضل الاسكندرية بجيش كبير حصارا شديدا ونصب عليها المناجيق فأصاب الاسكندرية من هذا النوع كثير من التخريب وأنتقم الأفضل بعد دخوله المدينة من أهلها فقتل كثيرا من علمائها بحيث لم يبق في المدينة كبير من علمائها فاحس أهلها بحاجتهم الماسة إلى فقيه كبير يتصدر حلقات الدرس في مساجدها ليفقه الناس في أمور دينهم ، فلما علموا بوجود أبي بكر الطرطوشى بمدينة رشيد كونوا وفدا من أعيانهم وفقهائهم يتقدمه قاضى المدينة أبى جديد وتوجهوا إلى رشيد حيث قابلوا الطرطوشى وطلبوا منه الذهاب إلى الاسكندرية والحوافى الطلب فقبل رجاءهم وانتقل إلى الاسكندرية وبدأ يدرس وينشر العلم على مذهبه - مذهب مالك - وتقاطر الناس على حلقاته يأخذون عنه ويقرأون عليه ويفيدون من علمه .

ومما يجدر ملاحظته أنه على الرغم من أن المذهب الرسمى للدولة الفاطمية كان هو المذهب الشيعى وأن الدولة قد بذلت جهودا كبيرة في نشره، فقد ظلت مدينة الاسكندرية سنية على مذهب الإمام مالك ، ويرجع السبب في ذلك إلى مرابطة كثير من القبائل العربية فتمد دأب الخلفاء الراشدون الأربعة وكذا خلفاء الدولة الأموية والعباسية على أن يبقى ربع الجيش الموجود بمصر بمدينة الاسكندرية لحمايتها وحماية حدود مصر الشمالية .

كما كانت الاسكندرية دائما محط رحال المغاربة الداهيين للحجج أو العائدين منه ولعل هذا يفسر لنا رغبة أهل الاسكندرية الملحة في مجئ الطرطوشى إليهم ، كما يفسر السبب في وفود كثير من علماء وأئمة أهل المغرب إليها . وتزوج الطرطوشى سيدة فاضلة تقيية من بيت من أكبر بيوت الاسكندرية ، وهى خاله تلميذه وخليفته أبى الطاهر . وكان الطرطوشى شجاعا معتدا بنفسه لا يخشى في الحق لومة لائم ، فقد حدث أن سمع بما يأتية الوزير الأفضل شاهنشاه من الظلم والتعسف مع الرعية ، فقرر عزمه على السفر للقاهرة لمقابلة الوزير لا ليسأله معروفا بل ليطلب منه الرفق بالرعية واشاعة العدل بينهم وفي ذلك قال ابن خلكان^(١) : « إنه دخل على الأفضل بن أمير الجيوش بمصر فبسط تحته مئزره وكان إلى جانب الافضل نصراني ، فوعظ الأفضل حتى أبكاه ثم أنشد :

ياذا الذى طاعته قسره وحقه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله يزعم هذا أنه كاذب

واشار إلى النصراني ، فأقام الأفضل النصراني من موضعه وأبعده . وقد صنف الشيخ أبو بكر كتاب (سراج الملوك) للمأمون الذى ولى وزارة مصر بعد الافضل ، وقد أثبت الطرطوشى موعظته هذه في كتابه « سراج الملوك » كما أنتقد صراحة أعمال قاضى الاسكندرية ابن الحديد التى كان يقترفها ضد سكان الاسكندرية الضعفاء والفقراء . وكان من أثر تصرفات الطرطوشى هذه مع كبار رجال الدولة أن أمر الوزير الأفضل شاهنشاه باستدعائه إلى القاهرة وحدد إقامته في جامع الرصد بالفسطاط ثم أفرج عنه الوزير البطائحي بعد شهر من اعتقاله بعد وفاة الأفضل .

وقد هيأت حياة الإستقرار التى عاشها الطرطوشى في الاسكندرية الفرصة له للتأليف في كثير من فروع العلم ، فقد ألف في التفسير والفقاه وعلم السياسة وفن الحكم والمجتمع واحواله إلى غير ذلك من العلوم ، وقد بلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين كتابا لم يبق منها غير تسعة .

(١) وفيات الأعيان ص ٢٢٢ .

ويقول المقرئزى ، أن الطرطوشى توفى سنة ٥٢٠ هـ وجاء فى النجوم الزاهرة وكان فى السبعين من عمره ودفن فى مسجده فى باب البحر . وقد توالى يد الاصلاح والتعمير على المسجد كما أن البحر قد طغى على معظم أجزائه ولم يبق منه الا الضريح وجزء صغير ملحق به .

وصف الجامع

ويوجد الضريح الآن بحى الباب الأخضر ، وهو باب الاسكندرية الغربى (باب الكرسنة بمنطقة الجمرك) . ويتكون المسجد من بناء مستطيل الشكل به ثلاثة صفوف من الأعمدة كل صف مكون من عمودين تعلوها عقود مدببة وتقسم صفوف الاعمدة المسجد إلى أربعة أروقة موازية لحائط القبلة وللمسجد دور ثان يشغل ثلث مساحته تقريبا ويعرف باسم (صندرة) وهو خاص بالسيدات . ويقع الضريح خلف قبلة المسجد مباشرة ويحتوى على مقبرة الطرطوشى ومقبرة تلميذه محمد الأسعد وبالضريح عمودان تيجانها من الطراز الكورنثى ولذلك فهما أقدم أجزاء الضريح .

مسجد تُسيدى بشر بالرمل بمحافظة الإسكندرية

من المتداول على ألسنة أهل الاسكندرية أن سيدى بشر المدفون في المسجد المسمى باسمه برمل الاسكندرية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالرجوع إلى المراجع التاريخية وكذا كتب السير يتبين لنا أن هناك ثلاثة من الصحابة باسم بشر كانوا قد وفدوا على مصر أيام الفتح وبعده . فقد جاء في كتاب (در الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) أن بشر بن أبى أرطاه كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية شهد صفين معه وتولى إمارة البحرين . وقال ابن ربيع أن بشر مات أيام معاوية بدمشق وقيل مات أيام عبد الملك بن مروان ودفن بالمدينة ، وقال المسعودى مات في خلافة الوليد سنة ست وثمانين . وقال الواقدي ولد بشر قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ولأهل مصر عنه حديث واحد .

وذكر السيوطى بشر بن ربيعة الخثعمى ويقال الغنوى مصرى ، روى حديثه أحمد والبخارى والطبرانى في التاريخ وغيرهم ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لتفتحن

القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك جيشها » قال عبيد الله بن بشر بن ربيعة الغنوي ، فدعاني مسلمة بن عبد الملك فسألني فحدثته بهذا الحديث فغزا القسطنطينية . ويذكر ابن يونس ثالثا هو بشر بن جابر بن عراب ، قال وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر ولا تعرف له رواية .

على أن وجود ضريح ومسجد سيدى بشر في ذلك المكان البعيد عن العمران في ذلك العهد استدعى أن نبحث عن تخطيط مدينة الاسكندرية في العصر الإسلامي الأول . لقد بقي تخطيط المدينة بعد أن فتحها العرب على ما كان عليه من قبل ، ذلك أن القبائل العربية التي شاركت في الفتح اكتفت بالنزول في الدور التي هجرها الروم ، أما المباني التي اختطها العرب فتجمع المراجع التاريخية على أن الزبير بن العوام هو الوحيد الذي اختط خطه في مدينة الاسكندرية كما اختط في القسطاط . أما المساجد فقد أقيمت بعد الفتح وفي العصر الإسلامي الأول في مواضع كانت تشغلها معابد وكنائس قديمة مثل المسجد الغربي أو جامع الألف عمود أو بنيت في أماكن فرضتها الحوادث مثل جامع الرحمة الذي أسسه عمرو في الموضع الذي رفع فيه المسلمون السيف عن الروم سنة ٢٥ هـ .

وهكذا ظلت الاسكندرية في العصر الإسلامي الأول محتفظة بتخطيطها القديم .

ولما استقل أحمد بن طولون بمصر في القرن الثالث الهجري رأى أن يحصن حدود مصر الشمالية فبنى حول مدينة الاسكندرية سورا بدلا من السور القديم الذي هدمه عمرو في أيام الفتح ، على أن ابن طولون رأى أن يحيط السور بالأجزاء العامرة في المدينة فقط وترك الأجزاء المهجورة خارجة عنه ، وذلك توفيراً للنفقات وللجهد . ولذلك نجد أن سور الاسكندرية الذي أقيم في القرن الثالث الهجري كان يضم ما يزيد قليلا على ثلث مساحة المدينة القديمة بعد أن استبعد منها المناطق الشرقية والجنوبية والشمالية الشرقية . وقد فتح ابن طولون في سور المدينة أربعة أبواب تقابل الأبواب الأربعة القديمة ، الباب الشرقي أو باب رشيد وبابا في الجهة الغربية عرف باسم باب القرافة أو الباب الأخضر ، والباب

الثالث في الجهة الجنوبية سمي بباب الشجرة أو باب السدرة أو باب العمود ، أما الباب الرابع فيقع في الجهة الشمالية وعرف باسمه القديم وهو باب البحر .

نخرج من هذا الوصف لتخطيط مدينة الاسكندرية وحدودها وسورها أن مسجد وضريح سيدى بشر يقع خارج حدود المدينة الشرقية في ذلك الوقت إذ أن مقابر الشاطبي الرومانية ومنطقة كامب شيزار ، تكاد تكون حدود الاسكندرية الشرقية ، هذا بالإضافة إلى أن مقابر المسلمين كانت وقتئذ في غرب المدينة كما يفهم من اسم باب القرافة .

وقد ظل تخطيط المدينة في العصر الفاطمي كما هو ، ولما تولى صلاح الدين حكم مصر لم تتغير كذلك حدود الاسكندرية فإنه كما تذكر المراجع قدرم أسوارها ولم تقل إنه بنى أو أعاد بناءها . أما في العصر المملوكي فيذكر النويرى أن المدينة قد احتفظت إلى حد كبير بنظامها التخطيطي القديم فقد ظلت المحجة العظمى (موكب السلطان) تخترق المدينة ممتدة من باب رشيد إلى باب القرافة أو الباب الأخضر المعروف بالمطرق ، وكان يقطعها طريق آخر يتجه عموديا على سور البحر ويصل باب البحر بباب سدرة ويقوم عند التقاء الشارعين مسجد يعرف باسم مسجد أبي الأشهب . ويفهم من هذا أن منطقة سيدى بشر ظلت حتى العصر المملوكي خارج المدينة ، ولم تتخذ مدفنا أو قرافة .

* * *

وصف الجامع

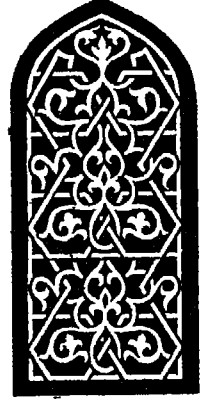
يقول الأستاذ جاب الله إنه قد عثر حديثاً على مخطوط (لم يذكر اسمه أو مكانه) يؤخذ منه أن صاحب الضريح هو بشر بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن بشر الجوهري ، وهو من سلالة آل بشر الذين كان لهم مكان ملحوظ في وعظ الناس وهدايتهم إلى سواء السبيل . ويضيف أنه وفد على الاسكندرية ولكنه لم يذكر من أين ، في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الهجري ، أي في عصر الدولة الفاطمية ، ومن المعروف أن مدينة الاسكندرية كانت قاعدة السنية في مصر وأنها ناهضت التشيع الفاطمي ، وأنها كانت أولى مدن مصر التي أسست فيها مدارس سنية ، فقد أنشأ الوزير رضوان بن الولختي سنة ٥٣٢ هـ المدرسة الصوفية نسبة إلى فقيها أبي الظاهر اسماعيل بن عوف الزهري الاسكندراني كما أنشأ المدرسة السلفية ابن سلاار وزير الخليفة الظافر بأمر الله سنة ٥٤٦ هـ ، للفقير الحافظ أبي طاهر عماد الدين السلفي الأصفهاني الذي استوطن الاسكندرية سنة ٥١١ هـ .

وقد شجع تشيع مدينة الاسكندرية للمذهب السني عدداً كبيراً من علماء المغرب والاندلس على المجئ إلى مصر والنزول بمدينة الاسكندرية ، ولذلك فمن المرجح أن يكون سيدى بشر قد وفد إلى الاسكندرية من بلاد المغرب ، وقد ورد في سيرته انه لما قدم الاسكندرية كثر مريدوه واجتمع عليه علماء الثغر وأخذوا عنه الحديث والفقير ، وكان ممن حضر مجلسه أبو طاهر السلفي ، السابق الإشارة إليه . وقد وصف السلفي سيدى بشر بحلاوة الوعظ وقوة الحججة والتبحر في علوم اللغة .

وان كُنَّا لا نعرف تاريخ مولد سيدى بشر الا أننا نعرف تاريخ وفاته فقد مات سنة ٥٢٨ هـ ودفن فى ضريح متواضع على ربوة تشرف على البحر فى شرقى المدينة فى الجهة التى سميت بعد باسمه ، وكان ضريحه موضع التبرك من الأهلين وبخاصة من العرب الذين يقطنون هذه المنطقة . وفى أواخر القرن التاسع عشر أقامت وزارة الأوقاف مسجدا بجوار الضريح . فعقد له مولد سنوى يؤمه خلق كثير من أهل الاسكندرية . وقد جدد المسجد سنة ١٩٣٩ م وزيد فى مساحته بحيث أصبحت ثلاثة أمثال المسجد الأول كما أقيم أمامه ميدان فسيح يمتد إلى شاطئ البحر .

ويتكون المسجد الحالى من مستطيلين منفصلين ، المستطيل الشمالى ويتكون من صحن مستطيل مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أما الجهة الرابعة وهى الجنوبية فخالية من الأروقة ، وفى شمال هذا المستطيل توجد دورة المياه والميضأة . أما المستطيل الثانى فيقع فى جنوب الأول وهو عبارة عن ايوان القبلة ويحتوى هذا الايوان على ثلاث بوائك من أعمدة مثمثة تحمل عقودا مدببة وتقسّم الايوان إلى أربعة أروقة موازية لحائط القبلة . وفى الضلع الغربى لايوان القبلة يوجد الضريح ، وهو عبارة عن غرفة مربعة الشكل تعلوها قبة على رقبة مرتفعة وفى أركانها مقرنصات مصفوفة فى سبعة صفوف ، وتعتبر القبة الجزء القديم فى المسجد إذ أنها ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادى .

جامع الظافر
أو
جامع الفاكهيين بالغورية



الظافر بالله أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله ، التاسع من خلفاء مصر من الفاطميين ببيع بالخلافة بعد موت أبيه الحافظ سنة أربع وأربعين وخمسمائة وهو ابن سبع عشرة سنة وأشهر . وأمه أم ولد تدعى ست الوفاء وقيل ست المتى^(١) . ويضيف ابن خلكان^(٢) وكان أصغر أولاد أبيه سنا ، كثير اللهو واللعب والتفرد بالجوارى واستماع المغاني ، ويقول سبط ابن الجوزي^(٣) ، وكانت أيامه مضطربة لحدائثه سنه واشتغاله باللهو .

وقد بدأ الخليفة الظافر خلافته بالقضاء على ابني الأنصارى لما كان يبلغه عنهما في أيام والده الحافظ ، وقد فصل لنا صاحب كتاب المقتنين في أخبار^(٤) الدولتين ، أفعال ابني الأنصارى في زمن الحافظ وكيف أنتقم منهما الظافر فقال : « ولما تم أمر الظافر ركب

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٧٧

(٢) وفيات الأعيان ص ١٣٩

(٣) مرآة الزمان ص ٩٨

(٤) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٩٣

مرة في قائمة مساحة سنة ١٢٧٢ هـ ولا يزال هذا اسمها إلى اليوم ، ووردت باسم شوهاى في كتاب السلوك للمقرئزى ولعله تصحيف لاسم شوهاى .

وكانت شوهاج تشتهر بصيد السمك منذ أقدم العصور ، الذى كان يعمل منه نوع من الطعام يعرف باسم الملوحة ، ويقبل أهل الصعيد عامة وأهل شوهاج خاصة على تناوله ، وهو يقابل (المش) عند أهل الدلتا. ويقول الفيروزباده عن الملوحة إنها تصلح المعدة ، أما القزوينى فيقول إن التضمض بها نافع في إزالة التتن من الفم .

وفي جزيرة التبل شرق مدينة شوهاج ، توجد نزلة صغيرة يسكنها جماعة من عرب بنى واصل يقال لهم أولاد محروس ، وقد عمّر أولاد محروس النزلة وبنوا فيها المساجد والبيوت وغرسوا النخيل والاشجار ، وزرعوا قصب السكر وأنواع الخضر التى كانوا يبيعونها لشوهاج واخميم ، كما كانوا يزرعون أنواعا من الخشخاش الذى يستخرج منه الافيون ، وكان مشهورا في القاهرة باسم الأفيون الإخميمى .

وبمدينة شوهاج مساجد جامعة وزوايا عامرة ، وأكبر مساجدها الجامع القديم الذى يرجع إلى العصر الفاطمى إذ بنى في القرن الخامس الهجرى ، الا أن التجديدات والإضافات التى عملت له في القرن التاسع عشر غيرت المعالم الأصلية فيه . كما الحق بالجامع كتاب فأصبح يشبه مساجد القاهرة في العصر العثمانى . ومن أشهر مساجد شوهاج ، مسجد الشيخ العارف بالله تعالى ، وهو مسجد كبير متسع به ضريح للشيخ العارف ويضم كتابا لتعليم الأطفال الصغار كما يضم مكتبة تحوى الكثير من المخطوطات والكتب الدينية والمدنية . ومن حسنات الشيخ العارف أنه رتب للأطفال جرايات في الصباح ، وثريدا في المساء واستمرت ذريته من بعده تؤدي هذه الجرايات للأطفال .

ويقول الجبرتى إنه كان للشيخ العارف رزقه (عزبة) مرصودة على البر تبلغ ستمائة فدان يزرعها وينفق منها على الفقراء والمستحقين كأهل العلم والمتعلمين ونحوهم . ويضيف الجبرتى فيقول : « وكان (أى العارف) مشهورا كأسلافه معتقدا في تلك الناحية وغيرها

ومنزله محط لرحال الوافدين والقاصدين من الأكابر والاصاغر والفقراء والمحتاجين فيقرى
كلا بما يليق به .

ولا يكتفى بذلك بل يرتب لضيوفه المرتبات والاحتياجات ، وعند انصرافهم يزودهم
ويهاديهم بالغلل والسمن والعسل والتمر والأغنام ، وهذا دأبه ودأب أسلافه من قبله على
الدوام » .

. وجاء في الخطط التوفيقية أنه يوجد بجوار مسجد الشيخ العارف بالله مدافن للأمراء
والصناجق ممن تولى حكم مصر من قبل دولة المماليك ومن قبل باشوات الدولة العثمانية .
كما يوجد قبر مراد بك الذى حرض المماليك ضد محمد على عند توليه الحكم ثم فر إلى
الصعيد واستقر به المقام فى مدينة سوهاج ، وهناك مرض بالطاعون ودفن بجوار الشيخ
العارف .

اما تفصيل أمر عباس الوزير وابنه نصر ، كما يقول ابن تغرى بردى^(١) ، فقد كان عباس رجلا من بنى تميم ملوك المغرب ، ودخل عباس القاهرة فاجتمع بالخليفة فأكرمه وأنعم عليه باشياء ثم خلع عليه بالوزارة على العادة ولقبه ، فباشر عباس الوزارة وخدم الأمور واكرم الأمراء وأحسن إلى الأجناد لينسيهم العادل ابن سلار . واستمر أبنه نصر على مخالطة الخليفة الظافر ، حتى اشتغل الظافر عن كل أحد بابن عبلس ، وأبوه عباس يكره خلطته بالخليفة . وأنتهى الخليفة معه إلى أن يخرج من قصره لزيارة ابن عباس بداره التي بالسيوفيين ، بحيث لا يعلم عباس بذلك ، فلما علم استوحش من الخليفة لجرأة أبنه ، وتوهم أنه ربما يحمله الخليفة على قتله ، فقال عباس لأبنه سرا : قد أكثرت من ملازمة الخليفة حتى تحدث الناس في حقك معه بما أزعج باطنى ، وربما يتناقل ذلك ويصل إلى أعدائنا منه فلا يزول . ففهم أبنه نصر عنه وأخذته حدة الشباب ، فقال نصر لأبيه : أيرضيك قتله ؟ فقال أزل التهمة عنك كيف شئت . فخرج الخليفة ليلة إلى نصر بن عباس على عادته فقتله بالجماعة الذين قتل بهم الوزير سلار ، وقتل أيضا استاذين كانا مع الخليفة الظافر ، وطمرهم في بئر هناك .

ويكمل القصة صاحب كتاب المقتنين في أخبار الدولتين فيقول : « ولما أصبح الوزير عباس (يعنى صبيحة قتل الخليفة الظافر بأمر الله) ركب إلى القصر ودخل إلى مقطع الوزارة من غير استدعاء ، فأطال جلوسه ، ولم يجلس الخليفة له ، فاستدعى عباس زمام القصر ، وقال له : « إن كان لمولانا ما يشغله عنا في هذا اليوم عدنا إليه في الغد . فمضى الأستاذ وهو حائر فيما يعمل وقد فقد الخليفة ، فدخل إلى أخوى الخليفة يوسف وجبريل وهما رجلان أحدهما مكتهل فأخبرهما بالقصة ، وما كان من خروج أخيهما البارحة إلى دار نصر بن عباس ، فما شكنا في قتل أخيهما الظافر ، وقالوا للزمام : إن اعتذرت اليوم هل يتم لك هذا مع الزمان ؟ فقال الزمام : ما تأمرانى به ؟ قالوا : تصدقه وتحققه . فعاد الزمام إلى عباس وقال له : سرُّ أقوله إليك بحضور الأمراء والأستاذين فقال عباس ما تم الا الجهر قال : إن الخليفة خرج البارحة لزيارة ولدك نصر فلم يعد بغير العادة ، فقال عباس : تكذب يا عبد السوء : إنما أنت مباع أخويه يوسف وجبريل اللذين حسداه

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٩٦

على الخلافة فاغتالاه وأتفقتم على هذا القول . فقال الزمام : معاذ الله ، قال عباس ، فأير
هما ؟ فخرجا إليه ومعهما ابن أخ لهما أسمه صالح بن حسن الذى قتل والده الخليفة الحافظ
بالسم . فلما حضروا قال لهم عباس الوزير : اين الخليفة ؟ فقالوا : حيث يعلم أبنتك ناصر
الدين ، قال لا ، قالوا : بلى وهذا بهتان منك ، لأن بيعة اخينا فى أعناقنا وهؤلاء الأمراء
الحاضرون يعلمون ذلك ، وأنا فى طاعته بوصية والدنا ، واقاما الحجة عليه ، فكذبها وأمر
غلمانة بقتل الثلاثة فى دراهم ، ثم قال للزمام : أين ابن مولانا ؟ فدخل عباس بنفسه إليه
وكان عند جدته لأمه فحمله على كتفه واخرجه للناس وباع له بالخلافة ولقبه بالفائز
بنصر الله ، ووزر له عباس المذكور إلى أن وقع له مع طلائع بن زريك ما سبق ذكره .
وكانت خلافة الظافر خمس سنين وستة أشهر ، إذ أنه قتل سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

(١) النجوم الزاهرة فى حل خضرة القاهرة ص ٨٩ (تعليق حسين نصار مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠) .

وصف الجامع

يصف المقرئى جامع الظافر فيقول : هذا الجامع بالقاهرة فى وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجين ويعرف اليوم (أى أيام المقرئى) بسوق الشوايين . كان يقال له الجامع الأفخر ويقال له اليوم جامع الفاكهيين ، وهو من المساجد الفاطمية عمّره الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله ووقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه . ويحدثنا ابن عبد الظاهر عن السبب الذى من أجله أقام الظافر هذا الجامع فيقول : بنى الظافر هذا الجامع وكان قبل ذلك زريبة تعرف بدار الكباش ، وبناه فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وسبب بنائه أن خادما رأى من مشرف عال ذباحا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورعى سكينته ومضى ليقضى حاجته فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورمها فى البالوعة فجاء الجزار يطوف على السكين فلم يجدها وأما الخادم فإنه استصرخ وخلصه منه . وطولع بهذه القضية أهل القصر فأهروا بعمله جامعا يسمى الجامع الأفخر تعقد به حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرون للقرآن .

ويذكر المقرئى^(١) فى حوادث سنة ٧٠٢ هـ أنه حدث زلزال عظيم بالقاهرة ومصر وخرب كثير من المواضع المشهورة وخاصة مآذن الجوامع ومن بينها مئذنة جامع الفاكهيين ، وقد ذكر المقرئى أسماء الأمراء الذين قاموا بعمارة وتجديد جميع المساجد فيما عدا جامع الفاكهيين .

(١) السلوك ج ١ ص ٩٤٤

وفي عهد السلطان الملك الظاهر جقمق . كان الجامع قد تهدم الكثير من أروقته وجدرانه ، فأعيد بناؤه وجددت معظم أروقته وذلك سنة ٨٤٤ هـ . ولعل من أهم التجديدات والترميمات التي أجريت لجامع الظاهر تلك التي أجراها الأمير يشبك من مهدى^(١) بعد أن أزال المباني التي كانت تحجبه وذلك في أواخر القرن التاسع الهجري .

وفي العصر العثماني هدم الجامع وأعاد بناؤه الأمير أحمد كتخدا مستحفظان الخربوطلي سنة ١١٤٨ هـ وبذلك لم يبق من المسجد الفاطمي شيء اللهم الا المصاريع^(٢) الخشبية للبابين البحرى والغربى . وكذلك بعض المداميك الحجرية التي تعلق الباب الغربى كتب عليها بالخط الكوفى : (لا إله الا الله محمد رسول الله) .

ويتكون المسجد من صحن صغير مربع منخفض تحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة الذى يتصدره محراب مغشى برخام متعدد الألوان أما طاقيته وعقده وكوشيته فقد كسى ببلاطات القاشانى التركى تتوسطها بلاطة كتب عليها « ما شاء الله » . وسقف المسجد من الخشب المزخرف بنقوش زيتية ويتوسطه منور مئمن الشكل .

ويصعد إلى المسجد من كلا بابيه البحرى والغربى بمجموعة من الدرجات ، وإلى يسار الباب الغربى توجد المئذنة وهى على شكل مسلة أو شكل (القلم الرصاص) الذى يعتبر من مميزات المآذن العثمانية . وعلى الباب البحرى توجد لوحة تذكارية دون عليها تاريخ تجديد الجامع هذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم جدّد هذا المكان المبارك قصد الثواب من المليك التواب الفقير إلى الله تعالى الحاج أحمد كتخدا مستحفظان سابقا فى شهر رمضان سنة ١١٤٨ هـ .

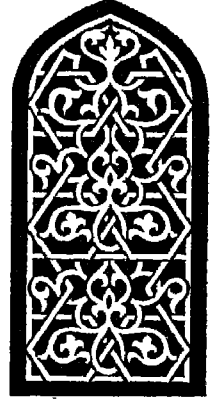
وقد أشرف على تجديد المسجد شيخ طائفة العقادين عثمان شلي^(٣) كما أنشأ بجانبه من الناحية الغربية سبيلا يعلوه كتاب لتعليم الأطفال اليتامى القراءة والكتابة ، كما أقام بجوار السبيل وكالة لتجارة الفاكهة .

(١) الصوه اللامع للسخاوى ج ٧ ص ٤١

(٢) تاريخ المساجد الاثرية ص ٧٤ لحسن عبد الوهاب .

(٣) تاريخ المساجد الاثرية ص ٧٥

مشهد الإمام الحسين



الإمام عبد الله الحسين بن علي رضي الله عنه اسم ملاً في عصره وبعده كل مكان في البلاد العربية والإسلامية وغيرها من المعمورة ، فهو غني عن التعريف بنسبه الشريف ومكانه من محبة النبي عليه الصلاة والسلام ، وما تحلى به من الفضائل والمناقب وما بذله من جهاد وتضحية في سبيل العقيدة ورعاية الحق والأنفة من الضيم .

وقد أصبح الحسين بعد مأساة كربلاء سيد الشهداء ورمز الإيمان والفداء وموضع الحب والتقدير والأكبار . وقد بلغ الحسين بنسبه الشريف وخلقه الكريم وورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين ، مكانة في قلوب الناس لا تدانيها مكانة ، فغدا محبوب كل فرد ومثله الأعلى في الشجاعة والإيثار والتضحية والفداء ، رضي الله عنه وأرضاه .

. وإذا كان هذا البحث سيتناول فيما يتناول مشهد الحسين بالقاهرة ، فلا بد لي أولاً من كلمة عن مكانة صاحب المشهد والأحداث الخطيرة التي مر بها .

والإمام الحسين هو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وابن السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت الرسول ، ولد لخمسة خلون من شعبان في السنة الرابعة^(١) بعد الهجرة وقيل في السنة الثالثة^(٢) ، وسمى حرباً لميل العرب للشجاعة وما يدل عليها ، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام سماه حسيناً ، وقد ورد في مسند أحمد بن حنبل^(٣) وغيره عن علي رضي الله عنه أنه قال : « لما ولد الحسن سميت حرباً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أروني أباي ما سميتموه ، قلت حرباً ، قال بل هو حسن ، فلما ولد الحسين سميت حرباً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني أباي ما سميتموه ، قلت حرباً فقال : بل هو حسين » كما يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عَقَّ عنه يوم سيوعه بكبش وحلق رأسه وتصدق بزنته فضة وأذن في أذنه ودعا له . وقد كنى بأبي عبد وجاء في نور الأبصار^(٤) كنيته أبو عبد الله لا غير وألقابه كثيرة ، أشهرها الزكي وأعلاها رتبة ما لقبه به الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله عنه وعن أخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت مناقبه^(٥) رضوان الله عليه حديث العام والخاص في حياته وقد خلدها التاريخ على صفحات الزمان بعد مماته . فمن صفاته البارزة الجود ، روى ابن عساكر^(٦) عن أبي هشام القناد أنه كان يحمل إلى الحسين بالمتاع من البصرة ولعله لا يقوم حتى يهب عامته ،

(١) القرمانى ص ١٠٧ . ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في مناقب الحسن والحسين ص ١٤ ، أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ، مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ١٣٨ ، المفيد في الإرشاد في حجج الله على العباد ص ٢٠٣ ، الصبان ص ١٢٤

(٢) الكافي للكليفي ص ٢٣٨ ، رياض الجنان في مشهبي الجنان ص ٢٥٤ .

(٣) مسند ابن حنبل ص ١٨ ، الطبري في الرياض النضرة ، أسد الغابة ج ٢ .

(٤) نور الأبصار للشيلنجي ص ١٥٢ ، المفيد في الإرشاد ص ٢٠٣

(٥) لقد زخرت كتب سيرة الحسين وفاضت في ذكر مناقبه وفضائله ، كالجود والشجاعة والوفاء والقراءة ومكارم اخلاقه وآدابه وعلمه وورعه وتقواه فكان لا بد من الإشارة إلى شيء منها : عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ١٤٠ ، رسالة في الآداب والحكم (طبعة الجوائب) الكامل للمبرد ج ٢ ص ٣٠٣ ، لواعج الأشجان لحسين بن عبد الكريم الحسيني ص ١٤ مناقب آل الرسول الفصل السابع ، المختار لأبي أحمد المقرئ الأتباري .

(٦) التاريخ الكبير لابن عساكر ج ٤ ص ٣١٢

ويقول ابن عساكر^(١) ، أن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجالك ومن حرك من خلف بابك الحلقة
أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسقه

وكان الحسين واقفا يصلى فخفض من صلاته وخرج إلى الاعرابي ، فرأى عليه أثر ضُر وفاقه ، فرجع ونادى يقنبر فأجابه ، لبيك يا ابن رسول الله ، قال ما تبقى معك من نفقتنا ، قال مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك ، فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها وخرج يدفعها إلى الاعرابي . وقد روى أحمد^(٢) بن سليمان بن علي البجرائي أن الحسين كان جالسا في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أخيه الحسن عليهما السلام ، وكان عبد الله بن الزبير جالسا في ناحية من المسجد ، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى ، فجاء اعرابي على ناقة فعقلها بباب المسجد ودخل ، فوقف على عتبة ابن أبي سفيان فسلم عليه فرد السلام فقال له الاعرابي ، اني قتلت ابن عم لي وطولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئا ، فرفع رأسه إلى غلامه وقال : أدفع إليه مائة درهم ، فقال الاعرابي ما أريد الا الدية تماما ، ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له ما قال لعتبة فقال ابن الزبير لغلامه أدفع إليه مائتي درهم ، فقال الاعرابي ما أريد الا الدية تماما ، ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام ، فسلم عليه وقال يا ابن رسول الله أتى قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئا . فقال له : يا أعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف الا على قدر المعرفة ، فقال (الاعرابي) سل ما تريد فقال له الحسين : يا اعرابي ما النجاة من الهلكة . قال التوكل على الله عز وجل ، فقال وما الهمة قال الثقة بالله . ثم سأله الحسين غير ذلك وأجاب الاعرابي فأمر له الحسين بعشرة آلاف درهم وقال له هذه لقضاء ديونك وعشرة آلاف درهم أخرى ، وقال وهذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك .

(١) ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤

(٢) عقد اللال في مناقب الال ص ٧٣

وكان الحسين مع جوده الذى أمتاز به وكرمه الذى كان مضرب الأمثال لا يجاوز حد السخاء إلى الإسراف والتبذير^(١) ، فمن أقواله المألوفة (لا تتكلف ما لا تطيق ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد . ويروى أن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب قال له الحسن والحسين عليهما السلام ، إنك أسرفت فى بذل المال ، فقال بأبي انما وأمى ، أن الله عودنى أن يتفضل علىّ وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن اقطع العادة فيقطع عنى المادة .

وكان الحسين شجاعاً^(٢) مقداماً منذ صباه ، فقد روى أن من بين المفاخر التى افتخر بها بنو هاشم على بنى أمية (من مثل الحسين بن علي عليهما السلام يوم (ألطف) ما رأينا مثكوراً قد أفرق من اخوته وأهله وانصاره أشجع منه . كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطماً . ولقد آثر الموت تحت ظلال السيوف حفاظاً على مكانته وكرامته ، وحسبك أنه قاتل مع قلة من أنصاره جيوش يزيد وهو فى العراء وفى غير حصن وعلى غير ماء . وقليل ممن عرفوا بالشجاعة بل يكاد لا يوجد منهم من يقدم على ما أقدم عليه الحسين يوم كربلاء .

وقد تواتر فى كثير من المراجع^(٣) أن الحسين كانت له صلوات يؤديها فى اليوم واللييلة غير الصلوات المفروضة الخمس^(٤) .

ومن تواضعه ما رواه ابن عساكر^(٥) أنه مر يوماً بمساكين يأكلون فى الصفة فقالوا الغداء فنزل وقال أن الله لا يحب المتكبرين فتغدى معهم ، ثم قال لهم قد اجبتكم فاجيبوني ، فقالوا نعم فمضى بهم إلى منزله وقال للرباب خادمته ، أخرجى ما كنت تدخرين .

وجاء فى مناقب أبي حنيفة^(٦) عن آداب وآداب أخيه ، أن سبى رسول الله صلى الله

(١) الكامل للبرد ج ١ ص ٨١ ، القزوينى : عجائب المخلوقات ص ٣٠٧ ، أسرار الحكماء لياقوت المستعصى

ص ٥٩

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ مجلد ص ٤٨٢ ، أسعاف الراغبين ص ١٣٤ . مطالب السؤل فى مناقب

آل الرسول لأبن أبي طلحة ص ٤٩ وكشف الغمة للاربلى .

(٣) أبو الفداء ج ١ ص ٢٠٢ ، منهاج الكرامة ص ١٢٩ ، العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٦٧

(٤) منهاج السنة النبوية لأبن تيمية .

(٥) التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣٢٣

(٦) مناقب أبي حنيفة لمحمد بن محمد بن شهاب البزاز الكردى ج ١ ص ٣٩

عليه وسلم كانوا على شط الفرات ، إذ نظرا إلى شيخ اعرابي خفف الوضوء والصلاة ، فقالا لو قلنا له عن غلظه ربما لا ينقاد إلى الحق ، فقالا له ، نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا ، فتوضأ ونصلي عندك ، فإن كان عندنا قصور فعلمنا فتوضأ وصليا كما رأيا من جدتهما صلى الله عليه وسلم فتنبه الشيخ إلى غلظه وتاب ورجع عنه .

أما عن علم الحسين رضى الله عنه وفضله فتحدثنا المراجع بأن الناس كانوا يقدمون على الحسين وينتفعون بما يُسمع منه ويضبطون ما يروون عنه ، فمن أقواله في الشئون العامة كتابه إلى معاوية الذى جاء فيه^(١) : « أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت اليك عنى أمور أنت لى عنها راغب وأنا بغيرها عنك جدير وأن الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد إليها الا الله تعالى . وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عنى فإنه رقاہ اليك الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاؤون . ما أردت لك حرباً ولا عليك خلافاً وانى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ، ومن الأعذار فيه إليك والى أوليائك القاسطين الملعدين ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين ألت القتال حجر بن عدى أخا كنده وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون فى الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة جرأة على الله واستخفافا بعهده . أو لست قاتل عمرو بن الحقيق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أمنتته واعطيتته من العهود ما لو فهمته العضم لزلت منه رؤوس الجبال » « وقلت فيما قلت أنظر لنفسك ولديتك ولأمة محمد واتق شق عصا هذه الأمة ، وأن تردهم إلى فتنة ، وانى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظرا لنفسى ولدينى ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أن أجاهدك ، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله وان تركته فإنى أستغفر الله لدينى وأسأله توفيقه لإرشاد أمرى . . . الخ » .

ومن أقواله المأثورة فى المواعظ والحكم : « حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما » . وقال « صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فاكرم وجهك عن رده » وقال « الحلم زينة والوفاء مروعة والصلة نعمة والاستكثار صلف والعجلة سفه والسفه

(١) الأمانة والسياسة لأبن قتيبة ج ١ ص ٢٨٤ ، اختيار الرجال للطوسى ص ٣٢

ضعف والغلو ورطة ومجالسة أهل الدناءة شر ومجالسة أهل الفسوق ريبه » وقال رضى الله عنه في خطبة له^(١) : « أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم واكتسبوا الحمد بالمنح واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب أجراً . ومن جاد ساد ومن بخل ذل وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأعف الناس من عفا عن مقدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين » .

كذلك تواترت الروايات على أن الحسين كان يقول الشعر وبخاصة في أغراض الحكمة وأنه كان خطيباً بما أوفى من طلاقة اللسان والفصاحة وحسن البيان .

وقد شهد الحسين مع أبيه موقعة الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج وكانت له في كل منها مواقف مشهودة ، وبقي مع والده حتى قتل . ويؤخذ من سيرة على كرم الله وجهه أن الحسين حين كان معه بالعراق لم ينزل قصر الإمارة بالكوفة ، لأن أمير المؤمنين نفسه لم ينزله حين قدمها من البصرة بعد يوم الجمل في رجب سنة ست وثلاثين . ويقول ابن أبي الحديد^(٢) ، أنه دخل الكوفة ومعه أشرف الناس من أهل البصرة وغيرهم فاستقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرفهم وقالوا يا أمير المؤمنين أين تنزل ؟ أنزل القصر ، قال لا ولكنني أنزل الرحبة فنزلها ، وجاء في طبقات ابن سعد^(٣) ، نزل على الكوفة في الرحبة التي يقال لها رحبة على في اخصاص كانت فيها ولم ينزل القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله .

وبعد وفاة على بقي الحسين مع أخيه الحسن رضوان الله عليهما ، إلى أن أسلم الأمر إلى معاوية ، وكان الحسين غير راض على ما فعله أخوه الحسن من تسليم أمر الخلافة إلى معاوية فلم يوافق عليه أولاً وأشار بالقتال ، ولكنه نزل بعد ذلك على رأى أخيه الأكبر ، فقد روى^(٤) عن عمرو بن دينار ، قال ابن جعفر « قال لى الحسن انى رأيت رأياً وانى أحب أن

(١) نهاية الأرب للتويرى ج ٣ ص ٢٠٥

(٢) شرح نهج البلاغة مجلد ١ ص ٢٥٦

(٣) الطبقات لمحمد بن سعد ج ٦ ص ٦ .

(٤) ابن عساكر ج ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، البداية والنهاية ص ٢٣٧ ، أسد الغابة ج ٢ ص ١٣٩

تتابعني عليه ، قلت ما هو ، قال رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلى ما بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء ، وقطعت الأرحام وقطعت السبل وعطلت الفروج (أى الثغور) ، ، فقال ابن جعفر جزاك الله عن أمة محمد خيراً وأنا معك فبعث إلى الحسين فأتاه فقال « أى أخى إني رأيت رأياً وأحب أن تتابعني عليه قال ، ما هو فقص عليه الذى قال لابن جعفر ، فقال له الحسين اعينك بالله أن تكذب علياً فى قبره وتصديق معاوية ، فقال الحسن والله ما أردت أمراً الا خالفتنى إلى غيرهِ والله لقد هممت أن أقذفك إلى بيت فاطينه عليك حتى أقضى أمرى ، فلما رأى الحسين غضبه ، قال ، أنت أكبر ولد على وأنت خليفته ، وأمراً لأمرك تبع فافعل ما بدا لك » ولم يراجعهِ الحسين بعدها والتزم طاعته .

ولعمري أن هذا لمثل كريم يضره الحسين فى آداب الأسرة . ثم خرج^(١) الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر بحشمهم وأثقالهم حتى أتوا الكوفة ثم حملوا إلى المدينة سنة احدى وأربعين .

ويقول ابن كثير^(٢) أنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفى وهو عنه راض ، ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه وكذلك عمر وعثمان وصحب أباه وروى عنه وكان معه فى مغازيه كلها ، فى الجمل وصفين ، وكان معظماً موقراً ولم يزل فى طاعة أبيه حتى قتل فلما آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصالح معاوية ، شق ذلك على الحسين فلما استقرت الإمارة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فكان معاوية يكرمهما اكراماً زائداً ، ويقول لهما مرحباً وأهلاً ويعطيهما عطاءً جزيلاً ، وقد أطلق لهما فى يوم واحد مائتى ألف وقال خذاها ، وأنا ابن هند والله لا يعطيكماها أحد قبلى ولا بعدى فقال الحسين والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلين أفضل منا . ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إليه ويقدم كل عام عليه .

(١) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى فى أحداث سنة ٤١ هـ ، ابن الأثير فى أسد الغابة ج ٢ ص ٢٠

(٢) البداية والنهاية

خروج الحسين ومقتله

لما توفي معاوية سنة ٦٠ هـ كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعلى مكة^(١) يحيى بن حكم بن صفوان بن أمية ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري ، فكتب يزيد بن معاوية^(٢) إلى الوليد بن عتبة « من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ويمكن له فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمه الله فقد عاش محموداً ومات برأ تقياً والسلام » ثم أضاف « أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام^(٣) » فلما قرأ الوليد (وإلى المدينة) للحسين الكتاب ونعى إليه معاوية ، فقال الحسين إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية ، أما البيعة فإن مثلي لا يعطى بيعته سراً ولا أراك تقنع بها سراً قال أجل ، فقال (الحسين) فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحداً . وكان الحسين رضوان الله عليه قد عول على ترك المدينة إلى مكة ، كما تركها قبله بليتين ابن الزبير ، دون مبايعة يزيد ، فخرج منها ومعه جل أهل بيته وأخوته وبنو أخيه ، فلما بلغ أهل

(١) جاء في رواية ابن جرير الطبري (تاريخ الطبري) وفي رواية ابن الأثير (الكامل) أنه كان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص .

(٢) ابن قتيبة في الأمانة والسياسة ، أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين ، ابن النعمان في الأرشاد ابن الأثير في الكامل ، ابن كثير في البداية والنهاية ، ابن ابراهيم الأنصار البيهقي في الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام .

(٣) جاء في كتاب الأخبار الطوال للدينوري أن خطاب يزيد إلى المدينة ذكر فيه اسم عبد الرحمن ابن أبي بكر مع هؤلاء ولكن ابن أبي بكر مات قبل معاوية .

الكوفة وفاة معاوية وعلّموا أمتناع الحسين عن بيعة يزيد ونزوله مكة ، اجتمعت الشيعة وكتبوا إليه كتباً جاء فيها « أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق » ثم سرحوا عدة رسل بالكتب إليه ، وتلاقت الرسل كلها عند الحسين فكان يقرأ الكتب ويسأل الرسل عن الناس . ولبث في مكة على هذه الحال أربعة أشهر . ثم دعا ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب فأمره بالمسير إلى الكوفة ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك ، وكتب إلى أهل الكوفة قبل ذلك كتاباً قال فيه : « أما بعد فقد أتتني كتبكم وفهمت ما ذكرت من محبتكم بقدمي عليكم ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملتكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله ، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام » .

ولما علم يزيد بخبر مسير مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، كتب إلى عبيد الله بن زياد وكان والياً وقتئذ على البصرة ، يأمره بالمسير إلى الكوفة وتولى إمارتها وأخذ شيعة الحسين بالشدّة وبالقضاء على مسلم بن عقيل ، وكان مسلم قد نزل بالكوفة وتلقى البيعة للحسين من ألوف الناس ، قال عنهم ابن كثير ثمانية عشر ألفاً وقال ابن قتيبة ثلاثون ألفاً .

وما أن قدم ابن زياد إلى الكوفة حتى عمل على تحويل الناس عن مسلم ، وسرعان ما قضى عليه وعلى من انضم إليه من أهل الكوفة وبعث برأسه ورؤوس من قتل معه من صحبة إلى يزيد .

وفي اليوم الثامن من ذى الحجة جمع الحسين رأيه على الخروج ، فجاءه عبد الله بن العباس يناشده في المقام ويعظم عليه القول في ذم أهل الكوفة وقال له « إنك تأتي قوما قتلوا أباك وطعنوا أخاك وما أراهم إلا خاذليك » فقال له « هذه كتبهم معي وهذا كتاب مسلم^(١) باجتماعهم ، فقال له ابن عباس ، « ان كنت لا بد فاعلا فلا تخرج أحداً من ولدك ولا حرمك ولا نسائك » .

(١) قتل مسلم بن عقيل لتسع خلون من ذى الحجة ، أي بعد خروج الحسين من مكة بيوم واحد .

ولقي الفرزدق بن غالب الشاعر ، الحسين خارجاً من مكة مع أسيافه ، وأتراسه
فسلم عليه ، فسأله « من أنت » قال « امرؤ من العرب » فسأله نبأ الناس فقال الفرزدق
عبارته المشهورة « قلوب الناس معك^(١) وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله
يفعل ما يشاء » فقال له الحسين صدقت ، لله الأمر والله يفعل ما يشاء .

وبينا الحسين في طريقه إلى الكوفة بلغه نبأ مقتل مسلم ، فقال له بعض أصحابه
« ننشذك الله إلا رجعت من مكانك ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر بل نتخوف أن يكونوا
عليك » فوثب بنوعقيل وقالوا : « والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نتذوق ما ذاق مسلم » .
فقال الحسين « لا خير في العيش بعد هؤلاء » فقال له بعض أصحابه « إنك والله ما أنت
مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع » .

وقد رأى الحسين بعد ذلك أن يترك لصحبه الخيار في المضي معه أو الانصراف فخطبهم
ومما قاله لهم « . . . وقد خذلنا شيعتنا . فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف ، ليس عليه
منا ذمام » فتفرقوا إلا أهل بيته وقليلاً ممن تبعوه في الطريق .

وهكذا انقسم أصحاب الحسين وأهله في أمر خروجه من مكة إلى الكوفة فمنهم من رأى
أن يقيم حيث هو سيداً لأهل الحجاز وعلى رأسهم عبدالله ابن العباس وأن لا يعتمد على أهل
العراق فهم قوم غدر ولم يعملوا على نصره أبيه وأخيه من قبل ، ومنهم من رأى أن أهل
العراق هم شيعة على كرم الله وجهه ولا شك في محبتهم وانتصارهم للحسين ، ولكن ليس
إلى حد بذل النفس والنفيس في سبيل نشر دعوته ونصرته ، مما يصدق معه القول « قلوب
الناس معك وسيوفهم عليك » . ومنهم من أصر على المضي في محاربة يزيد ، وجلهم من أهل
مسلم بن عقيل للأخذ بثأره رغم نصيح بعض أهل الرأي للحسين بالرجوع إلى مكة بعد مقتل
مسلم .

(١) جاء في مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ، (أن اعرابيين لقيا الحسين بالكلبية من بني أمية فقالا له قلوب
الناس معك وسيوفهم عليك) .

ومن هذا نرى أن فريقاً نصح بعدم مخاصمة يزيد بن معاوية ، وفريقاً آخر أصر على مقاتلة يزيد ، والفريق الثالث وقف موقفاً وسطاً . ولكن إذا لوحظ موقف الحسين من تنازل أخيه الحسن عن حقه في الخلافة لمعاوية ، وأنه قد طلب إليه أن يبائع يزيد بالخلافة ويزيد غير أهل لها ولا يعمل بشروطها ، وأن دعاة يزيد قد أبوا عليه أن ينصرف إلى حيث يشاء إلا بعد التسليم ، وهم يعلمون من هو في شجاعته واقدامه ومكانته والاعتداد بكرامته ، إذا لوحظ ذلك كان لا مناص من المضي قدماً في محاربة يزيد ومواجهة الموت وإبائه التسليم أو النزول على حكمهم .

وسار الحسين حتى وصل أو وصلوا به إلى كربلاء ، وتتابع إرسال الجيوش والقواد لقتاله ، وألتقى الحسين بجيش عبيد الله بقيادة الحر بن يزيد في ألف فارس ، وكانوا يلازمونه ويصدونه عن كل جهة إلا نحو الكوفة مقر أميرهم عبيد الله بن زياد ، فقال يعظهم : « إياها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالأثم والعدوان ، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا بقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . ألا وإن هؤلاء قد لزمو طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالغي وأحلوا حرم الله وحرّموا حلاله ، وأنا أحق من غيري وأنا الحسين ابن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهلكم فلکم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ، ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي ، فلعمري ما هي لکم بنكير . » . والمغرور من اغتر بكم ، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام » .

وفي اليوم الثاني لنزوله كربلاء جاء عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف مقاتل ، موفداً من عبيد الله بن زياد لقتاله ، ثم انضم إلى جيش الحر بن يزيد ، فلما سئل الحسين عما جاء به . قال رضوان الله عليه : « كتب إلى أهل مصر كم هذا أن أقدم عليهم فأمّا إذ كرهوني فإني أنصرف عنكم إلى مكة » فكتب عمر إلى ابن زياد بذلك . ثم ألتقى الحسين وعمر مراراً ، فكتب عمر إلى عبيد الله بن زياد « أما بعد فإن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه ، أو أن نسيره إلى أي

ثغر من الثغور شئنا أو يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده^(١) وفي هذا لكم رضا واللامه صلاح « فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه ، نعم قبلت ، وتصادف أن كان في مجلسه وقت مجئ كتاب عمر ، شمر بن ذى الجوشن فقام إليه وقال له « أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ، والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت كنت ولى العقوبة وإن عفوت كان ذلك لك » فما كان من ابن زياد إلا أن أخذ برأى شمر فأرسله بكتاب إلى عمر جاء فيه « . . . انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى مسلماً ، وأن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون . فإن قتل الحسين فاوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم ، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع . وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر والسلام » .

وهكذا كانت النتيجة المحتومة . تكاثر الجيش على الحسين وصحبه وكانوا أثنى وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً ، وكلهم مشهود له بالشجاعة وسداد الرمي ومضاء الضرب بالسيف ، وهم على قلتهم كفاء لمبارزة فرسان جيش عبيدالله بن زياد واحداً بعد واحد لو جرى القتال على سنة المبارزة ، ولكنهم خشوا مغبتها فعدلوا عنها حين صاح فيهم عمر ابن الحجاج ، أتدرون من تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان مصر وقوما مستميتين ، لا يبرز إليهم منكم أحد فأنهم قليل . . لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم^(٢) . فرشقوا أصحاب الحسين بالنبل حتى عقروا الخيل وجرحوا الفرسان والرجال .

وقد استشهد كل صحبه رضوان الله عليه ، وانفرد وحده بقتالهم وكان يحمل عليهم

(١) عقب الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك في كتابه أبو الشهداء بأن الحسين ربما اقترح الذهاب إلى يزيد ليرى رأيه ولكنه لم يعلم أن يبايه أو يضع يده في يده لأنه لو قبل ذلك لباع في مكانه واستطاع عمر بن سعد أن يذهب به إلى وجهته ولأن اصحاب الحسين في خروجه إلى العراق قد نفوا ما جاء في ذلك الكتاب ومنهم عقبة بن سمان . وأنى لأميل إلى هذا الرأي لأسبابه واضيف اليه انه يتفق وما فطر عليه الحسين من الاعتداد بشخصيته والاحتفاظ بكرامته ومتركة .

(٢) أبو الشهداء للعقاد ص ١٣٧

فيتفرقون تخرجاً من قتله ، وكل منهم يخشى أن يصاب على يديه حتى صاح فيهم شمر ابن ذى الجوشن « ويحكم ماذا تنظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم » ، فحملوا عليه من كل جانب وضربه زُرعة بن شريك التميمي على يده اليسرى فقطعها ، وضربه غيره على عاتقه فخر على وجهه فأخذ يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيف حتى لفظ نفسه الأخير رضوان الله عليه . ووجد بجسده ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية بالنبل والسهم . ونزل سنان بن انس النخعي^(١) فاجتز رأسه ، وفي رواية أخرى أن شمر هو الذى ذبحه واجتز رأسه ثم عمدوا إلى سلب ما كان عليه من كساء فاخذ قميصه اسحاق بن حيوة الحضرمي وأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الاشعث قطيفته وهي من خز ، فكان يسمى بعد ، قيس قطيفة ، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد الحضرمي وأخذ نعليه الأسود الأودي وأخذ سيفه رجل من دارم وترك الحسين يكاد يكون عارياً ، ثم وطأت الخيل جثته كما أمر ابن زياد حتى رضوا صدره وظهره .

بحسبي ما أوجزت من تلك الأحداث المؤسفة التي انتهت بمأساة كربلاء ، أحداث تمثلت فيها أبشع الجرائم وأخسها ، لا يأتيتها مسلم ولا كافر ولا بر ولا فاجر ، ولا يأتيتها من يشعر أنه إنسان مهما بلغت به بواعث الضغن والتشقى . وقد مضت عليها مئات السنين ولم تمح آثارها في الشرق والإسلام . وهي كما قال الفخرى^(٢) « شر الطامات ، فلعن الله كل من باشرها ، وأمر بها ، ورضى بشئ منها ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، وجعله من الأخرسين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

(١) قال بذلك الطبرى وابن الأثير .

(٢) الآداب السلطانية ص ١٠٤

رأس الحسين وقبره

يكاد يجمع المؤرخون وكتاب السيرة على أن جسد الحسين رضوان الله عليه دفن مكان مقتله في كربلاء . وقد جاء في كتاب الارشاد^(١) ، أنه بعد أن اجتزت الرأس وأخذت إلى ابن زياد بالكوفة ، خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغازية إلى الحسين وأصحابه ، فصلوا عليهم ودفنوا الحسين حيث قبره الآن بكربلاء^(٢) ، ودفنوا أبنه علياً عند رجله وحضروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه حوله ، ودفنوا العباس بن علي في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغازية حيث قبره الآن .

وقال المسعودي في مروج الذهب في خلافة المنتصر بالله « أن آل أبي طالب كانوا في محنة عظيمة قبل خلافته (أي المنتصر) وخوفاً على دمايتهم ، قد منعوا زيارة قبر الحسين بالقرى من أرض الكوفة . وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين^(٣) وفيها أمر المعروف (بالذيريج) بالمسير إلى قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ، وهدمه ومحو أرضه وإزالة أثره وأن يعاقب من وجد به ، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر ، فكلُّ خشي العقوبة فتناول (الذيريج) مسحةً وهدم أعلى قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعله فيه وأنهم انتهوا إلى الحفرة موضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها . » ويضيف المسعودي « ولم تنزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن

(١) للشيخ المفيد .

(٢) جاء في معجم البلدان لياقوت أن الحائر اسم لموضع قبر الحسين بن علي ، وقال الفيروزبادي في القاموس : الحائر هي كربلاء ، أسد الغابة ج ٢ لأبن الأثير .

(٣) وردت هذه الرواية في المراجع الآتية : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٥ لأبن خلكان ، طبقات الشافعية ج ١١ ص ١٦٢ للسبكي ، الأخبار الطوال للقرماني حوادث ٢٣٧ هـ أبو بكر الخوارزمي في كتابة إلى جماعة الشيعة بنيسابور ص ٢٨ أبو الفدا ج ٢ في حوادث سنة ٢٣٦ هـ .

استخلف المنتصر فأمن الناس وتقدم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله عنه ، ولا قبر غيره من آل أبي طالب .»

وقد وصف ابن بطوطة الرحالة الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى زحلته إلى كربلاء فقال « سافرنا إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن على عليهما السلام ، وهى مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر ، وعلى باب الروضة الحجاب والقوصة لا يدخل أحد إلا عن إذنهم ، فيقبل العتبة الشريفة وهى من الفضة وعلى الصريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحرير .»

أما عن رأس الحسين ، فقد كثرت الأقوال وتضاربت الروايات ، واختلفت كتب السيرة فى تحديد مكان وجوده ، لذلك رأيت أن أجمع ما استطعت جمعه منها ، وأن أضع المتشابه منها فى مجموعات ، لعل أستطيع بعد مناقشتها أن أخرج منها بالقول الراجح .

والمراجع على اختلافها تكاد تتفق على أن عبيد الله بن زياد ، عنى بتجهيز على بن الحسين ومن كان معه من الحرم ، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس وآخرين رأس الحسين ، ثم اختلفت بعد ذلك الروايات فى موطن الرأس الشريف ، فمنها أن الرأس أعيد إلى الجسد بعد أربعين يوماً ودفن معه بكربلاء ، ومنها أنه دفن بالمدينة ، ومنها أنه دفن عند باب الفراءيس بدمشق ، وفى رواية أن الرأس دفن بمقابر المسلمين فى عهد سليمان عبد الملك . ثم نبش القبر بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل إلى عسقلان ، ومنها نقل إلى القاهرة فى آخر العصر الفاطمى . وتقول رواية إنه نقل إلى مدينة الرقة وأخرى إلى حلب ، وقيل أن أبا مسلم الخراسانى لما استولى على دمشق نقل الرأس إلى مرو . والأماكن التى ذكرت موطناً للرأس ثمانية فى ثمان مدن هى ، كربلاء والمدينة ودمشق والقاهرة وعسقلان وحلب ومرو . وسنورد فيما يلى ما ورد فى المراجع من الروايات التى تؤيد وجود الرأس فى مدينة من المدن الثمان سالفة الذكر ، كما سنورد فى الوقت ذاته ما يرد مخالفاً لبعض هذه الروايات .

كربلاء : تقول طائفة الشيعة الإمامية وبعض أهل السنة أن رأس الحسين مدفون مع الجسد بكربلاء ، قال رضى الدين^(١) « فأما رأس الحسين عليه السلام فروى أنه دفن بكربلاء مع جسده الشريف . وكان عمل الطائفة (الإمامية) على هذا المعنى المشار إليه « وورد فيما ذكره سبط^(٢) بن الجوزى فى أقواله المتعددة عن الرأس قوله : « واختلفوا فى الرأس على أقوال أشهرها أنه (أى الرأس) رد إلى المدينة مع السبايا ثم رد إلى الجسد بكربلاء فدفن معه ، قاله هشام وغيره « ويقول ابن كثير^(٣) « فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه فى مشهد على بمكان من ألطف عند نهر كربلاء ، فىقال أن هذا المشهد مبنى على قبره فإله أعلم » . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفا أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر . وقد كان أبو نعيم الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . وذكر هشام بن الكلبي أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرابي من بنى أسد فجعل يأخذ قبصه قبصه ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال باني أنت وأمي ، ما كان أطيبك وأطيب تربتك ، ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

ويقول سبط بن الجوزى « وفى الجملة فى أى مكان كان رأسه فهو ساكن فى القلوب والضمائر ، قاطن فى الأسرار والخواطر » .

المدينة : جاء فى طبقات ابن سعد^(٤) : « لما وضع الرأس (رأس الحسين) بين يدي يزيد بن معاوية دعت عيناه وقال ، ويحكم ، قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين رحم الله أبا عبد الله ، ثم أمر بالسيدات فأدخلن دار نساءه ، وأمر بتجهيزهن والعناية بهن أحسن عناية ، وأرسل معهن حرساً من ثلاثين فارساً ، حتى وصلن إلى المدينة وبعث معهن

(١) رضى الدين بن طاوس فى كتاب الملهوف على قتل الطغوف ص ١٤٠

(٢) سبط ابن الجوزى فى كتاب تذكره خواص الامة ص ١٥٠

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٣

(٤) محمد بن سعد فى كتاب الطبقات الكبيرة ج ٥ ص ١٧٦ كما وردت هذه الرواية فى المراجع الآتية : المؤيد صاحب حمة فى تاريخه ج ١ ص ١٩١ ، عمر بن الوردى فى تاريخه ج ١ ص ١٧٣ ، وقال كذلك على بن عبد الملك السهمردى فى وفاء الوفا باخبار المصطفى ج ٢ ص ٩٦ ، مرآة الجنان ص ١٣٦ .

بالرأس الشريف إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد فكفنها ، وأمر بدفنها بالبقيع عند قبر أمه وأخيه ، ويقول ابن كثير^(١) : فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك ، ويعقب ابن كثير على ذلك فيقول « وعندى أن الأول أشهر فالله أعلم » ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد « أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه في البقيع » .

ومن روى أن الرأس دفن بالمدينة الإمام البخارى^(٢) ، فقد جاء في تاريخه « أن رأس الحسين حمل إلى المدينة ودفن بها في البقيع عند قبر أمه رضى الله عنها » . وقال ابن فضل الله العمري^(٣) : وقد جاء في أخبار الدولة العباسية ، أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن » .

وقد ذكر المسعودي^(٤) ، عند الكلام على دفن الحسن بن علي ببقيع الفرقد مع أمه ما نصه : « وهناك إلى هذا الوقت^(٥) رخامة مكتوب عليها ، الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، والحسن بن علي بن أبي طالب ، وعلي بن الحسين بن علي ، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ، رضوان الله عليهم أجمعين » . وقد عقب الأستاذ حسن عبد الوهاب^(٦) على هذا النص بقوله « أنه لو كان الإمام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم » .

دمشق : أما طائفة الشيعة الإسماعيلية وكذا كثير من أهل السنة فتقول بدفن الرأس بدمشق . ومن ذكر ذلك يا سين بن مصطفى الفرضي^(٧) قال : « المزارات المشهورة للصحابية

(٢) نقل ابن عروة الخليلي في الكواكب الدراري في ترتيب مستند أحمد على أبواب البخارى ، وعن ابن تيمية ص ٤١

(٣) مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٢٠

(٤) الأشراف والتنبيه للمسعودي ص ٣٠١ ، ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٤١

(٥) ألف المسعودي كتابه هذا سنة ٣٤٥ هـ .

(٦) تاريخ المساجد الأثرية ص ٨٠

(٧) النبذة اللطيفة في المزارات الشريفة ص ١٩٧

بدمشق ونواحيها ، والمشهور منها بتربة باب الفراديس المسماة بمرج أبي الدحداح الآن ، مسجد سمي بمسجد الرأس داخل باب الفراديس في أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل . وغربي المحراب المذكور في الجدار طاقة على الطريق يقال إن رأس الحسين رضي الله عنه دفن بها ولذا يقال له مشهد الحسين .

وروى محمد بن قاسم بن يعقوب ^(١) « قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء ورأسه بالشام في مسجد دمشق على رأس أسطوانة » .

وقال ابن فضل الله العمري ^(٢) وكذا ابن الطولوني ما نصه « وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفي خارجه مكان الرأس على ما ذكروا » .

وروى الذهبي ^(٣) عن أبي كرب قال « كنت في القوم الذين وثبوا على الوليد بن يزيد وكنت فيمن نهب خزائنهم بدمشق فأخذت سفطا وقلت فيه غنائى ، فركبت فرساً وجعلته بين يدي وخرجت من باب توما ، ففتحته فإذا بحريرة فيها رأس مكتوب عليه ، هذا رأس الحسين ، فحضرت له بسيفي ودفنته » .

ونجاء في المقرئى ^(٤) « مكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم أنزل في خزائن السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك ، فبعث إليه فجئ به وقد محل وبقى عظما أبيض ، فجعله في سفط وطيبه وجعل عليه ثوباً ، ودفنه في مقابر المسلمين ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح ، أن وجه إلى برأس الحسين بن علي . فكتب إليه أن سليمان أخذه وجعله في سفط وصلى عليه ، ودفنه فلما دخلت المسوودة (أى الدولة العباسية) سألوا عن موضع الرأس الكريم الشريف فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به » .

(١) كتاب روض الأغيار المنتخب من ربيع الأبرار (المؤلف للسلطان سليم) ص ٤٨

(٢) مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٢٠ ، رسائل تاريخية ص ٣٧

(٣) تاريخ الاسلام ص ٦٧

(٤) الخطط ج ١ ص ٤٣٠ .

ومن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بدمشق عثمان مدوخ^(١) : إذ جاء في كتابه العدل الشاهد « أن بعض العلماء عمد إلى مكان قديم قريب من باب الفراديس وشرع في هدمه ليجعله خزانة لحفظ الكتب ، فعثر على طاق في الجدار محكم السد بحجر كبير ، مكتوب عليه بالنقش في الحجر ، ما فهموا منه أن هذا مشهد رأس الإمام الحسين السبط ، فرفعوا ذلك إلى والي الشام يومئذ (في العصر العثماني) ، فذهب ورأى ذلك بنفسه ، وأمرهم أن لا يحدثوا في هذا شيئاً ، ثم رفع الأمر إلى السلطان المرحوم عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان ، فصدر أمره العالي بكشف هذا المكان بحضور جمهور من العلماء والأمراء ووجوه الناس ، فأحضروا إلى الشام ما أمر به السلطان ، وكشفوا هذا الحجر الذي عليه الكتابة . فوجدوا فجوة خالية عن الدفن ، وبعد أن رآها الحاضرون أمر بسدها كما كانت ورفع ذلك إلى المرحوم السلطان عبد المجيد خان ، فصدر مرسومه العالي بأعمال طوق من الفضة حول الحجر وكنت أعلم مقدار زنة الفضة وأظن أنه سبعة آلاف درهم والله أعلم بالحقيقة » .

ولما دخل خليل الظاهري^(٢) مدينة دمشق سنة ٨٣١ هـ قال « المشهد الحسيني بدمشق ، بصحن المسجد الأموي » .

وذكر ابن أبي الدنيا^(٣) عن طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح ويقول عنهما ابن كثير (وهما ضعيفان) أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي ، فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . ويقول ابن كثير : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثاني .

وذكر ابن عساكر في تاريخه ، في ترجمة ريا حاضنة يزيد بن معاوية ، « أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبير يعنى قوله :

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزر ج من وقع الأسل

(١) كتاب العدل الشاهد في تحقيق المشاهد ص ١٢٢

(٢) زبدة الممالك وبيان الطرق والمسالك .

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع في خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جئ به إليه وقد بقي عظما أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسوذة - نيشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بني أمية ، وقد تجاوزت المائة سنة فالله أعلم .

حلب : وهناك أقوال ضعيفة تقول بوجود الرأس في حلب ، فقد جاء في تاريخ حلب^(١) أن الرأس مدفونة في حلب في وسط جبل جوشن ، وقد بنى عليه الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين ، ولكنه لم يذكر متى وكيف جئ بالرأس الشريف .

مرو : وقال المقدسي^(٢) عند كلامه عن مرو : « وعلى فرسخين من مرو يوجد رباط ، قالوا إن فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنه . وقد عقب على هذا القول عمر بن أبي المعالي أسعد بن عمار^(٣) : « أما قولهم ، إنه (الرأس) في خزائن بني أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية . وأن أبا مسلم نقله إلى خراسان . فهذا بعيد جداً ، لأن أبا مسلم ، لما فتح الشام كان بخراسان ، والذي فتح دمشق هو عبد الله بن علي بن عباس ، فكيف يتصور أن ينقله ، أو يمكِّن من ينقله إلى مولدهم بخراسان ، ثم يضيف : « ولو أنه ظفر به في خزائن بني أمية لأظهره للناس ليزدادوا لبني أمية بغضاً » .

عسقلان : أما عن وجود الرأس بعسقلان ثم نقله منها إلى مصر في عصر الدولة الفاطمية فقد كثرت فيه الأقاويل والروايات .

قال الصبان^(٤) « واختلفوا في رأس الحسين بعد مسيرة إلى الشام إلى أين صار وفي أي موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف برأسه الشريف في البلاد ، فطيف به حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه أميرها بها . فلما غلب الإفرنج على عسقلان ، أفتداه منهم

(١) ابن الشحنة : تاريخ حلب ص ٨٧

(٢) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٣٣٣

(٣) الفاصل بين الصدق المبين في مقر رأس الحسين « عن كتاب تاريخ المساجد الأثرية » .

(٤) أسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ص ١٤٣

الصالح طلائع وزير الفاطميين بمك جزيل ، ومشي إلى لقائه من عدة مراحل ووضعه في كيس حرير أخضر على كرسى من خشب الأبنوس ، وفرش تحته المسك والطيب ، وبني عليه مشهده الحسينى المعروف بالقاهرة قريبا من خان الخليلي .

وجاء في طبقات الأولياء للشعراني عند ذكره الحسين نفس الرواية السابقة إذ يقول « دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع بن رزك بثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر بالمشهد الحسينى وخرج هو وعساكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف ثم وضعه طلائع في كيس حرير أخضر على كرسى أبنوس وفرشوا تحته المسك والعنبر والطيب قد وزنه مرارا » .

القاهرة : وقد أيد رواية وجود الرأس الشريف بعسقلان ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواة ، منهم ابن ميسر^(١) ، والقلقشندي وعلي بن أبي بكر المشهور بالسايح الهروى وابن اياس ، وسبط الجوزى ، وقد أورد تفاصيل هذه الرواية المقريزى^(٢) بقوله « في شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل ابن أمير الجيوش بعساكره إلى بيت المقدس وبه سكان وابلغارى ابنا أرتق ، في جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك ، فراسلها الأفضل يتلمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب ، فلم يجيباه لذلك ، فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجدوا بدا من الاذعان له وسلماه إليه ، فخلع عليهما وأطلقهما وعاد في عساكره وقد ملك القدس ، فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأخرجه وعطره وحمله في سفت إلى أجل دار بها . وعمر المشهد فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا إلى أن احله مقره » ثم يعود المقريزى فيقول « وقيل إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالى وكمله ابنه الأفضل . وكان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان ووصله إليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان

(١) ابن ميسر أخبار مصر ص ٣٨ ، صبح الأعشى للقلقشندي ج ٣ ص ٣٥١ ، ابن اياس ج ١ ص ٦٧ ، مرآة الزمان لسبط الجوزى ج ٨ ص ٤١٣١ ، الاشارات إلى اماكن الزيارات للسايح الهروى .

(٢) المقريزى ج ١ ص ٤٢٧

وأربعين وخمسمائة ، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم وإليها والقاضى المؤمن ابن مسكين مشارفها ، ووصل فى القصر يوم الثلاثاء فى جمادى الآخرة ، حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخِدمة فكان كل من يدخل الخِدمة يقبل الأرض أمام القبر .

ومن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بمشهد القاهرة عثمان مدوخ^(١) إذ قال : « إن الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار ، مشهد بدمشق دفن به الرأس أولاً ثم مشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض ونقل إليه الرأس من دمشق ثم المشهد القاهرى بمصر بين خان الخليلي والجامع الأزهر » .

وجاء فى كتاب مرشد الزوار إلى طريق الأبرار « ذكر بعض العلماء ممن عاصر الفاطميين أن هذا الرأس الذى وضع بهذا المكان يعنى المشهد الذى بالقاهرة هو رأس الإمام الحسين رضى الله عنه ، كان بعسقلان ، فلما كان فى أيام الظاهر الفاطمى ، كتب عباس إلى الظاهر^(٢) يقول له ، أما بعد فإن الفرنج أشرفوا على أخذ عسقلان ، وأن بها رأساً يقال أنه رأس الحسين بن على رضى الله عنهما ، فأرسل إليه من تختار ليأخذه ، فبعث إليه مكنون الخادم فى عشارى من عشارى الخِدمة فحمل الرأس من عسقلان وأرسل به فى الموضع المعروف بالكافورى من الخليج الحاكى فحمل وأدخل إلى القصر وأستقر فيه كما هو الآن . وبنى الظاهر مسجد الفاكهاني^(٣) ليضعه فيه وبنى طلائع بن رزيك مسجداً بظاهر باب زويله أيضاً وهو المسمى بجامع الصالح ليضعه فيه ثم أجمع رأيهم على أن يجعلوه بالقصر فى قبة تعرف بقبة الديلم وكانت دهليزا من دهاليز الخِدمة » .

(١) العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد صفح ٨٤

(٢) تولى الخليفة الظاهر ملك مصر بعد أبيه الخليفة الحاكم وتوفى سنة ٤٢٧ هـ وفى ذلك الوقت لم تكن الفرنجة قد بدأت بحاربة المسلمين فى بلاد الشام بل انهم أتوا إلى بلاد الشام من انطاكية سنة ٤٩٠ هـ فى خلافة المستمل بن الخليفة المستنصر بن الخليفة الظاهر .

(٣) منتهى مسجد الفاكهاني هو الخليفة الظاهر ابن الخليفة الخافظ ابن الخليفة الامر ابن الخليفة المستمل ابن الخليفة المستنصر ابن الخليفة الظاهر . .

وقد سبق أن ذكر المقرئى^(١) وكذا القلقشندى أن الصالح طلائع بنى مسجده لى
يدفن فيه الرأس الشريف ، فلما أنتهى منه لم يمكنه الخليفة من ذلك ، وقال لا يكون
إلا داخل القصور الزاهرة ، وبنى المشهد الموجود الآن .

وقد جاء فى كتاب تاريخ المساجد الأثرية^(٢) أنه فى سنة ١٩٤٥ كشفت بجوار الجهة
الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح بقايا مبان عليها كتابات أثرية منها (أدخلوها
بسلام آ نين) ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ولذلك فإنه يرجح أن
تكون هذه البقايا من المشهد الذى بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لى يدفن فيه رأس
الحسين ، ويستشهد فى ذلك بما أورده ابن دقماق^(٣) عند كلامه عن الصالح بقوله : « وهو
الذى بنى جامع الصالح بظاهر باب زويلة وبنى مشهد الحسين رضى الله عنه سنة ٥٥٣ هـ » .

ويشكك ابن كثير^(٤) فى وجود الرأس بالقاهرة فيقول « وأدعت الطائفة المسمون
بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمئة إلى ما بعد سنة ستين وستمئة^(٥)
أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر .
والذى يقال له تاج الحسين بعد سنة خمسمئة » . ويضيف ابن كثير فيقول « وقد نص غير
واحد من أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما أدعوه
من النسب الشريف ، وهم فى ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضى الباقلى
 وغير واحد من أئمة العلماء فى دولتهم فى حدود سنة أربعمئة^(٦) » .

وهناك رواية ضعيفة أوردها السخاوى^(٧) تفيد أن الرأس جئ به إلى مصر منذ البداية .

(١) المقرئى ج ٢ ص ٢٩٣ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥١

(٢) حسن عبد الوهاب ص ١٠٤

(٣) الجوهر الثمين مجلد (١) ص ٤٨

(٤) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤

(٥) حكمت الدولة الفاطمية من سنة ٣٥٨ هـ حتى سنة ٥٦٧ هـ .

(٦) فى حدود سنة اربعمئة لم تكن الرأس قد نقلت إلى مصر . هذا وعدم الدقة فى التواريخ التى وردت فى هذه الرواية

يقل كثيرا من قيمتها .

(٧) تحفة الأحياب ص ٦٨

فهو يقول « أختلف المؤرخون فقال بعضهم إن رأس الحسين بالمدينة الشريفة وقال بعضهم كانت (الرأس) بمشهد عسقلان فلما أخذتها الفرنجة نقلت إلى هذا المشهد (يعنى مشهد القاهرة) والله أعلم بالصواب » ثم يضيف « وقيل : لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، بأرض كربلاء طيف برأسه وسير في البلاد إلا في أرض مصر ، فإن أهلها لم يمكنوهم من الدخول على تلك الحالة البشعة ، بل تلقوهم بمدينة الفرما ، وهي أول مدائن مصر وحملوها (أى الرأس) في الهوادج وسترها بالستور وأوسعوا لهم في الكرامة وأنزلوهم خير الأماكن بمصر وآووهم آمنًا وبنوا لموتاهم المشاهد وأخذوها مزارات » . ويكفي لبيان ضعف هذه الرواية أنها لو صحت من أن رأس الحسين جئ به إلى مصر منذ العصر الأموي في القرن الأول للهجرة ، لما كان هناك داع ولا مقتض لما بذل من جهد ومال لإحضار رأس أخرى من عسقلان والأحتفال بمقدمها لدفنها بالقاهرة في العصر الفاطمي في القرن السادس الهجري .

الرقعة : وقد جمع المؤرخ سبط الجوزي خمسة^(١) أقوال مشهورة عن رأس الحسين (أولها) أنه دفن مع الجسد بكربلاء (ثانيها) أنه دفن بالمدينة عند قبر أمه (ثالثها) أنه دفن بدمشق (رابعها) أنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة ، وقال لما أحضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية ، قال لأبعثنه إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان وكانوا بالرقعة فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم ، ثم أدخلت تلك الدار في المسجد الجامع ، قال وهو إلى جانب سدره هناك ، (خامسها) أن الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار .

والجديد في كلام سبط الجوزي وقد أنفرد به ، وهو وجود الرأس بالرقعة ، وهذا قول ضعيف ، ذلك أن مدينة الرقة التي فتحها العرب سنة ١٨ هـ على يد قائد هم عياض بن جهمن^(٢) وأستمرت منذ ذلك الوقت خاضعة للحكم الإسلامي ، لم يثبت طوال العصر الأموي أن أحداً من خلفاء بني أمية بنى بها مسجداً جامعاً كما ذكر سبط الجوزي وأنه أقيم على

(١) تذكرة خواص الأمة ص ١٥٠ .

(٢) البلاذري ص ١٧٣ ، الطبري ج ١ ص ٢٥٧ .

الدار التي دفن بها الرأس . والثابت أن ما أنشئ في العصر الأموي هو كما ورد في المقدسي وياقوت الحموي^(١) ، قصران هشام بن عبد الملك في مكان يبعد عن الرقة بفرسخ .

وفي عام ١٥٥ هـ أسس الخليفة العباسي^(٢) المنصور مدينة جديدة تقع إلى الغرب من المدينة القديمة سماها الرفيقة ، وفي شمالها بنى المنصور المسجد الجامع ، ولم يذكر أحد من علماء الآثار، العرب منهم والمستشرقين^(٣) أنه أقيم على أنقاض دار قديمة أو أن به تصميمها للدفن ما . على أن المدينة القديمة سرعان ما أصبحت خراباً يبابا وأخذت المدينة الجديدة مكانها كعاصمة للبلاد^(٤)

* * *

بعد هذا الاستعراض لمعظم ما قيل عن موطن الرأس ، نستطيع أن نناقش هذه الأقاويل وتلك الروايات :

فعن القول بوجود الرأس بالمدينة ، فهناك ما ينقضه بدليل مادي ذكره المسعودي^(٥) فيما نقلناه عنه ، وهو أنه كان يوجد حتى القرن الرابع الهجري رخامة مكتوب عليها العبارة الآتية « الحمد لله مبيد الأمم ومحبي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيدة نساء العالمين والحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي ومحمد ابن علي وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين » . فلو أن الرأس كان مدفوناً معهم لما أغفل ذكر اسم سيد الشهداء ..

(١) أحسن التقاسيم ص ٧٨ ، معجم البلدان ص ٦٥

(٢) البلاذري ص ١٧٩ ، ياقوت ج ٢ ص ٢٨٠ ، ابن الفقيه ص ١٣٢

(٣) Die Reiss im Euphrat und Tigris gebiet. Sarre und Herzfeld P. 59

(٤) Creswell. Early Muslim Architecture Vol. II P. P. 39 45,

(٥) ياقوت ج ٢ ص ٧٣٤

أما قول غالبية الشيعة الإمامية الأثنى عشرية بأن الرأس مدفون مع الجسد في كربلاء فقول لا تؤيده مراجعه الحوادث ، فمن المستبعد عقلاً أن يعيد يزيد الرأس إلى كربلاء حتى لا يزيد النار أشتعالا ، وهو يعلم بأنها لا تزال مركزاً لشيعة الحسين والمؤيدين لمذهبه ، هذا بالإضافة إلى ما جاء في أحداث سنة ٢٣٦ هـ ، كما تقدم القول من أن الخليفة المتوكل^(١) أمر (الذيريج) بالمسير إلى قبر الحسين بن علي رضوان الله عليهما وهدمه . فتناول الذيريج سحاة وهدم أعالي قبر الحسين وأنتهى هو ومن معه إلى الحضرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها « ويعيد أن نتصور أن الرأس قد بلى في ذلك الوقت المبكر ، إذا لاحظنا أن أرض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام لآلاف السنين .

وكذلك القول بوجود الرأس برباط مدينة مرو بخراسان منقوض من أساسه^(٢) ، لأنّ أبا مسلم الخراساني الذي قيل أنه نقل الرأس من دمشق لما أستولى عليها وبنى عليه الرباط بمرور لم يكن موجوداً بالشام وقت فتحها ، ولأنه من غير المقبول أن يأذن الخليفة عبد الله ابن علي بن عباس لمولاه أبا مسلم بنقل الرأس الشريف لكي يدفنه بمرو ولأنّ الخليفة نفسه لو ظفر بالرأس لأظهره للناس ليزدادوا - كما قيل بحق - غضباً على بني أمية .

وأما القول بأن الرأس وضع أول الأمر في خزائن السلاح بمدينة دمشق ففي رأي أنه أقرب الأقوال إلى القبول ومسايرة للأحداث للأسباب الآتية :

أولاً - أن مقتل الحسين حدث خطير وله ما بعده ، ولو طيف بالرأس في البلاد بفصد التشفي ، كما ورد في بعض المراجع ، لأدى ذلك من غير شك إلى فتنة بل وليس من المستبعد أن يؤدي إلى خلع يزيد نفسه ، لأنّ الناس جميعاً ، حتى أولئك المناصرين ليزيد طمعا في الكسب المادى ، كانوا يحترمون الحسين ويعظمونه في حياته ويستعظمون ما حدث له ، ويأسفون على تفريطهم في نصرته بعد وفاته . يضاف إلى ذلك أن يزيد نفسه ندم على

(١) أبو الفدا ج ٢ ، طبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٢١٦ ، القرمان حوادث سنة ٢٣٧

(٢) تاريخ المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب ص ٨٠

(٣) مرآة الجنان ج ١ ص ١٣٦

قتله ودمعت عيناه لما وضع الرأس بين يديه وقال ، ويحكم ، قد كنت أَرْضَى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، رحم الله أبا عبد الله^(١) ، فكيف مع ذلك يَأْمُر بآن يطاف بالرأس في البلاد .

ثانياً من مصلحة يزيد أن يحرص على إخماد فتنة قتل الحسين واقتضى حرصه أن يحتفظ برأسه في مكان أمين ، وليس هناك مكان أكثر أمناً في الدولة من خزائن السلاح . أما رواية دفن الرأس في دمشق في عصر يزيد فلم يكن من الحكمة في شيء لأنه كان في استطاعة الشيعة أن ينبشوا القبر ليحصلوا على الرأس .

ثالثاً ومن المعقول ومن المرجح أيضاً أن يكون الرأس قد ظل في خزائن السلاح بدمشق حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ فحمل الرأس كما ورد في بعض المراجع في ثوب وعطره ، ثم صلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين . أى بعد أن هدأت الفتنة ومضى عليها أكثر من ثلاثين عاماً .

أما الرواية التي تقول بوجود الرأس بعسقلان ، فيؤخذ عليها أن مرجعها لم يحدد الوقت الذي نقل فيه الرأس إليها ، اللهم إلا تلك الرواية التي تقول بآن الرأس قد طيف به في البلاد بأمر يزيد ، فلما وصل عسقلان دفن هناك . وقد بيّنا فيما تقدم منافاة هذه الرواية لواقع الحال واستبعدنا أن يصدر ذلك عن يزيد مراعاة لمصلحته الخاصة .

وإذا أسقطنا من حسابنا هذه الرواية فكيف جاء الرأس إلى عسقلان ؟ :

هناك من يقول بآن القبر الذي بناه سليمان بن عبد الملك للرأس نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل في وقت ما إلى عسقلان . ونبش القبر قد يكون صحيحاً ، لأنه أمر متوقع ولا يبعد حدوثه ، ولكن ما السبب في اختيار مدينة عسقلان بالذات لكي تكون مقر الرأس ، وهي مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزاً من مراكز الشيعة ، اللهم إلا إذا أريد أن يكون الرأس في مكان قريب من بيت المقدس من جهة وقريب من الساحل من جهة أخرى ، وهذا يتوفر في موقع عسقلان . وقد يكون من أغراض ناقل الرأس إلى عسقلان هو إخراجها من المشرق ، حيث لاقى الشيعة الشيء الكثير من اضطهاد الأمويين أولاً ثم العباسيين

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ١٣٦

ثانياً ، ليتمكن نقلها في يسر إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة .
ومهما يكن من أمر فقد بات في حكم المؤكد أنه لم يكن في القرن الخامس الهجري
وجود للرأس في دمشق بل كان في مدينة عسقلان للأسباب الآتية :

أولاً - يؤيد وجود الرأس بعسقلان في العصر الفاطمي نص تاريخي منقوش على منبر
المشهد الذي أعاد بناءه بدر الجمالي وأكمله ابنه الأفضل في عصر الخليفة المستنصر .

ولما نقل الرأس إلى مصر ، نقل المنبر إلى المشهد الخليلي بالقدس ، والمنبر مازال موجوداً
حتى الآن هناك ، والمنبر من الخشب الجوز التركي الممتاز وقد زخرفت جوانبه وكذا بابه
بحشوات خشبية عليها زخارف نباتية وكتابية محضرة حضراً غائراً دقيقاً غاية في الإبداع ،
أما أسلوب الخط فهو خط كوفي صلب ذو زوايا وتنتهي حروفه القائمة بزخارف نباتية ،
ولذا فقد أطلق عليه اسم (خط كوفي مزهر) ، وقد كان هذا الأسلوب من الخط سائداً
في العصر الفاطمي . أما النص الكتابي فقد جاء فيه : « الحمد لله وحده لا شريك له محمد
رسول الله على ولى الله صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطاهرة سبحانه من أقام لموالينا الأئمة
نسبهما مجدداً رفع راية وأظهر معجزاً كل وقت وآية بين . وكان من معجزته تعالى إظهاره
رأس مولانا الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وعلى جده
وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون سثروه فيه . وإظهاره الآن شرفاً لأولياته
الميامين وإنشراح صدور شيعته المؤمنين . ورزق الله فتى مولانا وسيدنا معد أبي تميم الإمام
المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطهرين » .

ثانياً - جاء في المقرئى^(١) أن المؤرخ ابن المأمون ذكر في حوادث سنة ٥١٦ هـ أن
الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله أمر باهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين
بعسقلان وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلاً ذهبياً له سلسلة فضية .

ثالثاً - لو كان الرأس موجوداً في مكان آخر غير عسقلان سواء في الشام أو خارجها
لما عجز على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول إليه ، وهم كما نعلم من الشيعة الإسماعيلية وقوتهم

(١) المقرئى ج ١ ص ٤٠٨

الدينية تعتمد في أكثر ما تعتمد على نسبهم لفاطمة الزهراء ، أما قوتهم السياسية فقد فاقت الدولة العباسية ، إذ أمتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقاً إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب غرباً ، بل أنه حدث في عهد الخليفة المستنصر أن نادى البساسيري أحد أعوانهم من الشيعة بسقوط الدولة العباسية في بغداد^(١) والبصرة وواسط وجميع الأعمال وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمي على منابرها في خطبة الجمعة ، وفي هذا أكبر شاهد على تلك القوة .

رابعا - ما ذكره عثمان مدوخ في كتاب العدل الشاهد في القرن (١٩ م) . من العثور بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد أنه مشهد الحسين ، فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن ، مما يؤيد نقل الرأس منها .

خامساً - جاء في المقریزی^(٢) ، « وبني طلائع مسجداً لها (يعنى الرأس) خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر وهو المعروف بجامع الصالح طلائع الآن ، وكشف الحجب عن تلك الذخيرة النبوية فوجد ، دمها لم يجف ووجد لها رائحة أطيب من رائحة المسك ، فغسلها في المسجد المذكور على ألواح من خشب » . وجاء في الببلاوى^(٣) « بأعلى حائط مسجد الصالح ألواح الآن يقال إنها هي التي كان عليها الغسل » . ومهما يكن في رواية المقریزی من سرد أسطوري ، فمما لا شك فيه أنه قد أحضرت إلى القاهرة رأس ، وليس من المستبعد أن تكون قد غسلت في مسجد الصالح طلائع ، ويؤيد هذه الرواية ما كشفت عنه الحفائر التي أجريت سنة ١٩٤٥ ، من وجود مبان بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح طلائع عليها كتابات أثرية منها (أدخلوها بسلام آمنين) ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ، ولذلك فأنه من المرجح أن تكون هذه الكتابات من بقايا المشهد الذي بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لكي يدفن فيه رأس الحسين كما ذكر ابن دقماق .

(٢) المقریزی ج ٢ ص ١٧١

(١) المقریزی ج ٢ ص ٢٨٥

(٢) التاريخ الحسيني للببلاوى ص ١٧ .

(٣) العدل الشاهد في تحقيق المشاهد لعثمان مدوخ ص ١٢٤

(٤) لقد عمر كتحدا المشهد سنة ١١٧٥ هـ المخطط التوفيقية .

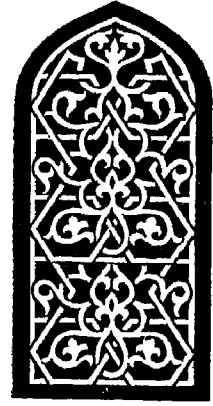
سادساً - جاء في كتاب العدل الشاهد^(٤) في تحقيق المشاهد « أن المرحوم^(٥) عبد الرحمن كتحذرا الفزدغلى ، لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الشريف قيل له أن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ونزل فيه الاستاذ الجوهري الشافعي والأستاذ الشيخ الملوّى المالكي وكانا من كبار العلماء العاملين وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه ، وهو كرسي من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوّه ستارة من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الرأس الشريف فانبنى على إخبارهم تحقيق هذا المشهد وبني المسجد والمشهد وأوقف عليه أوقافاً يصرف على المسجد من ريعها .

* * *

مما تقدم نستطيع أن نقول بوجود رأس بمشهد عسقلان ، ومن المرجح أن يكون هو رأس الحسين رضوان الله عليه ، ونستطيع أن نؤكد في ثقة وأطمئنان بأن هذا الرأس قد نقل إلى مشهد الحسين بالقاهرة .

هذا ولا أجد في هذا المقام خيراً من العبارة التي جاءت في المقرئى اختم بها موضوع الرأس الشريف : « ولحفظه الآثار وأصحاب الحديث ونقله الأخبار ، ما إذا طولع وقف منه على السطور وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات بمشاهدة مرثية وهي بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية » أو كما قال سبط الجوزى ، في أى مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر .

(١) المقرئى ج ٢ ص ١٨٥



المشهد الحسيني بالقاهرة

نقلت رأس الحسين رضوان الله عليه من عسقلان إلى القاهرة كما يقول المقرئى - فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة الموافق (٣١ أغسطس سنة ١١٥٣ م) وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم وإليها ، وحضر فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخر المذكور (الموافق ٢ سبتمبر سنة ١١٥٣ م) - ويضيف المقرئى : « فقد مبه (الرأس) الأستاذ مكتون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافورى (حديقة) ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة » . ويضيف ابن عبد الظاهر « أن طلائع ابن رزيك بنى جامعہ خارج زويلة ليدفنه (الرأس) به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه وكان ذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة (سنة ١١٥٤ م) . يفهم من هذين النصين أن الرأس بقى عاماً مدفوناً فى قصر الزمرد ، حتى أنشئت له خصيصاً قبة (هى المشهد الحالى) وذلك سنة ٥٤٩ هـ .

ولما جاءت الدولة الأيوبية جعل صلاح الدين بالمشهد حلقة تدریس وفقهاء وفوضها للفقیه البهاء الدمشقى ، وكان يجلس للتدریس - كما جاء فى المقرئى - عند المحراب الذى يقع الضريح خلفه . ولما تولى الوزارة معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ بن حموية فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بنى ايوانا للتدریس فقد جاء فى المقرئى « ولما وزر

معين الدين بن حموية ورد إليه أمر هذا المشهد ، جمع من أوقافه ما بنى به إيوان التدريس الآن - يعنى عصر المقرئى (القرن التاسع الهجرى) - وبيوت الفقهاء العلوية خاصة .

وإني أؤيد الرأى الذى ذهب إليه حسن عبد الوهاب من اعتباره المسجد الحالى حل محل المدرسة التى بنيت فى العصر الأيوبي ، وقد أعطانا الرحالة ابن جبير الذى زار مصر فى العصر الأيوبي سنة ٥٧٨ هـ (سنة ١١٨٤ م) وصفاً شاملاً دقيقاً للقبة والمدرسة جاء فيه « فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . وهو فى تابوت من فضة مدفون تحت الأرض . قد بنى عليه بنيان حفييل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع الديباج ، محضوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض ومنه ما هو دون ذلك قد وضع أكثره فى أتوار فضة خالصة ومنها مذهبة . وعلقت عليه فناديل فضة ، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً فى مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسناً وجمالاً . فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون . والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها فى التائق والغرابية ، وحيطانها كلها رخام على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها ، والأسفار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع . »

. وفى العصر الأيوبي أنشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور منارة على باب المشهد سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) . وهى منارة مليئة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة ، وهى تعلو الباب الأخضر وقد تهدم معظمها ولم يبق منها إلا القاعدة المربعة وعليها لوحتان تأسيسيستان ونص الأولى : « الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه وكان تمامها على يدي ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وست مائة عفا الله عنه » . ونص الثانية « بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بأنشأ هذه المثذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقريباً . إلى الله ورفعاً لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور ، تقبل الله منه ، وكان المباشرة بعمارته ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجاً عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وسبعمائة » وقد احترق هذا

المشهد في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ ، وكان سبب الحريق كما يرويه المقرئزي وأبو المحاسن « أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعلة فوقفت الأمير جمال الدين نائب الملك الصالح بنفسه حتى طوى » .

وقد قام بترميمه بعد هذا الحريق القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ووسعه وألحق به ساقية وميضأة ووقف عليه أراضى خارج الحسينة قريب الخندق . وفى العصر المملوكى سنة اثنتين وستين وستائة رفع إلى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس قضية موضوعها ، أن مسجداً على باب مشهد الحسين رضى الله عنه وإلى جانبه مكان من حقوق القصر ، بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم ، فأمر السلطان برد الدراهم وأبقى الجميع للمسجد ، فأتسع نطاقه وزاد رونقاً وبهاء بما صرف عليه من تلك الأموال . وفى عهد الملك الناصر محمد ابن قلاوون أمر بتوسيع المسجد وذلك ببناء إيوان وبيوت للفقهاء العلوية وكان ذلك عام أربعة وثمانين وستائة .

وفى العصر العثمانى أمر السلطان سليمان خان بتوسيع المسجد وذلك لما رآه من الأقبال العظيم من المصلين والزائرين . كذلك عنى الوالى العثمانى السيد محمد باشا الشريف الذى ولى مصر فى سنة ١٠٠٤ هـ إلى سنة ١٠٠٦ هـ ، بترميم المشهد وإصلاح زخارفه أما الأمير حسن كتحدا عزبان الجلبنى فإنه وسع المشهد وزاد فى مساحته وصنع له تابوتاً من أبنوس مطعم بالصدف والعاج وجعل عليه ستراً من الحرير المزركش ، نقله إليه فى إحتفال كبير ، ويصف الجبرئى ذلك الإحتفال فيقول ولما تموا صناعته وضعوه على قفص من جريد وحمله أربعة رجال وعلى جوانبه الأربع أربعة عساكر من الفضة المطلية بالذهب ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم وبين أيديهم المباخر الفضية وبخور العود والعنبر وقماقم ماء الورد يرشونه على الناس وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد الشريف ووضعوا ذلك الستر على المقام » . وأما الأمير عبد الرحمن كتحدا فقد قام بإصلاحات كثيرة فى سنة ١١٧٥ هـ أعاد بناء المسجد وعمل به صهريجاً وحنفية بفسحة وأضاف إليه إيوانين ، كما رتب لسدنته والقائمين عليه مرتبات كثيرة ظل معمولاً بها حتى سنة ١٢٠٦ هجرية حيث أصبحت

أوقاف المسجد تحت نظارة السيد محمد أبي الأنوار الوفائي فالحق بالمسجد ضرراً كبيراً . ويقول الجبرتي في ترجمة المذكور ، أن أبا الأنوار كان له دار بجوار المسجد ولوجودها قبالة الميضأة والمراحيض كان يتضرر من سكانها فعزم على إبطال دورة المياه من تلك الجهة ، فأشترى داراً قبلي المسجد وأدخل منها جانباً فيه بمقدار باكية ورفعها درجة ليميز الحديث من العتيق وجعل به محراباً وأنشأ فيما بقي من الدار الميضأة والمراحيض وفتح لها باباً من داخل المسجد وأبطل الدورة القديمة لإنحراف مزاجه منها وتأذيه من رائحتها . وتحول عبور الناس إلى الحديثة من داخل المسجد ، ولم تمض أيام قلائل حتى أضرت الروائح الكهريه بمن في المسجد من المصلين والزائرين ، وظهرت بالمسجد أقذار البلل من أرجل الأوباش لقرها منه ، فلغظ الناس وشنوا القالة ، ولم يحضر في أوقات الصلاة من أتراك خان الخليلي والتجار أحد ، ثم قاموا قومة واحدة وأغلقوا الباب وأبطلوا تلك الميضأة والمراحيض الحديثة بالقوة ومنعوا الناس من الدخول وساعدهم المنصفون من أجناسهم . فأضطر أبو الأنوار - كما يقول الجبرتي - إلى إعادة الميضأة القديمة كما كانت وجعل الحديثة مربوطاً للحمير يستغل أجرته بعد أن أزالها ومحا أثرها .

ولما قدم مصر السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٩ هـ وزار المقام الحسيني الشريف أمر الخديو إسماعيل بعارته وتشبيده على أتم شكل وأحسن نظام ، وقد أستغرقت هذه العملية عشر سنوات إذ تمت سنة ١٢٩٠ هـ . وقد أسهب على مبارك في خططه في وصف الإنشاءات التي قام بها الخديو إسماعيل (ولم يناكر أنها تنفيذاً لأمر السلطان عبد العزيز) فقد قال « وفرش بالفرش النفيسة وتنويره بالشموع والزيوت الطيبة (والأنفاس الغازية) في قناديل البلور ورتبوا له فوق الكفاية من الأئمة والمؤذنين والمبلغين والبوابين والفراشين والكناسين والوقادين والسقاين ونحو ذلك ووقفوا عليه أوقافاً جمّة يبلغ إيرادها نحو الألف جنيه في بيان مدى الاهتمام بالمسجد الشريف فيقول « لما رأى أهميته وأزدحام الناس عليه وضيقه لأن أرباب مظاهر الدين يسعون من كل فج على العربات والخيل والبغال والحمير حتى تزدحم أبوابه وطرقه فيضرب ذلك بالمارة خصوصاً في المواسم ، ففتح بجواره سنة ١٢٩٥ هـ (سنة ١٨٧٨ هـ) شارع السكة الجديدة حتى وصل إلى تلول البرقية » .

وكان على مبارك هو الذى قام بعملية الرسم إذ يقول (وندبنى لعمل رسم للجامع يكون به وافيا بمقصده الحسن. فبذلت المهمة في ذلك وعملت له الرسم اللائق بعظم شأنه بحيث لو وضع عليه لكان مبراً من العيوب مع الاتساع العظيم داخلاً وخارجاً ، إذ جعلته منفصلاً من كل جهة من المساكن بشوارع وميادين رحبية . وجعلت شكله قائم الزوايا وجعلت حده الأيمن بحذاء جدار القبلة الأيسر بالنسبة للمصلى فيها بحيث يكون الجدران واحداً ، وحده الأيسر نهاية الحد الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن ويصير هذا الصحن من ضمن الجامع ، وحده الذى به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبلة الذى به محرابها بحيث يكون الجدران واحداً ، والحد الرابع الذى يلى خان الخليلي هو الذى له الآن . وجعلت الصحن والحنفية عن يمين الجدار الأيمن أعنى في محل الإيوان القديم بجوار عمارة العناني وتكون عن يمين ذلك المطهرة ، الأخلية والساقية بحيث يؤخذ لها بعض من عمارة العناني ، فيكون الجامع آمناً من إنعكاس روائح الأخلية إليه كما هو الشأن في وضع الأخلية ، وفي هذا الرسم صار الضريح الشريف خارجاً من الجامع في الزاوية التي عن يمين المحراب داخلاً في الصحن من جهته اليسرى . وجعلت للضريح باباً إلى الجامع وباباً إلى الصحن وباباً إلى شارع الباب الأخضر لزيارة النساء . وجعلت سعة الشارع في غربية وشرقية نحو ثلاثين متراً وفي بحرية نحو أربعين » .

أما الذى قام بتنفيذ المشروع فكان راتب باشا إذ كان ناظر الأوقاف يومئذ ، فقد تسرع في بناء المسجد جميعه ما عدا القبلة والضريح الشريف وتم البناء سنة ١٢٩٠ هـ ، أما المنارة فقد تمت سنة ١٢٩٥ هـ ، غير أن راتب باشا لم يلتزم برسم على مبارك ، ولذلك فإنه أنتقده نقداً لاذعاً - وهو محق في ذلك إذ يقول : إن راتب باشا بنى الجامع غير قائم الزوايا ، فإن ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر وكذا الضلعان الآخران غير متساويين بحيث أوجب ذلك وضع الاساطين منحرفة بحيث لو وافقتها صفوف المصلين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة ولو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الاساطين ، وصار الجامع مع سعته وأرتفاعه غير مستوف لحقه من النور والهواء لسوء رسم الأبواب والشبابيك وعدم أخذها حقها من الأرتفاع والاتساع مع قلتها وقلة الملاقف » وقد تكلفت هذه العمارة - على حد قول على مبارك - تسعاً وسبعين ألف جنيه صرفت من خزينة الأوقاف ، هذا عدا ما تبرع به

الأمراء وعلية القوم ، فقد أحضرت له العمدة الرخام من النقشطينية وثلاثة أبواب مبنية من الرخام الأبيض جهة خان الخليلي ، ومثلها الباب الأخضر الذي بجوار القبة . وبالجامع نبر خشبي بديع مطلي بطلاء مذهب ، وهو في الأصل منبر جامع أزيك الذي كان عند العتبة الخضراء فلما تخرب المسجد نقل إلى مشهد الحسين . وفي مؤخرة المسجد دكة تبليغ كبيرة ، أما صحن الجامع فيحتوي على أربعة وأربعين عموداً عليها بوائك حاملة للسقف وهو من الخشب المطلي بزخارف نباتية وهندسية متعددة الألوان ومذهبة غاية في الدقة والإبداع ، وفي وسط السقف ثلاث مناور مرتفعة مسقوفة كذلك . ويجدران المسجد الأربعة يوجد ثلاثون شباكاً كبيراً من النحاس المطلي بالذهب ، ويعلوها شبابيك أخرى صغيرة دوائرها من الرخام . وللمسجد مئذنتان أحدهما قصيرة وقديمة وهي التي بناها أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) فوق القبة - كما سبق أن أشرنا - وقد طوقتها لجنة حفظ الآثار بحزامين من الحديد محافظة على بقائها ، أما المئذنة الثانية فتقع في مؤخر المسجد وهي مرتفعة ورشيقة على الطراز العثماني الذي يشبه المسلة أو (القلم الرصاص) وعليها لوحان بخط السلطان عبد المجيد خان كتبهما سنة ١٢٦٦ هـ باحدهما سورة الانعام الآية (٩٠) (أولئك الذين هدى الله فيبهداهم أقتده قل لا اسئلكم عليه أجرأ إن هو إلا ذكرى للعالمين) . والآخر « أحب أهل بيتي إلى الحسن والحسين » .

كذلك فرشت أرضية مصلى الباب الأخضر بالسجاد والبسط التركية ، وبشرقي المسجد باب موصل إلى قاعة الآثار النبوية ، التي أنشأها عباس حلمي الثاني سنة ١٣١١ هجرية بعد أن بقيت هذه الآثار ست سنوات محفوظة في الدولاب الجميل الذي صنع سنة ١٣٠٥ هـ في الطرف الجنوبي للجدار الشرقي للمسجد . وهي قاعة متسعة الأرجاء مفروشة بالسجاد الدقيق الصنع المستورد من إيران وتركيا ، تضاء بالمصابيح والثريات البلورية النادرة . وقد كسيت جدرانها بالرخام (المجزع) وبها محراب صغير ، وسقفها من الخشب المنقوش ونوافذها من الجص المخرم والمعشق بالزجاج الملون . أما دولاب الآثار الشريفة فقد وضع في الجهة القبلية من القاعة ، وهو عبارة عن فجوة كبيرة في الجدار قوى ظهرها بقضبان من الحديد وقد كسيت جدرانها وأرضيتها وسقفها بالجوخ الأخضر ، وفي سطحها لوح من الزجاج

لتوضع فوقه باقى الأمانات ، وقد عمل لهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعم بالعاج والصدف والابنوس وكتب بأعلاه بأحرف من العاج « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » . وللقاعة الشريفة بابان أحدهما إلى المسجد والآخر يؤدي إلى القبلة . وقد كتب على جدران الغرفة من الداخل على الرخام البسملة وسورة « ألم نشرح » وبعد ذلك النص الآتى : « ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين . تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ومكحلة ومرود وقطعة من القضييب وشعرتين من اللحية الشريفة وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه والآخر بخط سيدنا الامام على كرم الله وجهه . ذكر ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاته ثوبا حبره وإزار عمانى ، وثوبان صحاريان وقميص صحارى وقميص سحولى وسراويل وجبه يمنية وخميصه وكساء أبيض وقلانس ، فدك وثلاث أرض وادى القرى وسهم وخمس أرض خيبر وحصته من أرض بنى النضير » .

أما فى عهد ثورتنا المباركة ، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين وزيادة مساحته ، وفرشه وإضاءته حتى يتسع لزيائره والمصلين به . فقد كان المسجد القديم يضيق بهم وخاصة فى المواسم والأعياد ، فزيدت مساحته حتى بلغت مساحته ٣٣٤٠ متراً مربعاً ، بعد أن كانت مساحته ١٥٠٠ متراً مربعاً ، أى بإضافة ١٨٤٠ متراً مربعاً إليه ، وقد أخذت أبعاد الأروقة وقطاعات العقود وكذا النوافذ والأبواب التى استجدت ، من الطبيعة حتى جاءت التوسعة كامتداد طبيعى للمسجد القديم .

وقد روعى كذلك أن تكون المباني مشابهة للقديم ومن نفس الخامات بقدر الامكان ، فقد بنيت الجدران التى يبلغ سمكها ٨٠ سم من الحجر المتخلف (من المباني القديمة) من الخارج والآخر من الداخل . كما كسيت الحوائط من الداخل بمونة الحجر الصناعى حتى تكون مضاهية للحوائط القديمة .

وقد أضيف للمسجد مبنى مكون من دورين ، خاصا بإدارة المسجد ، يقع فى الجهة

الشرقية منه بجوار غرفة المخلفات ، كما أنشئت مكتبة خاصة بالمسجد تبلغ مساحتها ١٤٤ متراً مربعاً تقع في الجهة الشرقية أيضاً ، على امتداد القبلة والمصلى الخاص بالنساء .

ولما كانت الواجهة الرئيسية للمسجد القديم - وهي الواجهة القبليّة - ليست على استقامة واحدة ، فقد أضيف إليها مثلث في الطرف الجنوبي الشرقي مساحته ٣٥ متراً مربعاً ، فجاءت الواجهة الرئيسية على استقامة واحدة . وبدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩ وتمت سنة ١٩٦٣ وبلغت جملة تكاليفها (٨٣) ألف جنيه هذا بالإضافة إلى السجاد اليدوي الذي صنع خصيصاً بمدينة المحلة الكبرى ، والذي بلغت تكاليفه ما يقرب من ٤٠ ألف جنيه .

هذا وقد اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ (٤٠) ألف جنيه الآن لإقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة ، تليق وصاحب المقام ، خاصة بعد أن أزيلت كل المباني التي كانت تحجبه عن الميدان الذي خطط خصيصاً من أجله . وسيكون طول هذه الواجهة ٤٥ متراً وعرضها ٨ أمتار ، وروعى في الواجهة الجديدة أن تكون أقصر من القديمة ، حتى تظهر شرفات الواجهة القديمة . وقد صممت هذه الواجهة بحيث جاءت آية في الدقة والابداع ، وتتكون الواجهة من حائط تزخرفه سبعة عقود مدببة ، يرتكز كل منها على عمودين من الرخام . ويحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصية البديعة . ويستعمل ثلاث من هذه العقود كأبواب ، أما الأربعة الباقية فهي نوافذ . وستكون النوافذ مملوءة بالبرنز المخرم ، وكذا النصف العلوي من الأبواب . وستتدلى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم ، ويعلو كل منها دائرة من الزخارف الجصية في توازن وتمائل محكم . وستقام مثذنة في الطرف الجنوبي الشرقي مماثلة للمثذنة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي ومن نفس الطراز . كما صنع منبر جديد للمسجد من الخشب العيزي والجوز التركي والزان ، ويتكون من حشوات مجمعة ومطعمة بالصدف والعاج والأبنوس ، وقد بلغت تكاليفه ١٥٠٠ جنيه ، ورصدت الوزارة كذلك مبلغ ٥٠ ألف جنيه لإقامة دورة مياه جديدة تقع في الجهة البحرية من المسجد . وقد أهدت طائفة البهرة مقصورة من الفضة كُتِبَ عليها بسم الله الرحمن الرحيم ورصعت بفصوص من الماس وذلك (سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .

القبة

يقول الأستاذ كرزويل ، الذى قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية ، أن القبة كلها ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر فيما عدا الضريح الشريف ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الجبرتي وعلي باشا مبارك ، فقد ذكر أن عبد الرحمن كتحدا أعاد بناء الضريح الشريف سنة ١١٧٥ هـ وهو ثابت على العتب الرخامى ونصه :

مسجد للحسين أصل المعالى لا يضايه في البقاع علاء
فيه فضل الرحمن للعبد نادى زر وأرخ لك الهنا والرضا

والقبة ليست مربعة تماما ولكنها تميل إلى الاستطالة قليلا ، ولذلك فقد كانت هناك صعوبة في اقامتها ، أمكن التغلب عليها بفتح نافذة ذات ثلاث فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة في أركان الضلع القصير ، ونافذة ذات ست فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة في أركان الضلع الطويل . وقد غطيت فتحات النوافذ بجص مخرم ومعشق بزجاج ملون . وتتكون زخارف النوافذ الجصية من كتابات نسخية كلها آيات قرآنية وأحاديث نبوية . أما القبة فإنها تتركز على عقود نصف دائرية ومقرنصات في الأركان شبه دائرية ، وكل هذه الأجزاء مزخرفة بنقوش زيتية غاية في الدقة ، تشبه إلى حد كبير تلك النقوش التي عملها على بك الكبير في قبة الامام الشافعي ، فهي بذلك عثمانية الطراز . وفوق المحراب نقش قصيدة بلاء الذهب كتبها الخطاط البلخي سنة ١١٨٧ هـ ومطلع القصيدة :

إلا أن تقوى الله خير البضائع ومن لازم التقوى فليس بضائع

كما نجد نفس التاريخ منقوشا على الشريط الذى يحيط بقاعدة القبة . ومعنى ذلك أن هذه الزخارف عملت بعد اثنتى عشرة سنة من العمارة التى قام بها عبد الرحمن كشيخه .

على أن أقدم أجزاء الضريح هو الباب الذى يعرف بالباب الأخضر . ويقع بانقرب من الركن الجنوبي للضريح وبالركن الجنوبي الغربي بالنسبة لجدار القبة ، وهو عبارة عن حائط طوله ٤٩٢ مترا وارتفاعه ٨٥ متر ، تخترقه بوابة مستطيلة الشكل عرضها ١٫٨٩ متر وارتفاعها ٢٣٣ متر . ويعلم البوابة عقد عاتق به حنيه بداخلها دائرة مقرغة بزخارف دقيقة ، وتعلوها بقايا شرافات جميلة ، وتشبه هذه البوابة وزخارفها باب جامع الاقصر . ولذا فإن كزويل يرجع هذا الجزء إلى آخر العصر الفاطمى ، ومعنى ذلك أن هذا الجزء يرجع تاريخه إلى تاريخ مجىء الرأس الشريف إلى مصر تقريبا وقد عرف هذا الباب باسم باب الحسين ، كما ورد فى خريطة الحملة الرنسية . أما الآن فإنه يعرف باسم الباب الأخضر . وفوق هذا الباب توجد مثلثة قصيرة ترجع إلى العصر الأيوبي ، فقد ثبت عليها لوحة تذكارية مؤرخة سنة ٦٣٤ هـ وسبقت الاشارة إليها والمثلثة مبنية بالآجر ، وتتكون من مربع طول ضلعه ٢٥ متر وارتفاعه ١٢٫٧٦ متر ينتهى بقاعدة مثمثة الشكل تقوم عليها الدورة الثانية للمثلثة وهى مثمثة الشكل وارتفاعها ٢٥٠ متر وفى كل وجه من أوجه المثلث توجد فتحة طويلة . ويعلم هذه الدورة رتبة مثمثة تعلوها قبة مضلعة يبلغ ارتفاعها مع الرتبة ٢٣٠ متر وعلى ذلك يكون ارتفاع المثلثة كلها ١٧٥ متر .

أما مربع القبة من الداخل فقد كسيت واجهته المطللة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بفسيفاء من الصدف ، وكذا غطى محيطها من الداخل بالرخام والصدف فى رسوم هندسية غاية فى الدقة والابداع ، وترجع هذه الآثار الرخامية والصدفية إلى القرن (٨) هـ . أما الأجزاء العليا من مربع القبة فقد زخرف بنقوش زيتية مذهبة تشبه تلك التى نقشت على القبة نفسها . وكلها ترجع إلى القرن (١٢) الهجرى ثم جددت هذه النقوش سنة سنة عشرة بعد الثلاثمائة والألف وقد سجل على الباكية الشريفة ما يأتى :

ركن هذا المقام جنة عدن من أتاه يفوز بالمأمول

ركن هذا المقام ركن سديد نال فيه الداعون حسن القبول
ركن هذا المقام كعبة مصر زاد مجدا بالسيد بن البتول
ركن هذا المقام حاز فخارا بالامام الحسين سبط الرسول

وتحتوى القبة على أربعة أبواب ، بابان فى الجهة الغربية يؤدىان إلى المسجد ، وباب بجوار المحراب سد الآن مكتوب باعلاه بالخط الثلث البارز الجميل المذهب على الرخام « الاجابة تحت قبته والشفاء فى تربته والائمة فى ذريته وعترته » وباب يؤدى إلى غرفة الآثار كتب باعلاه « قل لأستلکم علیه أجرا إلا المودة فى القربى » .

كذلك كتب الشيخ عبد الله الشبراوى عام ١١٥٦ هـ أبياتا من الشعر على الباب الخارجى
نصها :

يا كرام الأنام يا آل طه على من يهيم فيكم علام
بابكم كعبة الهدى وحماكم منهل فيه للانام إزدحام
باب فضل لما سما أرخوه من دنا نحو بابكم لايضام
رضى الله عنكم آل طه وصلاة منى لكم وسلام

وفى العمارة التى قام بها السيد على أبو الأنوار التى سبقت الاشارة إليها ، أجرى فتح باب الجهة البحرية للقبة ، وله مصراعان من النحاس المخرم بنقوش جميلة ويتواشيع الباب أربعة دوائر كتب فيها على التوالى - لا إله إلا الله محمد رسول الله - الامام على - الامام الحسين - الامام الحسن . ويعلو الباب عتيان كتب على أحدهما :

أنشأ على أبو الأنوار سيدنا بابا لسبط رسول الله ذى الرشد
وحسن اشراف نور الله ارخه باب حماه عظيم الجاه والمدد

وقد غطيت كل الأبواب والنوافذ بستار من الحرير الأخضر الجميل . وفى وسط القبة توجد المنصورة . على بابها أربع حلقات من الفضة النقية الخالصة .

لن يخيب اليوم من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة

وحول المقصورة توجد مشكاوات ن الزجاج المموه بالمينا المنقوشة بزخارف جميلة ومكتوب عليها اسم الملك الظاهر أبي سعيد ، كما تحوى على كتابات قرآنية « الله نور السموات والأرض » ويبلغ عدد هذه المشكاوات ثلاثا وعشرين . كانت قيمتها في ذلك الوقت أكثر من ألفي دينار .

وبالقبة قبة قديمة محلاة بقطع من الفسفاء الرخامية ويكتنفها عمودان من حجر الساق وبجانبيهما قاعدتان من الرخام كانتا معدنين فيما مضى لوضع الشعاع ومكتوب فوق القبة قصيدة مطلعها :

ألا أن تقوى الله خير البضائع ومن لازم التقوى فليس بضائع

وسبق أن ذكرنا أن جميع جدران القبة مكسوة بالرخام الملون الجميل إلى ارتفاع نحو قامتين ، وفوق ذلك ألواح من الخشب المطلي بنقوش ريبية متعددة الألوان ومذهبة وبأعلى النقوش كتب عليها قصيدة الامام ابن جابر الاندلسي المشهورة والتي مطلعها :

في كل فاتحة للقول معتبرة حق الثناء على المبعوث بالبقرة

وهي مكتوبة بالخط الثلث المذهب وتحيط بالقبة وتعلوها قصيدة أخرى يقال أنها تنسب إلى الحسين رضى الله عنه ويقول الشيخ البيلاوى أنها لسان حاله ، ومطلعها :

خيرة الله من الخلق ألي بعد جدى وأنا ابن الخيرتين

عبد الله غلاما ناشئا وقريش يعبدون الوثنيين

والدى شمس وأمى قمر وأنا الكوكب بين النيرين

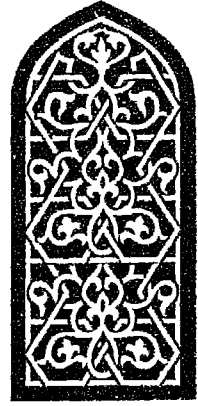
وفوق القصيدتين شريط من الخشب يحيط بالقبة كتب عليه سورة الفتح من القرآن الكريم .

أما حجرة التابوت فهي تقع في الطبقة الثالثة من أرض القبة وقد وضعت الرأس فيها على كرسي من الابنوس ، وهي ملفوفة في برنس أخضر وحولها نحو نصف أردب من الطيب

الذى لا يفقد رائحته بتوالى السنين . وقد جاء في التاريخ الحسينى ، أن بعض عظماء العصور الخالية أراد أن يرفع النقاب عن خبايا أسرار هذه الروضة المباركة فأنزل رجلين ليكشفوا الخبر ، فخرج أحدهما أعمى والآخر أخرس ولذلك لم تحصل المحاولة مرة ثانية وفوق الحجرة طبقة أخرى يسلك إليها من فجوتين على كل فجوة باب متين . والحجرة مسقوفة بقضبان من الحديد الصلب وتحتوى على مكان فسيح ، يحده الشرقى باب يوصل إلى الحجرة المباركة التى تحتوى على تركيبة عظيمة على القبر الشريف . ويحيط بها تابوت من خشب الساج الهندى ، ويحتوى التابوت على ثلاثة جوانب فقط ، لأن التركيبة التى تحيط به كانت ملتصقة بالجدار الشرقى . ولما تصدع بعض جدران الروضة الشريفة قامت وزارة الأوقاف سنة ١٣٢١ هـ بترميمها وإعادةها إلى حالتها الأولى ، كما أخرج التابوت الخشبى ورمم وأعيد إلى حالته الأولى وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وقد عنى حسن عبد الوهاب بدراسة وقراءة ما نقش عليه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية دراسة مستفيضة . ويبلغ طول التابوت ١٨٥ متر وعرضه ١٣٢ متر وارتفاعه ١٣٥ متر وهو مكون من جنب ورأسين ومقسم إلى مستطيلات رأسية وأفقية يحيط بها أشرطة تحتوى على كتابات بعضها بالخط الكوفى والبعض الآخر بالخط النسخى الذى انتشر فى مصر فى العصر الأيوبى . أما زخارف هذه الحشوات ، فهى عبارة عن نقوش نباتية غاية فى الروعة والانتقان ويحيط بالحشوات السداسية شريط من الخط الكوفى به كلمات منها « الملك لله » « وما توفيقى إلا بالله » ، « ثقتى بالله » ، « نصر من الله وفتح قريب » ، « العزة لله » ، « وما بكم من نعمة فمن الله » . . . الخ .

ويقول حسن عبد الوهاب أن هذا التابوت يشبه إلى حد كبير تابوت الامام الشافعى مما يدل على أنه معاصر له ، ولذلك فإنه يرجح أنهما صنعا فى عصر واحد ويبد صانع واحد ، وبما أن تابوت الامام الشافعى مؤرخ سنة ٥٧٤ هـ أى أنه صنع فى عصر صلاح الدين الأيوبى ، لذلك يرجح حسن عبد الوهاب أن تابوت الحسين صنع بأمر صلاح الدين ، ذلك لأنه عنى عناية خاصة بمشهد الحسين وأنشأ مدرسة بجواره .

الجامع العمري بقوص بمحافظة قنا



ان كلمة قوص ، كلمة قبطية معناها الدفن ، وسميت كذلك لتخصص اناس من أهلها في دفن ملوك الفراعنة بعد تحنيطهم ، وقوص مدينة هامة في محافظة قنا ، كان لها في العصور الوسطى شأن عظيم ليس في المحافظة فحسب بل في الصعيد كله ، إذ كانت قوص عاصمة الاقليم منذ العصر الفاطمي حتى القرن التاسع عشر . ويقول عنها ابن جبير انها مدينة حافلة بالأسواق متسعة المرافق كثيرة الخق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنود وبنجار الحبشة ، لأنها محط للرجال ومجتمع الرجال وملتبى الحجاج المغاربة والقاهريين والاسكندرانيين ومن يتصل بهم . ومنها يفوزون بصحراء عيذاب وإليها رجوعهم وقال ابن الكندي ، كان يوجد بقوص سائر اصناف التمر والحطب الكارمي الذي لا رماد له والفحم الباقي والكروم ومعادن الذهب والاحجار الكريمة . ومن الطريف حقا أن نعرف انه قد اكتشف بقوص حقول للبتروول في العصر المملوكي سنة ٨٣٤ هـ . وكان من الطبيعي ان تزخر قوص بالفنادق والوكالات والخانات والبيوت الفاخرة لاستقبال الوافدين عليها من المشرق والمغرب في طريقهم إلى الحج والرجوع منه ، وكذا إيواء التجار الوافدين من

الجنوب ومن الشرق الأقصى ، كما اهتم أهلها بالزراعة وخاصة الخضر والبساتين حتى يستطيعوا أن يمدوا الاقليم ببعض احتياجاته .

ويحدثنا المقریزی انه كان بقوص مائة وخمسون مغلقا ، (والمغلق ، هو الحديقة التي لا تقل مساحتها عن عشرين فدانا) ، ولكل مغلق ساقية ذات أربعة وجوه .

وقد نستطيع تقدير أهمية مدينة قوص في العصور الوسطى إذا عرفنا انها كانت مقرا لحاكم الصعيد وان بها داراً لضرب النقود ، وكان صك النقود شارة من شارات الملك في ذلك الوقت . ويقول الادفوی انه عثر في سنة ٦٧٢ هـ في عهد السلطان الظاهر بيبرس على نقود مدفونة في مدينة قوص وانها ترجع إلى ألف وثلثمائة سنة إلى أوائل العصر الروماني .

وقد اشتهرت قوص في العصور الوسطى بوجود أقوام لهم معرفة تامة بصيد الثعابين والحيات والعقارب بواسطة عزائم وأقسام سحرية يقرأونها عليها . كما يقال إن طائفة الحوارة في القطر المصري تأتي من قوص ، ويؤد ذلك ما رواه المقریزی عن الأمير تكتباى حاكم قوص في عهد السلطان محمد بن قلاوون وقصة المرأة الساحرة معه .

وكما كانت مدينة قوص مزدهرة ومنتعشة اقتصاديا كذلك كانت متقدمة ثقافيا . فقد كانت بها ست مدارس ودار للحديث وكثير من المساجد الجامعة والزوايا . وكانت المدارس في ذلك الوقت تقوم بعدة وظائف ، فإلى جانب الناحية التثقيفية التي أنشئت من اجلها فهي تقوم بوظيفة المسجد في أوقات الصلاة وفي يوم الجمعة كما كانت تقوم بوظيفة اجتماعية هامة في الأخياء التي توجد بها ، إذ كان عليها مهدة محو الأمية فيه . فقد كان يلحق بكل مدرسة كتاب لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والقرآن والخط . وكان يقرر لهؤلاء الأطفال الكسوة والطعام ، وكان إذا أتم الطفل حفظ القرآن يعطى خمسين درهما ويمنح مؤدبه ومعلمه خمسين درهما مكافأة له .

ومن الشخصيات الهامة التي تنتسب لقوص العلامة أبو الفضل بهاء الدين زهير المكي القوصي النشأة المعروف بالبهاء زهير صاحب الديوان المشهور . وهناك طائفة من العلماء

ورجال الدين كـبيرة ممن ينتسبون لقوص لا يتسع المجال لذكرهم. ولم يقتصر طلب العلم والفضل في قوص على الرجال فحسب ، بل تعداه إلى النساء كذلك ، فقد اُنجبت قوص سيدات فضليات خُلِّفن وراءهن ذكريات عطرة تشهد بما كانت عليه المرأة المصرية في العصور الوسطى من مكانه مرموقة بين العلماء وأهل الرأي ، ومن أشهرهن تاج النساء ابنة عيسى بن وهب القوصية ، كانت فقيهة في علوم الدين والقراءة توفيت في القرن السابع الهجري وغيرها كثيرات .

* * *

وصف الجامع

ومن أشهر مساجد مدينة قوص وأقدمها الجامع المعروف بالعمري ، وهذه التسمية لاتعنى بالضرورة أن منشأة هو عمرو بن العاص ، ولكنها تعنى أنه أقدم مسجد في المدينة نسبة إلى أن الجامع العمري بالفسطاط هو أقدم مساجد مصر. ويرجع تاريخ هذا المسجد إلى العصر الفاطمي إلا أن التغييرات والتجديدات التي أدخلت عليه أفقدته الكثير من معالمه الأصلية ، فقد تغير كثير من عقوده الداخلية في ايوان القبلة في العمارة التي قام بها محمد بك قهوجي سنة ١٢٣٣ هـ ، كما أن التجديد الذي حدث للمثناة أفقد الجامع وجهاته الرئيسية .

ويوجد في هذا الجامع منبر على جانب كبير من الأهمية. إذ أنه يعتبر من أقدم منابر مصر. المؤرخة فقد أنشئ سنة ٥٥٠ هـ ، وهو من الخشب الساج الهندي المحفور حضرا بارزا والمزخرف كذلك بالحشوات المجمعمة التي بدأت تظهر في أواخر العصر الفاطمي في القرن السادس الهجري . وقد سجل تاريخ المنبر على لوحة تذكارية فوق باب المنبر وهي مكتوبة بالخط الكوفي الزهر وتحتوى سبعة سطور ، نصها :

الأول : بسم الله الرحمن الرحيم ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة أمر بعمل
الثاني : هذا المنبر المبارك الشريف مو (لانا وسيدنا الإمام الفائز بنصر الله أمير
الثالث : المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين
الرابع : على يد فتاه وخليله السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة و
الخامس : كاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة
السادس : المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع لطول

السابع : بقاءه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمه في سنة خمسين وخمسمائة^(١) .

وفي منتصف البائكة الثالثة في ايوان القبلة يوجد محراب يرجع تاريخه إلى العصر المملوكي ، زخرفت واجهته بزخارف جصية قوامها عناصر نباتية وهندسية بديعة التكوين . وتشبه زخارف هذا المحراب زاوية زين الدين يوسف بالقاهرة وكذا المحراب المملوكي في جامع عمرو بن العاص . ويحيط بالمحراب كتابة بالخط الثلث المملوكي نصها : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » . وحول طاقية المحراب قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك في السماء » .

وفي النهاية البحرية للبائكة الرابعة والخامسة من ايوان القبلة توجد مقصورة من الخشب الخرط على جانب عظيم من الأهمية ، فالجانب الشرقى من المقصورة باق على صورته الأولى ، ويتكون من حشوات بها زخارف محفورة حفرا عميقا وكذا الجانب الغربى ، وكذا باب المقصورة مكون من حشوات سداسية الشكل يحيط بها من أعلى وأسفل أشرطة من خشب الخرط الذى انتشر استعماله في العصر المملوكي .

وداخل هذه المقصورة يوجد كرسى مصحف مصنوع من الخشب المصنوع بطريق الحشوات المجمة والمطمم بالعاج والصدف . ويحيط بالكرسى شريط من الكتابة بالخط النسخ المملوكي وتتكون الكتابة من آية الكرسى والنص الآتى : أمر بانشاء هذا المصحف المبارك المقر الكريم العالى المولى الأميرى الأجلى عز الدين خليل المالكى الناصرى أعز الله أنصاره بمحمد وآله » . ومن المرجح أن يكون منشى الكرسى والمقصورة هو منشى المحراب المملوكي بالبائكة الثالثة بایوان القبلة أى أنها جميعها ترجع إلى أوائل القرن الثامن الهجرى .

(١) G. Wiet: Deux inscriptions coufiques de Qous p. 31 Repertoire, Tome VIII No. 3/89 p. 282. (١)
Pauty : Le Mimbar de Qous p. 41.

ويوجد أمام المحراب المملوكى عمود من الرخام تعلو تاجه (طبلية) خشبية عليها نصان من الكتابة الكوفية ، نقلت إلى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، تحت رقم ٣١٠٠

وقد قام بتحقيقهما وقراءتهما جاستون^(١) فيت ، فوجد أن الكتابة تحتوى على تاريخ سنة ٤٧٣ هـ كما عثر على اسم سعد الدولة سارتكين المتولى قيادة الجيوش الفاطمية فى ولاية قوص وثمر أسوان المحروس . لذلك فإنى أرجح أن منشئ هذا الجامع هو بدر الدين الجمالى أمير الجيوش فى عهد الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٧٣ هـ ، وذلك على يدى سعد الدولة سارتكين قائد جيوش المنطقة . وفى سنة ٥٥٠ هـ أمر الصالح طلائع وزير الخليفة الغاثير بعمل المنبر المبارك .

ومن الأجزاء الهامة بهذا المسجد كذلك القبة الموجودة فى الركن الشمالى الشرقى للمسجد ، وهى منفصلة عن المسجد ويتوصل إليها من دورة المياه . وتقوم القبة على أربعة عقود يعلوها فى الأركان صفا من المقرنصات ، مما حول المربع إلى مثنى أقيمت فوقه القبة . أما من الخارج فالقبة مضلعة ، ويتخلل هذه الأضلاع فتحات على شكل نجمة سداسية . وقد أنشأ هذه القبة كما جدد بعض أجزاء المسجد مقلد بن على بن نصر فى العصر الأيوبى سنة ٥٦٨ هـ ، الذى أثبت أعماله هذه فى لوح رخامى ثبته فى نهاية الجدار الشرقى ، نصه (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله نبيه الطيبين الطاهرين ، أمر بتجديد هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى مبارك بن كامل بن مقلد بن على بن نصر بن منقذ الناصرى الفخرى فى شهور سنة ثمان وستين وخمسمائة) .

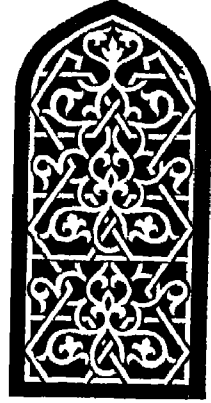
ويحتوى الجامع على لوح تذكارى آخر مثبت على باب الميضأة ، قد نقش فى وسطه شكل مشكاة ، ثم كتب تحته اسم المقرئ الشيخ الصالح جمال الدين محمد الناجى ، وتاريخ وفاته سنة ٧١٧ هـ .

ومن الاصلاحات التى أجريت لهذا المسجد تلك العمارة التى قام بها الأمير محمد كاشف سنة ١٢٣٣ هـ ، وقد أثبت الأمير عمارته للمسجد فى ثلاثة مواضع ، أحدها فى صحن

G. Wlet : p. 31.

الجامع والثاني على باب الميضأة أما الثالث فقد ثبت على المدخل الرئيسي للمسجد ، ويعتبر
مسجد قوص أكثر مساجد الجمهورية احتواء على اللوحات التذكارية التي تثبت كل اضافة
أو اصلاح أو ترميم .

جامع الصالح طلائع خارج باب زويلة



هو أبو الغارات الملك الصالح طلائع بن رزيك فارس المسلمين نصير الدين الارميني الأصل . قدم في أول أمره إلى زيارة مشهد الامام علي بالنجف بأرض العراق في جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية ، وكان سادن مشهد الامام علي في ذلك الوقت السيد ابن معصوم . أما عن السبب في مجيئ ابن رزيك إلى مصر فيقص علينا المقريزي^(١) قصة أشبه بالاسطورة منها بالحقيقة إذ يقول : « زار طلائع وأصحابه من الفقراء الامام ابن معصوم سادن مشهد الامام علي وباتوا هنالك فرأى ابن معصوم في منامه الامام علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو يقول له : قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من أكبر محبيننا قل له إذهب فقد وليناك مصر . فلما أصبح ، أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم إلى السيد ابن معصوم ، فجاء طلائع وسلم عليه فقص عليه ما رأى ، فسار حينئذ إلى مصر وترقى في سلم الخدم حتى ولى منينه ابن الخصيب ، وكان ذلك في عهد الخليفة الآمر ،

(١) المخطوط ج ٢ ص ٢٩٣

فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر بعث نساء القصر إلى طلائع يستغن به في الاخذ بثأر الظافر وجعلن في طي كتبهن بعض شعورهن . فجمع طلائع عندما وردت عليه الكتب والناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس ، فعندما قرب من البلد (القاهرة) فر عباس ودخل طلائع إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ فخلع عليه خلع الوزارة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين » .

ويسوق لنا الحافظ الذهبي^(١) قصة طلائع بن رزيك مع الوزير عباس فيقول : وملك الصالح طلائع بن رزيك ديار مصر من غير قتال وأتى إلى دار عباس المعروفة بدار الوزير المأمون ابن البطاحي التي هي اليوم المدرسة السيوفية^(٢) الحنفية ، فاستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر لما نزل سرا وسأله عن الموضوع الذي دفن فيه فعرفه به ، فقلع البلاطة التي كانت على الظافر ومن معه من المقتولين ، وحملوا وقطعت عليهم الشعور وناحوا عليهم بمصر ، ومشى الأمراء قدام الجنازة إلى تربة آباته . فتكفل الصالح بن رزيك بالصغير (يعنى الفائز) ودبر أحواله ، وساس الأمور وسار في الناس أحسن سيرة .

ويصف ابن تغرى^(٣) بردى حكم الصالح طلائع كوزير في عهد الخليفة الفائز والعاقد فيقول : ولما ولي الوزير وتلقب بالملك الصالح خلع عليه مثل الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي ، من الطيلسان المقور ، وأنشئ له السجل فتناهى فيه كتاب الانشاء ، فمما قيل فيه : واختصك أمير المؤمنين بطيلسان غدا لل سيف تؤما ، ليكون كل ما أسند إليك من أمور الدولة معلما ولم يسمع بذلك إلا ما أكرم به الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين أمير الجيوش أبا النجم بدرا وولده أبا القاسم شاهنشاه وأنت أيها السيد الاجل الملك الصالح . وأين سعيهما من سعيك ورعيهما الذمام من رعيك لأنك كشفت الغمة وانتصرت للأئمة وبيضت غياهب الظلمة وشفيت قلوب الأمة .

ولما استفحل أمر الصالح طلائع أخذ في جمع المال فإنه كان شرها حريصا على التحصيل

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ص ١٢٣

(٢) هذه المدرسة هي التي تعرف اليوم باسم جامع الشيخ مظهر الذي بأول شارع الصاغة من جهة السكة الجديدة .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١١

وكان مائلا إلى مذهب الامامية ، فمال على المستخدمين في الأموال ، وأخذ يعمل على اقضاء الأمراء المقدمين في الدولة عن الحكم مثل ناصر الدولة ياقوت ، وكان صاحب الباب ، وناب عن الجافظ في مرضه ومرضها مدة ثلاثة أشهر ، وطلب أن يوزره فأبى ياقوت . كذلك من الأمراء الذين أراد إبعادهم عن الحكم الاوحد بن تميم ، فإنه كان من أعيان الأمراء ، ولما سمع بقصة عباس من قتله الظافر وكان واليا على دمياط وتنيس ، تحرك لطلب دم الظافر وقصد القاهرة فسبقه طلائع بن رزيك بيوم واحد ، فخاب قصده ، فرده طلائع ابن رزيك إلى ولايته وأضاف إليه الدقهلية والمرتاحية . ومن الامراء ذوى النفوذ في القاهرة تاج الملوك قايماز والأمير ابن غالب ، فما كان من الصالح طلائع إلا أن حمل الأجناد عليهما يطلبونهما ، فخرجا في جماعتهما فتكاثرا عليهما الاجناد فقتلا ونهبت دورهما .

وكان طلائع جشعا في جمع المال حتى قيل أنه كان يبيع الولايات للأمراء ، وجعل لها أسعارا ، ومدتها ستة أشهر فتضرر الناس من تردد الولاة عليهم كل ستة أشهر ، كذلك ضايق القصر طمعا في صغر سن الخليفة فتعب الناس معه . ولما مات الخليفة الفائز وتولى العاضد لدين الله مكانه ، استمر الصالح على وزارته وتزوج العاضد ابنته مما ساعد على امتداد نفوذه في جميع شئون الدولة .

ويقول ابن أبي شامة^(١) أن الفنون والآداب قد ازدهرت في عصره فقد قَرَّب الشعراء والأدباء واتخذهم جلساء له وأجزل لهم العطاء . ويضيف ابن خلكان فيقول^(٢) ، أنه كان جيد الشعر ، إلا أن ابن أبي شامة يشك في أن يكون الشعر الجيد من نظمه إذ يقول : وما يصدق أحد أن ذلك شعره لجودته وإحكام معاينة ، فيقال أن المهذب بن الزبير كان ينظم له والجليس بن الحباب كان يساعده .

فلما ثقلت وطأة ابن رزيك على القصر ، وكان الخليفة الفائز في تدبير عمته ، شرعت في قتله وفرقت في ذلك مالا يقرب من خمسين ألف دينار كما يقول ابن خلكان وابن الاثير

(١) الروضتين في اخبار الدولتين ج ١ ص ١٢٥ (طبع وادى النيل سنة ١٢٨٨ هـ) .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٧

وابن تغرى بردى . فعلم ابن رزيك بذلك فواقع بها وقتلها بالاستاذين والصقالبه سرا ، والخليفة في واد آخر من الاضطراب . ثم نقل ابن رزيك كفالة الفائز إلى عمته الصغرى وطيب قلبها وراسلها ، فما حمدت ذلك منه بل رتبت أمر قتله ، وسعى لها في ذلك أصحاب المقتولة فرتبت قوما من السودانيين الأقوياء في باب السرادب في الدهليز المظلم الذى يدخل منه إلى القاعة ، وقوم آخر في خزانة هناك وفيهم واحد من الاجناد يقال له ابن الراعى . فانتظروه بعدما انفصل من السلام على الخليفة وكان ذلك يوم خمسة من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة . وكان صاحب الباب في ذلك اليوم أميرا يقال له ابن قوام الدولة ، وكان إماميا ، أنه أخلى الدهليز من الناس حتى لم يبق فيه أحد ، وأنه استوقفه أستاذ يقال له عنبر الريمى بحديث طويل . وتقدم طلائع بن رزيك ومعه ولده رزيك فأرادت الجماعة المخبأة أن تخرج فوجدوا الباب مغلقا ، وخافوا من خلعه أن يحدث شغباً فخرجت عليه الجماعة الأخرى فضربوا رزيك بن الصالح طلائع ضربة أوقعت عضده الأيمن وجرح أبو الصالح من ابن الراعى المذكور ، فمات طلائع سحرا ، ودفن بتربته التي أنشأها بجوار مسجده بالقرافة الكبرى .

وكان الفائز قد مات وتولى الخلافة العاضد وهو أيضا تحت حجر طلائع . ولما مات الصالح وشفى ولده رزيك طلبت عمه الفائز رزيك وأحضرت له الذى ضربه في عضده الأيمن وأحضرت أيضا سيف الدين حسين ابن أخى طلائع ، وحلفت لهما أنها لم تدر بما حدث لأبيه ، وأن فاعل ذلك أصحاب أختها المقتولة ، وخلعت على رزيك بالوزارة عوضا عن أبيه ، وفسحت له في أخذ من ارتاب فيه في قتل أبيه قوام الدولة فقتله وولده والأستاذ الذى شغله.

وأقام رزيك ابن طلائع في الوزارة سنة وكسرا ، فما رأى الناس أحسن من أيامه وسامح الناس بما عليهم من الأموال البواقى الثابتة في الدواوين ولم يسبق إلى ذلك . ودأم في الوزارة حتى قتله شاور .

ويضيف^(١) المقرئزى فى وصف مناقبه فىقول ، ولم ىترك مدة أيامه غزو الفرنج وفسىر الجىوش لقتالهم فى البر والبحر ، وكان ىخرج البحوث فى كل سنة مراراً . وكان ىحمل فى كل عام إلى أهل الحرمین مكة والمدينة من الأشراف سائر ما ىحتاجون إليه من الكسوة وغيرها حتى ىحمل إليهم ألواح الصبیان التى ىكتب فیها والأقلام والمداد وآلات النساء . وىحمل إلى العلویین الذین بالمشاهد (الكاظمیة - كربلاء - التحف - مشهد) جملاً كبیره .

وكان الصالح طلائع ورعاً تقياً ، حتى إنه تنبأ بموعد وفاته ، فقد ذكر المقرئزى : ولما كان فى اللیلة التى قتل صبیحتها قال : فى هذه الیلة ضرب فى مثلها أمیر المؤمنین على ابن أبى طالب رضی الله عنه . ثم أمر بقربة ممثلة فاغتسل وصى على رأى الإمامیة مائة وعشرین ركعة أحى بها لیلة وخرج لیركب فعثر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوشت فقعد فى دهلیز دار الوزارة وأمر بإحضار ابن الضیف وكان یتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجارى الثقیل ، فلما أخذ فى إصلاح العمامة قال رجل للصالح طلائع : نعیذ بالله مولانا ىكفیه هذا الذى جرى أمراً یتطیر منه فإن رأى مولانا أن ىؤخر الركوب فعل . فقال الصالح : الطیره من الشیطان لیس إلى تأخیر الركوب سبیل وركب فكان من ضربه ما كان وعاد محولاً إلى داره فمات یوم الاثنین ناسع عشر رمضان سنة ست وخمسین وخمسائة .

(١) المخطوط ج ٤ ص ٨٢ ، ٨٣ .

وصف الجامع

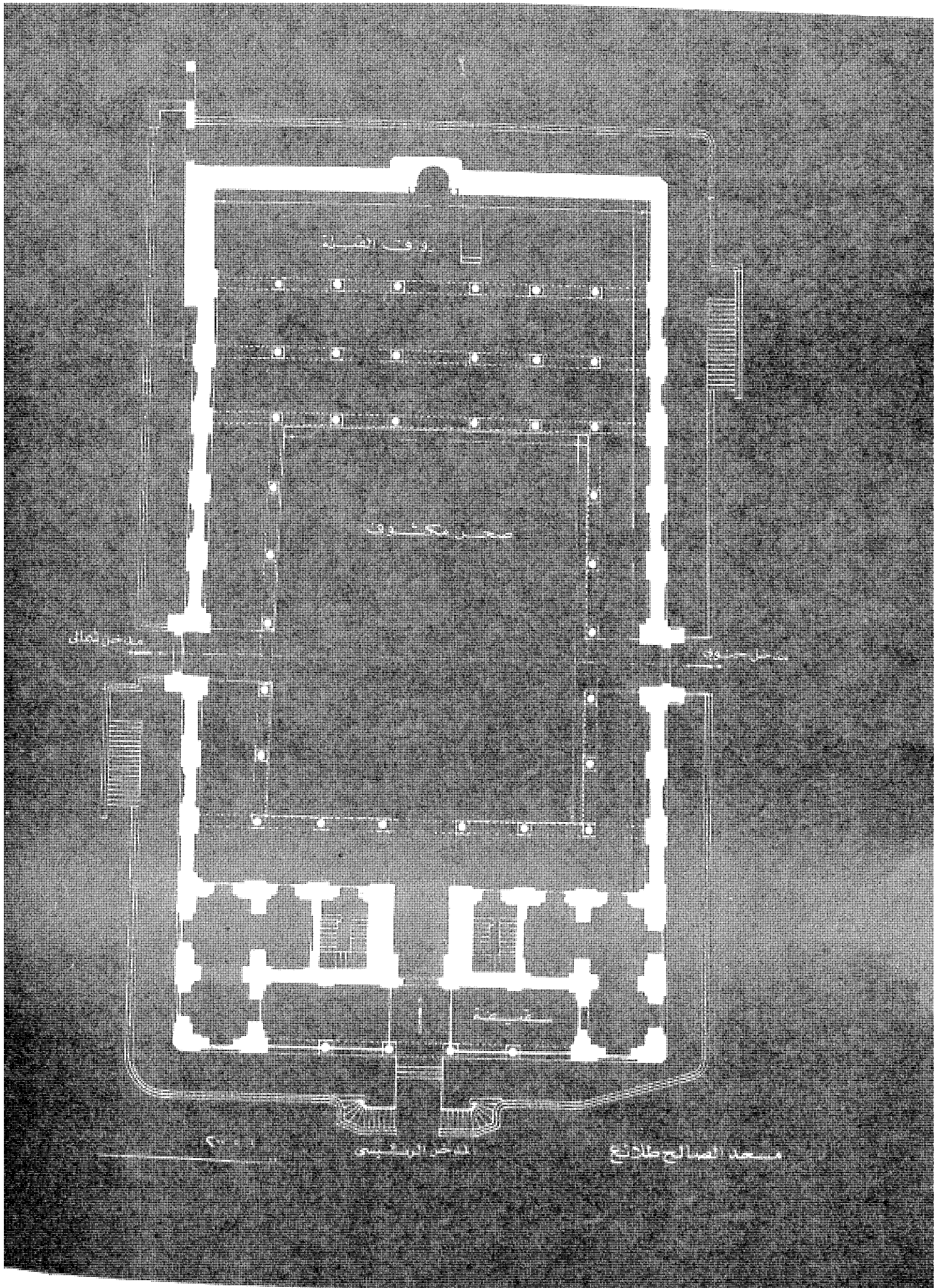
ويحدد المقرئى مكان الجامع فيقول^(١) : هذا الجامع من المواضع التى عمرت فى زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة . أما عن السبب فى بناء الجامع فيقول ابن عبد الظاهر ، كان الصالح طلائع بن رزبك لما خيف على مشهد الامام الحسين رضى الله عنه إذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على نقله قد بنى هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك ، وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به . وقد ندم طلائع أشد الندم على بنائه هذا الجامع الذى انفق عليه أموالا طائلة ولم يمكنه الخليفة من شرف دفن رأس الحسين به حتى قيل : أن الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم فى جملة وصيته : ما ندمت قط فى شئ عملته إلا فى ثلاثة ، حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم فى جملة وصيته : ما ندمت قط فى شئ عملته إلا فى ثلاثة ، الأول بنائى هذا الجامع على باب القاهرة فإنه صار عوناً لها .

ولما تم بناء الجامع بنى به صهريجاً عظيماً وجعل له ساقية على الخليج قريب باب الخرق تملأ الصريج المذكور أيام النيل وجعل المجارى إليه .

ويقول على مبارك^(٢) ، أن هذا الجامع بنى معطلا عن إقامة الجمعة إلى أيام المعز ايبك التركمانى أول ملوك دولة المماليك البحرية ، فأقيمت به الجمعة وذلك فى سنة بضع

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٩٢

(٢) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٣٨



وخمسين وسمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادراني . ويضيف ابن تغرى بردى فيقول : ولما حدثت الزلزلة العظيمة سنة ٧٠٢ هـ تهدم جامع الصالح طلائع فَعُمِّرَ على يد الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار الناصري .

ويصف على مبارك الجامع فيقول : وهذا الجامع الآن في أول قسبة رضوان تجاه باب زويلة ، له باب على قسبة رضوان وباب بأول شارع الدرب الأحمر . وللجامع صحن بوسطه حنفية وصهريج وميضأة ونخلات . وتقوم عقود أروقتة على مجموعة كبيرة من الأعمدة الرخامية وبه عمود من حجر السماق ، وفي صدر إيوان القبلة يوجد منحرب من أعظم المحاريب ويحاطه منبر عظيم ودكة للتبليغ . وعلى حائطه تاريخ سنة خمسين وسمائة ، ويضيف على مبارك فيقول ، ولعله تاريخ عمارة جرت فيه . أما تاريخ انشاء المسجد فهي سنة ٥٥٥ هـ .

يعتبر جامع الصالح طلائع من المساجد الكبيرة التي أنشئت في العصر الفاطمي ، إذ تبلغ مساحته (١٥٢٢) متراً مربعاً . والمسجد مستطيل الشكل يتوسطه صحن كبير مربع مساحته ٤٥٤ر٥٤ متراً مربعاً به صهريج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج عند ميدان الخرق . ويحيط بالصحن الأروقة من جميع الجهات ، رواق واحد من الجهات الثلاث الشمالية والجنوبية والغربية . أما إيوان القبلة فيحتوي على ثلاثة أروقة عقودها ذات زوايا منكسرة حلقت حافاتها من الداخل والخارج بكتابات قرآنية بالخط الكوفي المزهر الجميل تشبه تلك الموجودة بالجامع الأزهر والأقمر .

وقد فتحت في (كوشة) العقود دوائر جصية مزخرفة ، كما يعلو كل عقد نافذة صغيرة مملوءة بزخارف جصية مفرغة . كذلك زخرفت الأوتار الخشبية وكذا (الطبالي) التي تعلو تيجان الأعمدة بزخارف نباتية بأسلوب الحفر على الخشب الذي ساد في العصر الفاطمي . وما يجدر ملاحظته أن شبابيك المسجد الموجودة بجدار القبلة مملوءة بزخارف من الجص المفرغ عملت حديثاً على غرار الزخارف القديمة فيما عدا الشباك الذي يقع في النهاية الجنوبية لجدار القبلة ، فيشتمل على كتابات كوفية ونسخية ترجع إلى العمارة التي قام بها الأمير بكتمر الجوكندار .

وعلى يمين المحراب يوجد منبر حشي نفيس صنعت (ريشته) جانبيه من حشوات مجمعة على شكل أطباق نجمية بها زخارف نباتية محفورة غاية في الدقة والإبداع ومطعمة بالصدف والعاج والابنوس، كتب على بابه اسم منشئه وتاريخ الانشاء : أمر بعمارة هذا المنبر المبارك من ماله ابتغاء لوجه الله الكريم المقر العالى الأميرى الكبيرى السينى ، سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصورى السينى أمير جندار الناصرى وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة رحم الله من كان السبب . وقد جدده لجنة الآثار سنة ١٣١٦ هـ الموافق سنة ١٨٩٨ م .

كما نقش على جلسة الخطيب النص التالى : أن الذين سبقتم لنا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، أمر بانشاء هذا المنبر المبارك الجناب العالى الأميرى الكبيرى سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جندار وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

ويتضح لنا من هذين النصين أن الأمير بكتمر الجوكندار قد قام باجراء عدة إصلاحات لهذا الجامع قبل الإصلاح الذى قام به بعد الزلزال الذى حدث سنة ٧٠٢ هـ .

وقد جاء فى النجوم الزاهرة^(١) أن عبد الوهاب العيني جدد الجامع سنة ٨٤٤ هـ ، كما يقول السخاوى^(٢) أن الأمير يشبك من مهدى دودار الملك الأشرف قايتباى قام سنة ٨٨٢ هـ بالكشف عن سلم هذا الجامع الذى كان مردوماً ، كما ظهرت العمدة وأزال ما كان يواجهته من ابنية .

وتقع الواجهة الرئيسية للجامع فى الجهة الغربية منه، حيث يوجد الباب العمومى الذى أقيم أمامه رواق محمول على أربع عمد رخامية تحمل خمس عقود وينتهى من طرفيه بحجرتين . وقد حلى جدار الرواق وكذا جانباه بزخارف على هيئة مرواح مخصوصة . ومصراعاً هذا الباب من الخشب غُلف أحد وجهيه بصفائح نحاسية ، نقل إلى متحف الفن الإسلامى الآن ، ويعتبر أقدم باب نحاسى فى مصر الإسلامية ما يزال باقياً حتى الآن .

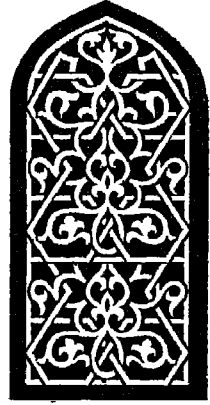
(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٩٣

(٢) الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٩

وفي أسفل جميع الجهات عدا الواجهة الشرقية توجد حوانيت خصص دخلها للانفاق على المسجد ، وقد كتب على الواجهة الغربية وأول الواجهة البحرية النص التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فى مولانا وسيدنا الامام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الاجل الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الاسلام غياث الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع الفائزى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربه بها فى شهور سنة خمس وخمسين وخمسةائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب أفضل الوصيين وعلى ولديه الطاهرين أبى محمد الحسن وأبى عبد الله الحسين وعلى الأئمة من ذريتهم أجمعين وسلم وشرف وكرم وعظم إلى يوم الدين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين - رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد .

صلاة العيد في العصر الفاطمي



لقد جرت العادة في مصر في العصور الوسطى ، منذ عهد الفواطم ، أن يصلي الخليفة أيام الجمع الثلاث ، الثانية والثالثة من رمضان في مساجد الحاكم والأزهر ، أما الجمعة الرابعة فكان يؤديها في جامع عمرو بن العاص بالقسطاط . وكان يصاحب هذه الصلوات عادات وتقاليد خاصة فقد كان يصرف من خزانة التوابل الند (البخور) وماء الورد والعود لكي يبخر ويعطر به الموكب والمسجد ، وكان موكب الخليفة يحاط بالكثير من مظاهر العظمة ، أما المسجد فكان يفرش بالفرش المختص بالخليفة يحمله كبار الفراشين وهو من الحرير الديبقي (مدينة قرب دمياط) ويعلق على المحراب ستران مرقوم فيهما بالحرير الأحمر بعض قصار السور من القرآن الكريم . ثم يصعد قاضي القضاة وفي يده مبخرة من الفضة المكففة بالذهب فيها ندى لايشم مثله إلا هناك فيبخر ذروة المنبر التي عليها القبة المعدة لجلوس الخليفة للخطابة . ويركب الخليفة بملابسه البيضاء غير المذهبة توقيرا لصلوة الجمعة وحول ركابه عدا الحراس قراء القصر من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة مناوية من حين ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخطابة ، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها وإن احتاج إلى تجديد وضوئه فعل . وعقب الصلاة يذاع بلاغ رسمي يعرف باسم (سجل البشارة) .

وكما عنيت مصر باستقبال شهر رمضان المبارك وأحاطته بأنواع من التكريم والتعظيم

وأحيتها بصنوف من العبادة وأغدقت فيه من الخير على الفقراء والمعوزين ، كذلك أهتمت بختامه اهتمامها باستهلاله . وقد بالغ خلفاء الدولة الفاطمية في الاحتفاء بنهاية شهر رمضان خاصة فإن عيد الفطر عندهم هو الموسم الكبير المعروف بعيد الحلل^(١) ، حيث توزع فيه كسوة^(٢) العيد على الخاصة والعامة التي بلغت نفقاتها في القرن السادس الهجري ما يقرب من عشرين ألف دينار . وكانت الحلل أو الخلع ثياب قيمة تصنع من نسيج (دار الطراز أي المصانع الحكومية ، الموجودة في تنيس ودمياط والاسكندرية ، أعدت في خزانة الكسوات الخاصة بالرجال والنساء ، لتوزيعها ليلة العيد . وإلى جانب الحلل كانت دار الفطرة^(٣) تنجز كميات كبيرة من الكعك والحلوى وكعب الغزال يبدأ الأعداد لها من شهر رجب حتى نصف رمضان . وكانت الميزانية المقررة لدار الفطرة تبلغ عادة ستة عشر ألف دينار لشراء الدقيق وقناطر السكر واللوز والجوز والفسق والسيرج والسهم والعسل وماء الورد والمسك والكافور ، هذا بالإضافة إلى المناديل والمفارش الحريرية لأعداد السباط والقوط التي يغطي بها الكعك عند توزيعه على الخاصة والعامة .

أما الاحتفال بعيد الفطر فكان يبدأ في ختام شهر رمضان ، فقد كان الخلفاء يختتمون الليلة الأخيرة من رمضان باستدعاء المقرئين للاحتفال بليلة العيد فيبدأون في قراءة آي الذكر الحكيم من الحمد إلى الخاتمة تلاوة وترتيلاً بأحسن الأصوات ، ثم يجيء بعد المقرئين الخطباء ، ثم يكبر المؤذنون ويهللوا ثم ينشدون أدعية صوفية إلى أن ينشر عليهم الخليفة من الروش (الشرفة) الدنانير والدرهم وتوزع عليهم أطباق القطائف مع الحلوى وخلع العيد على الخطيب وغيره كما توزع الدرهم على المقرئين والمؤذنين . فإذا ما انتهى مجلس المقرئين والخطباء انتقل الخليفة إلى قاعة الذهب فيجلس في الإيوان وعلى يمينه الوزير ثم يجلس بعده الأمراء بعد أداء التحية ، كل في المكان المخصص له ، ويتبعهم الرسل الوافدون من جميع الأقاليم وهم وقوف في آخر الإيوان . ثم يتقدم متولى كل اسطبل من الرواض وغيرهم فيقبل الأرض ، ثم يستعرض الخليفة ومن معه الدواب بفرسانها وبملابسهم المهداة لهم

(١) المقریزی ج ٢ ص ٢٨١ .

(٢) المقریزی ج ٢ ص ٣٨٨ .

(٣) تقوم بتوزيع الكسوة خزانة الكسوات (انظر المقریزی ج ٢ ص ٢٥٥) .

إلى أن يتم عرض جميع ما أحضر رسل الأقاليم وهو ما يزيد على ألف فرس . وبعد العرض يعاود المقرئون القراءة مختارين آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

فإذا أصبح يوم العيد خرج الخليفة وحاشيته وجنده وعساكره لتأدية صلاة العيد في مصلى بنيت خصيصا لهذا الغرض ، ويصف المقريزي هذه المصلى فيقول : وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر (أحد أبواب القاهرة) وهذا المصلى بناه القائد جوهر لأجل صلاة العيد سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقي جزء منها إلى الآن (القرن الخامس عشر) . وهي مصلى كبيرة مكشوفة قائمة على ربوة وجميعها مبني بالحجر ومحاطة بسور وعلى بابها قلعة (أي برج) وفي صدرها محراب مغطى بقبة كبيرة . وإلى جانب المحراب يوجد منبر يبلغ ارتفاعه ثلاثين درجة وعرضه ثلاثة أذرع وفي أعلاه جلسة الخطيب .

وكان يسبق صلاة العيد استعداد كبير يقوم به كبار الدولة لتهيئة المصلى وإظهار بالمظهر اللائق بالعيد وبالخليفة ، فيقول المقريزي : فإذا أكمل رمضان وهو عندهم ثلاثون^(١) يوما ، فإذا كان اليوم من شوال صار صاحب بيت المال (وزير الخزانة) إلى المصلى خارج باب النصر وفرش السجاد بمحراب المصلى ويعلق سترين يمنه ويسره مرقوم في الأيمن ، الفاتحة وسورة سبح اسم ربك الأعلى ، وفي الأيسر منقوش الفاتحة وسورة هل أتاك حديث الغاشية ، ويركز في جانبي المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنايب الفضة . ويوضع على ذروة المنبر طراحة من حرير ديبقي ، كما يفترش درج المنبر بحرير مثبت فيه .

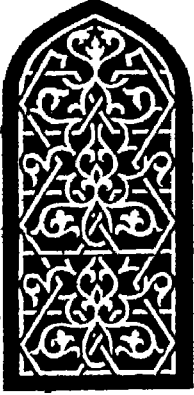
وفي هذا اليوم يسير الوزير من منزله ومعه كبار رجال الدولة في ملابسهم الجديدة إلى باب القصر ، ويركب الخليفة هيئة المواكب العظيمة مثل موكب رؤيا رمضان وأول العام ، وتكون ملابسهم في عيد الفطر بيضاء موشحة بالفضة والذهب ومطلته كذلك . ويخرج

(١) كان التقويم الهجري في العصر الفاطمي يعتبر دائما شهر رمضان ثلاثين يوماً

من باب العيد على عادته في ركوب المواكب ، إلا أن عساكره في هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر وينتظم الجند له في صفين من باب القصر (الذى كان يقع مكان الصاغة الحالية) إلى المصلى (خارج باب النصر) فيركب الخليفة إلى المصلى فيدخل من شرفيها إلى مكان يستريح فيه فترة ، ثم يخرج محضوفا بحاشيته كما في صلاة الجمع قاصدا المحراب والوزير والقاضى وراه . فيصلى صلاة العيد ، فيقرأ في الركعة الأولى ما هو مكتوب في الستر الأيمن ويقرأ في الثانية ما هو مكتوب في الستر الذى على يساره ، فإذا انتهت الصلاة وسلم صعد المنبر لخطبة العيد ، فإذا ما انتهى إلى ذروة المنبر جلس على الطراحة الحريرية بحيث يراه الناس ، ويقف أسفل المنبر الوزير والقاضى والحاشية . ثم يشير الخليفة إلى الوزير بالصعود فيصعد حتى ينتهى إلى الخليفة ، وبعد تقبيل يده يقف إلى يمينه ويشير إلى قاضى القضاة فيصعد إلى سابع درجة مقدا إلى الخليفة نص الخطبة التى أعدها ديوان الانشاء وسبق عرضها على الخليفة وبعد مقدمات وإشارات يستر الخليفة باللوايين المركزين في جانبى المصلى وينادى على الناس بالانصات فيخطب الخليفة من النص الذى قدم له . فإذا فرغ من الخطبة أدخل المنبر للخليفة فيهبط ويدخل المكان الذى خرج منه ، فيلبث قليلا ثم يركب بالهيئة التى قدم بها إلى المصلى ، فإذا قرب من باب القصر تقدمه الوزير ثم يدخل من باب العيد ، فيجلس في الديوان الكبير وقد مد فيه سباط فيه أنواع الكعك فيأكل من يأكل وينقل من ينقل بلا حرج ولا مانع . ثم يقوم الخليفة من الديوان فيركب إلى قاعة الذهب وبها سرير الملك ويوسطها مائدة ويستدعى الوزير فيجلس معه ، ويجلس الأمراء على السباط ولايزال كذلك حتى ينفذ ما على السباط قريب صلاة الظهر ، ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره هنا تصدر الأوامر بإذاعة سجل عيد الفطر . ويبدأ السجل عادة بالدعاء للخليفة وآله ثم يبين كيف قام بصلاة العيد على عادة آبائه وأجداده الطاهرين ، ثم يذكر الثواب على إخراج الفطرة ويبشر له ، وينتهى بالديباجة الآتية : أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن إليه وتعلن بتلاوة على الكافة ليشتركوا في معرفته ويشكروا الله عليه ، فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله .

وتأدية صلاة العيد في مصلى خاص تقليد جميل ما تزال بعض أقاليم مصر تحافظ عليه

ففي مدينة أسوان توجد مصلى خاصة بصلاة العيدين . وتقع هذه المصلى على ربوة مرتفعة في جنوب شرق المدينة وتعرف بمصلى (الصالحون) وما تزال حتى الآن تؤدي فيها صلوات العيدين . ويكاد ينطبق وصف هذه المصلى على تلك التي بناها جوهر الصقلي في القرن الرابع الهجري خارج باب النصر والتي استمرت على أقل تقدير إلى القرن التاسع الهجري كما يقول المقرئزي . ومصلى أسوان عبارة عن ساحة مكشوفة يحيط بها سور من الطوب وفي صدر الساحة منبر مبنى من الطوب والحجر يصعد إليه بمجموعة من الدرجات الحجرية . أما جلسة الخطيب فقد غطيت بقبة تشبه في أسلوبها وفي فتحاتها أسلوب القباب الفاطمية الموجودة في مقابر أسوان وفي مساجد الصعيد مثل مسجد قوص واسنا وغيرهما . وعلى جانبي المنبر يوجد محرابان ، ومن المرجح أن يكون للمصلى ثمانية أبواب حيث أن المصلى ما تزال تحتفظ ببابين في حائط القبلة . وفي اعتقادي أن هذه المصلى ترجع إلى العصر الفاطمي واستمرت حتى القرن العشرين ، ولذلك فأنى أهيب بأهل أسوان وبمصلحة الآثار أن تعيد بناء هذه المصلى التي تحفظ لنا تقليدا جميلا وتراثا عزيزا علينا .



رباط الآثار بأثر النبي بالقاهرة

أجمع كل من كتب من المؤرخين عن المخلفات النبوية الموجودة بالقاهرة على أنها كانت عند بنى إبراهيم بينبع ، ويقال انهم تلقوها بالميراث عن آباءهم وأجدادهم الأولين ، في أجيال متعاقبة تمتد إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . وفي القرن السابع الهجرى اشترى هذه المخلفات من بنى ابراهيم وزير مصرى ، اسمه الصاحب تاج الدين من بنى حنّا ، ثم نقلها إلى مصر وبنى لها رباطاً^(١) على النيل ، عرف فيما بعد برباط الآثار ، وسماه ابن دقماق^(٢) بالرباط الصاحبى التاجى ، نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين ، ويعرف الآن باسم (أثر النبي) . وقد بلغ من حرص المصطفيين ، على هذا التراث الأثرى العظيم وتقديرهم له ، أن جعلوا من بين وظائف الدولة الهامة وظيفة شيخ الآثار النبوية ، فقد قال

(١) الرباط : نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام بحمد السيف . وكانت الأربطة منتشرة في صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمين الامبراطورية الإسلامية على حدودها . وقد كانت في تصميمها تشبه التحصينات الحربية فعملها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفي أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت الأربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية .

(٢) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص ١٠٢ ، المقرئى ج ٤ ص ٢٩٢ .

ابن اياس^(١) في حوادث المحرم من سنة ٨٨٩ هـ « وفيه توفي الشيخ ولي الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضي ثغر دمياط وكان دينا خيرا حسن السيرة لا بأس به » .

وجاء في الضوء اللامع^(٢) أنه في سنة ٨٧٠ هـ ، استقر العز الكناني بالشيخ ولي الدين أبو زرعة أحمد بن محمد ، شيخاً على الآثار ، ثم نقل قاضيا لدمياط وتوفي بها .

أما عن الرباط الذي بنى خصيصا لكي يضم المخلفات ، فيقول المقرئزي^(٣) في وصفه هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الجيش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق . وجاء في المقرئزي أيضا نقلا عن أبي المتوج قال : هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين علي بن حنا بجوار بستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ربيع بستان المعشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه ، ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيئا يسيراً وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين في تكملته فعمر فيه شيئا جيدا . ثم يذكر المقرئزي^(٤) السبب في تسميته باسم رباط الآثار فيقول : « وإنما قيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إذ ذلك من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع وحملها إلى هذا الرباط وهي به إلى اليوم (أي عصر المقرئزي في القرن ١٥ م) يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائما فلما انحسر الماء من تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانائة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية . ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعندة عدة من الطلبة ولهم جار في كل شهر من وقفه

(١) تاريخ مصر ج ١ ص ٩٩

(٢) السخاوى ج ١ ص ٧٣٨

(٣) الخطط ج ٤ ص ٢٩٥

(٤) الآثار النبوية ص ٣٢

عليهم وهو باق أيضا . وفي أيام الملك الظاهر برفوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط ، وهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله .

ويمثل قول المقریزی في وصف رباط الآثار . قال كثير من المؤرخين ، وخاصة أولئك الذين جاءوا بعده ، مع اختلاف بسيط بالنسبة لعدد المخلفات النبوية الباقية وكذا بالنسبة للإضافات والتجديدات والترميمات التي أجريت في الرباط في عهدهم ، والأحداث التي مرت به ، فقد نقل ابن دقماق عبارة ابن المتوج التي نقلها المقریزی إلا أنه اختلف مع المقریزی في ثمن المخلفات فقال ان الصحاح تاج الدين بن حنا اشتراها بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها في خزانة في هذا الرباط . واختلف معه في عدد المخلفات ، فبينما يذكر المقریزی أنها « قطعة خشب وحديد » فقط . يقول ابن دقماق انها قطعة من العنزة (الحربة القصيرة) وقطعة من قصعة ومرود وملقط . ومخصف . أما ابن كثير فيقول : وبلغني أن بالديار المصرية مزارا فيه أشياء من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين فمن ذلك مكحلة وميل ومشط وغير ذلك والله أعلم . وقد نقل أحمد تيمور عن البرهان الحلبي مانصه : وفي آخر مصر مكان على النيل مبنى محكم البنيان وله طاقات مطلة على النيل ومكان ينزل إليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر . وداخل الخزانة علبة صغيرة محجوز فيها الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر ومخصف صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها . وقد زرناه غير مرة ، وهو مكان مليح في غاية النزاهة وما بعده إلا بساتين وقد زرناه مرة فرآني الإمام جلال الدين بن الخطيب داريا الدمشقي بسوق كتب القاهرة ، فسألني : أين كنتم ؟ فقلت : زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء فقال : هل نظم أحد في ذلك شيئا ؟ فقلت : لا ، فقال : أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين ، فأنشدني ذلك وهما :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره
فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل إن لم تربيه فهذه آثاره

كذلك ورد ذكر رباط الآثار والمخلفات النبوية في كتب الرحالة الذين زاروا مصر

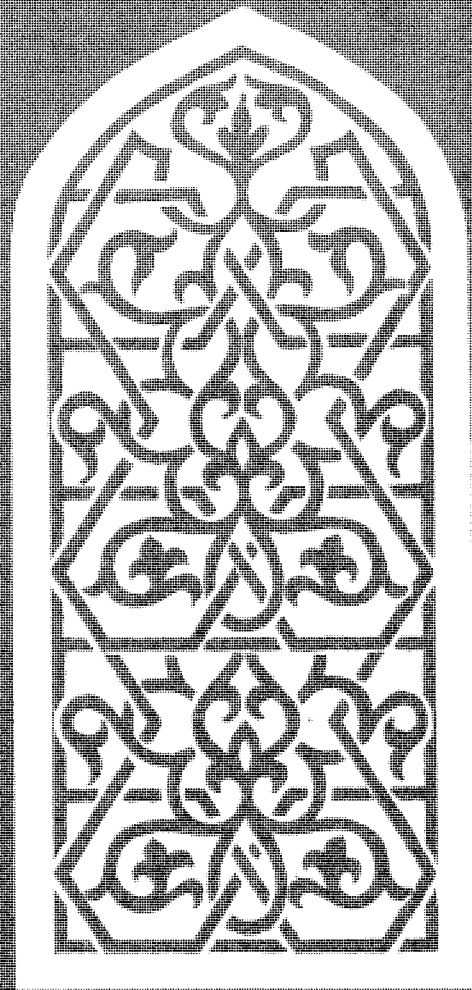
فهذا ابن بطوطة^(١) الذي جاء إلى مصر في القرن الثامن الهجري يصف الرباط فيقول :
فبت ليلة خروجي إلى الصعيد برسم الحجاز الشريف ، بالرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين
ابن حنا بدير الطين وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة وأودعها فيه
وهي قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذي كان يكتحل به والدرفش
وهو الأشني الذي كان يخصف به نعله ، ومصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي
بخط يده رضى الله عنه . ويقال إن الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية
بمائة ألف درهم وبني الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجارية لخدم تلك الآثار
الشريفة . »

ويحدثنا السيوطي^(٢) في القرن الحادي عشر الهجري عن الرباط فيقول : ولم يزل الرباط
عامرا مأهولا بالمصلين والزوار ، حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال فنقلت منه الآثار
الشريفة خوفا عليها من السراق ، وتغيرت معاملة بتجديد بنائه . والذي وقفنا عليه من ذلك
تجديده زمن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ هـ ، كما ورد في تراجم
الصواعق في واقعه الصناجق ، ففيه أنه لما عزل وانزلوه من القلعة صلى الجمعة يوم
١٢ شوال سنة ١٠٧٣ هـ في مسجد أثر النبي الذي بناه بمصر القديمة وكان قد وسعه وجدده
وبني تحته رصيفا لدفع ماء النيل عن بنائه ورتب له مائة عثماني ، وأرصد له طينا ، وعين
به قراء ووظائف وحراسا قاطنين به . »

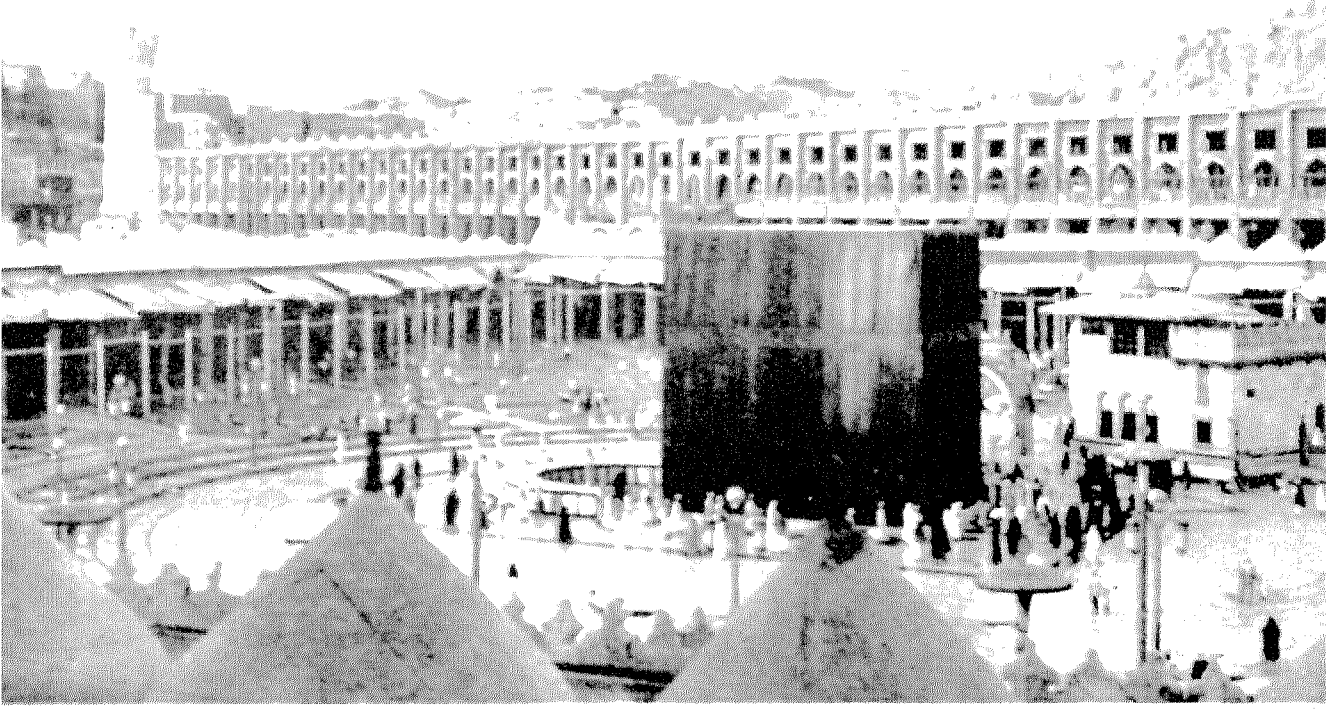
ثم يحدثنا الجبرتي في القرن الثالث عشر الهجري عما آلت إليه حال الرباط فيقول :
« وفي رجب من سنة ١٢٢٤ هـ أمر الخواجة محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد
الذي يعرف بالآثار النبوية ، فعمرها على وضعها القديم ، وقد كان آل إلى خراب . »

(١) رحلة ابن بطوطة - ١ ص ٥٥

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٤٨



اللوحات

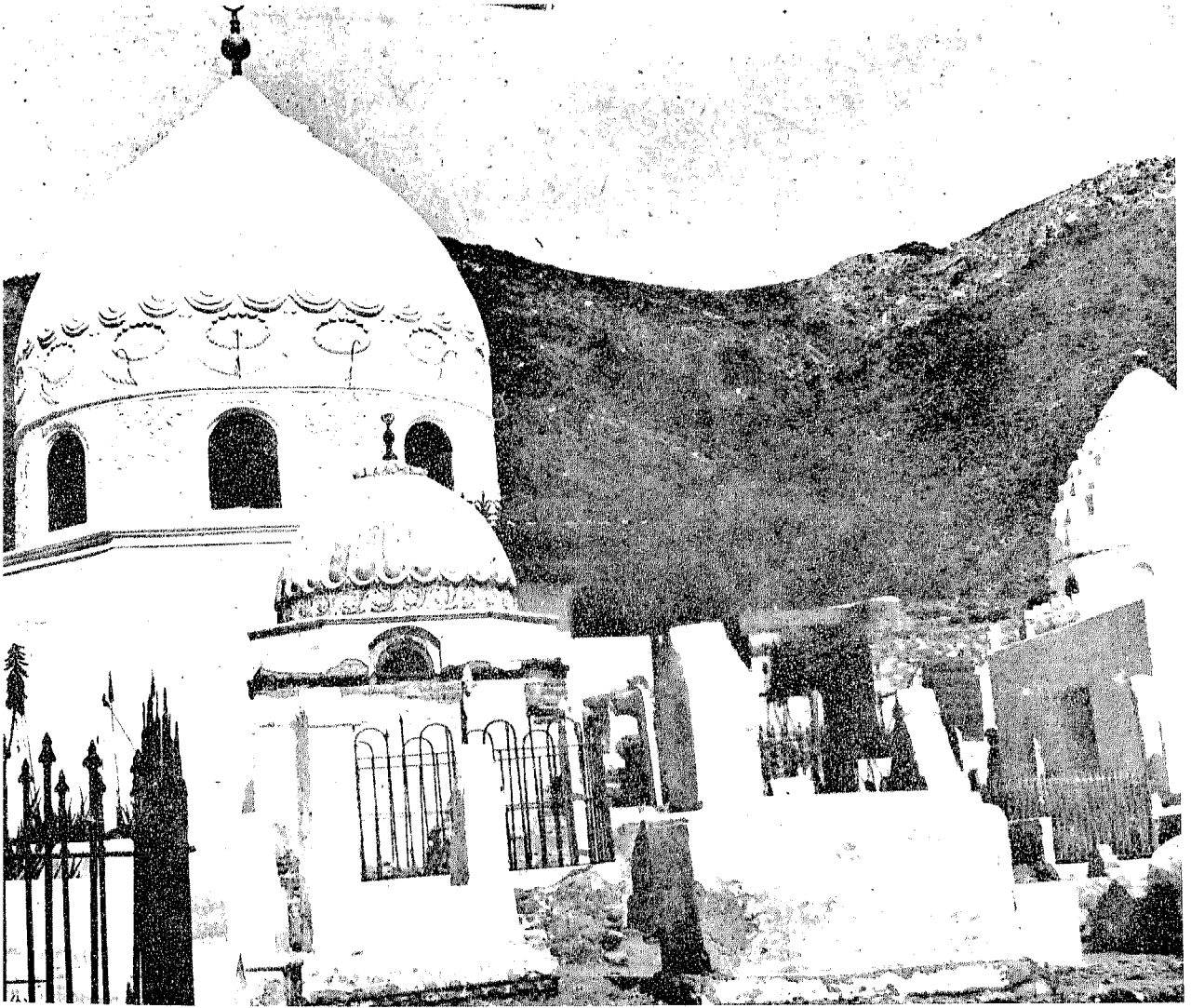


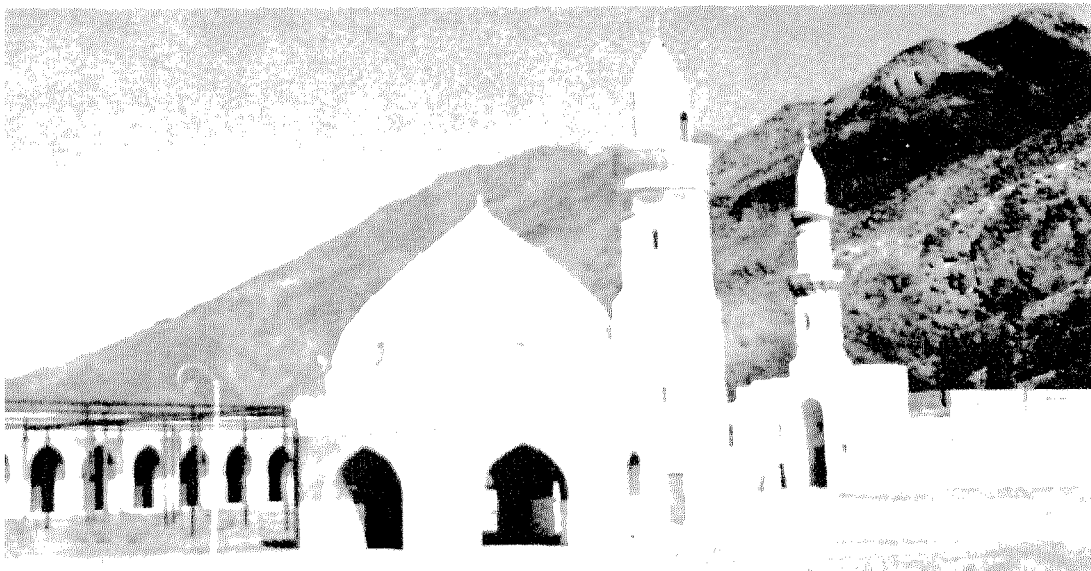
لوحة (١) الحرم المكي يتوسطه الكعبة الشريفة .

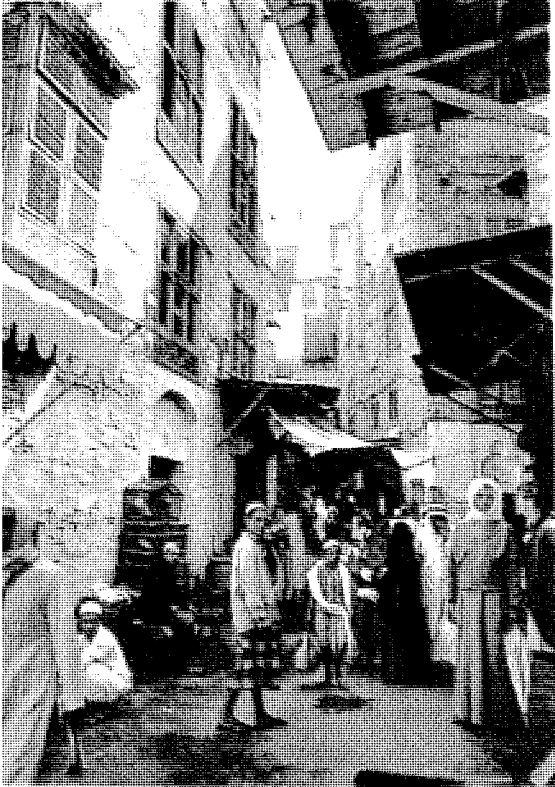
لوحة (٢) قبة السيدة خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعلاة بمكة .

لوحة (٣) مسجد الكهف بالقرب من مكة

لوحة (٤) القبة التي أقيمت في المكان الذي ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه خيمته عند هجرته إلى المدينة المنورة



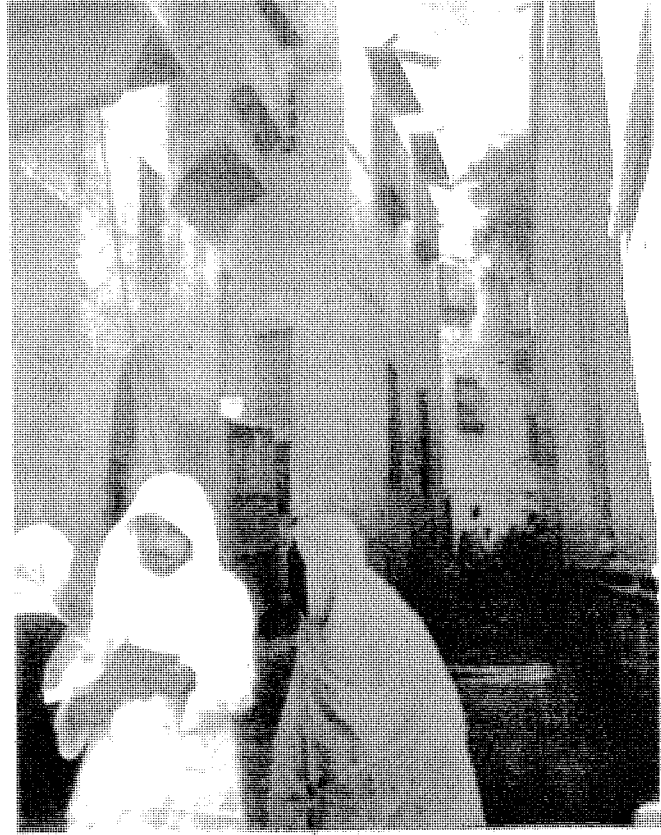




لوحة (٥) في هذا المكان من مكة كان يوجد المنزل الذي
ولد به الرسول صلى الله عليه وسلم

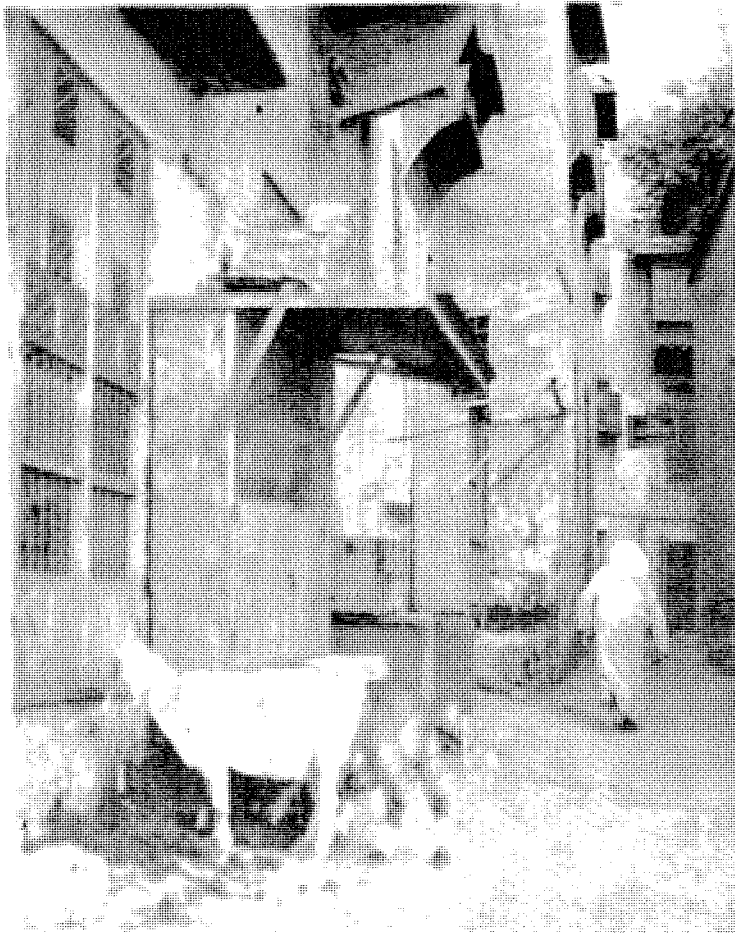
لوحة (٦) في نهاية هذا الشارع كان يوجد منزل الرسول
صلى الله عليه وسلم وزوجه خديجة .

لوحة (٧) أحد شوارع مكة القديمة



٧

٨



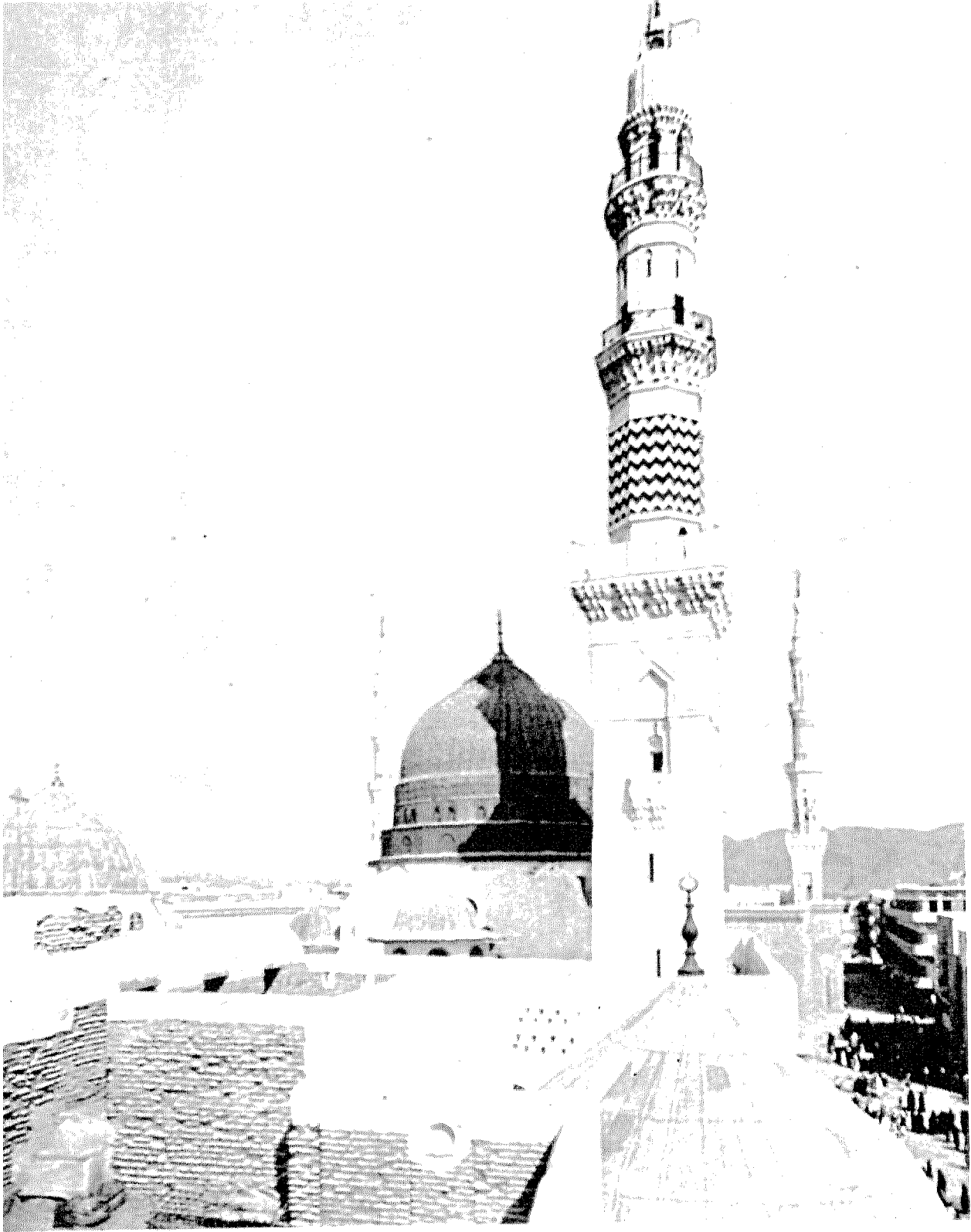
لوحة (٨) في هذا الشارع كان يوجد حانوت سيدنا أبو بكر الصديق



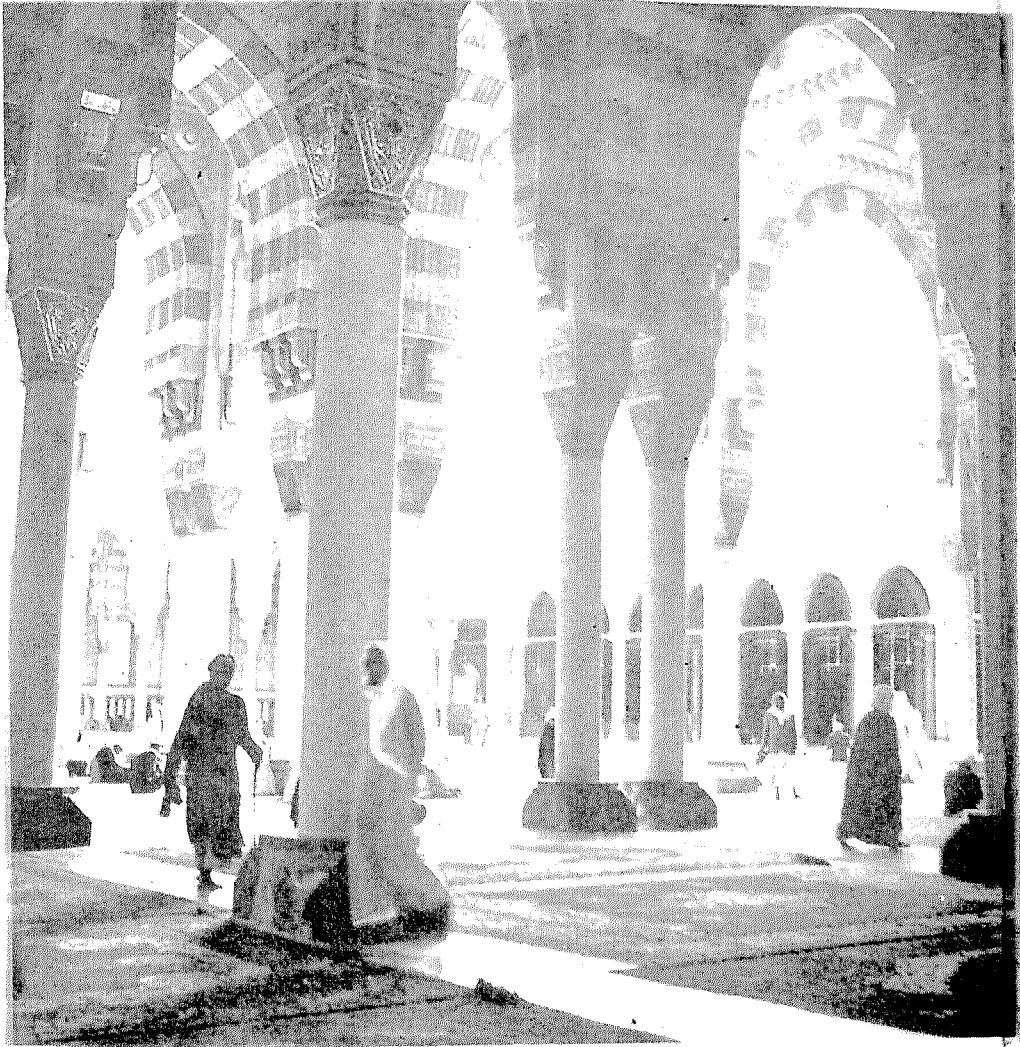
لوحة (٩) ضواحي المدينة المنورة . وفي الوسط قبة ثنية الوداع



لوحة (١٠) المدينة المنورة وفي الجانب الأيمن الحرم النبوي .



لوحة (١١) القبة الخضراء بمسجد الرسول



١٢

لوحة (١٢) الإيوان الغربي للحرم النبوي

٤٣٦

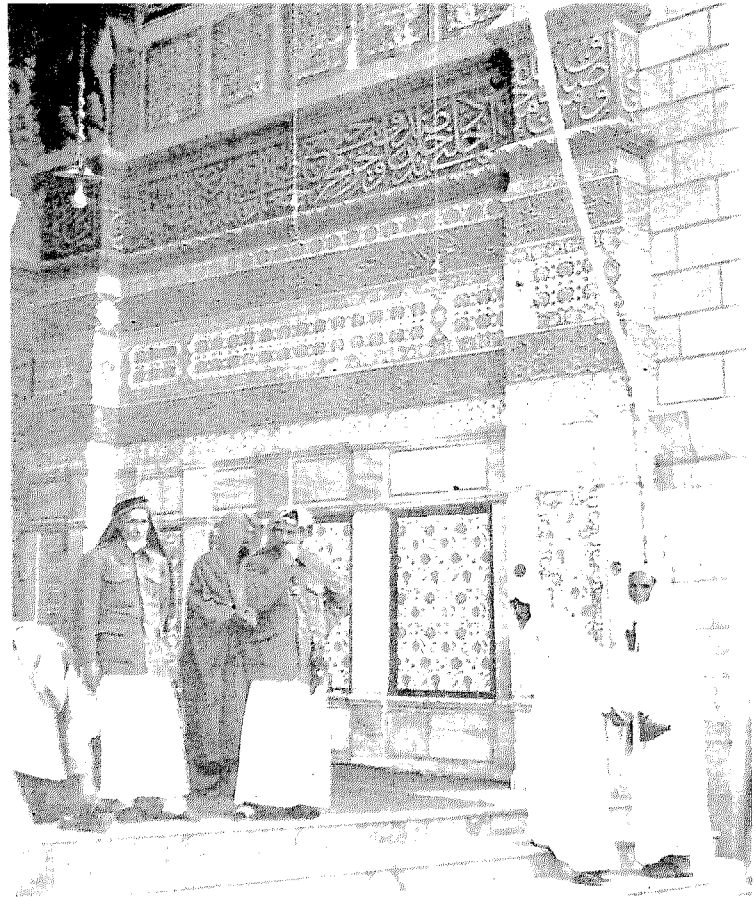


١٣

لوحة (١٣) إيوان القبلة للحرم النبوي

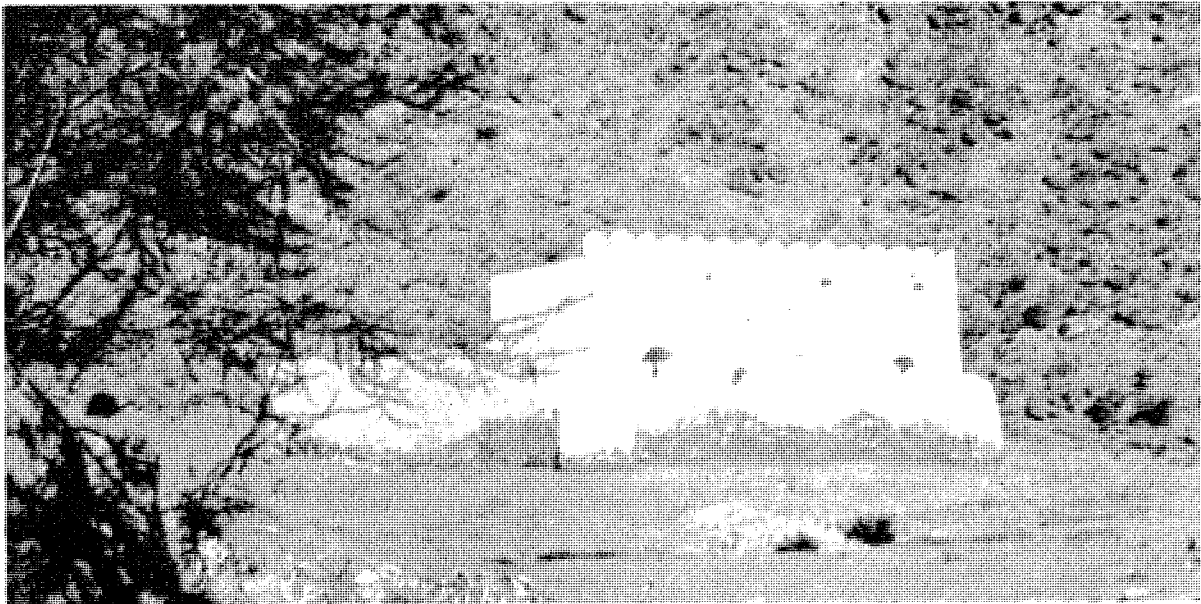
٤٢٧

لوحة (١٤) بلاطات من القاشاني التركي تفشي
جدران المسجد النبوي



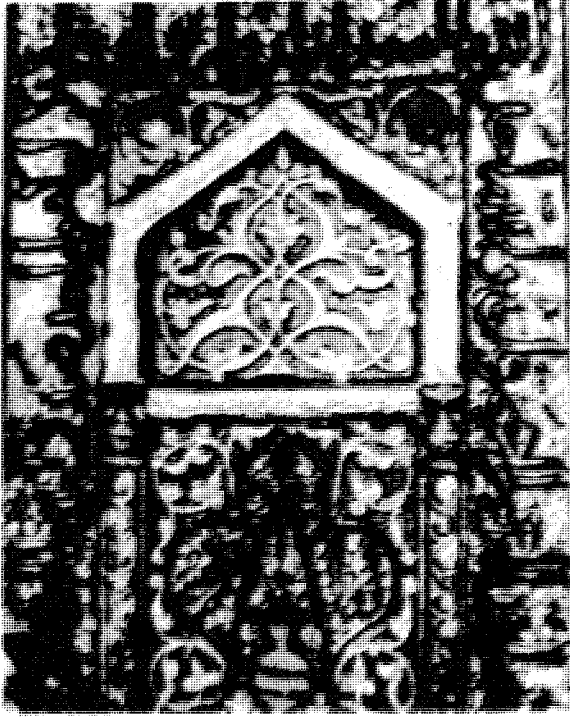
١٤

لوحة (١٥) سور مسجد قباء بالقرب من المدينة المنورة



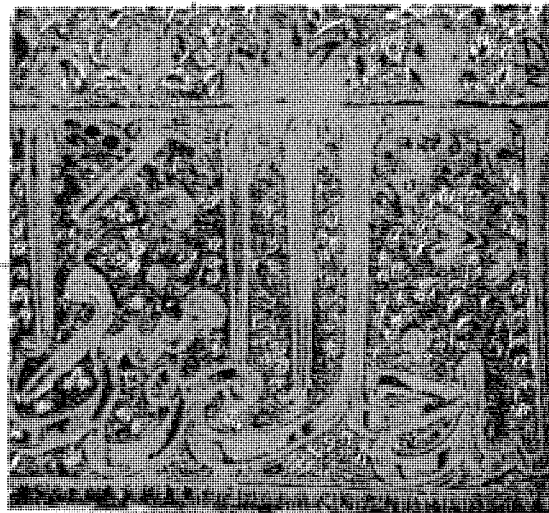
٤٢٨

لوحة (١٦) محراب من القاشاني الصفوي بالمسجد النبوي



١٦

١٧



لوحة (١٧) بلاطات من الخزف الصفوي بالمسجد النبوي

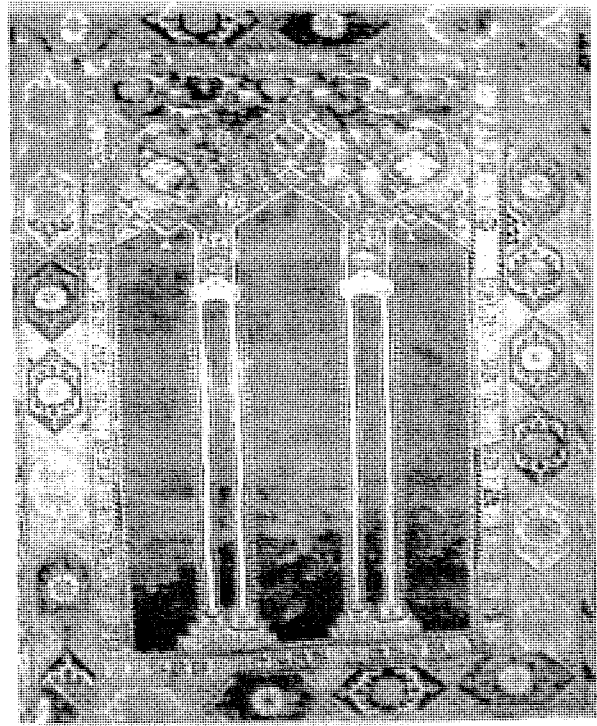
١٧

لوحة (١٨) مشكاة من صناعة مصر في القرن ١٣ مهاداد للمسجد



١٨

١٩



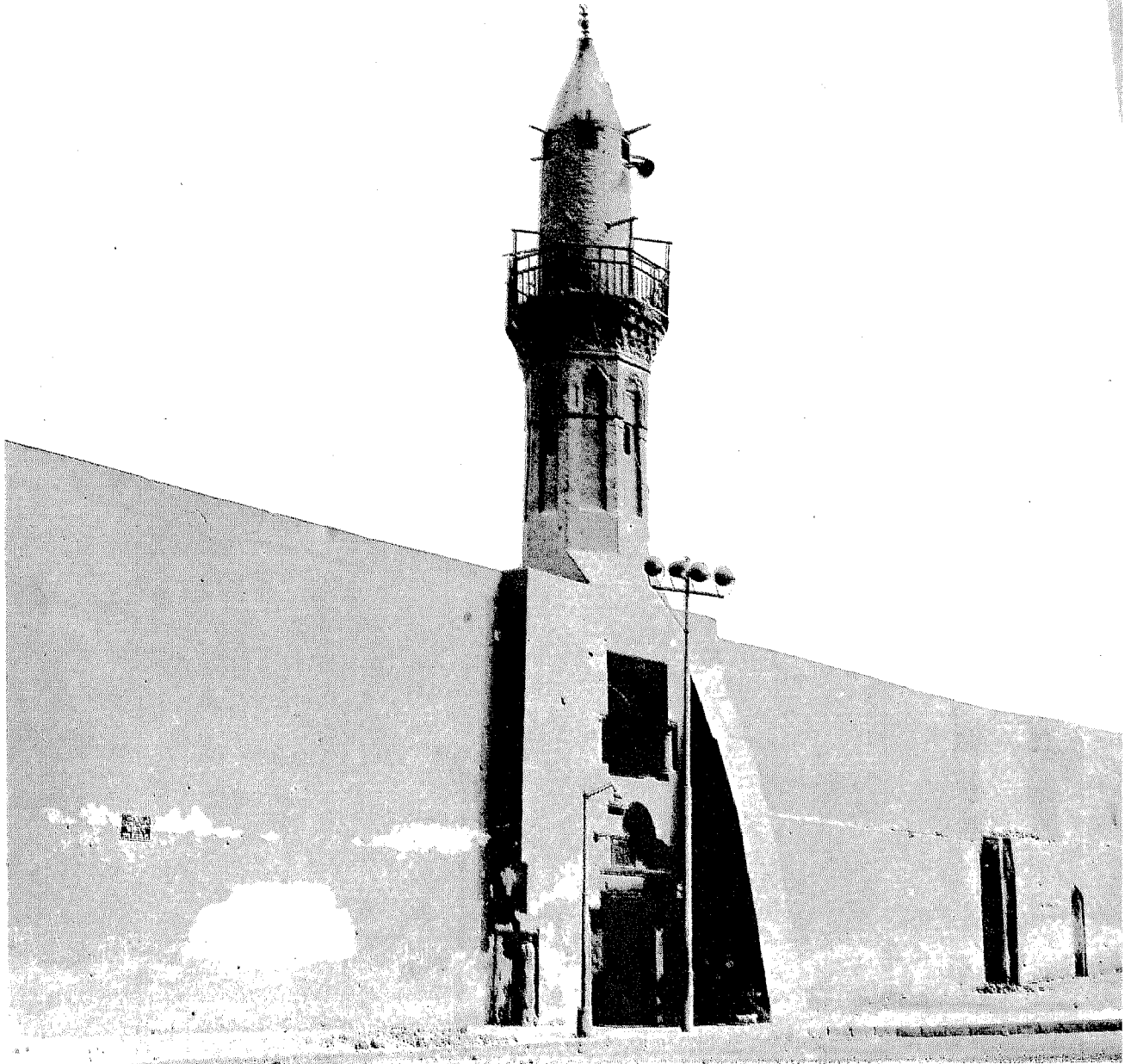
لوحة (١٩) سجادة صلاة تركية من صناعة كولا في القرن

لوحة (٢٠) بوابة قصر الشمع (حصن بابايون)

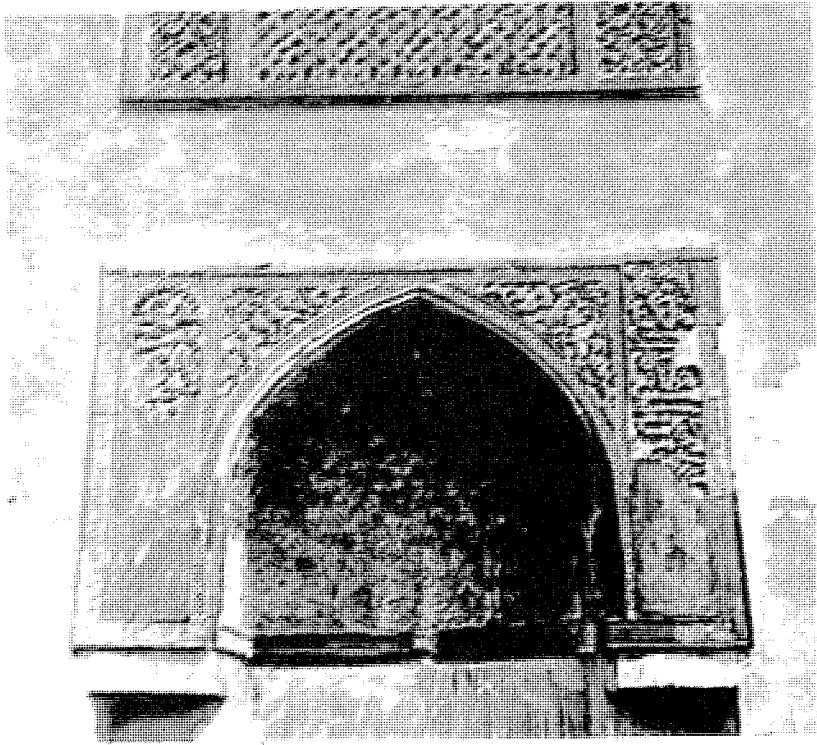


لوحة (٢١) الواجهة الغربية لجامع عمرو بن العاص

٢١



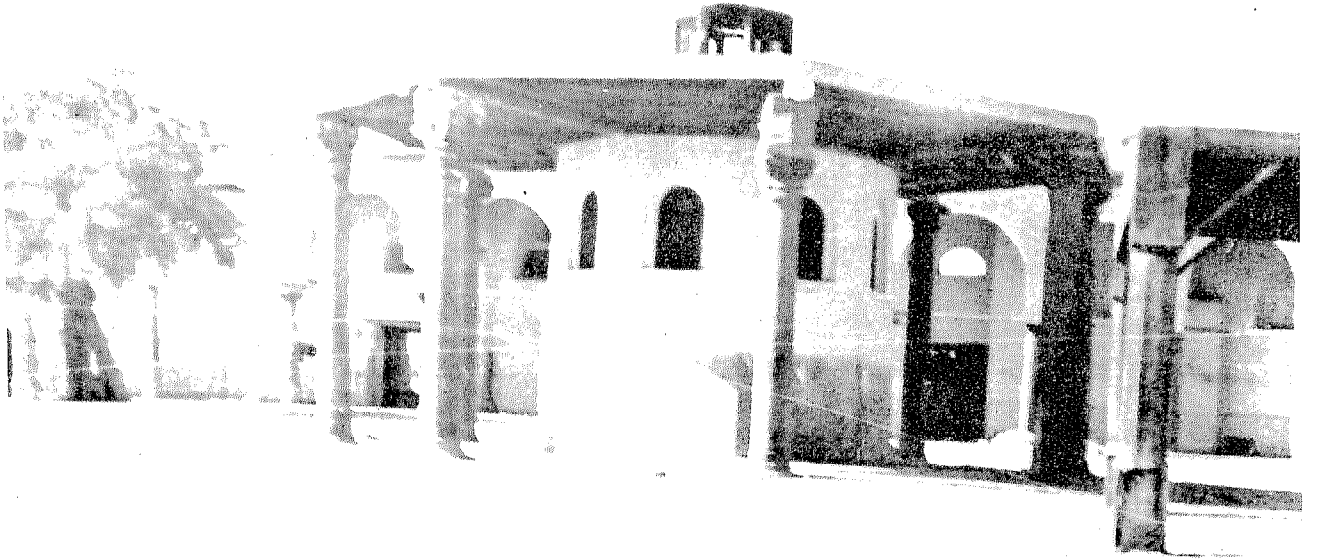
٤٣٢



لوحة (٢٢) الباب المتوسط بالواجهة الغربية لجامع عمرو

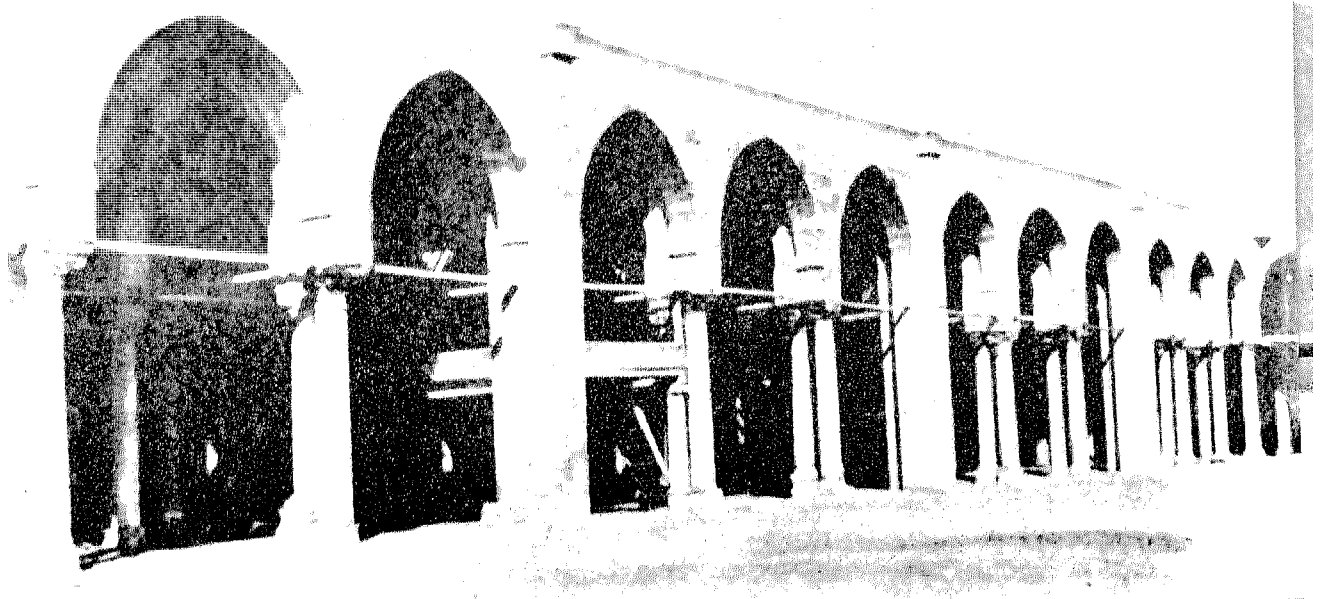
لوحة (٢٣) المحراب الخارجي لجامع عمرو الذي بناه الأمير سلاار .





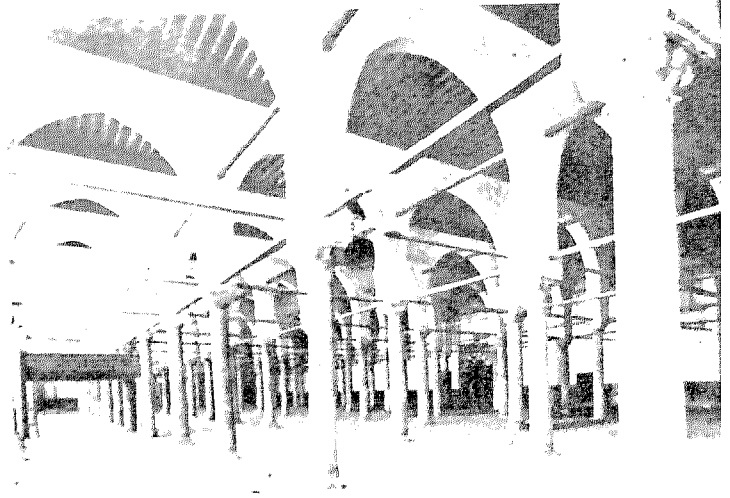
لوحة (٢٤) مبنى بيت المال يتوسط صحن جامع عمرو

لوحة (٢٥) واجهة إيوان القبلة بجامع عمرو



٢٦

لوحة (٢٦) داخل إيوان القبلة



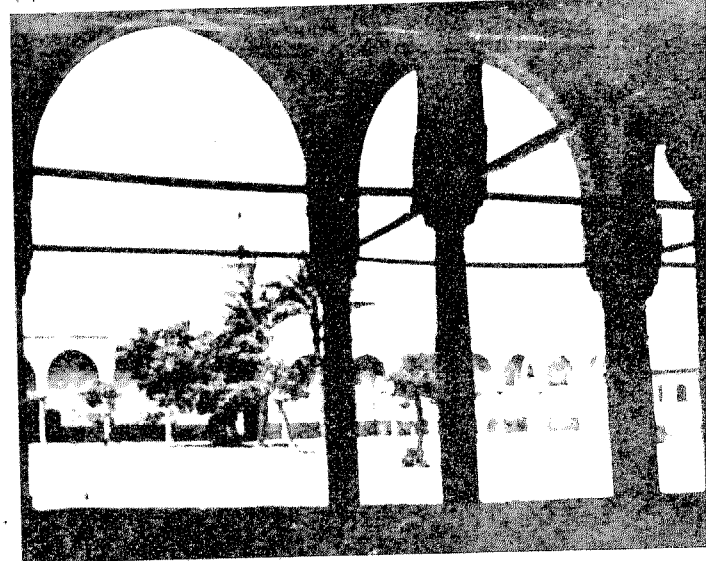
لوحة (٢٧) واجهة الإيوان الغربي



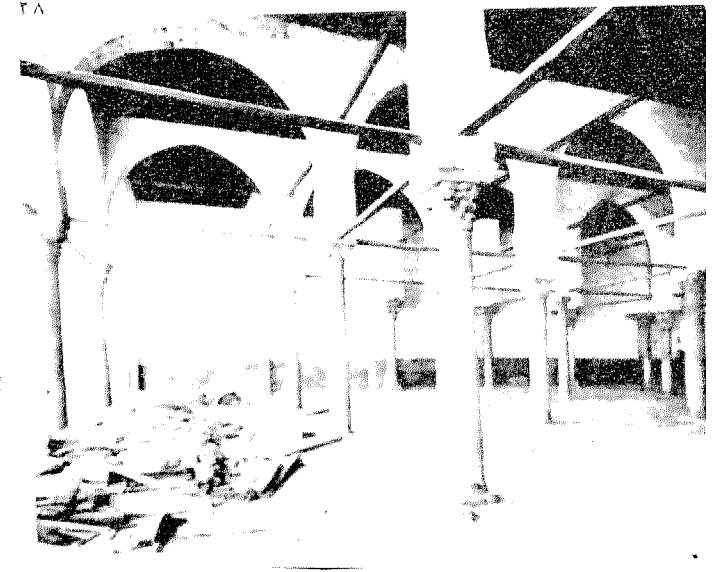
لوحة (٢٩) الضريح المنسوب لسيدى
عبد الله بن عمرو بن العاص .



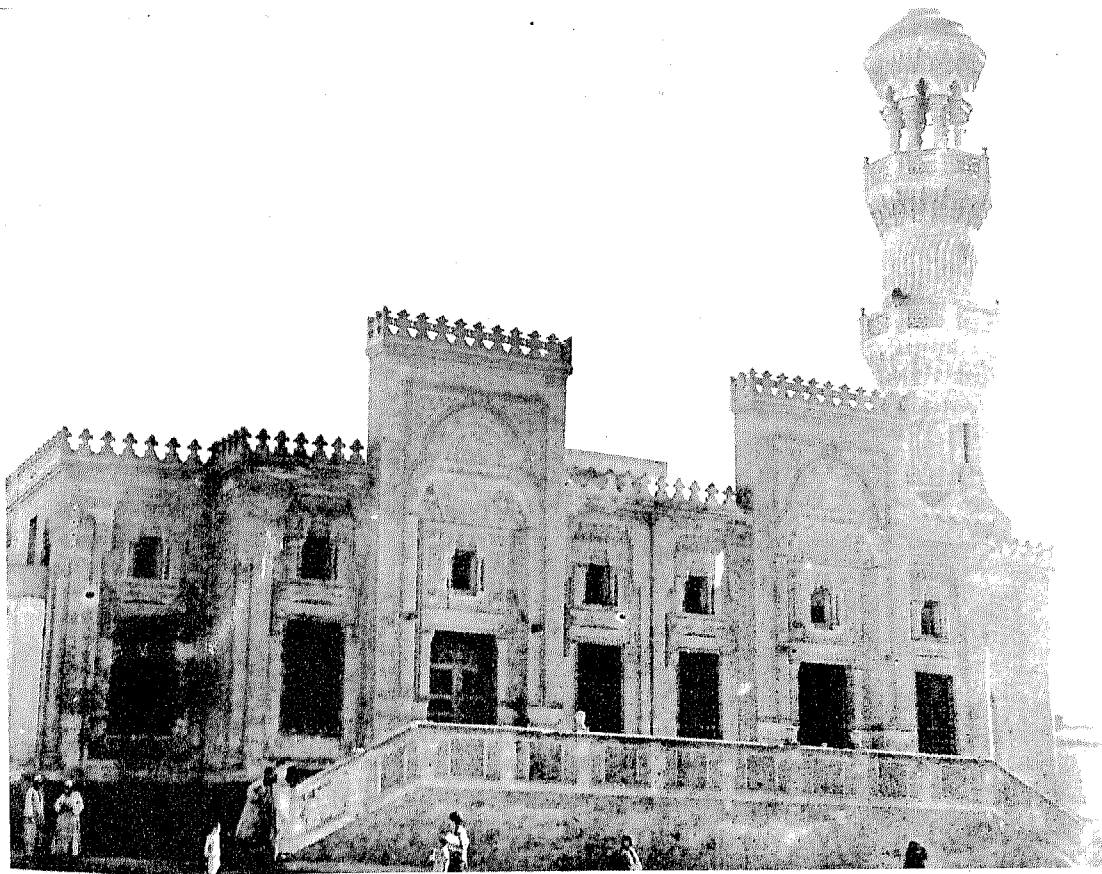
٢٧

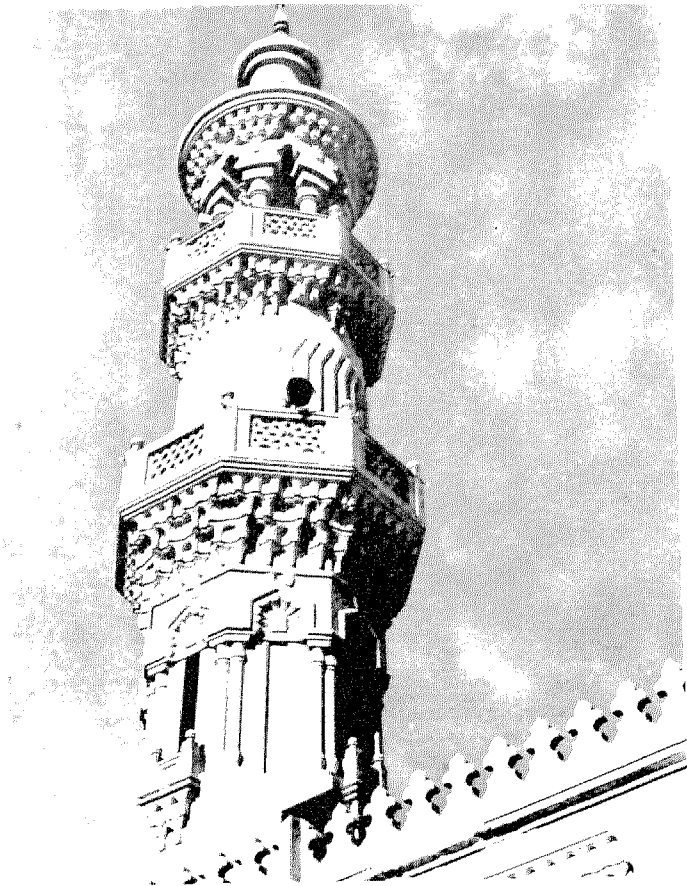


٢٨



لوحة (٢٨) بقايا الأروقة . . . القديمة في إيوان القبلة





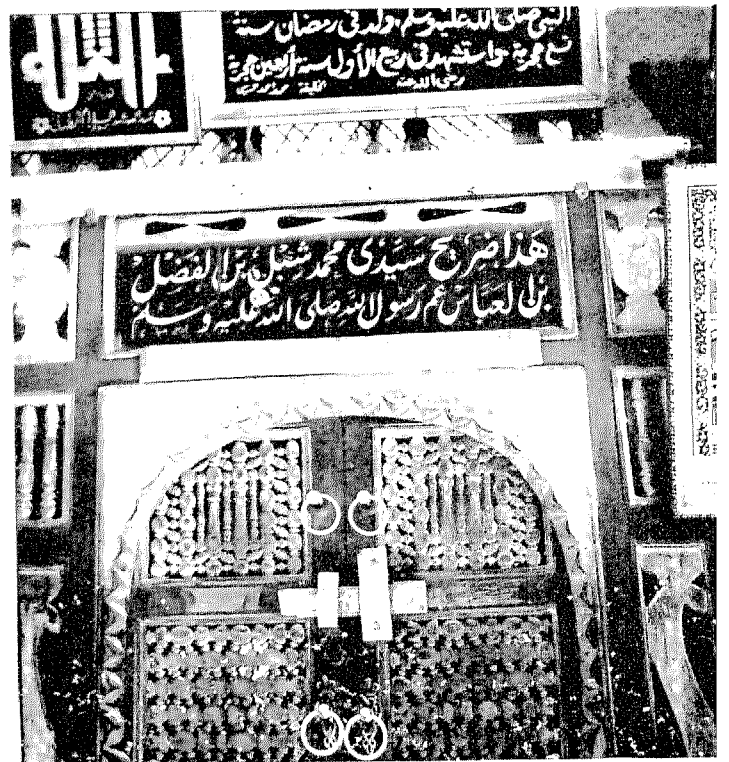
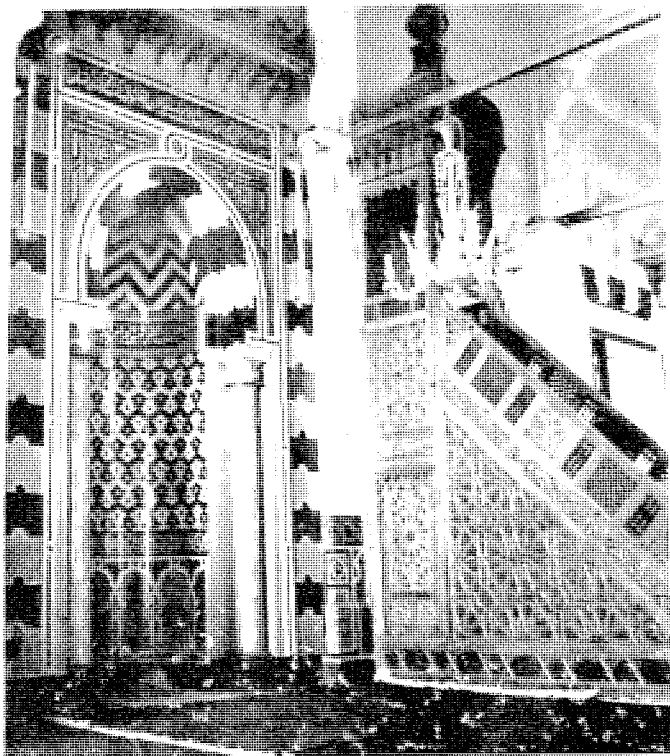
لوحة (٣٠) الواجهة الشمالية لجامع سيدي شبل الأسود

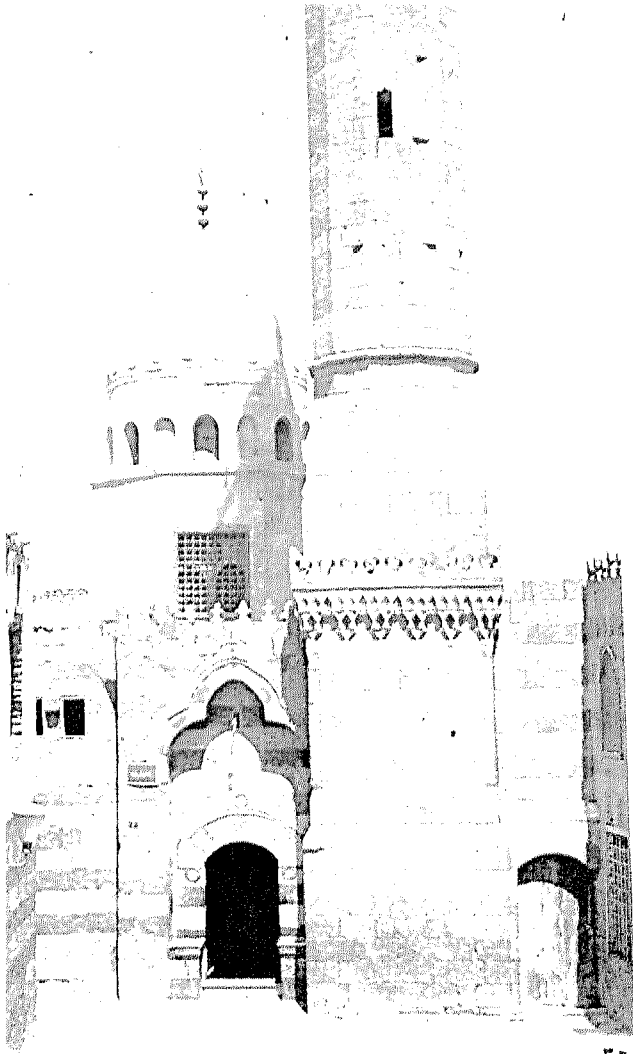
لوحة (٣١) القبة القديمة الفاطمية لسيدي شبل الأسود

لوحة (٣٢) مئذنة جامع سيدي شبل الأسود

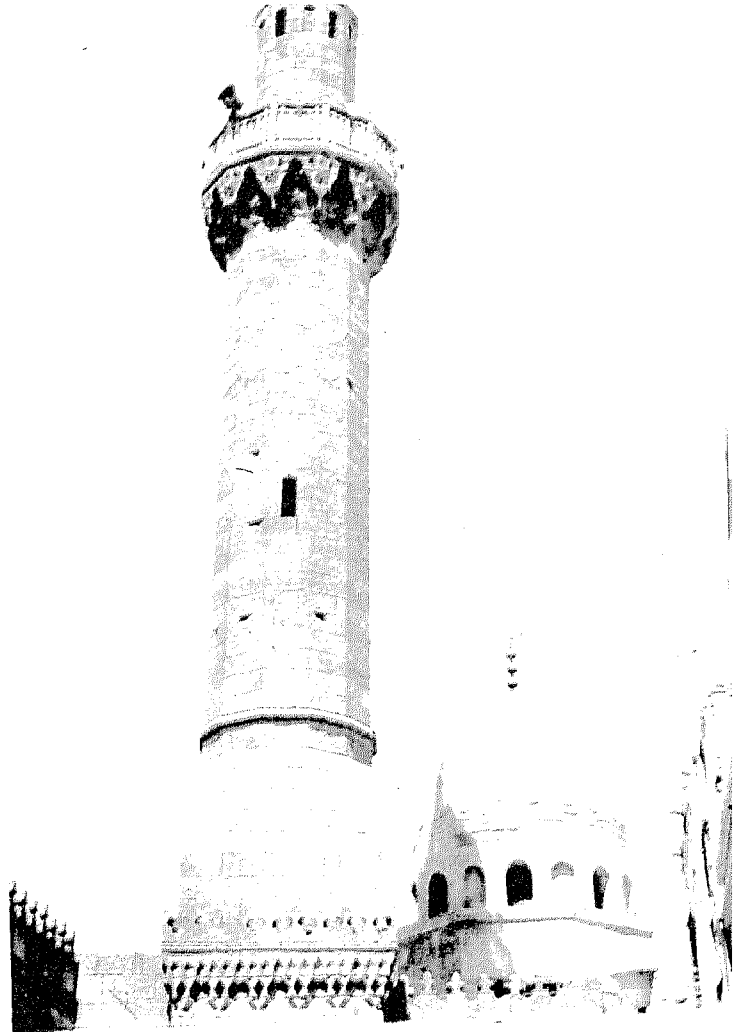
لوحة (٣٣) ضريح سيدي شبل الأسود

لوحة (٣٤) محراب ومنبر سيدي شبل الأسود





٣٦



٣٥

لوحة (٣٥) مثذنة سيدي عقبة تعلو المدخل الرئيسي

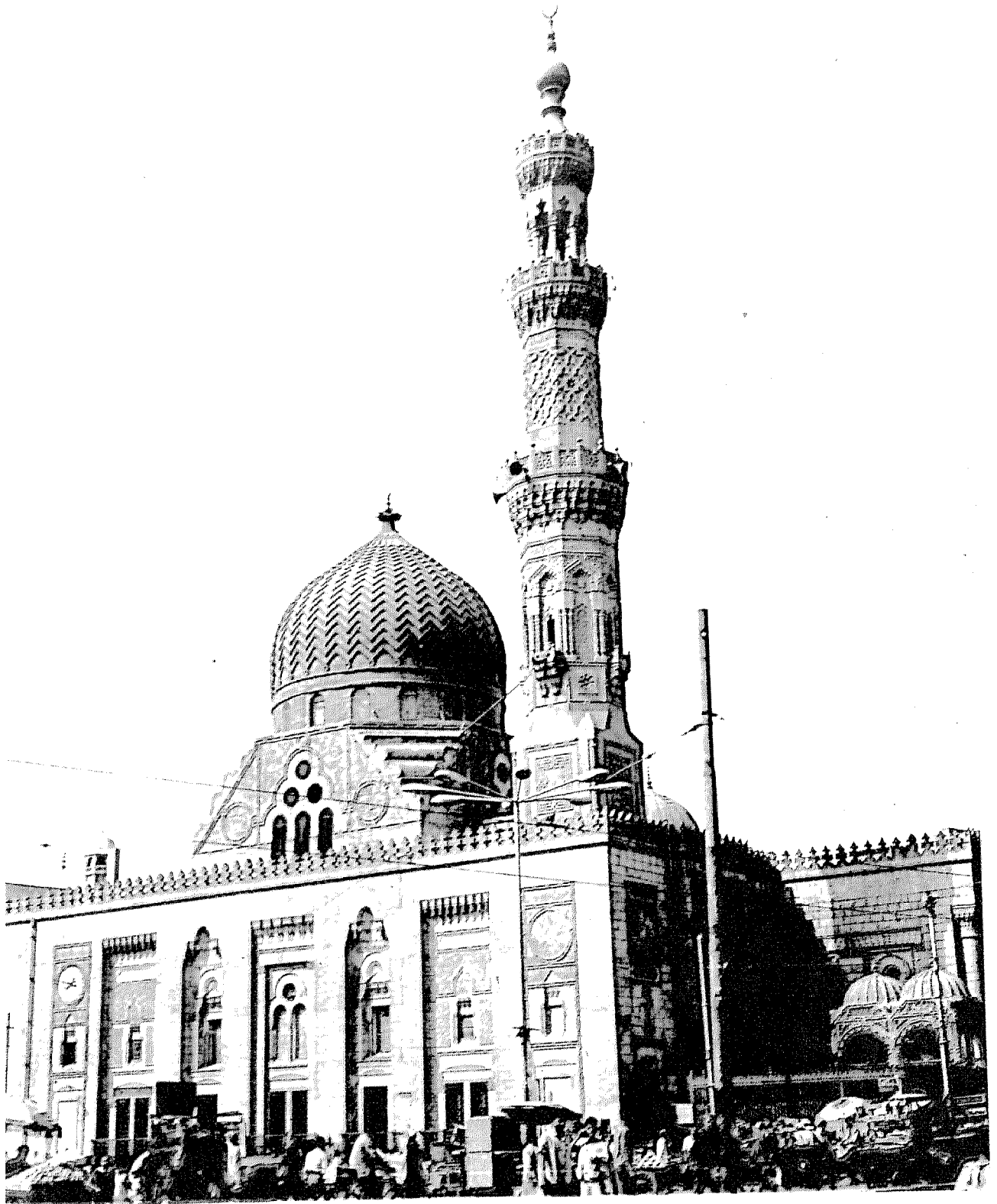
٣٧

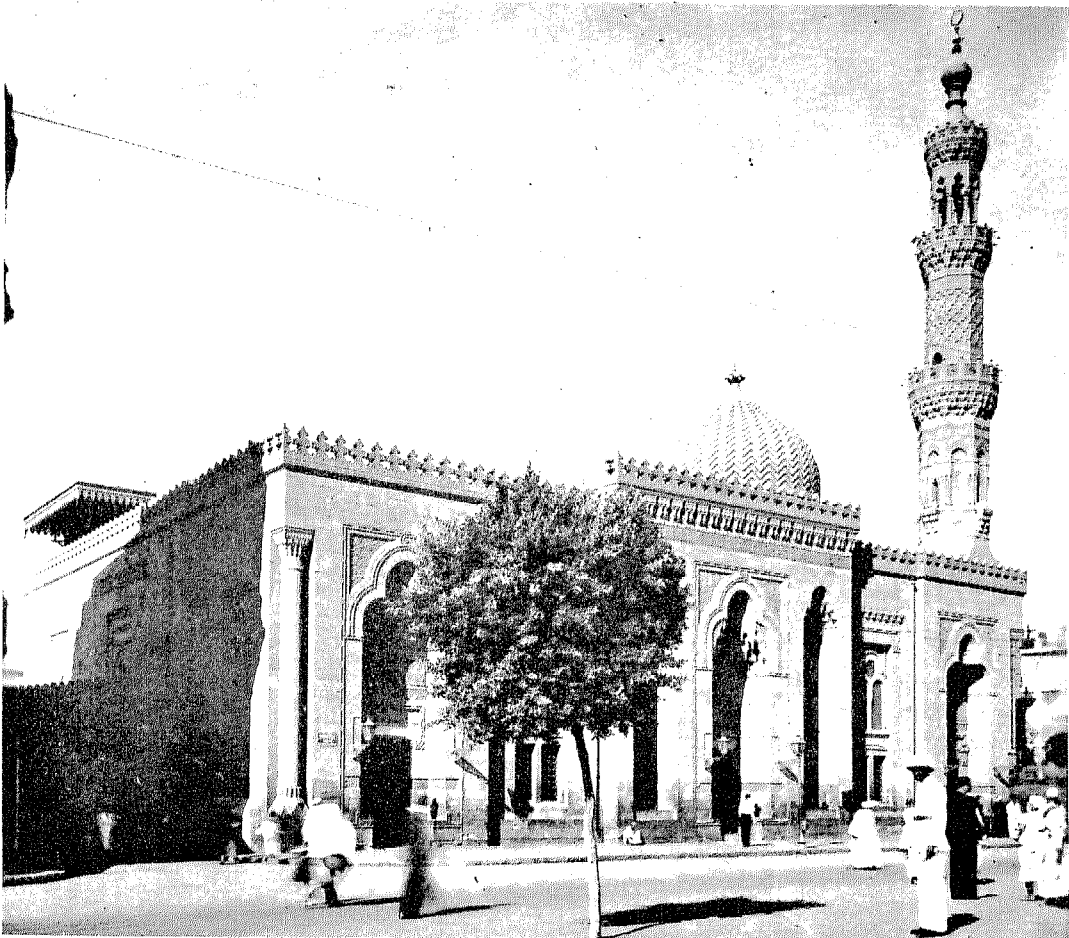
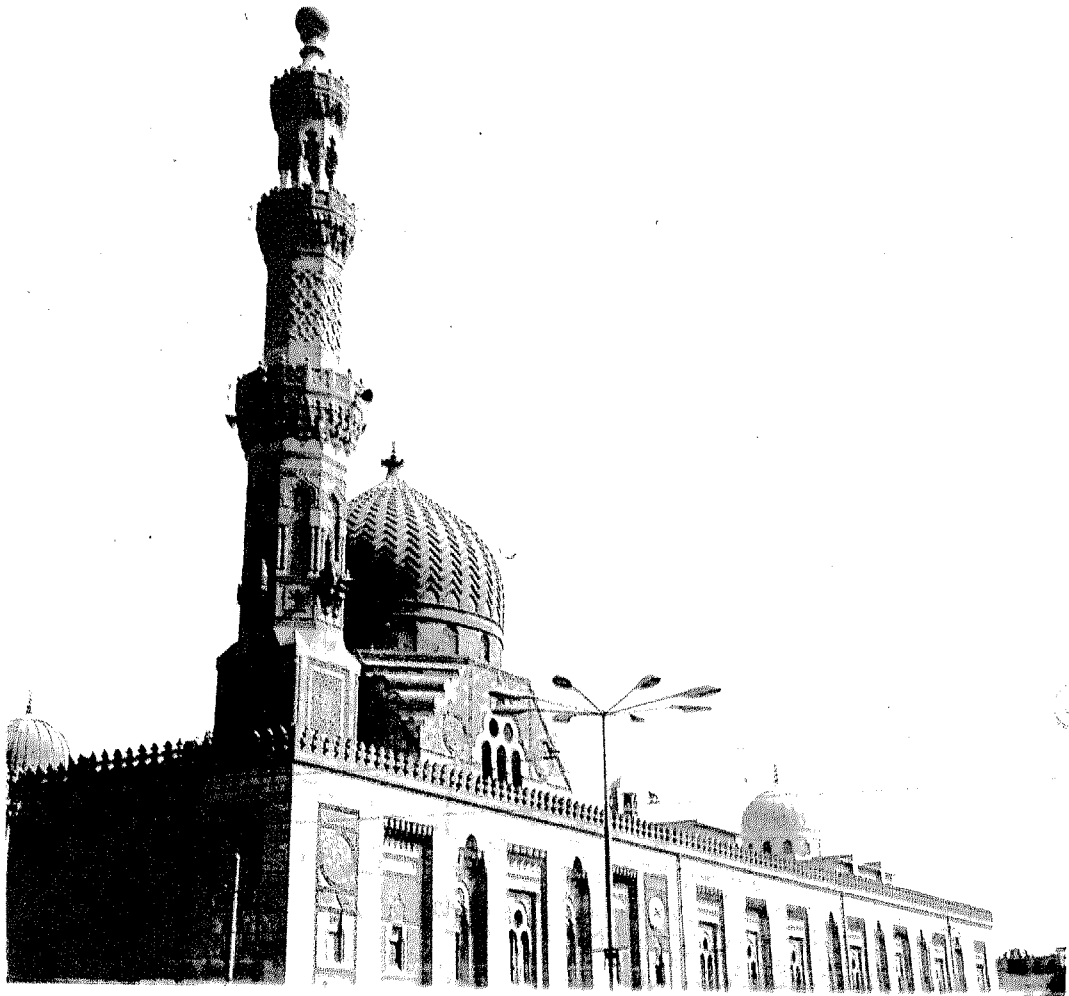
لوحة (٣٦) المدخل الرئيسي وخلفه القبة التي
تعلو ضريح سيدي عقبة

لوحة (٣٧) ضريح سيدي عقبة بن عامر الجهني

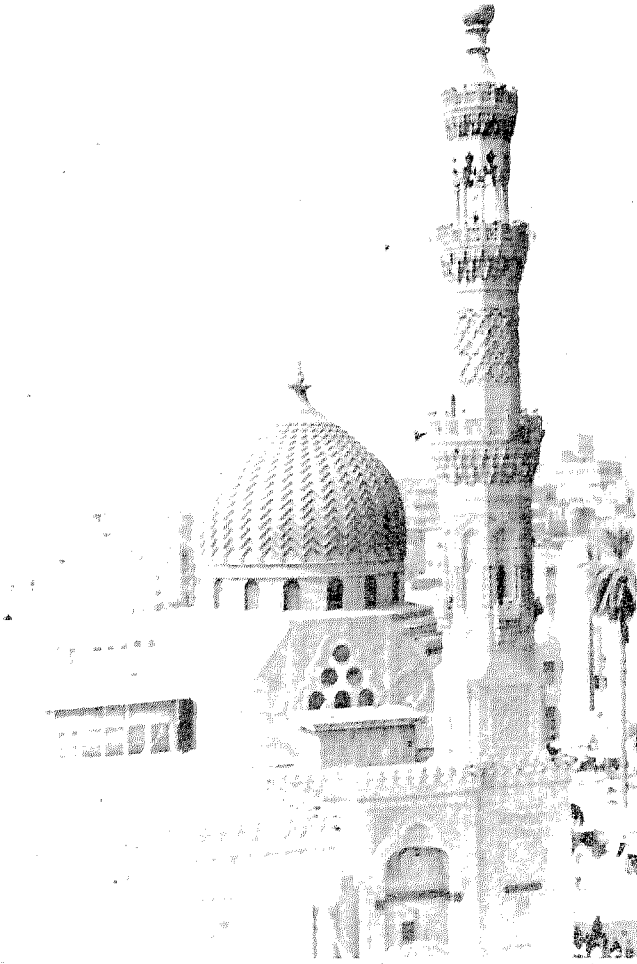
لوحة (٣٨) الواجهة الغربية لجامع السيدة زينب







لوحة (٣٩) مئذنة جامع السيدة زينب

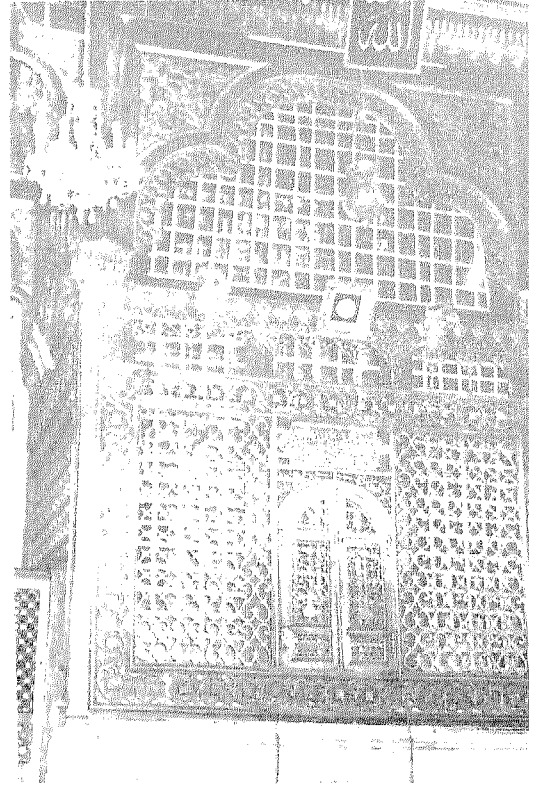
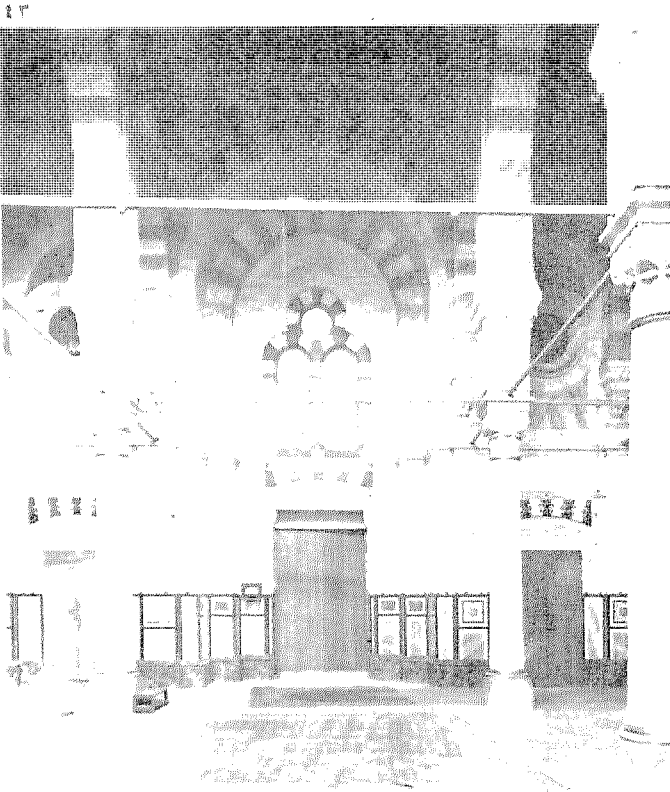


لوحة (٤٠) الواجهة الشمالية لجامع السيدة زينب .

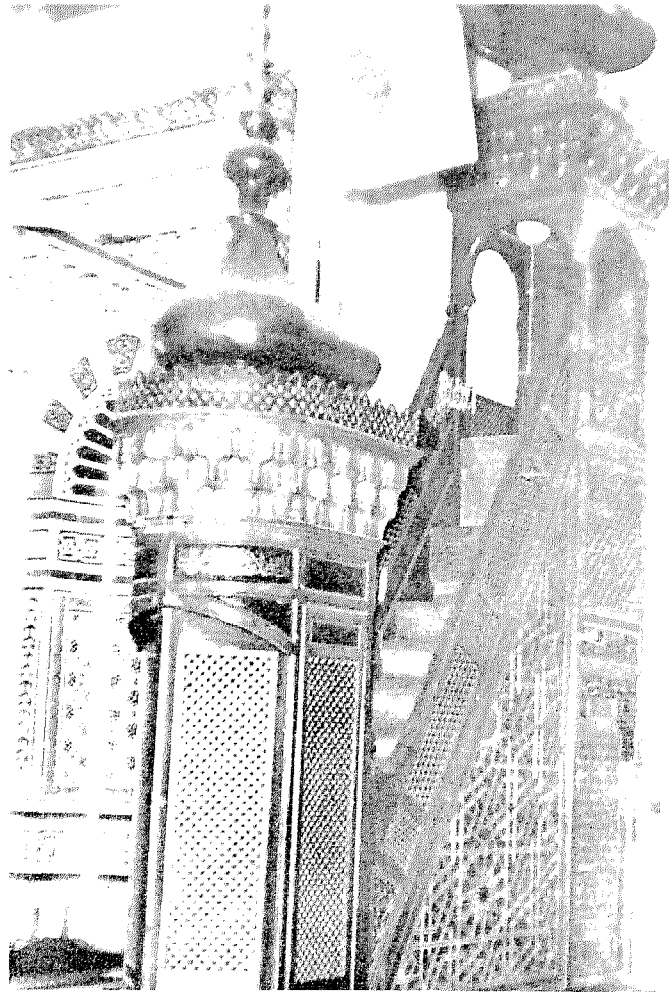
لوحة (٤١) مئذنة وقبة السيدة زينب .

لوحة (٤٢) مقصورة السيدة زينب .

لوحة (٤٣) الرواق الفاصل بين الجامع القديم والإضافة الجديدة بجامع السيدة زينب .



لوحة (٤٤) منبر ومحراب جامع
السيدة زينب القديم



لوحة (٤٥) محراب الإضافة الجديدة
بجامع السيدة زينب

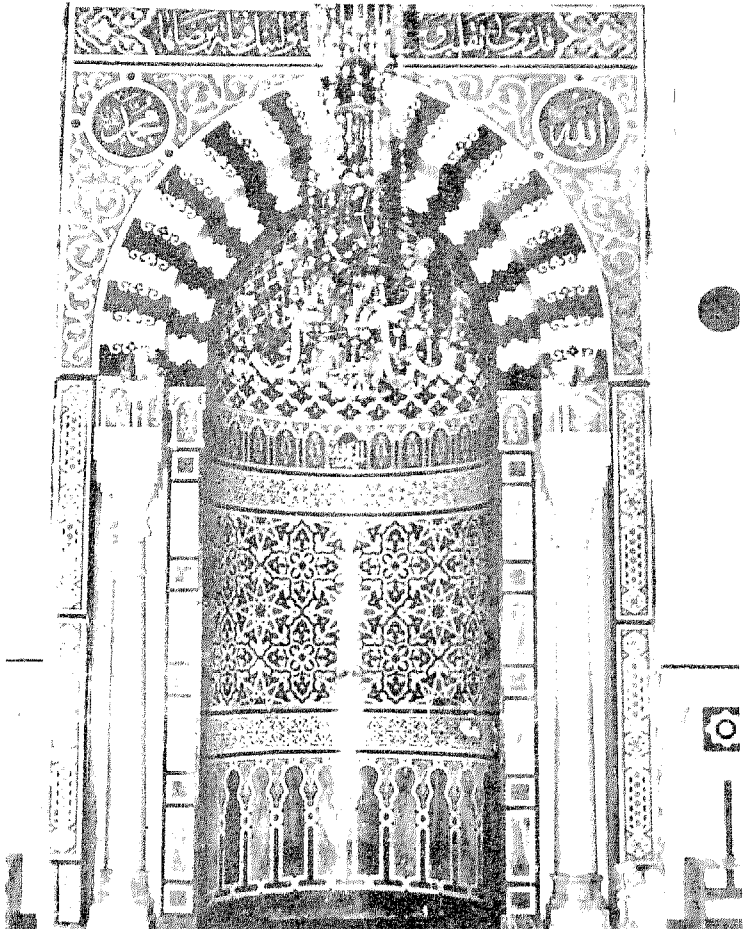
لوحة (٤٦) سقف المنور (الشخشيخة)
بجامع السيدة زينب وقد زخرف
بالرسوم الزيتية

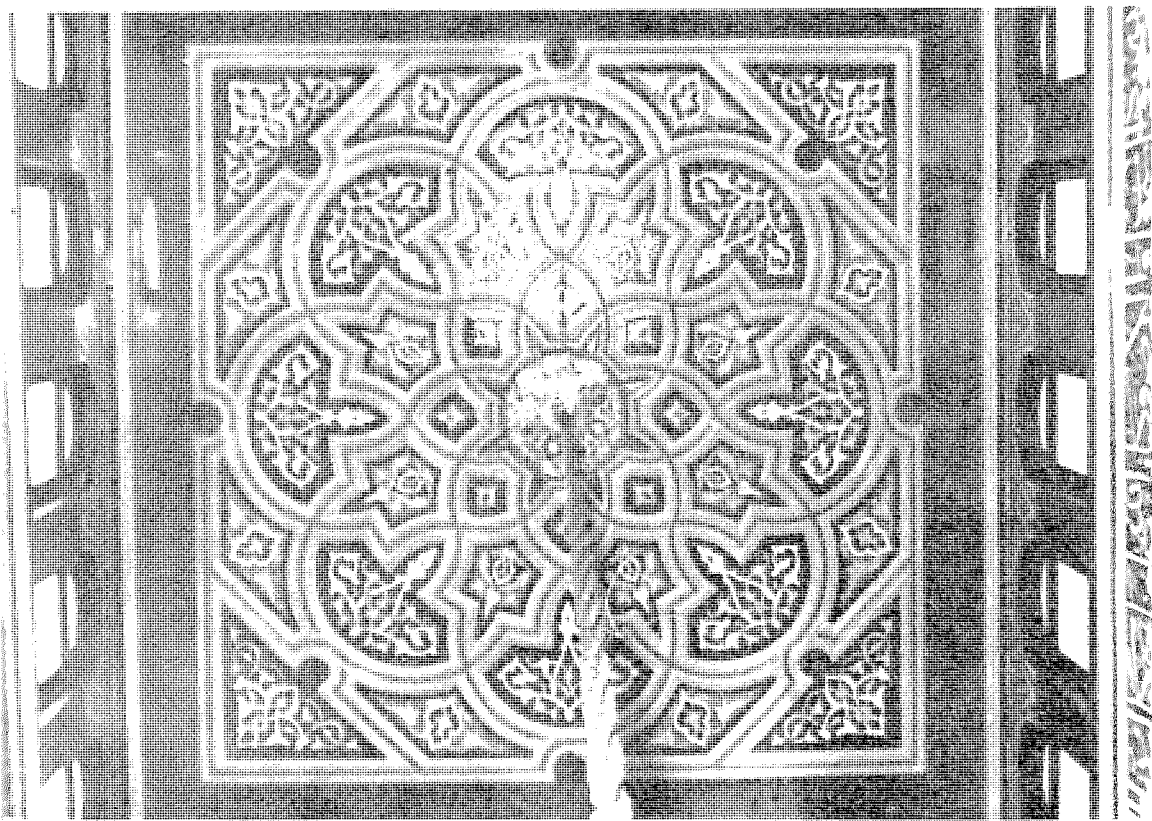
٤٤

لوحة (٤٧) القبة وما يحيط بها من
مقرنصات في أركانها بجامع السيدة زينب.

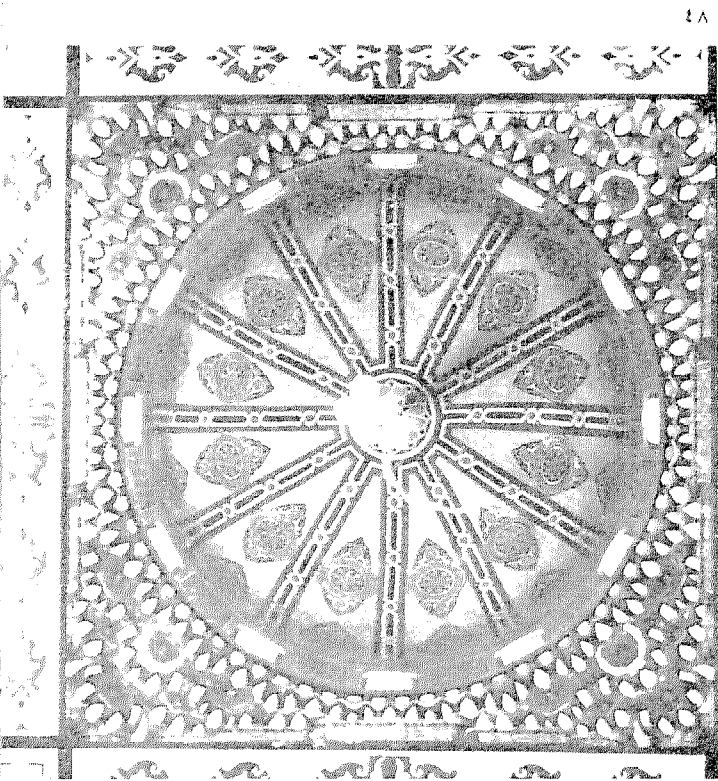
لوحة (٤٨) القبة وما تحويه من
زخارف ورسوم في الجزء المضاف
بجامع السيدة زينب

٤٥

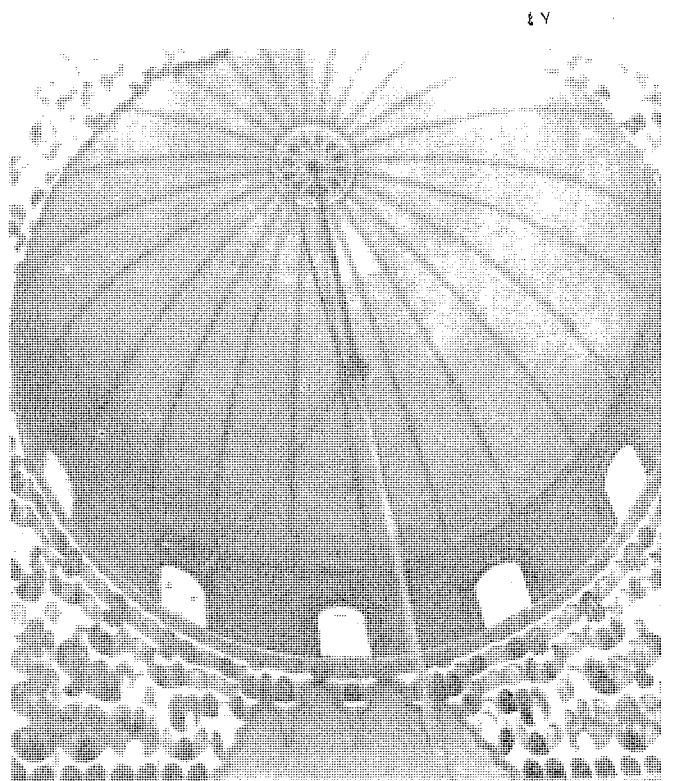




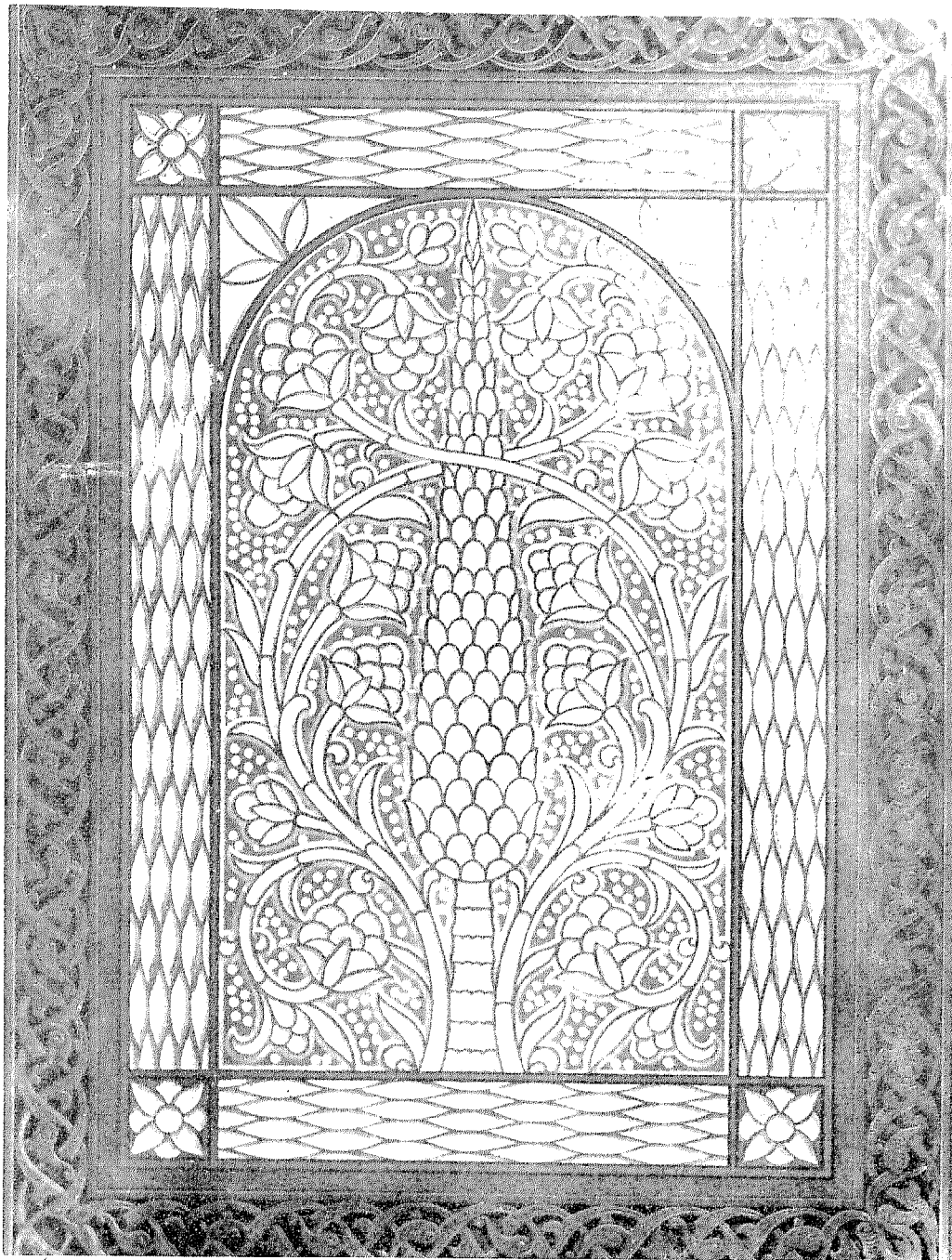
٤٦

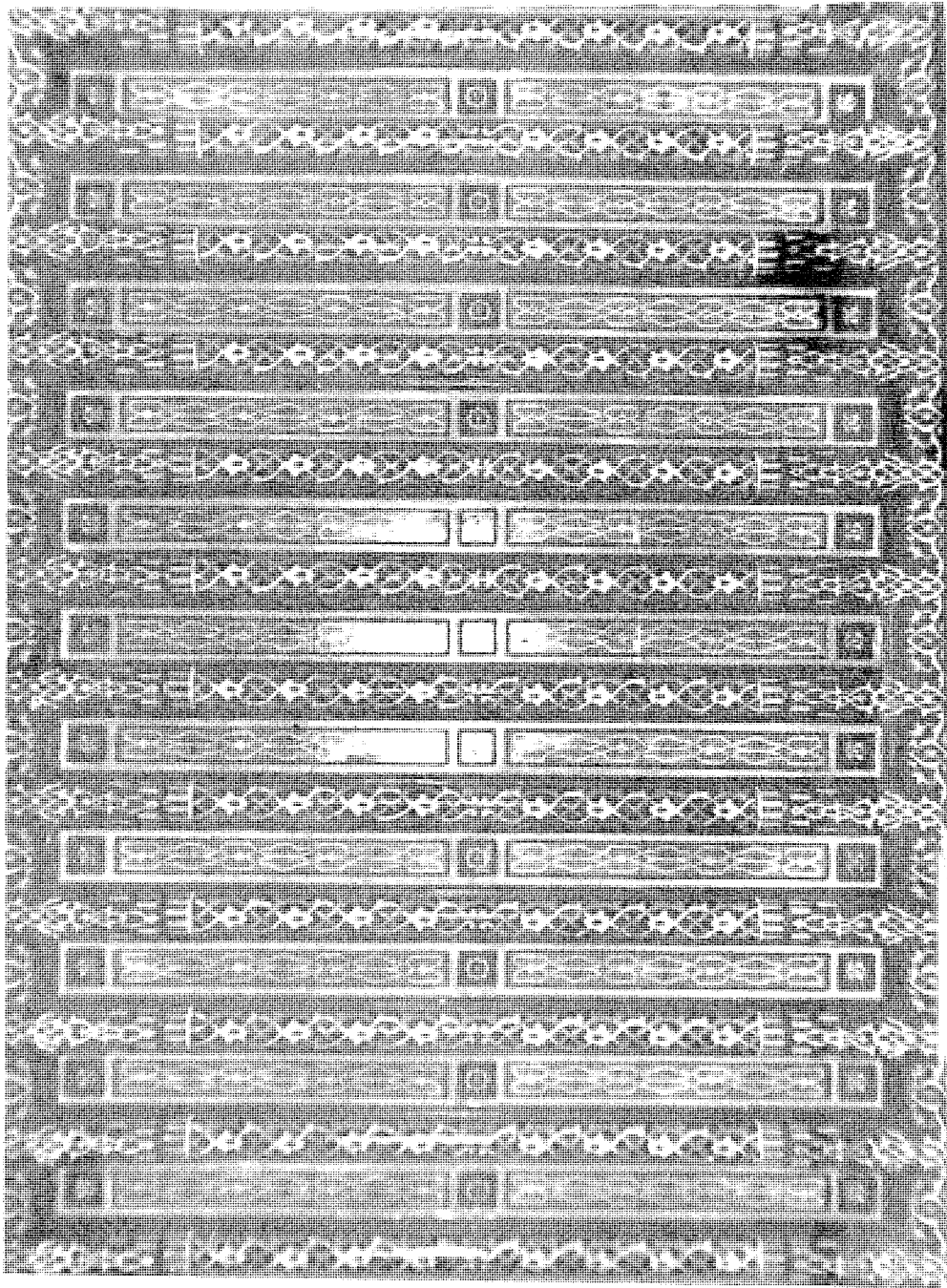


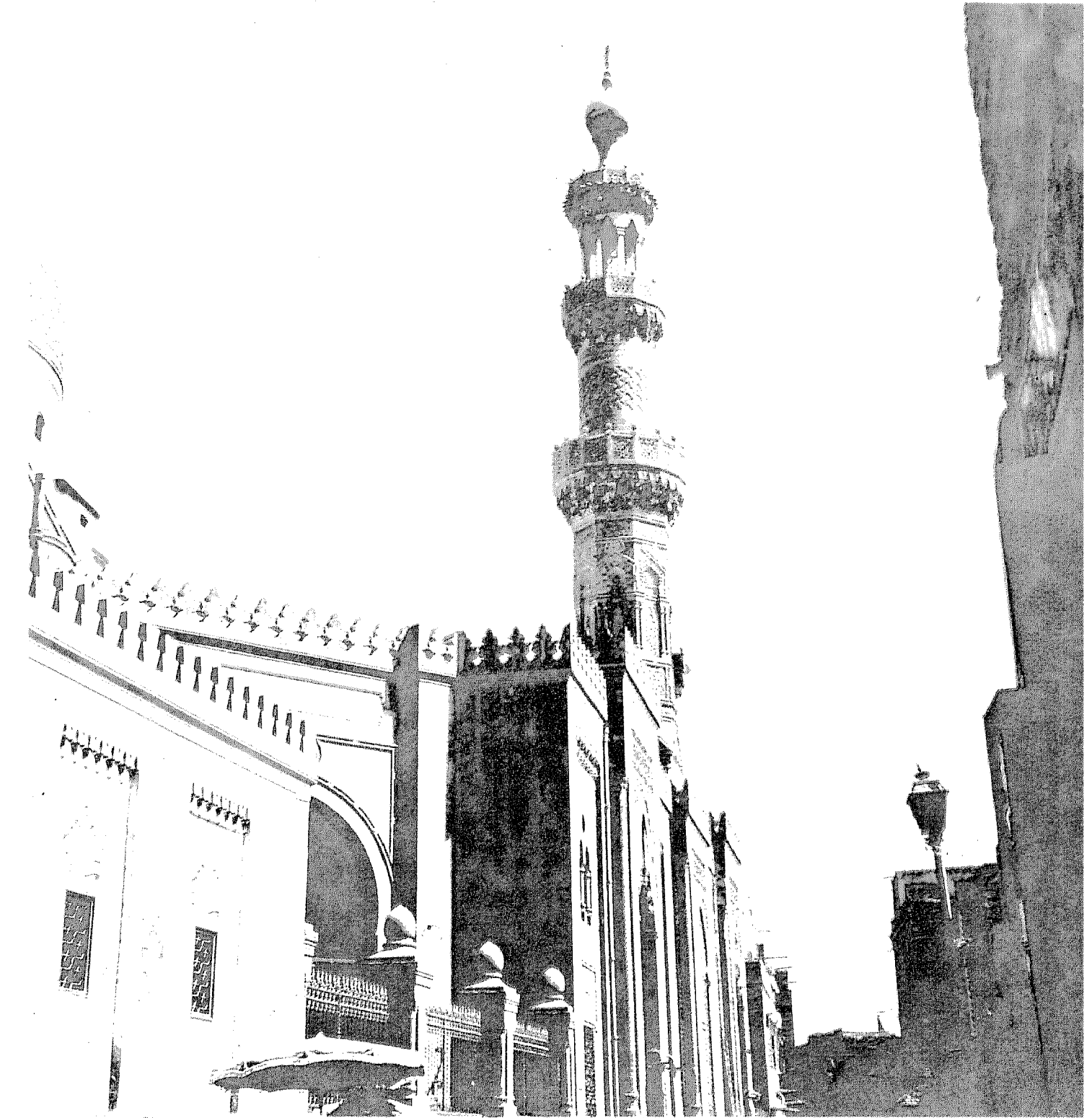
٤٧



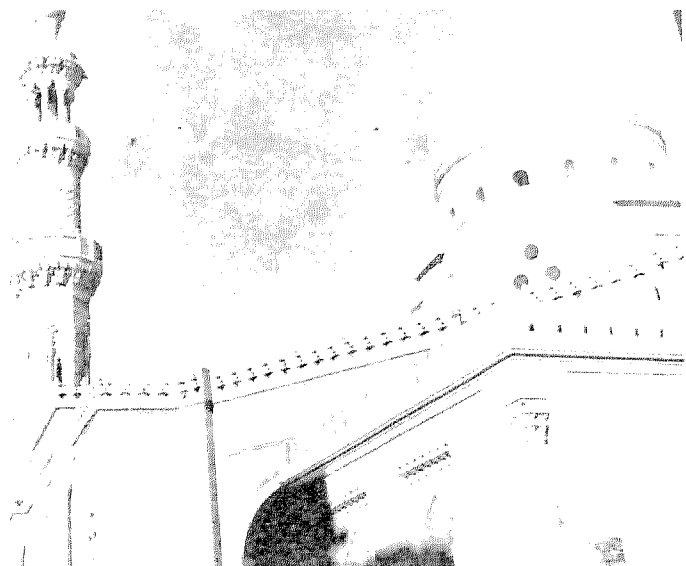
٤٨



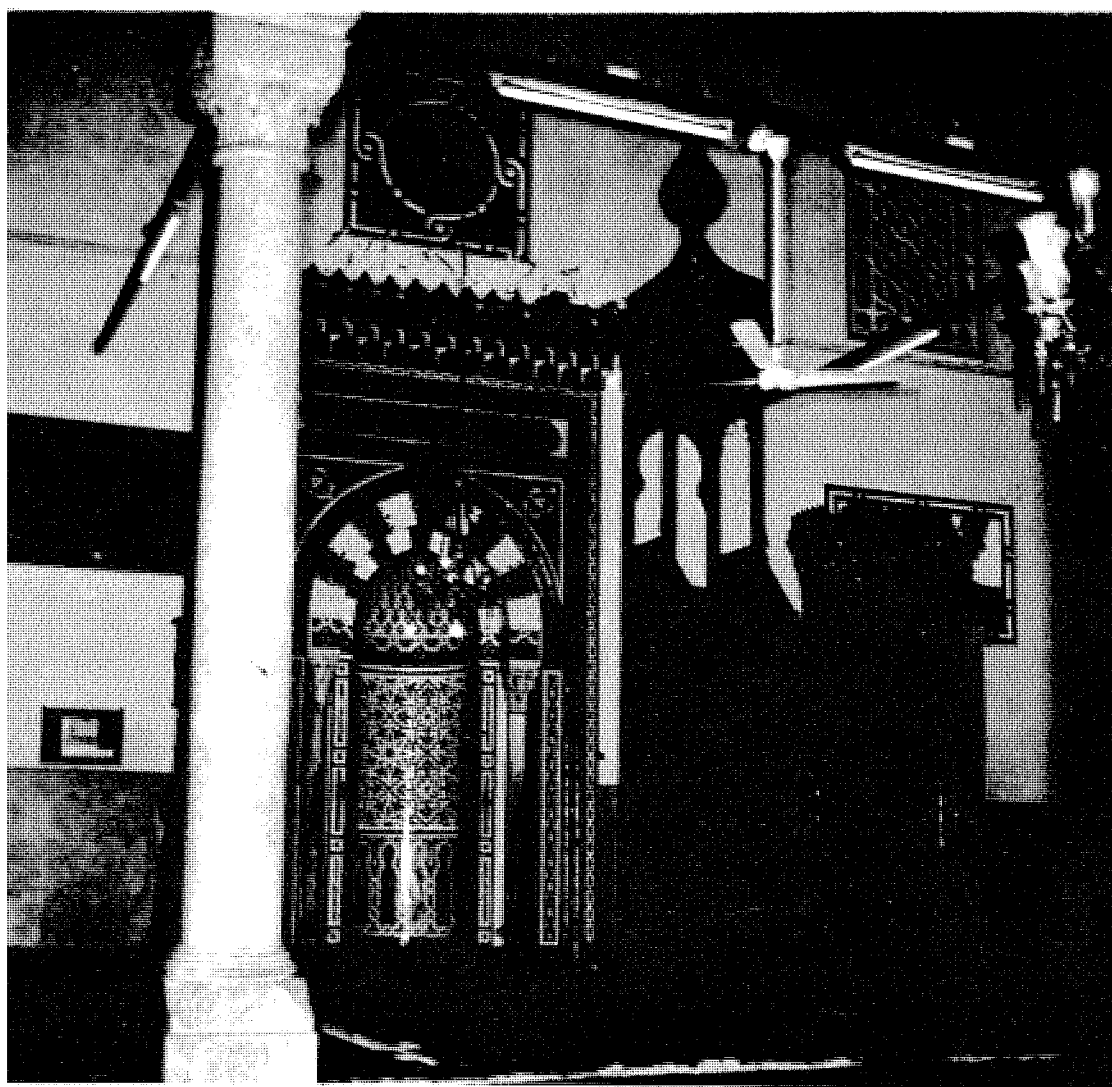




لوحة (٥١) الواجهة الجنوبية لجامع السيدة سكينة بملوها المثانة

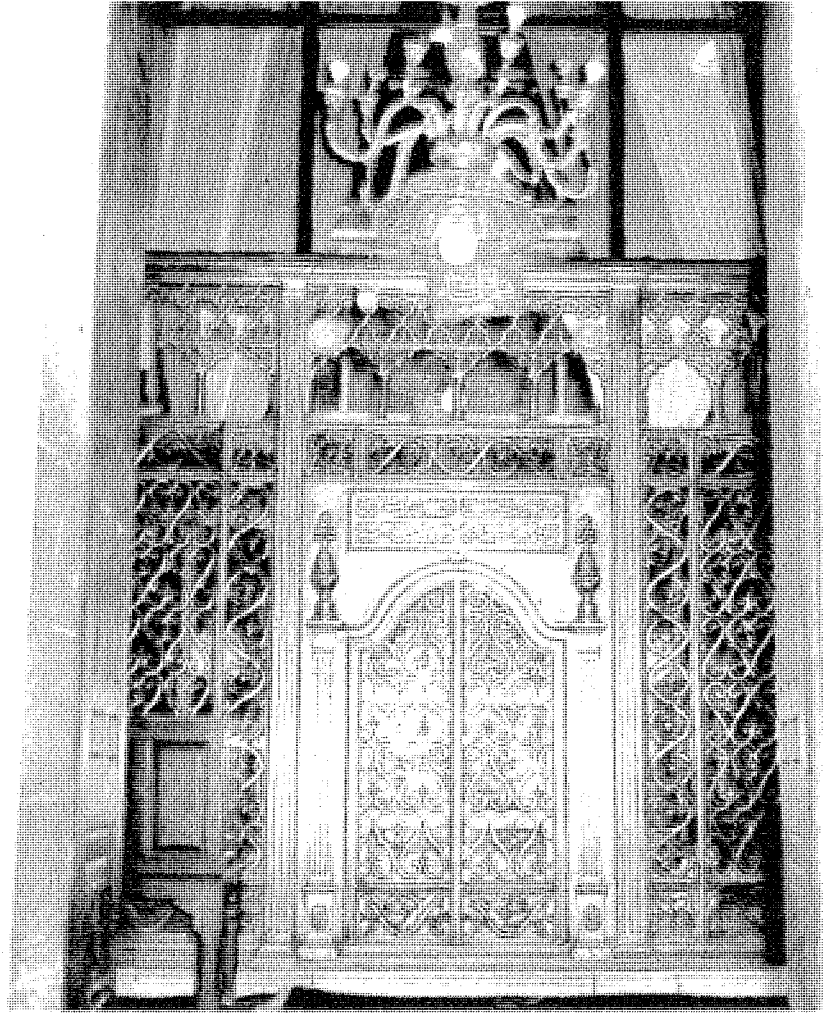


لوحة (٥٢) مثناة وقبة جامع السيدة سكينة .



لوحة (٥٣) محراب السيدة سكينة

لوحة (٥٤) باب مقصورة السيدة سكينه



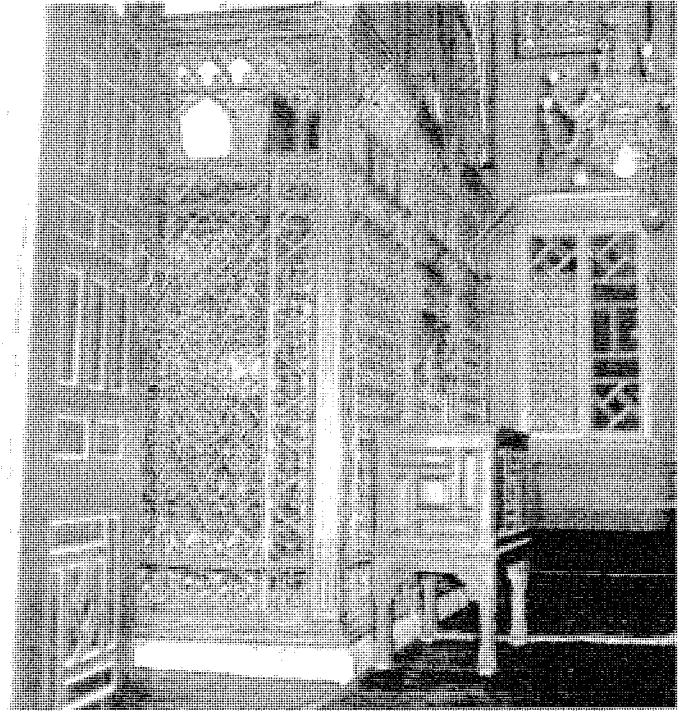
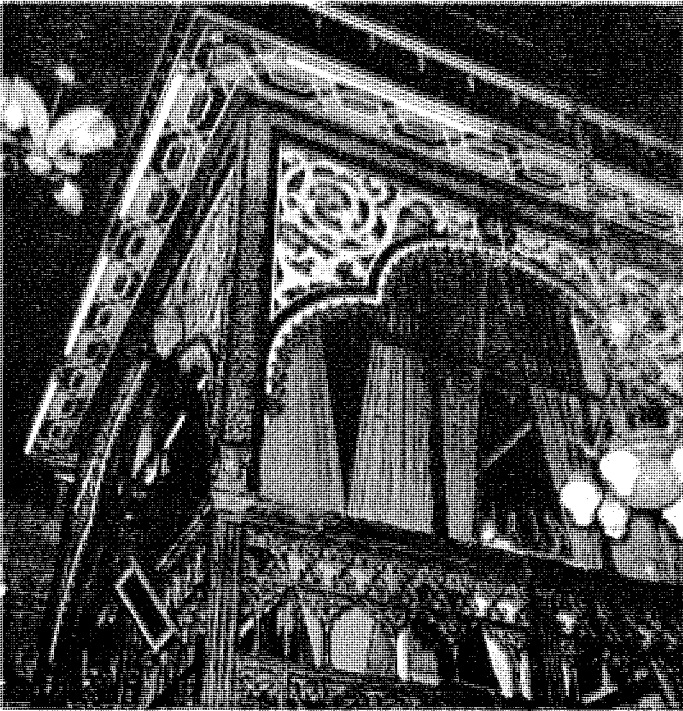
لوحة (٥٥) مقصورة السيدة سكينه

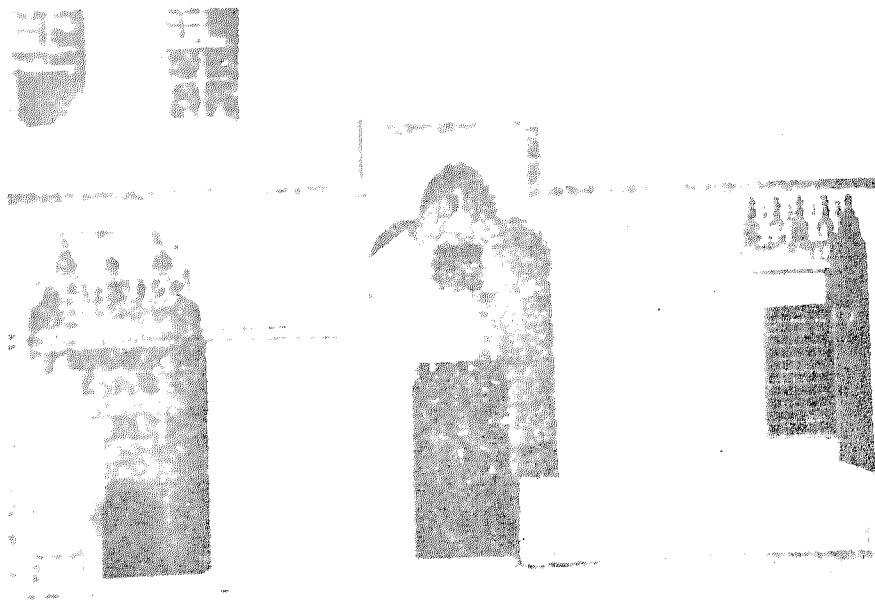
لوحة (٥٦) الجزء الملوى من مقصورة
الهيمة سكينه

٥٤

٥٦

٥٥





لوحة (٥٧) مشهد الإمام زيد بن زين العابدين

لوحة (٥٨) قبّة و منبذة مشهد زين بن زين العابدين



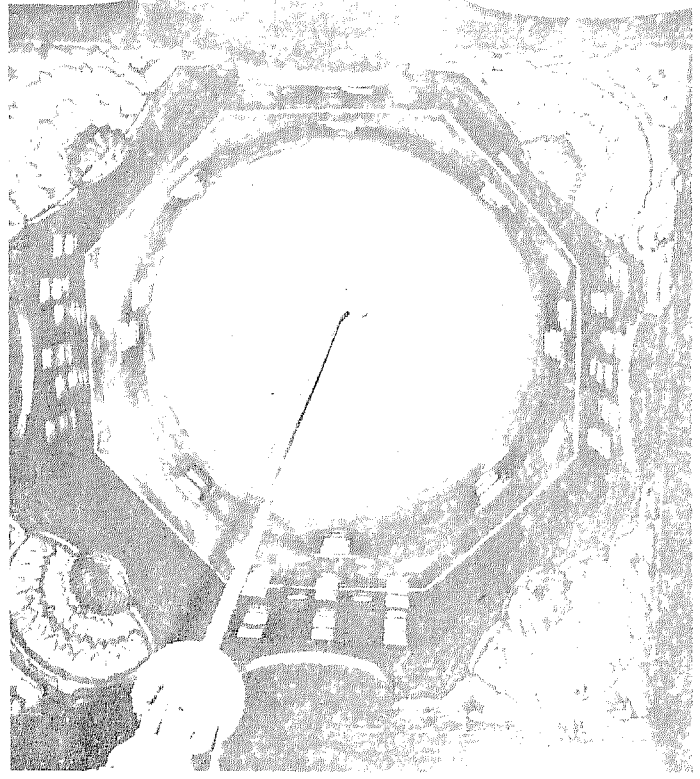
لوحة (٥٩) قبة مسجد التبر من الداخل

لوحة (٦٠) الواجهة الجنوبية لمسجد التبر حيث يوجد المدخل الرئيسي

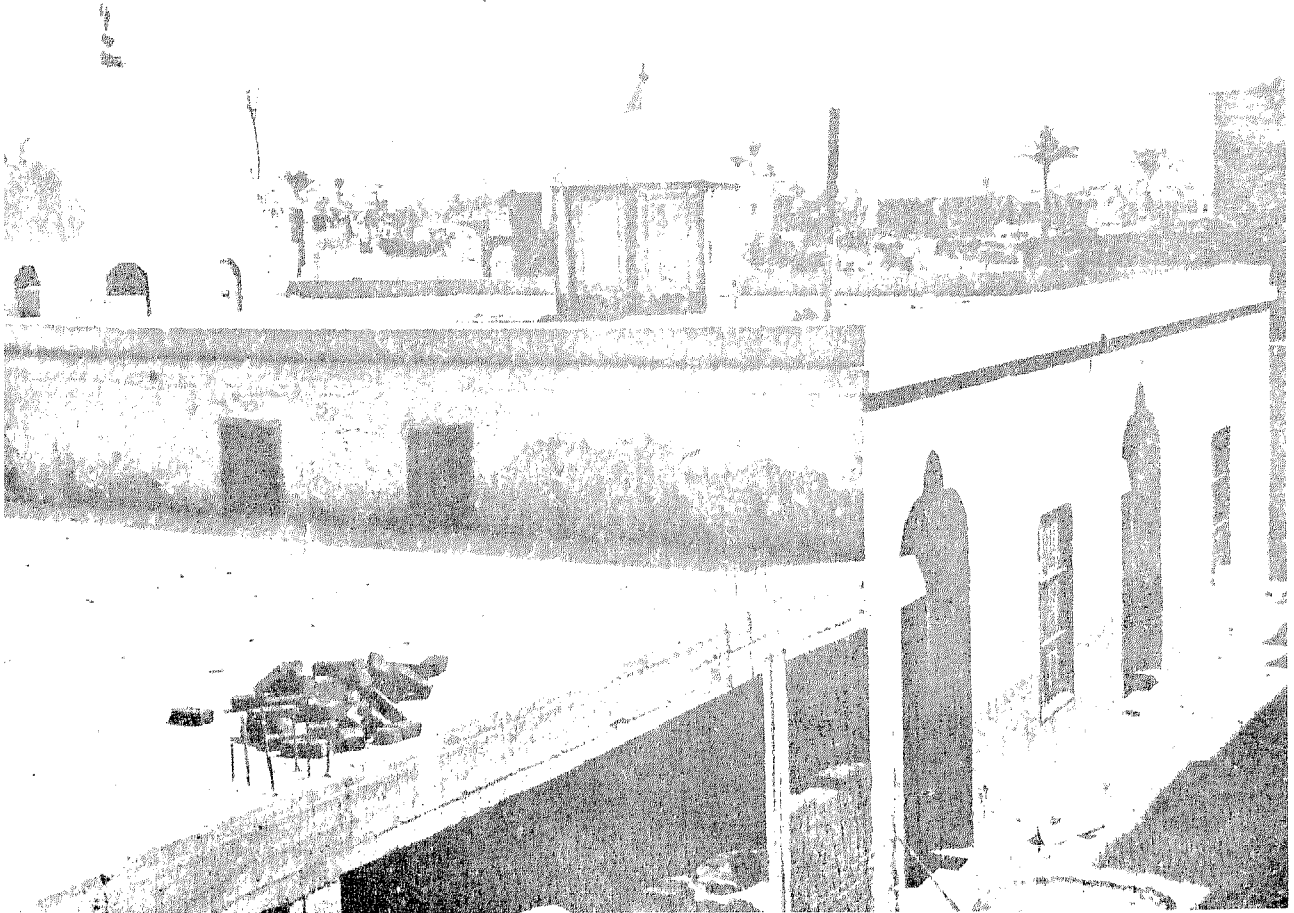
لوحة (٦١) مدخل مسجد السيدة رابعة العدوية .

لوحة (٦٢) مسجد السيدة رابعة العدوية من الداخل

لوحة (٦٣) محراب ومقصورة السيدة رابعة العدوية

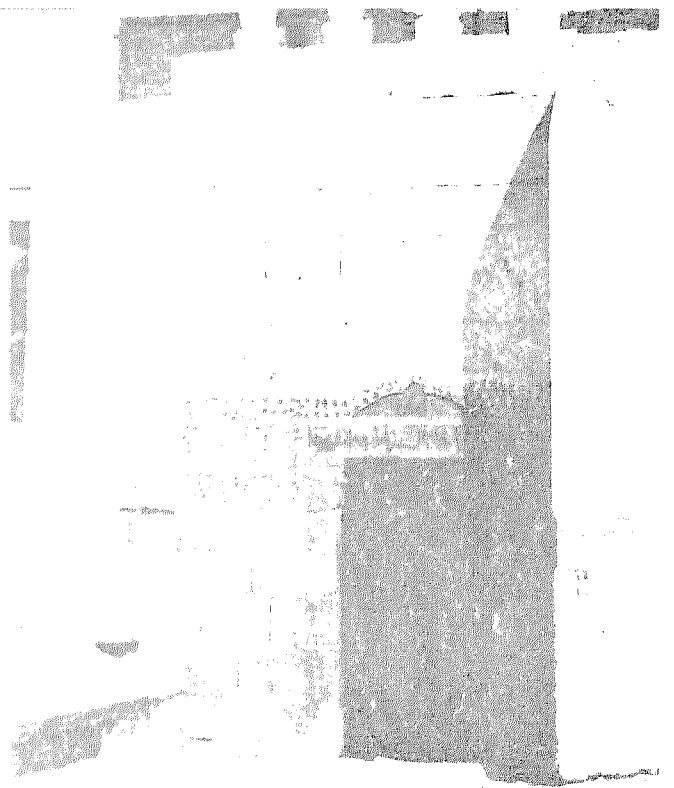


٥٩

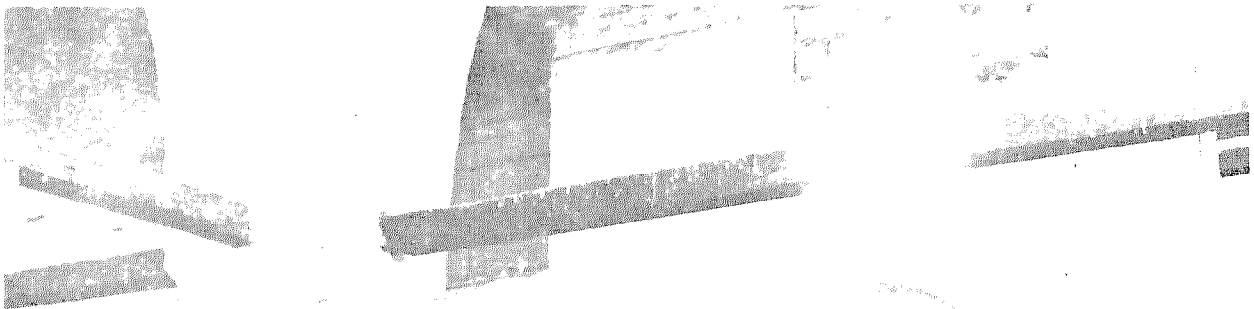




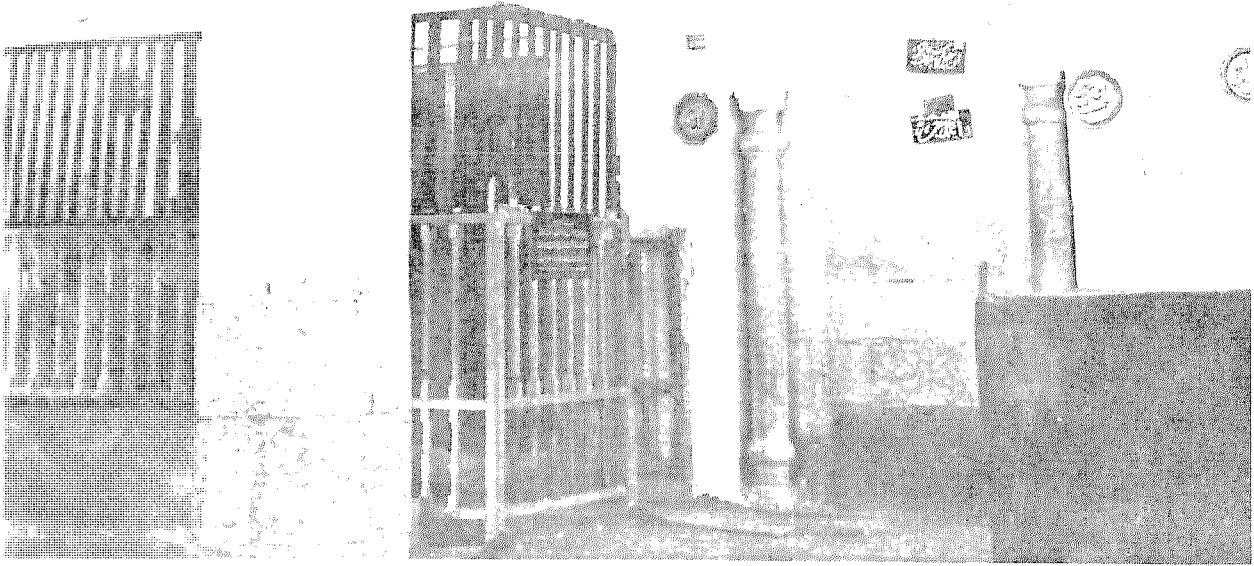
77



78



79

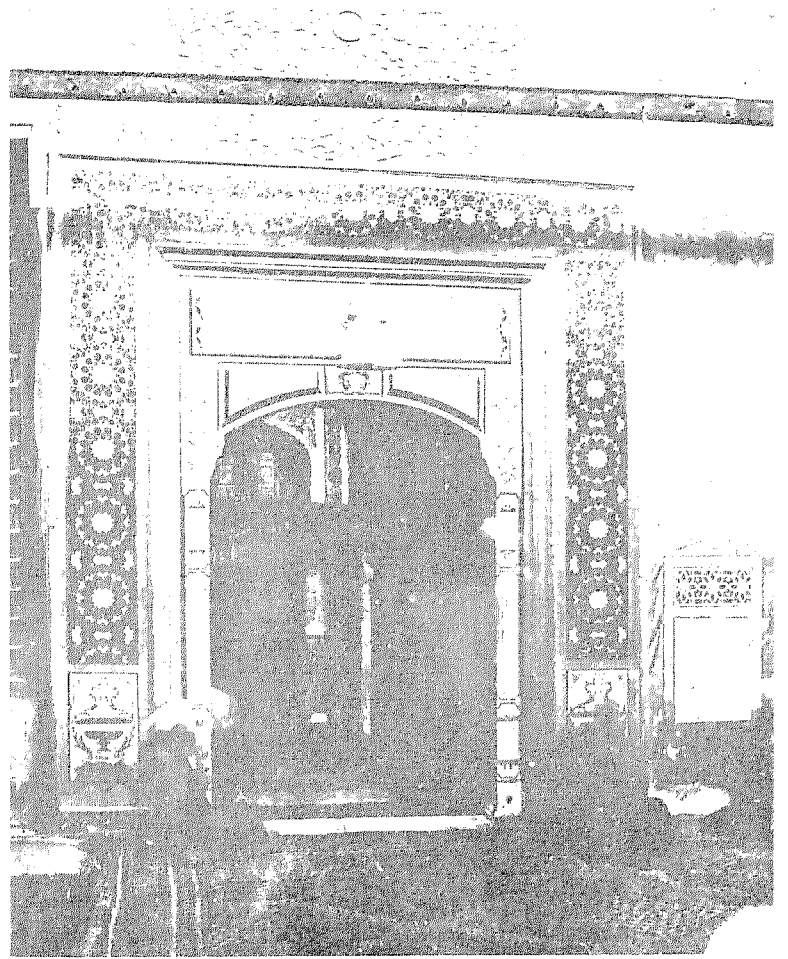
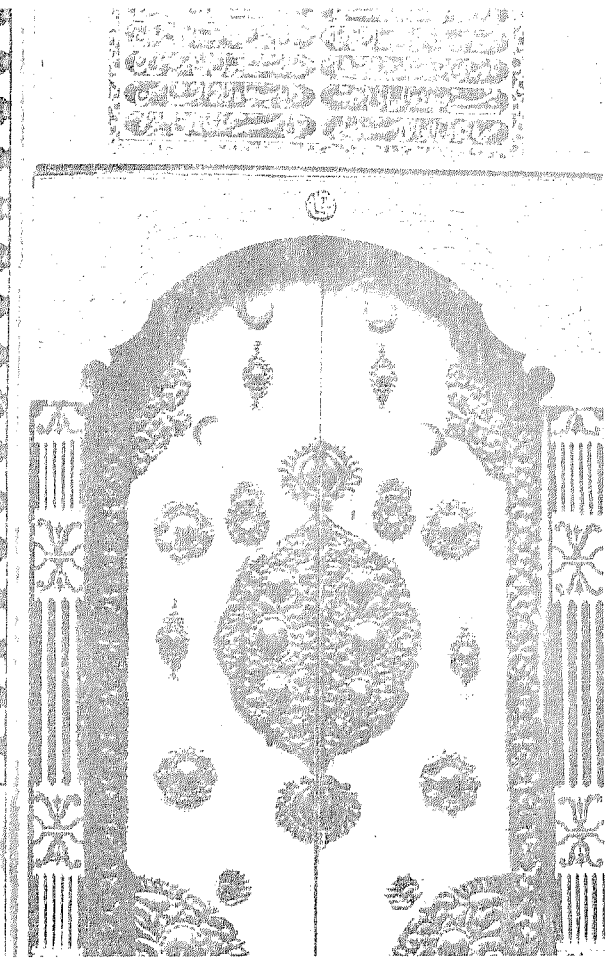




لوحة (٦٤) الواجهة الرئيسية لجامع السيدة نفيسة بالضلع الغربي



لوحة (٦٥) الباب الخارجي القديم لمسجد السيدة نفيسة



لوحة (٦٦) الباب الذى يوجد فى نهاية الردهة المؤدية إلى ضريح السيدة نفيسة .

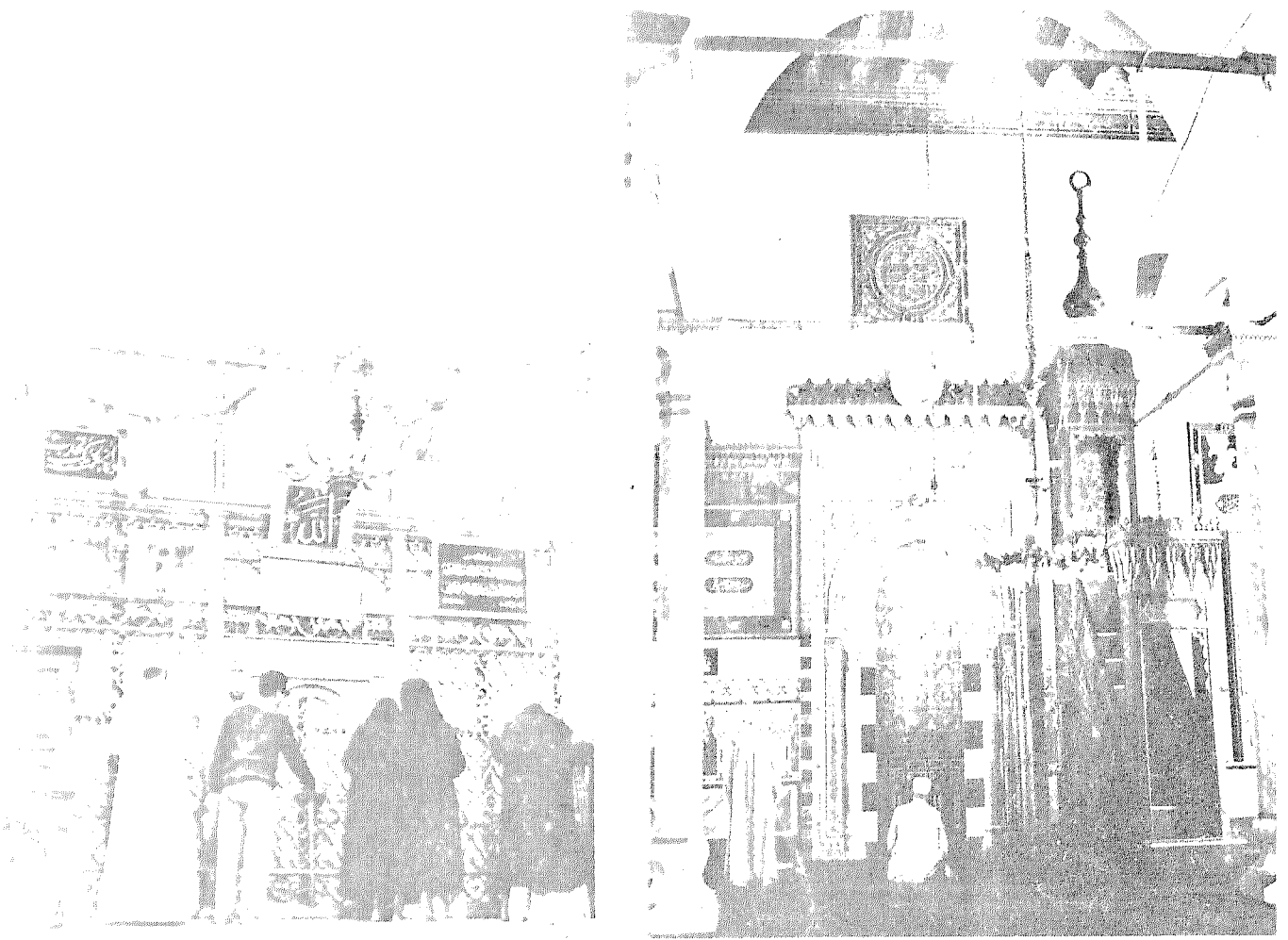
لوحة (٦٧) باب ضريح السيدة نفيسة .

لوحة (٦٨) باب ثان لضريح السيدة نفيسة

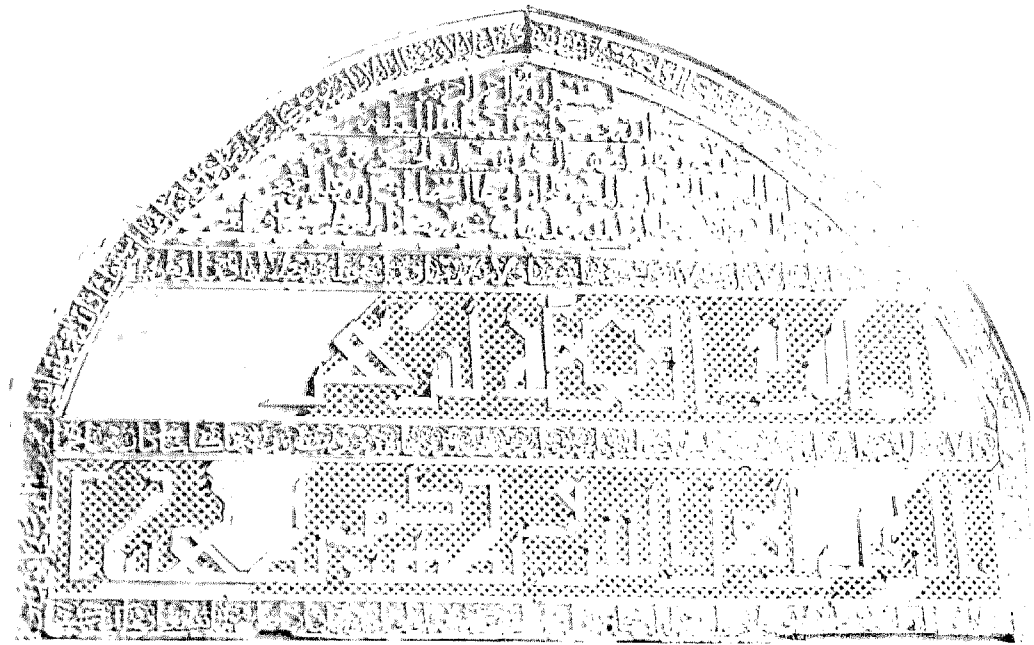
لوحة (٦٩) مقصورة السيدة نفيسة

لوحة (٧٠) محراب جامع السيدة نفيسة

لوحة (٧١) جزء من خشب الخراط الذى كان عملاً مقصورة السيدة نفيسة



74

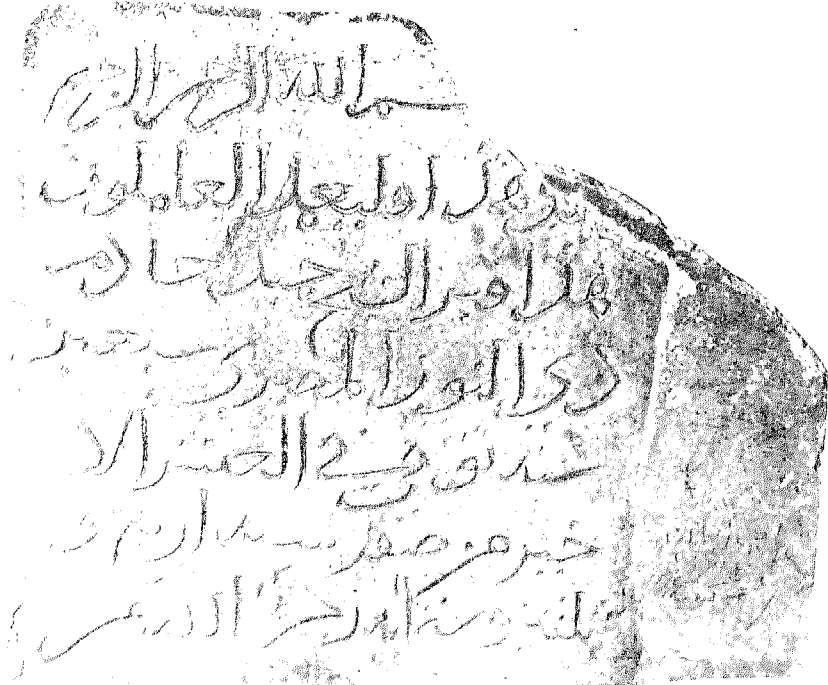


VI

لوحة (٧٢) شاهد قبر المتصوف المصري ذى
النون المصري



لوحة (٧٣) شاهد قبر خادم مسجد وضريح ذى
النون المصري في القرن (٧) هـ

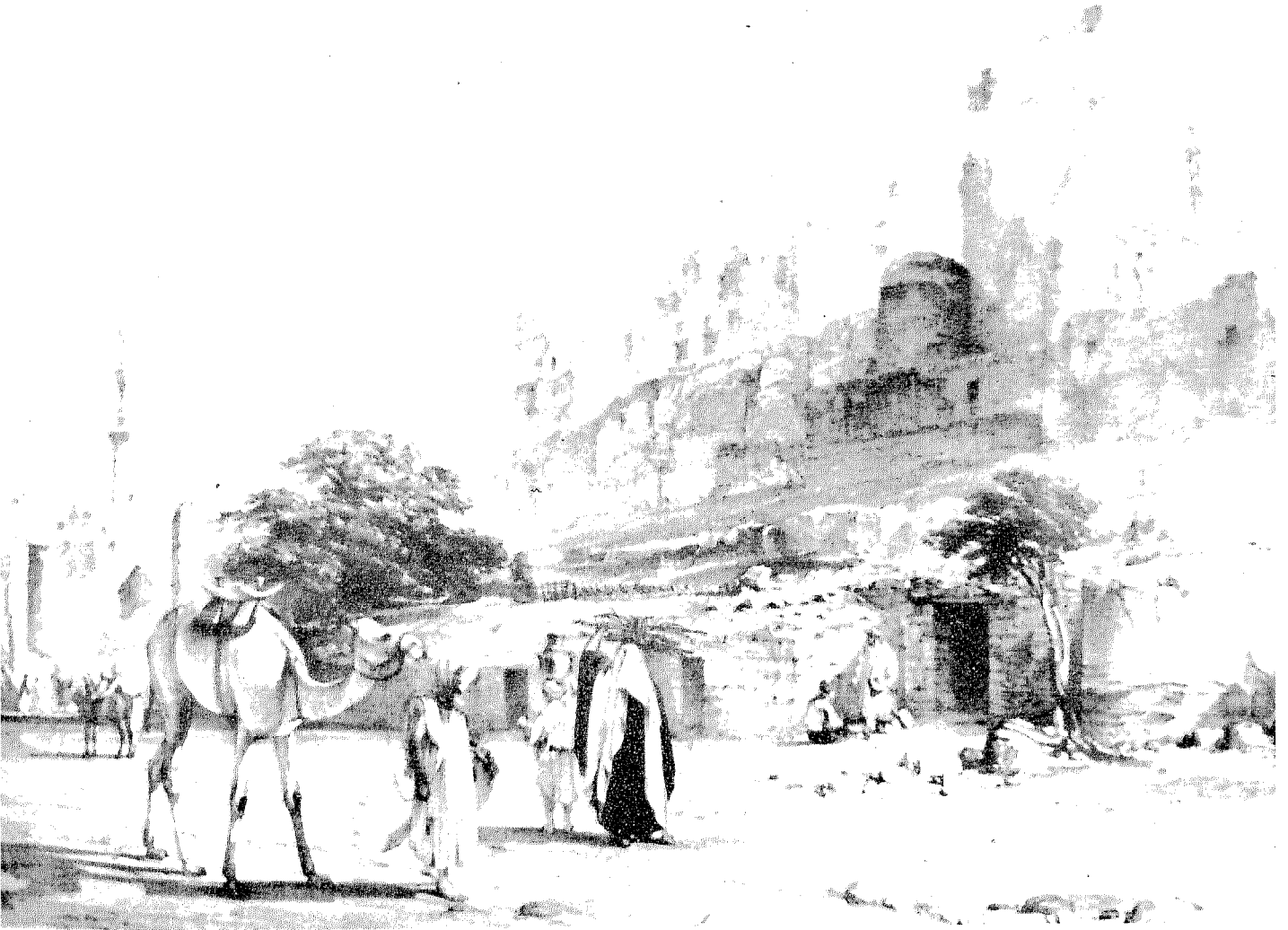


لوحة (٧٧) حي جامع ابن طولون

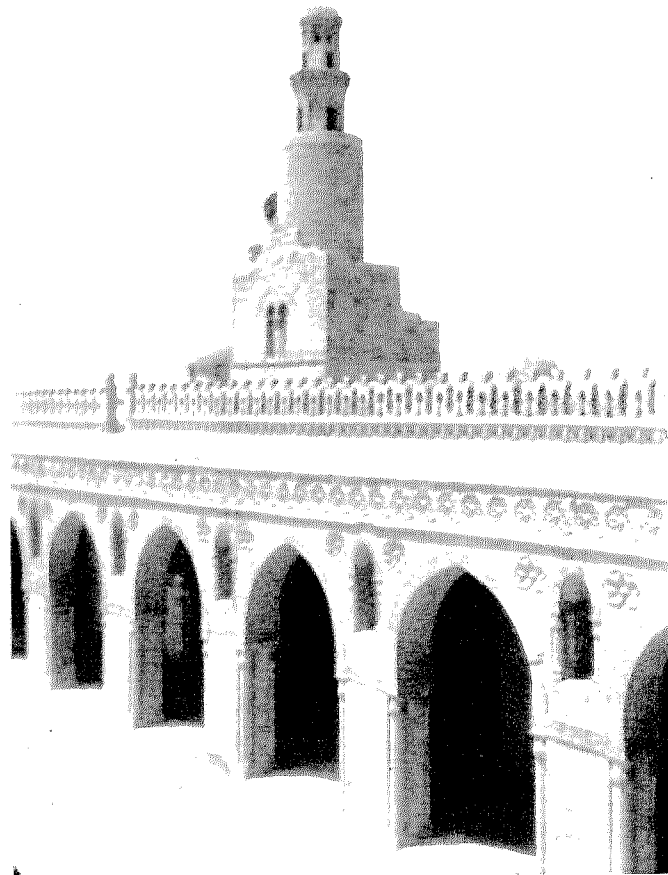
لوحة (٧٨) مئذنة جامع ابن طولون

لوحة (٧٩) جامع ابن طولون يتوسط مدينة القطائع

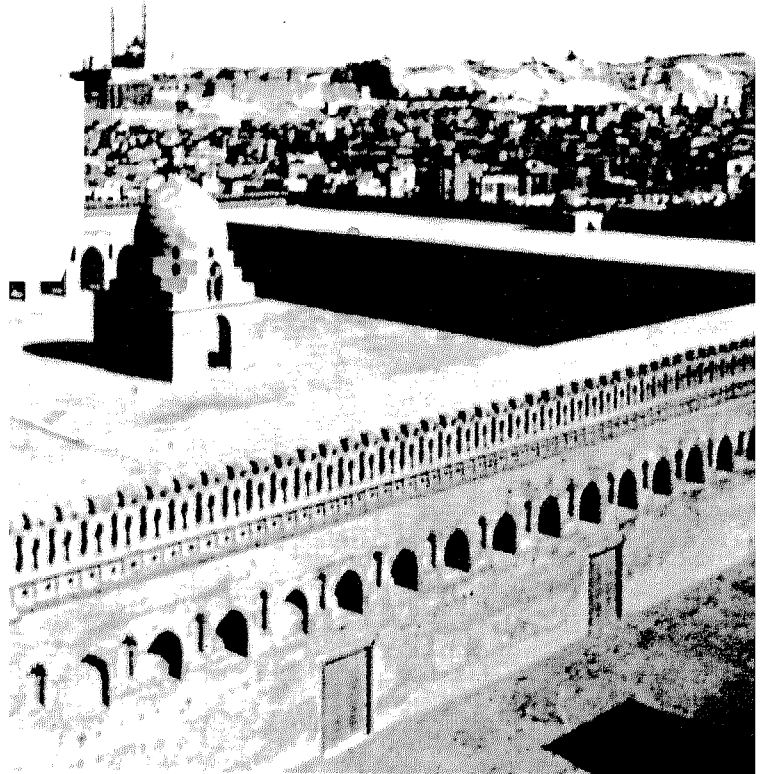
٧٧



YA

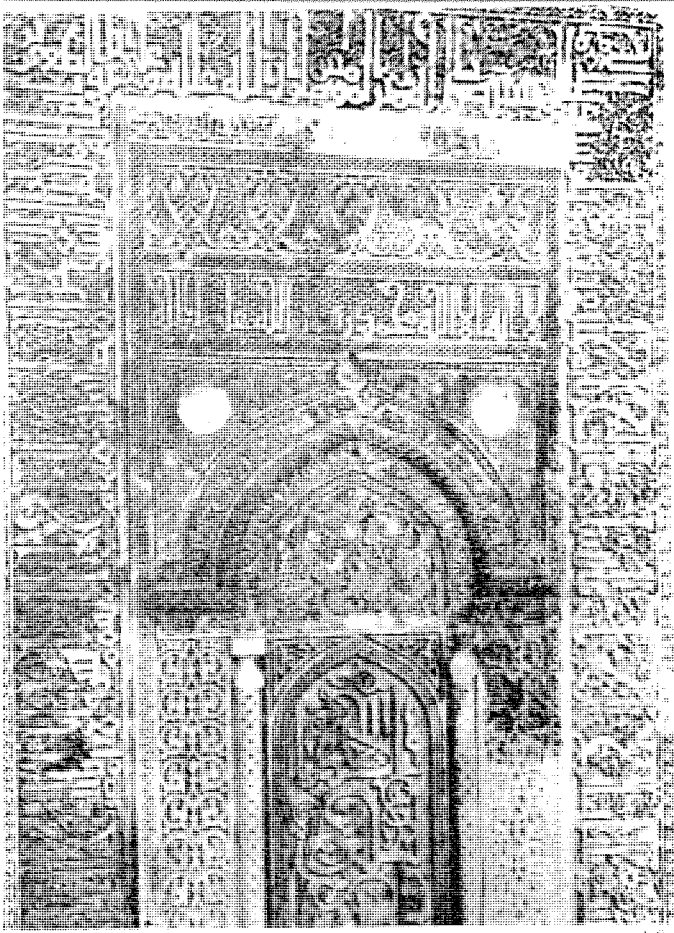


YA



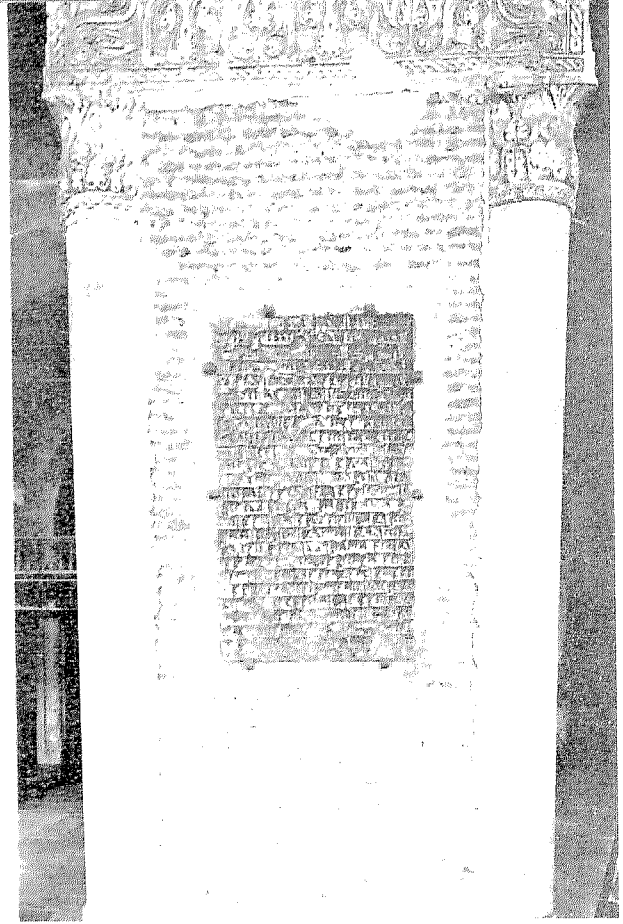
207





٨٢

لوحة (٨٢) محراب الخليفة المستنصر ووزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي بجامع ابن طولون



٨١

لوحة (٨١) اللوحة التأسيسية لجامع ابن طولون

لوحة (٨٠) رواق القبلة بجامع ابن طولون وقد ظهر به المنبر والمحراب

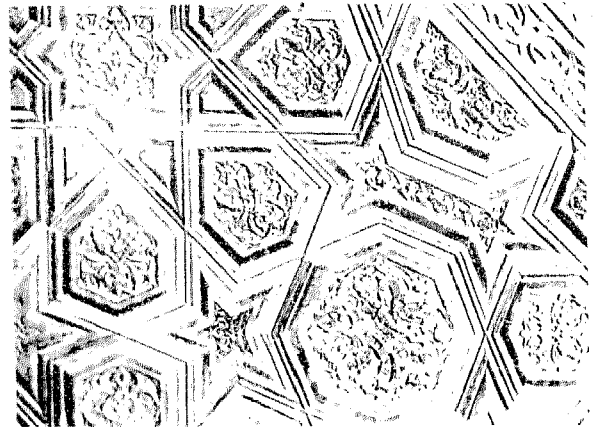
لوحة (٨٤) بعض الأشرطة الكتابية التي تحيط بجامع ابن طولون

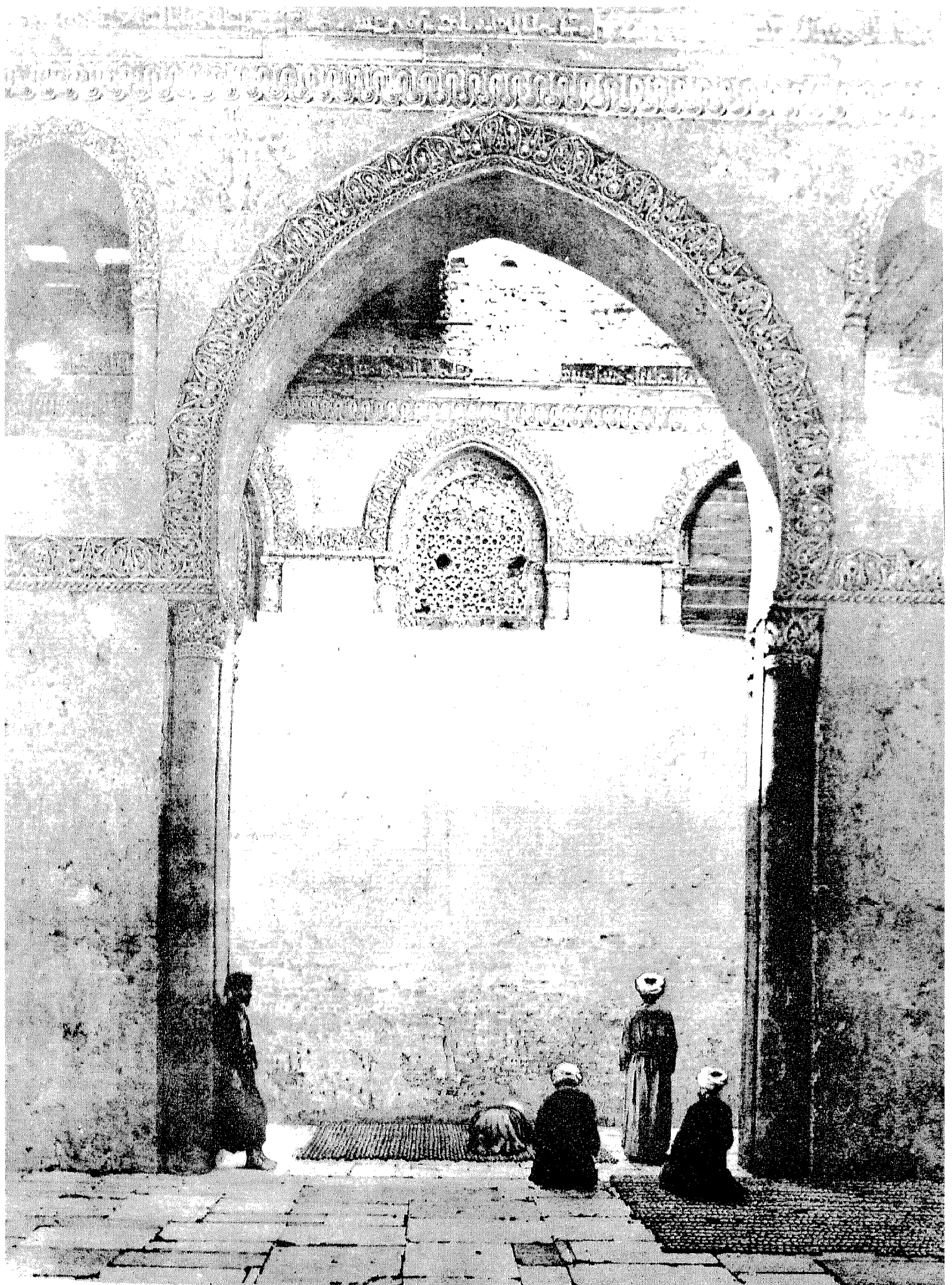
٨٤

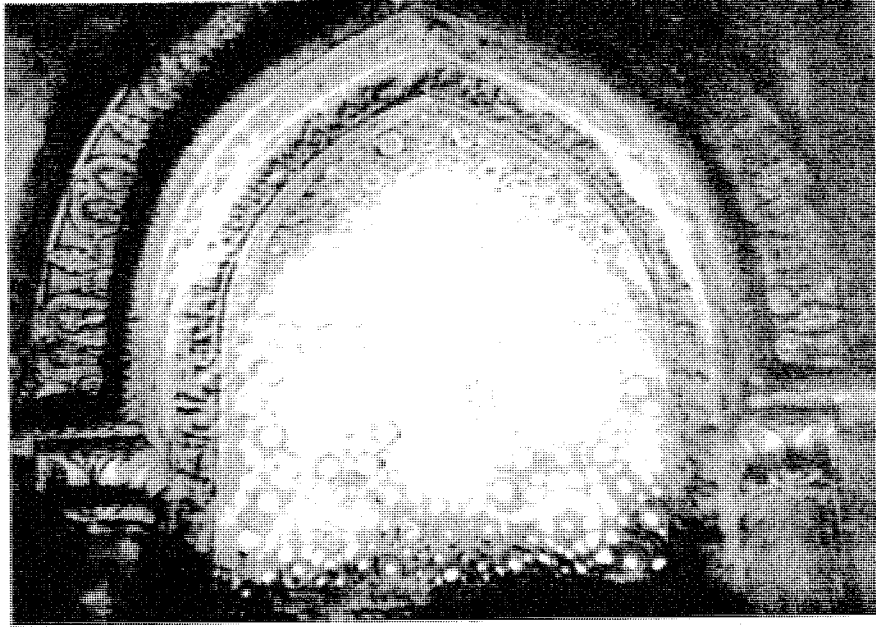


لوحة (٨٣) تفاصيل منبر جامع ابن طولون

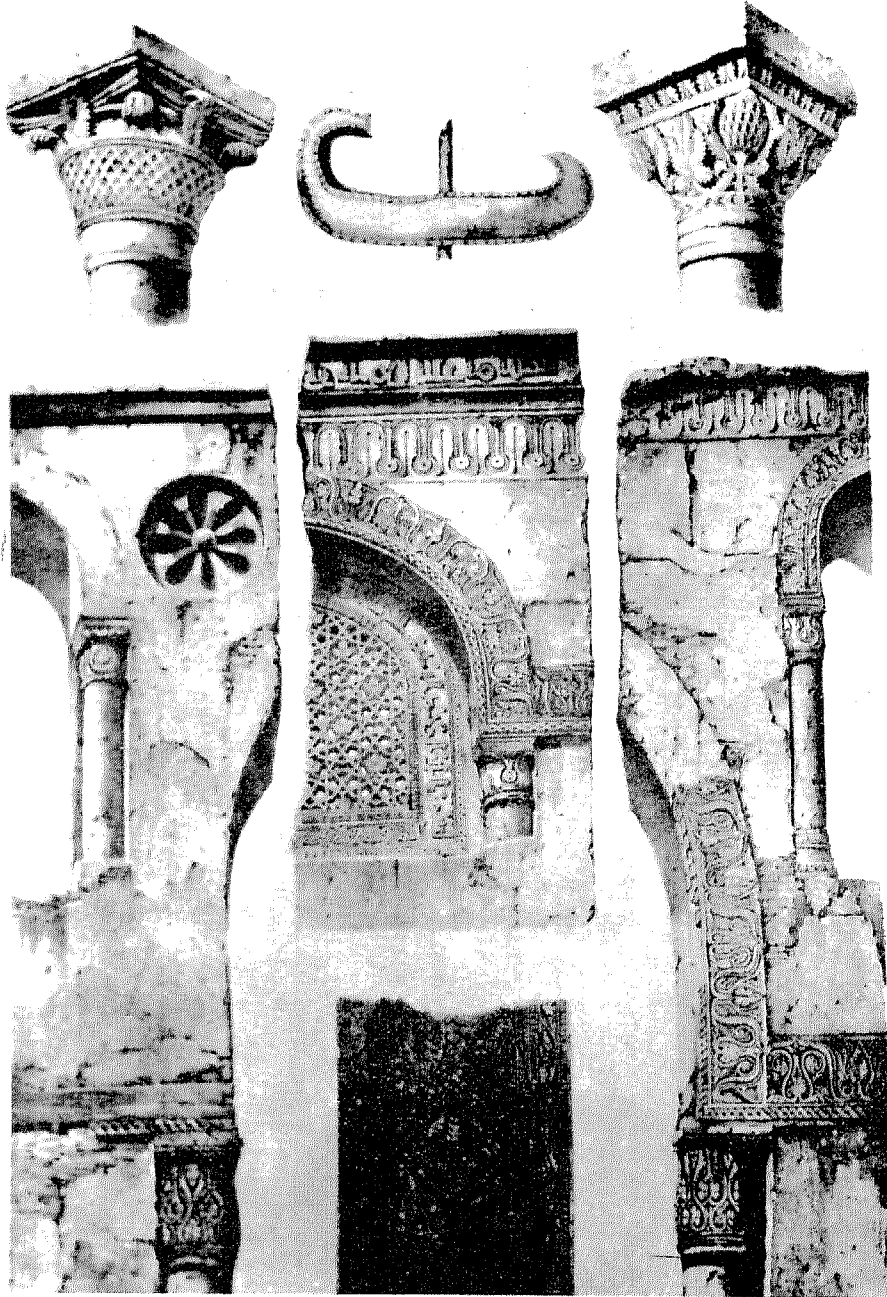
٨٣







لوحة (٨٦) تفاصيل لإحدى نوافذ
جامع أحمد ابن طولون

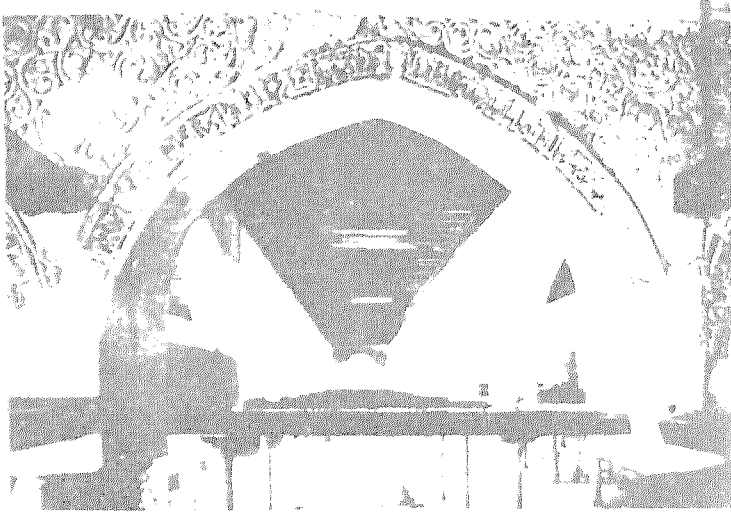


لوحة (٨٧) تفاصيل للزخارف الحصية
بجامع ابن طولون

لوحة (٨٥) أحد أروقة قبلة جامع ابن
طولون

لوحة (٨٨) مشهدة جامع ابن طولون
في الزيادة العربية

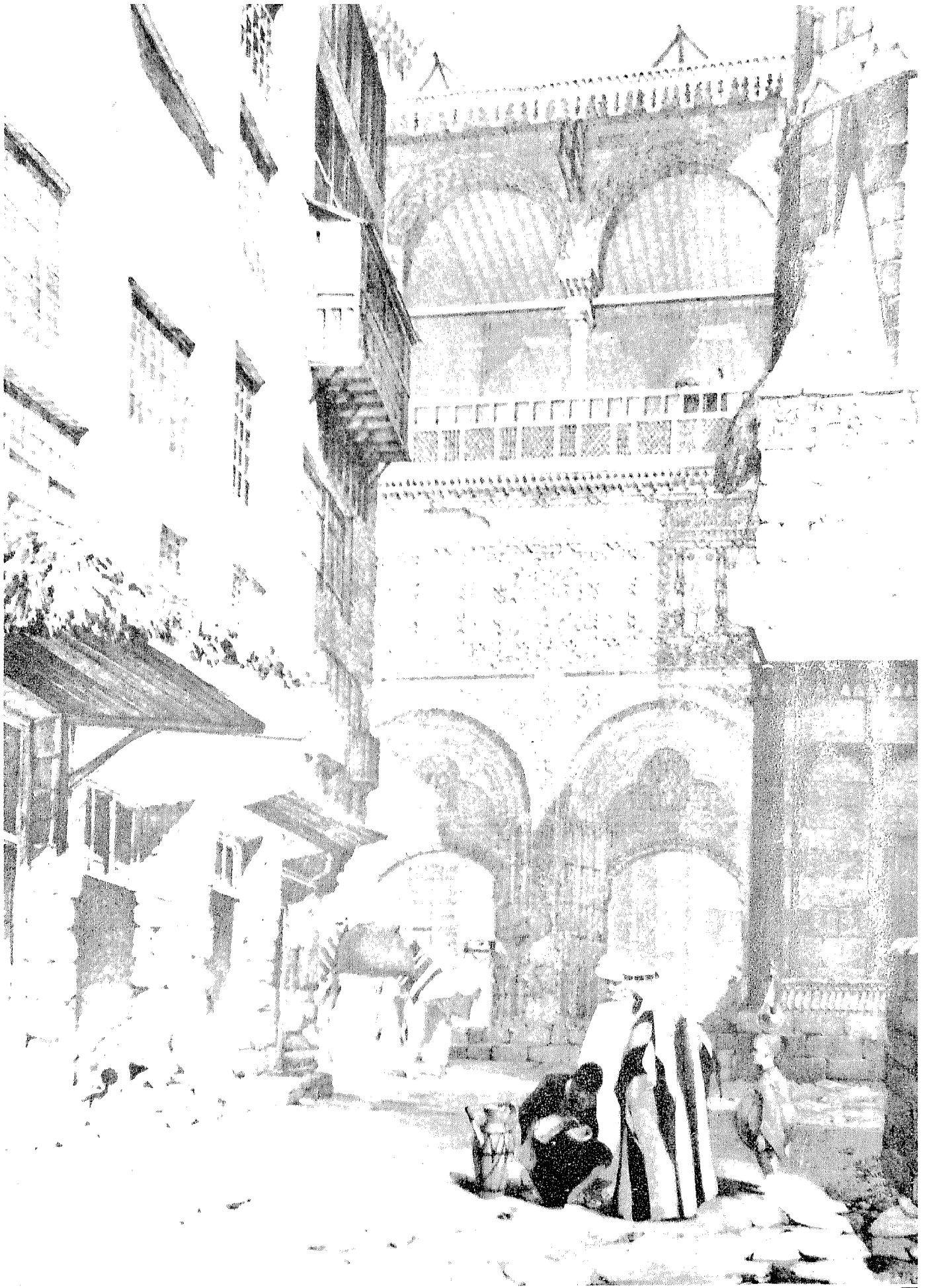




نوحه (٨٩) عتود مجاز جامع الأزهر

نوحه (٩٠) التجويف الداخلي لمحراب المعز لدين الله الفاطمي







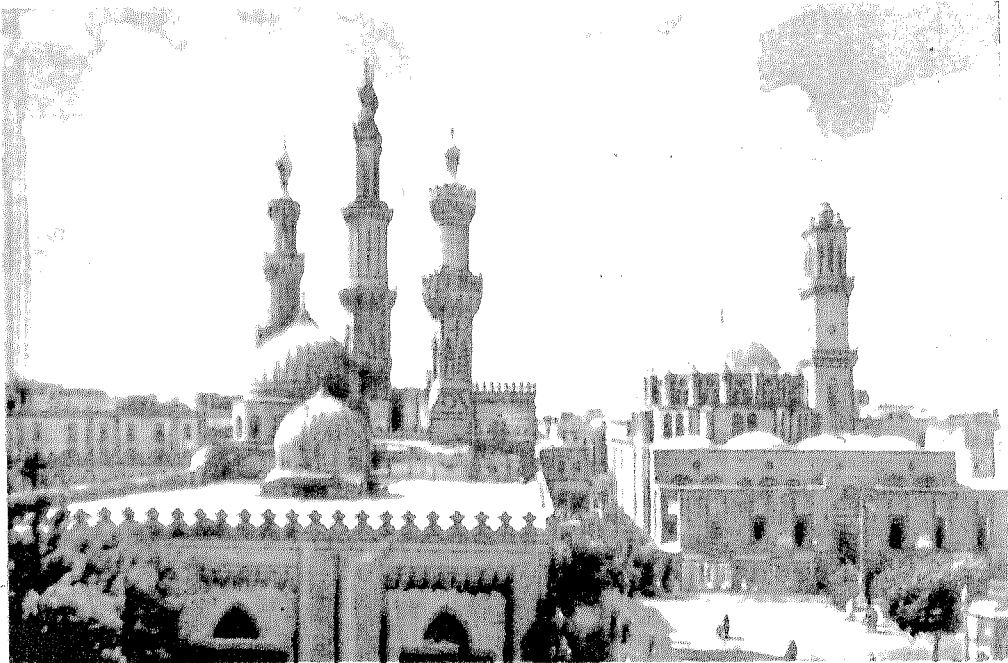
لوحة (٩١) الباب الرئيسي للجامع الأزهر
في التواجهة الغربية وهو المعروف باسم
(باب المزينين)

لوحة (٩٢) الرواق الغربي للجامع الأزهر
وتعلوه مشدنتا قايتباي والغوري

لوحة (٩٣) سطح الجامع الأزهر
تعلوه القباب والمآذن

٩٢

٩٣



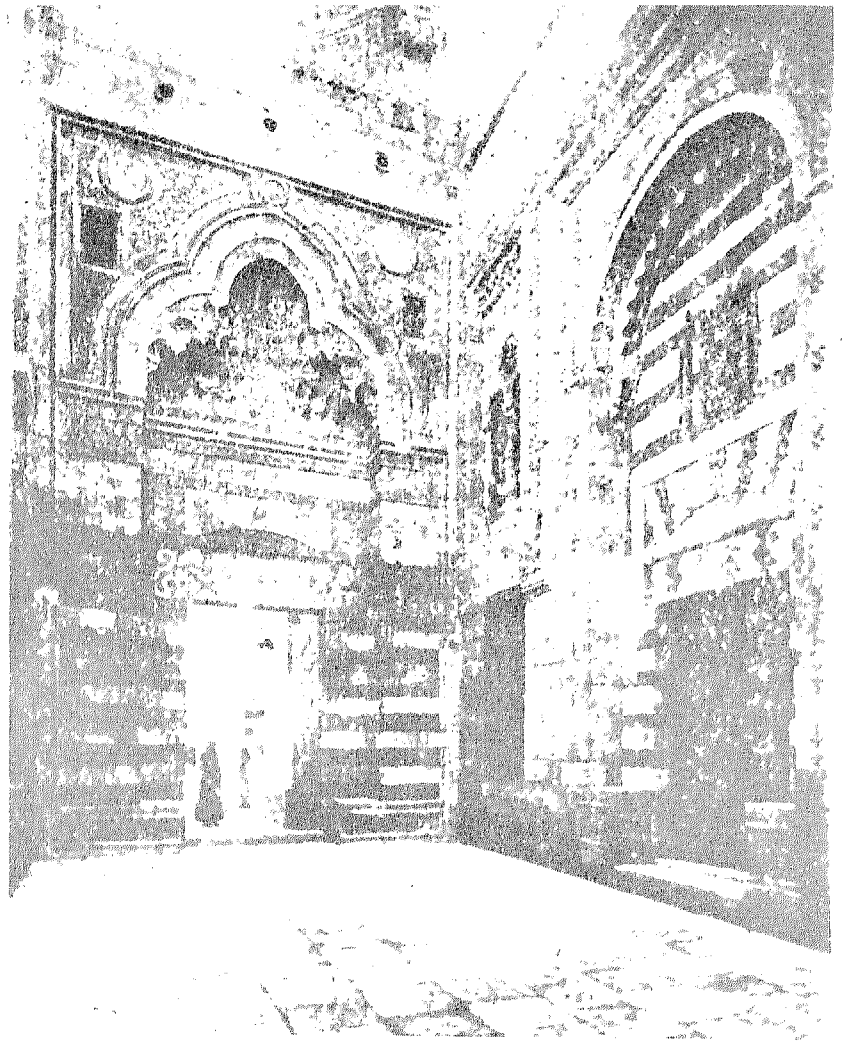
لوحة (٩٤) باب السلطان قايتباي في الضلع
الغربي الداخلي للجامع الأزهر

لوحة (٩٥) الرواق الغربي للجامع الأزهر

لوحة (٩٦) صحن الجامع الأزهر

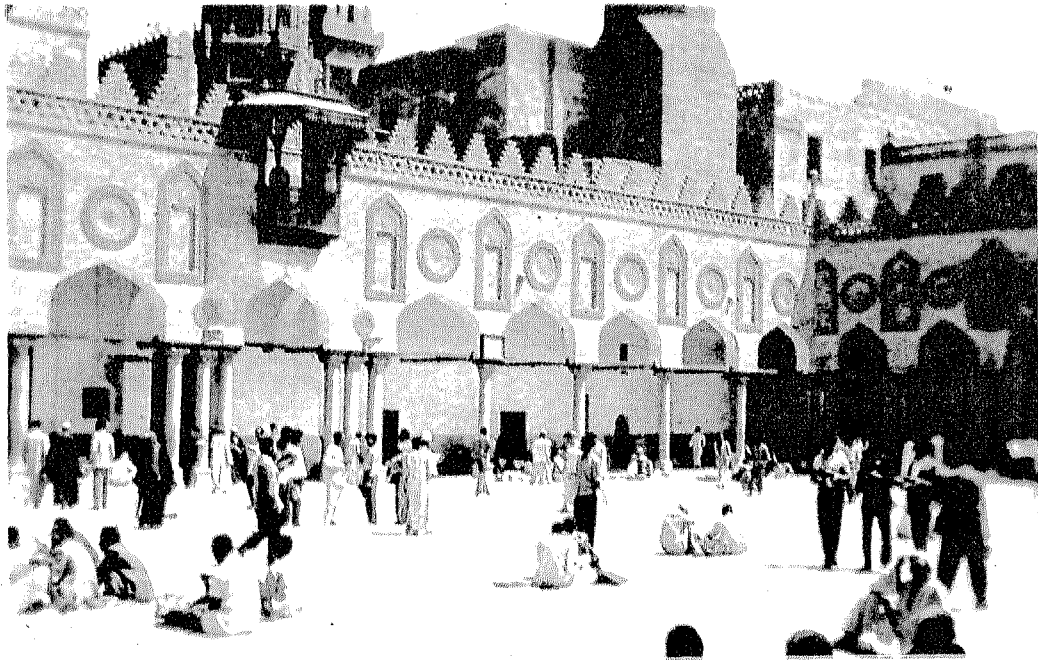
لوحة (٩٧) شجراب المدرسة
الأقبضاوية بالجامع الأزهر

لوحة رقم (٩٨) قبة المدرسة الأقبضاوية

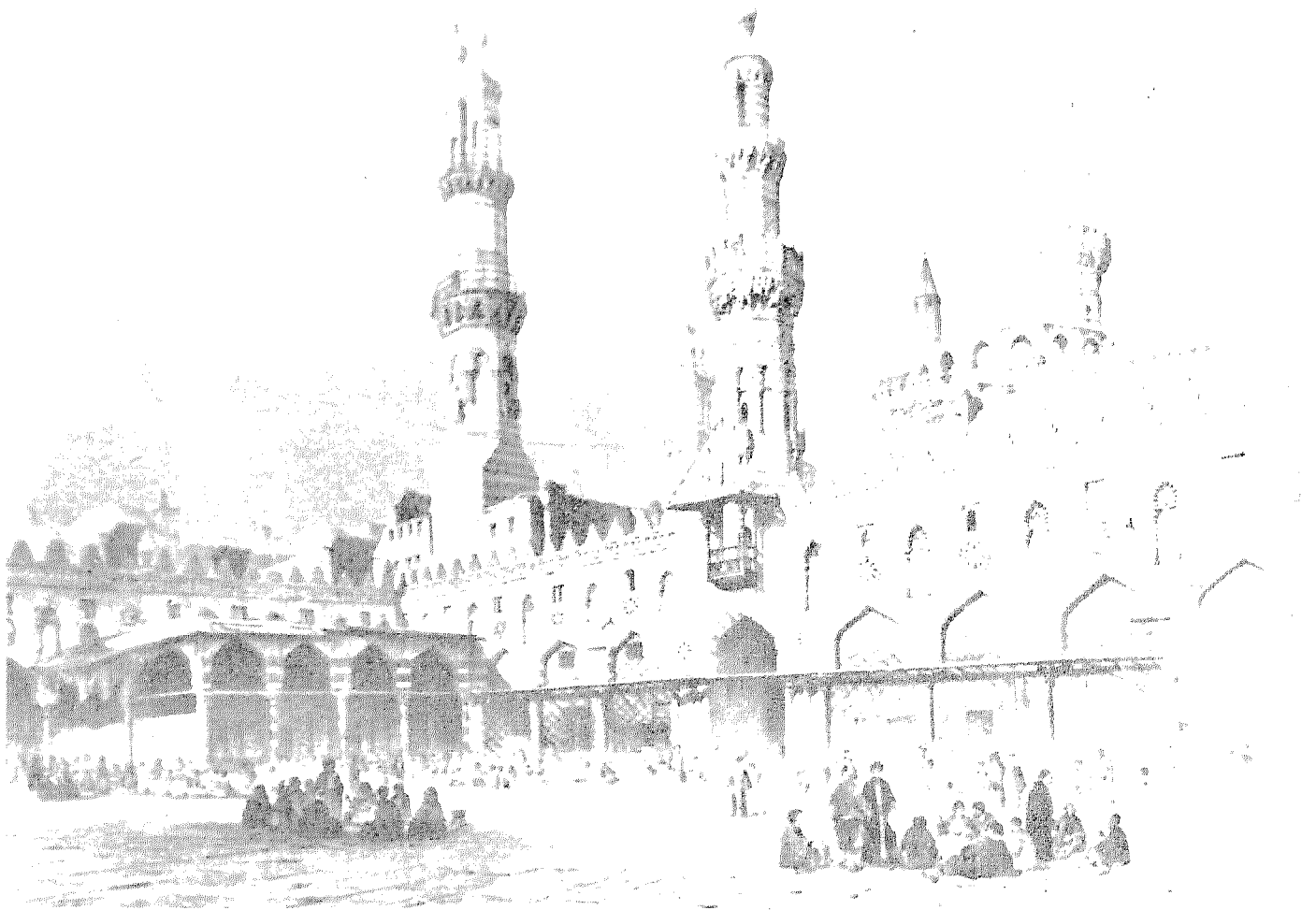


٩٤

٩٥

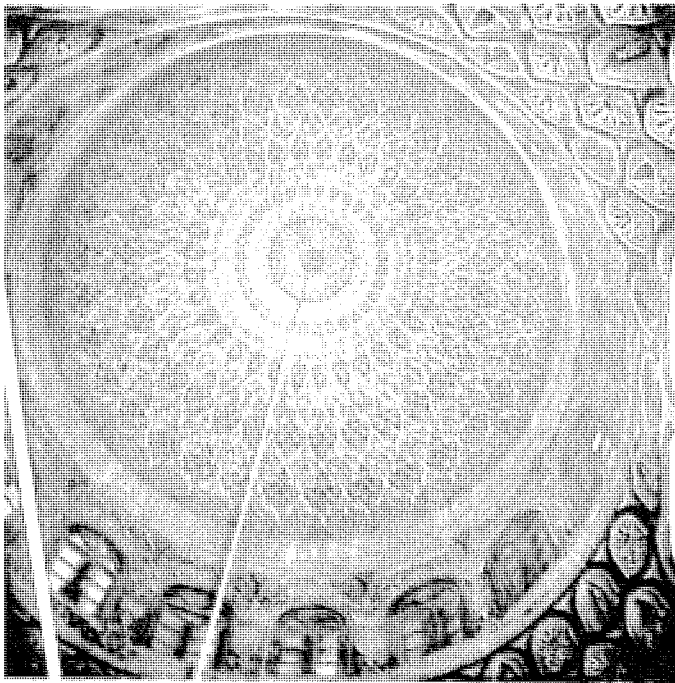


٩٦



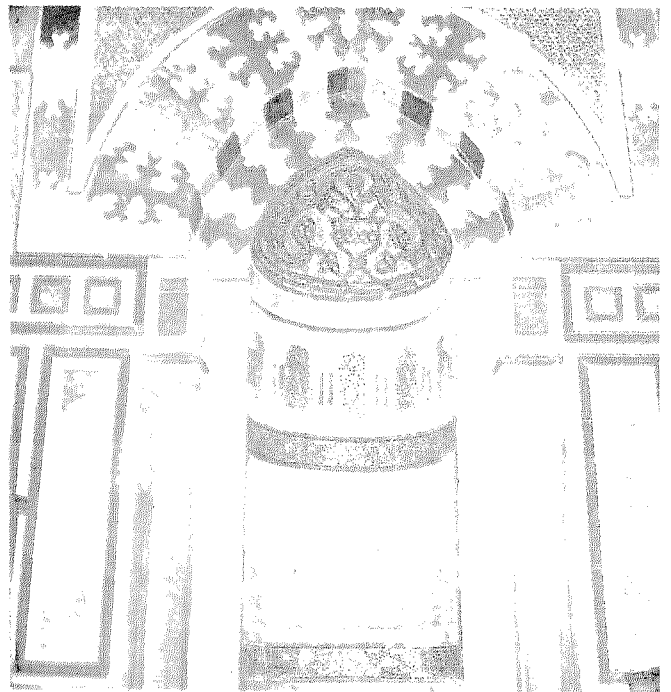
96

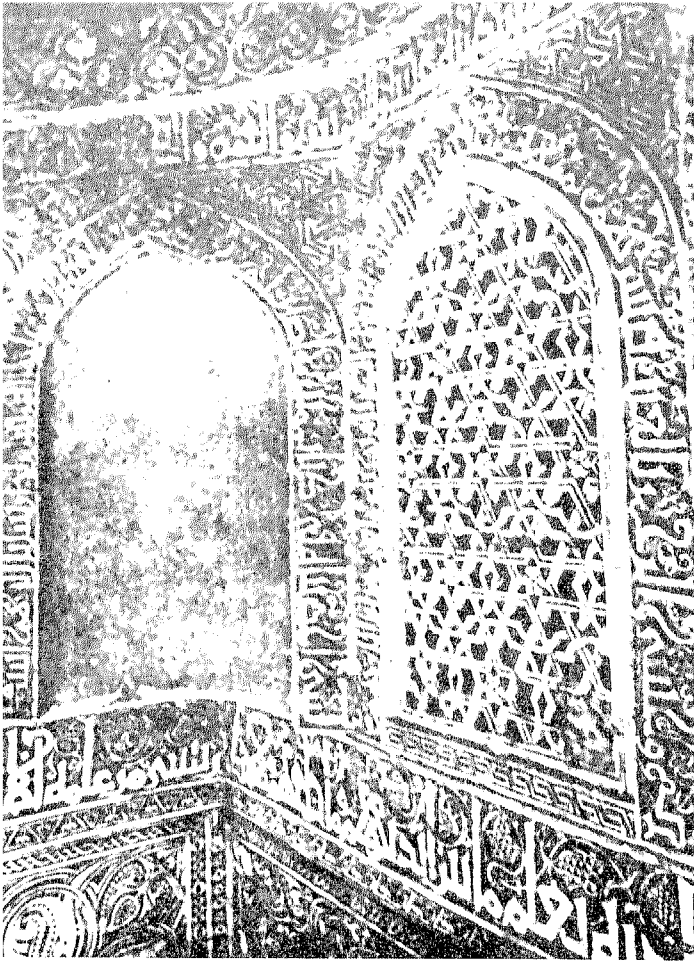
98



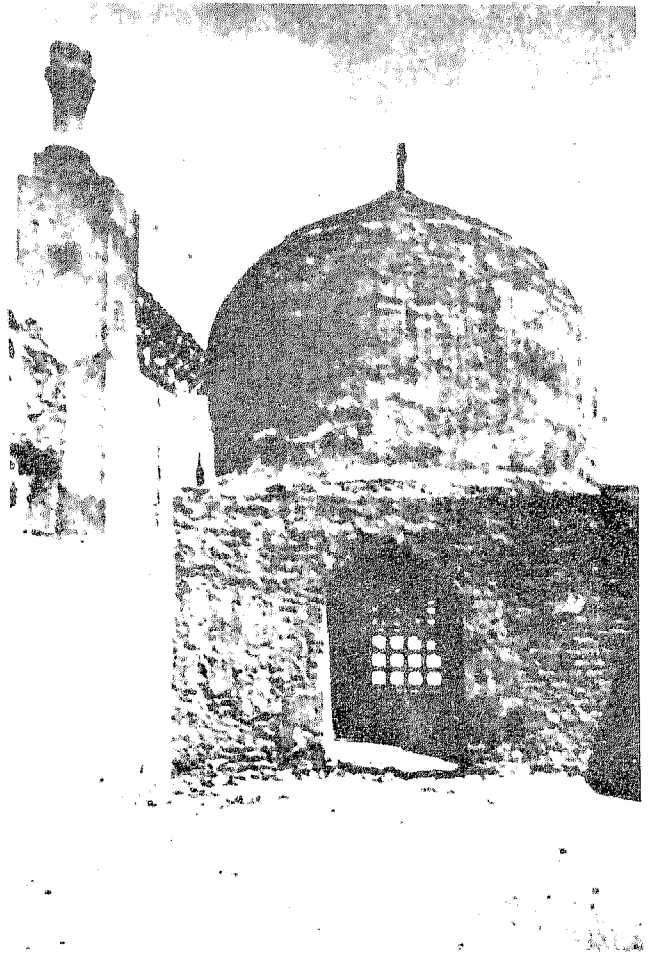
879

97

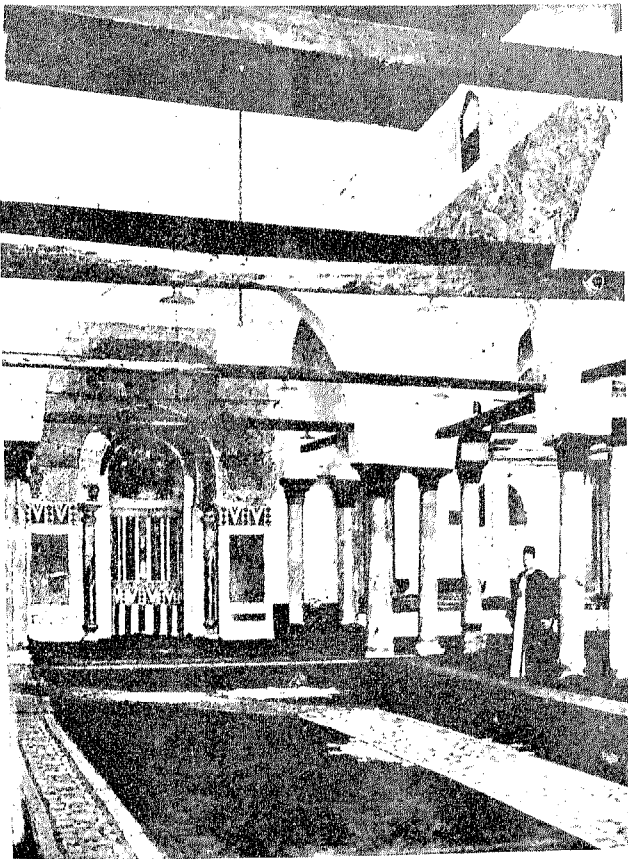




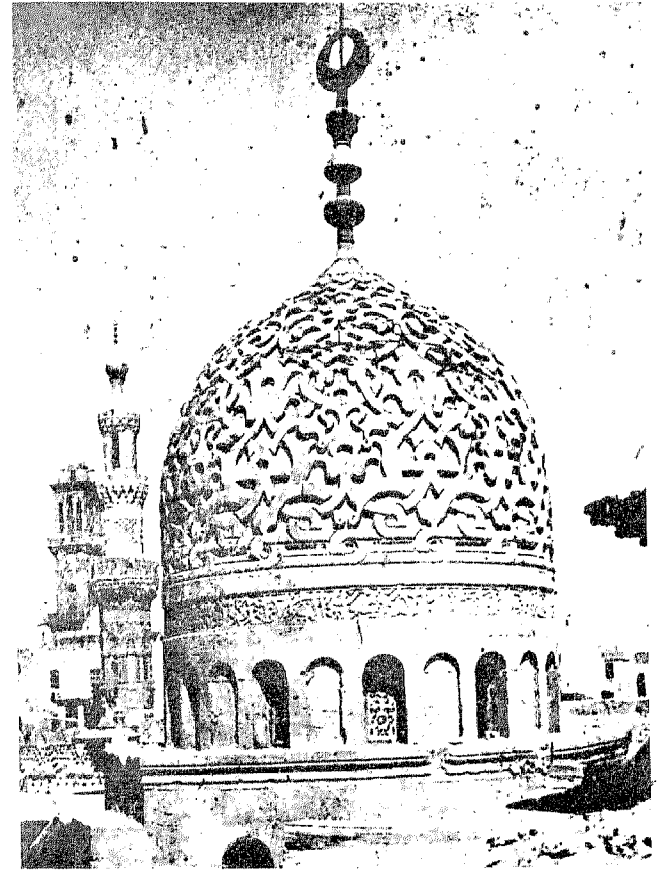
100



99



102



101

لوحة (٩٩) القبلة التي تعلو مجاز الجامع الأزهر

لوحة (١٠٠) مقدم المآزر من الداخل

لوحة (١٠١) قبة المدرسة الجوهريّة بالجامع الأزهر

لوحة (١٠٢) المآزر الذي يقسم رواق القبلة إلى نصفين

لوحة (١٠٣) محراب الجامع الأزهر القديم

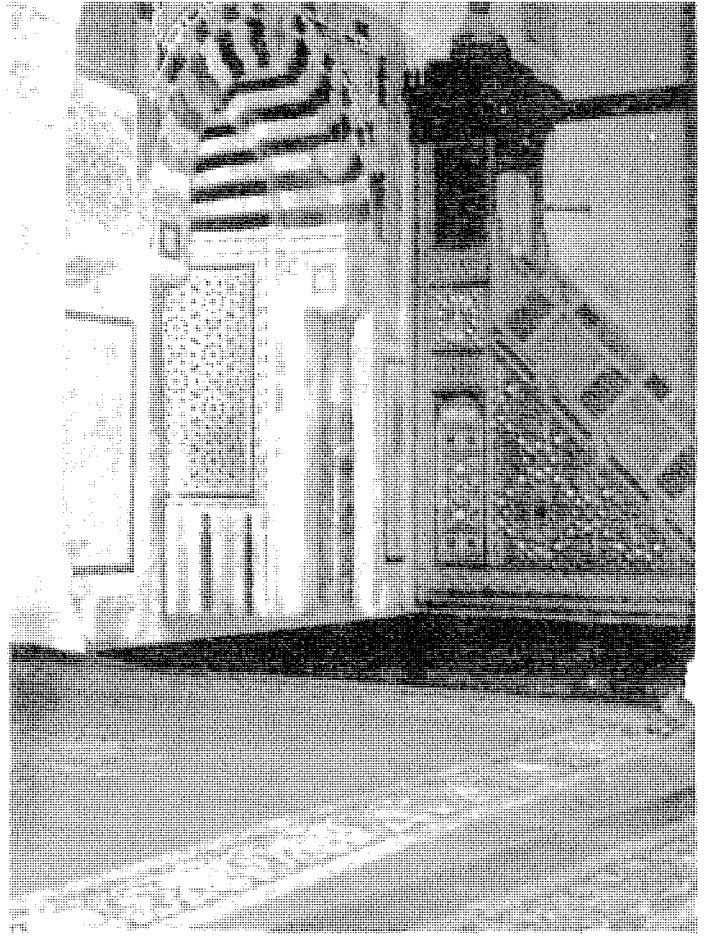
لوحة (١٠٤) رواق القبلة بالجامع الأزهر

١٠٣

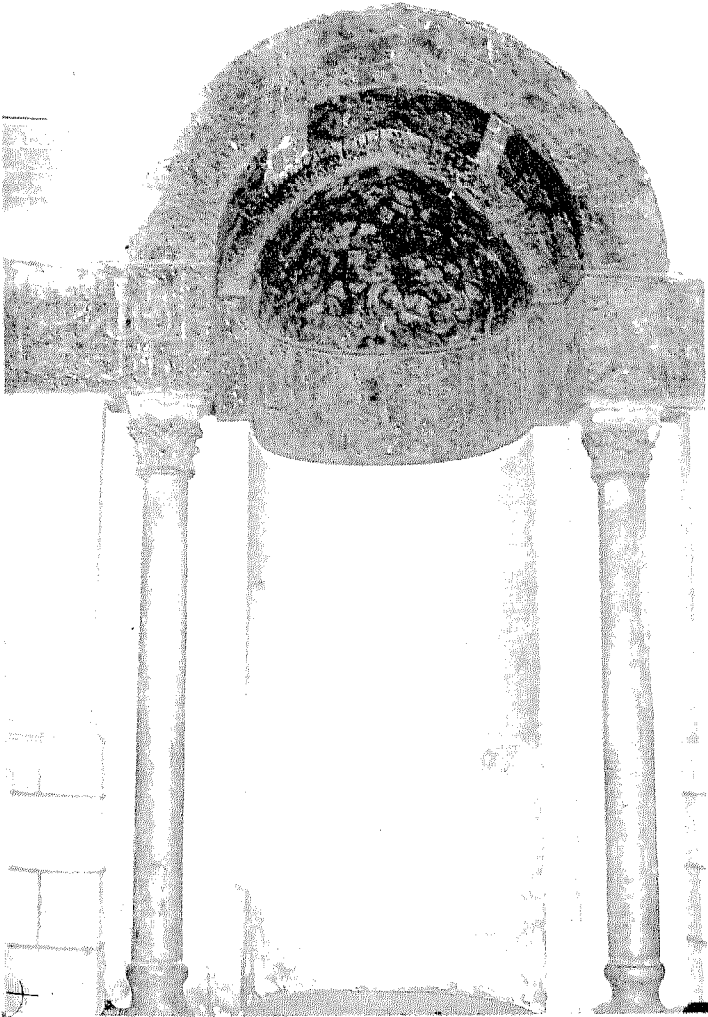
١٠٤



لوحة (١٠٥) محراب الزيادة التي أضافها عبد الرحمن كتيختا
في الجامع الأزهر



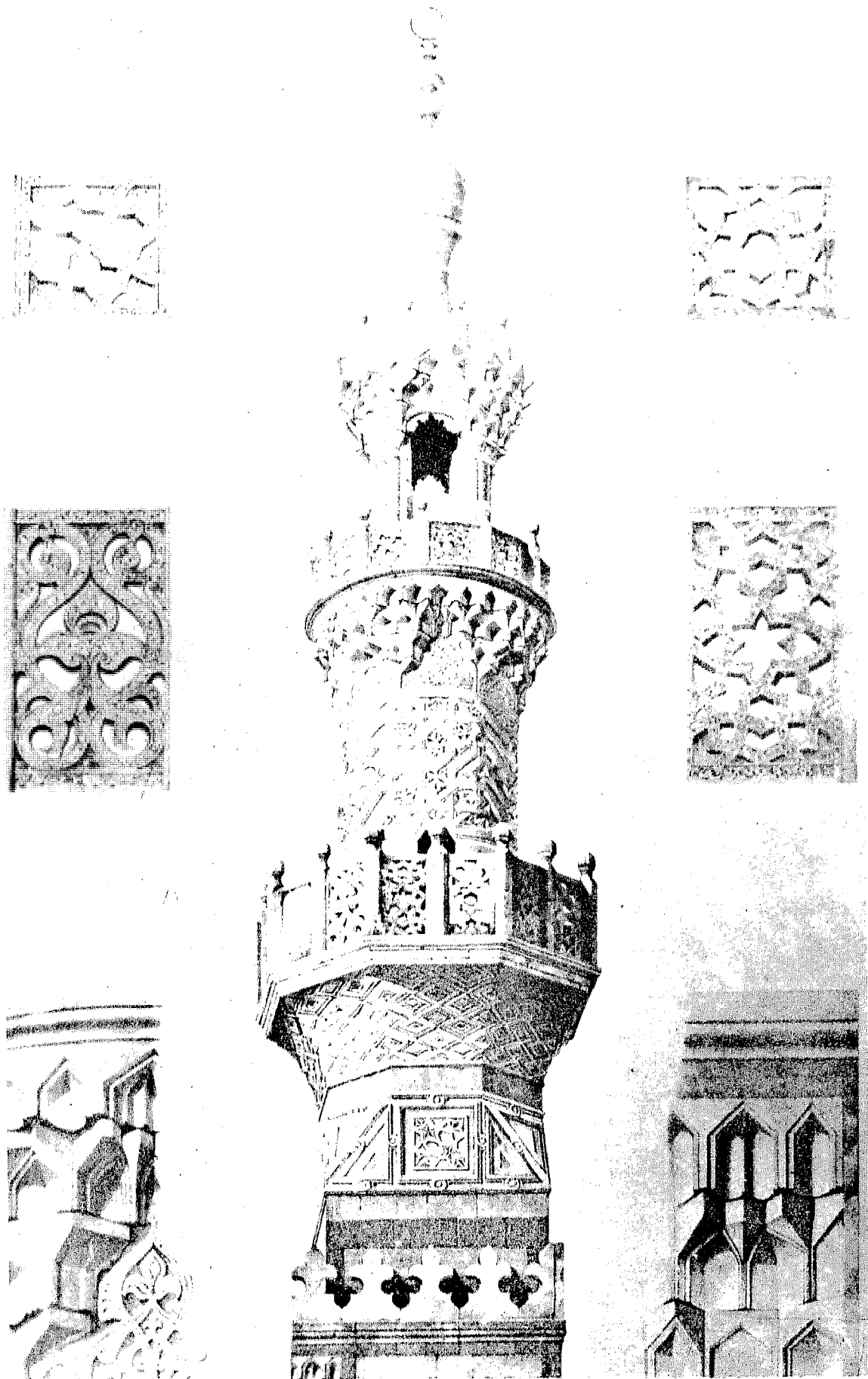
لوحة (١٠٦) محراب الدردير بالجامع الأزهر

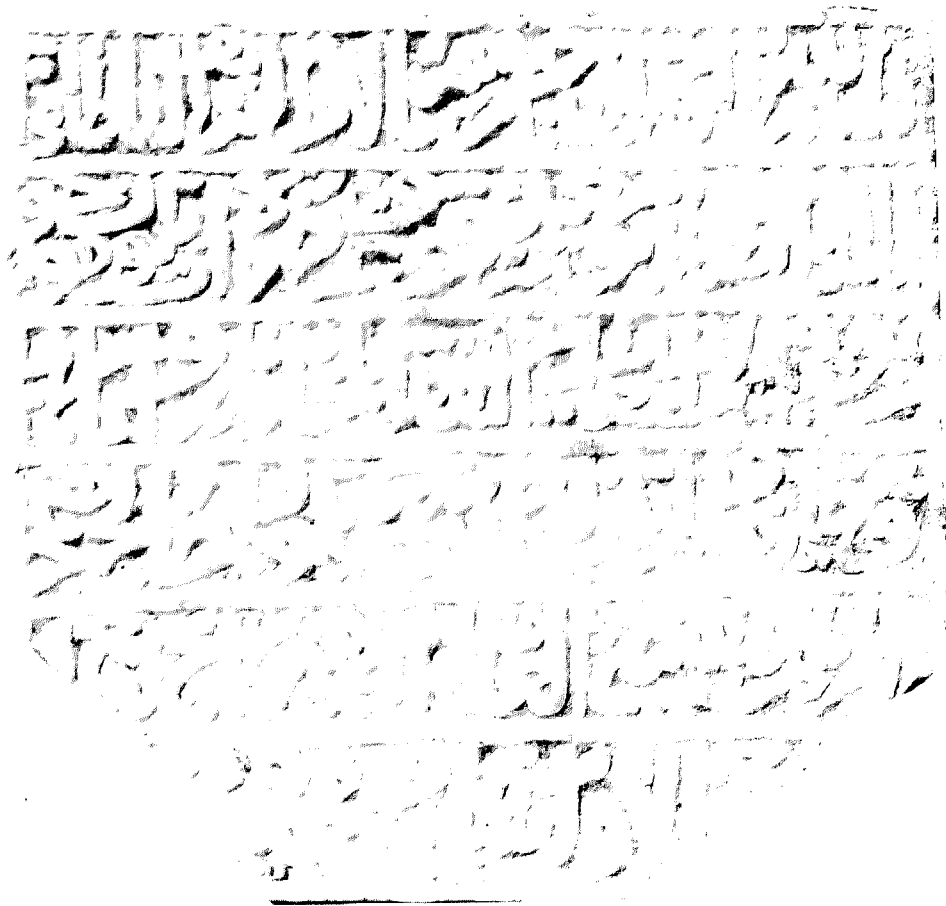




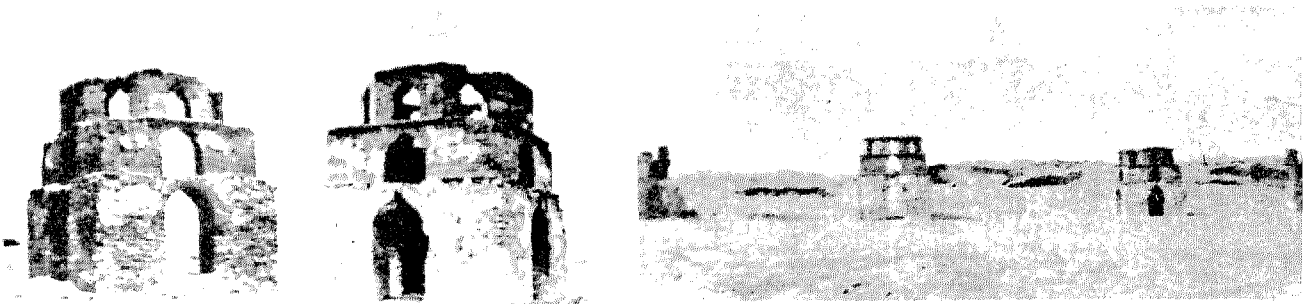
لوحة (١٠٧) داخل مدرسة جوهر القسبيات بالآزهر

لوحة (۱۰۸) تفصیل مثذنة قایتبای بالجامع الأزهر





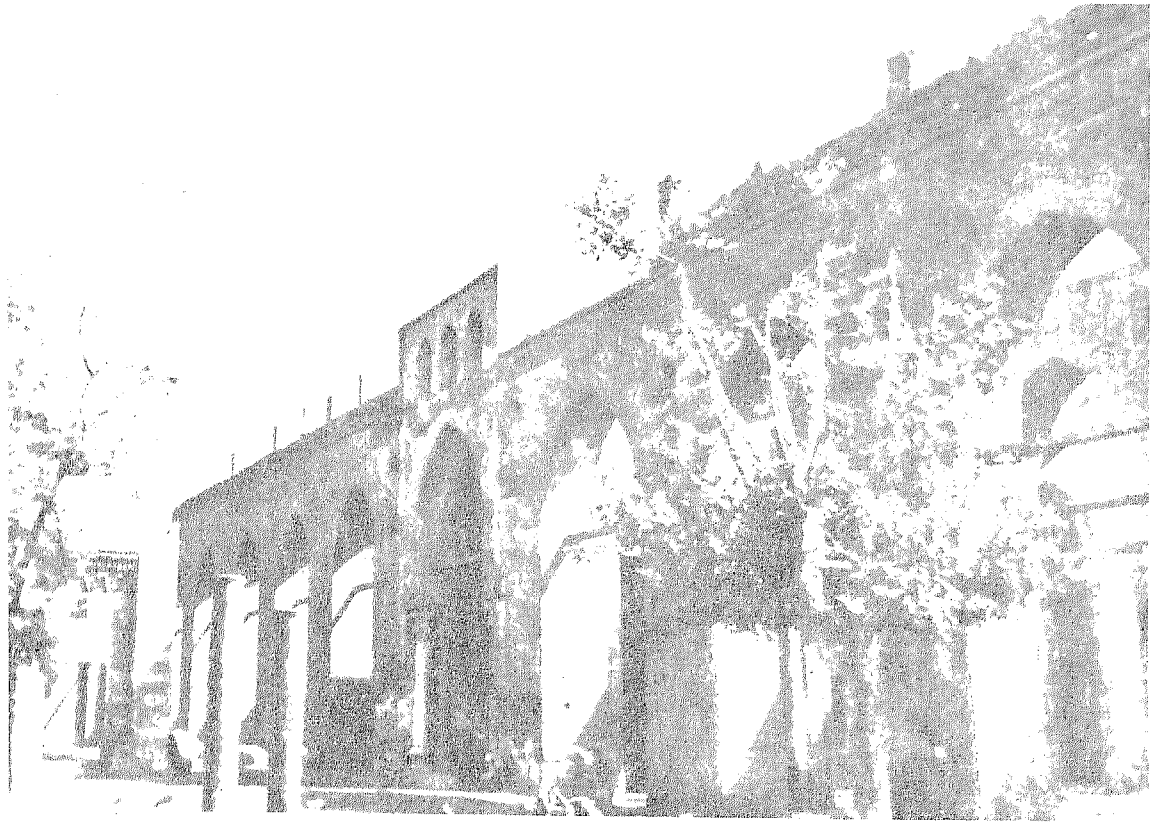
لوحة (١٠٩) لوح من الرخام نقش عليه المرسوم الذي أصدره الملك الطاهر يرقوق



لوحة (١١٠) ضريح السبع بنات



لوحة (١١١) تفاصيل من مشهد السبع بنات

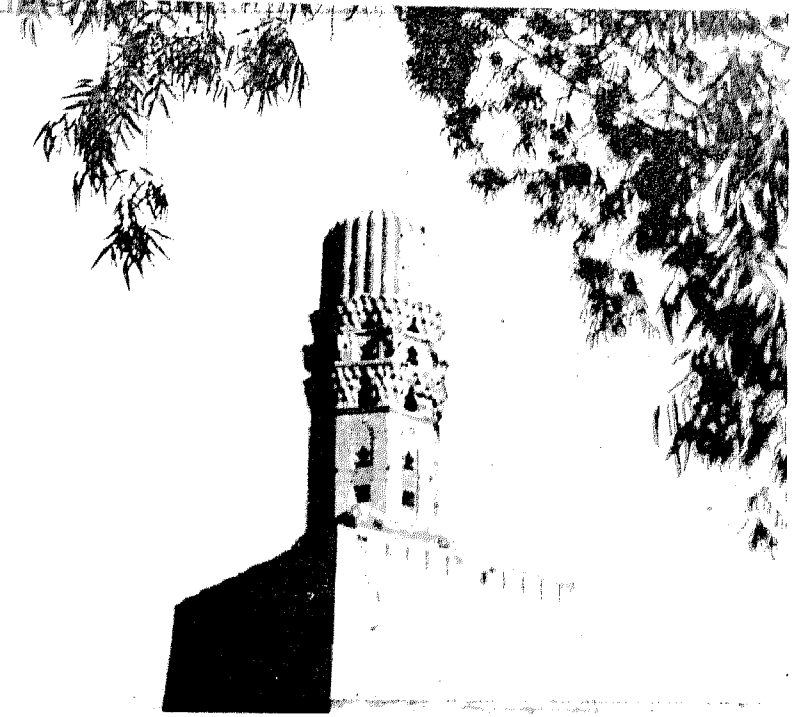




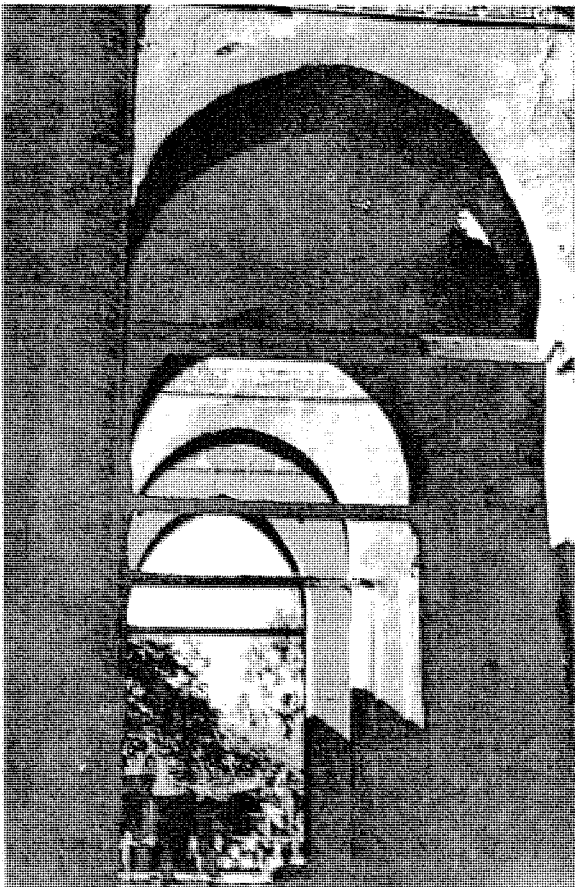
لوحة (١١٣) جزء من المبانى التي أقامها عمر دكرم

لوحة (١١٤) القبة التي توجد عند نهاية المجرى وأمام
محراب الجامع الحاكمىلوحة (١١٥) القبة تتوسط الرواق الأول بيوتان
القبلة بجامع الحاكم

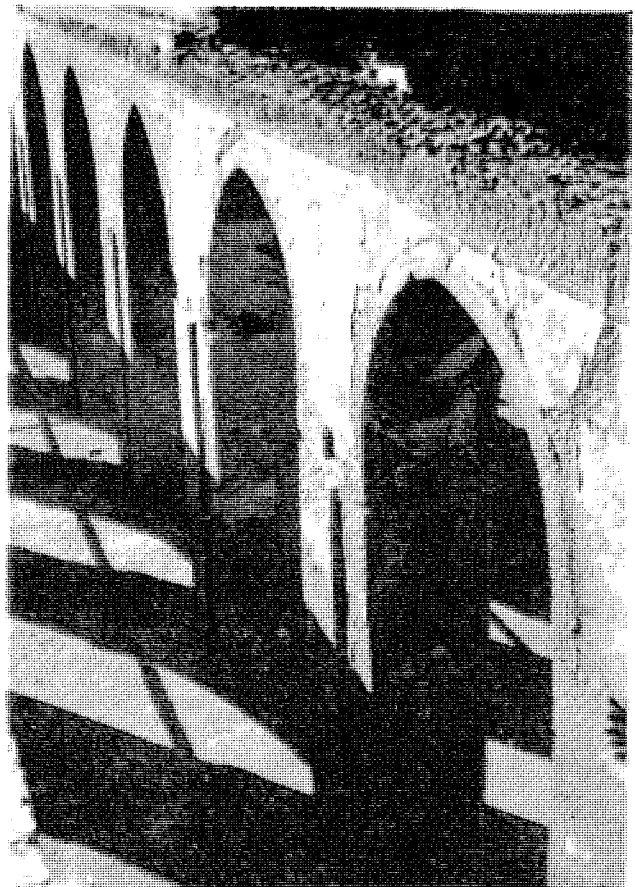
لوحة (١١٦) مشهد جامع الحاكم الغربية

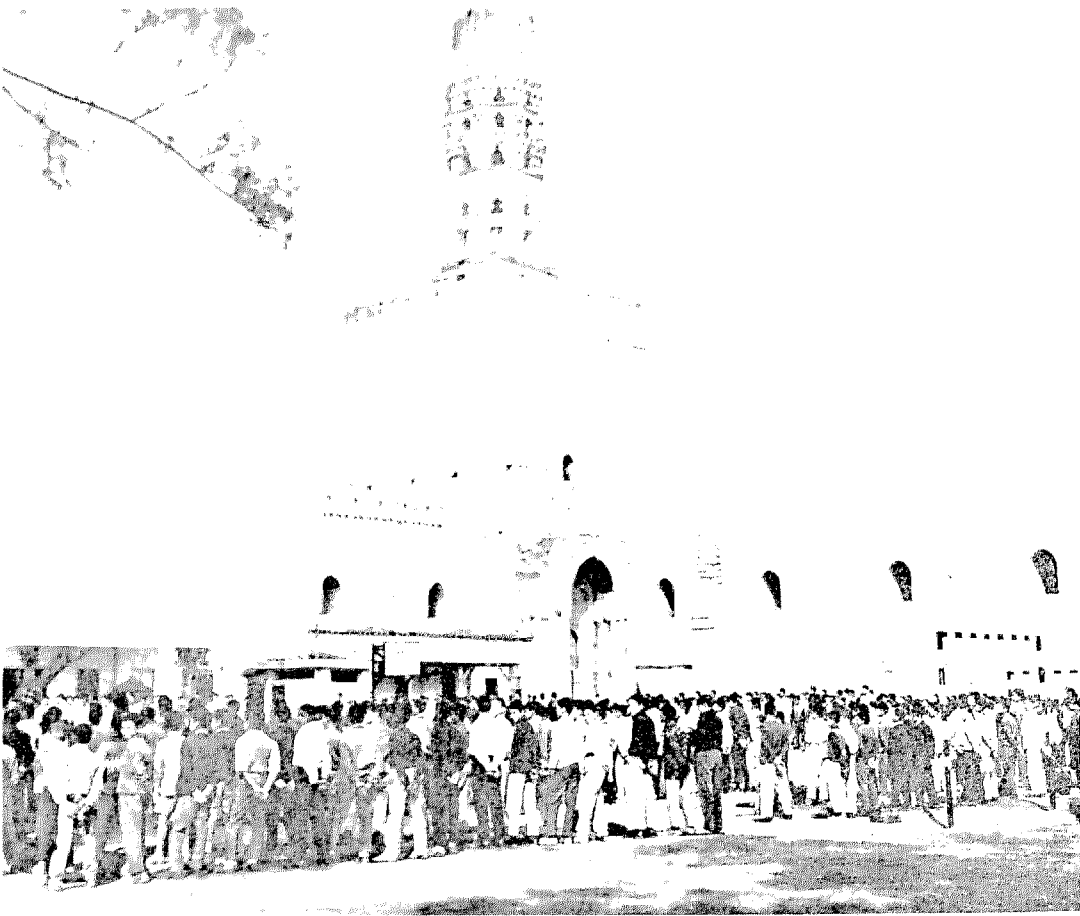


لوحة (١١٨) الزخارف الكتابية التي تعلو البوئاتك
بجامع الحاكم



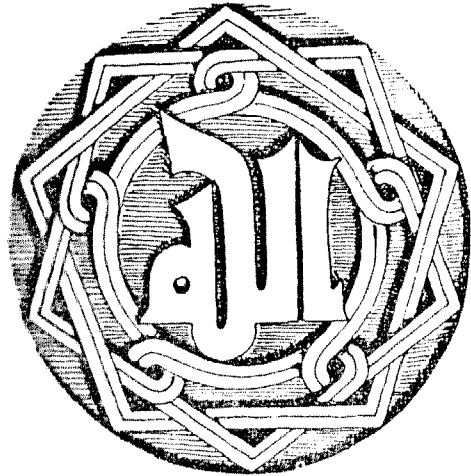
لوحة (١١٧) إحدى بوئاتك إيوان القبلة بجامع الحاكم



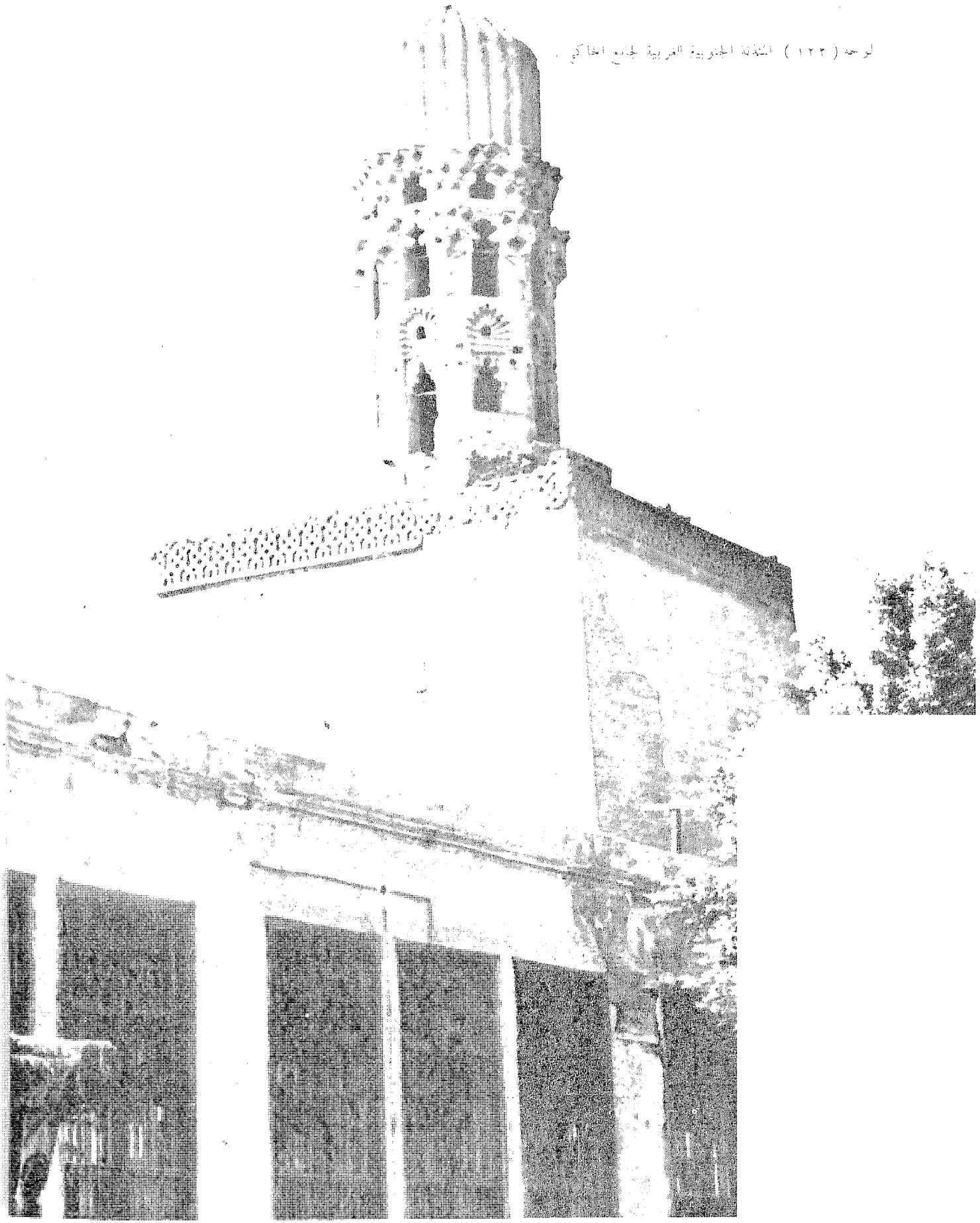


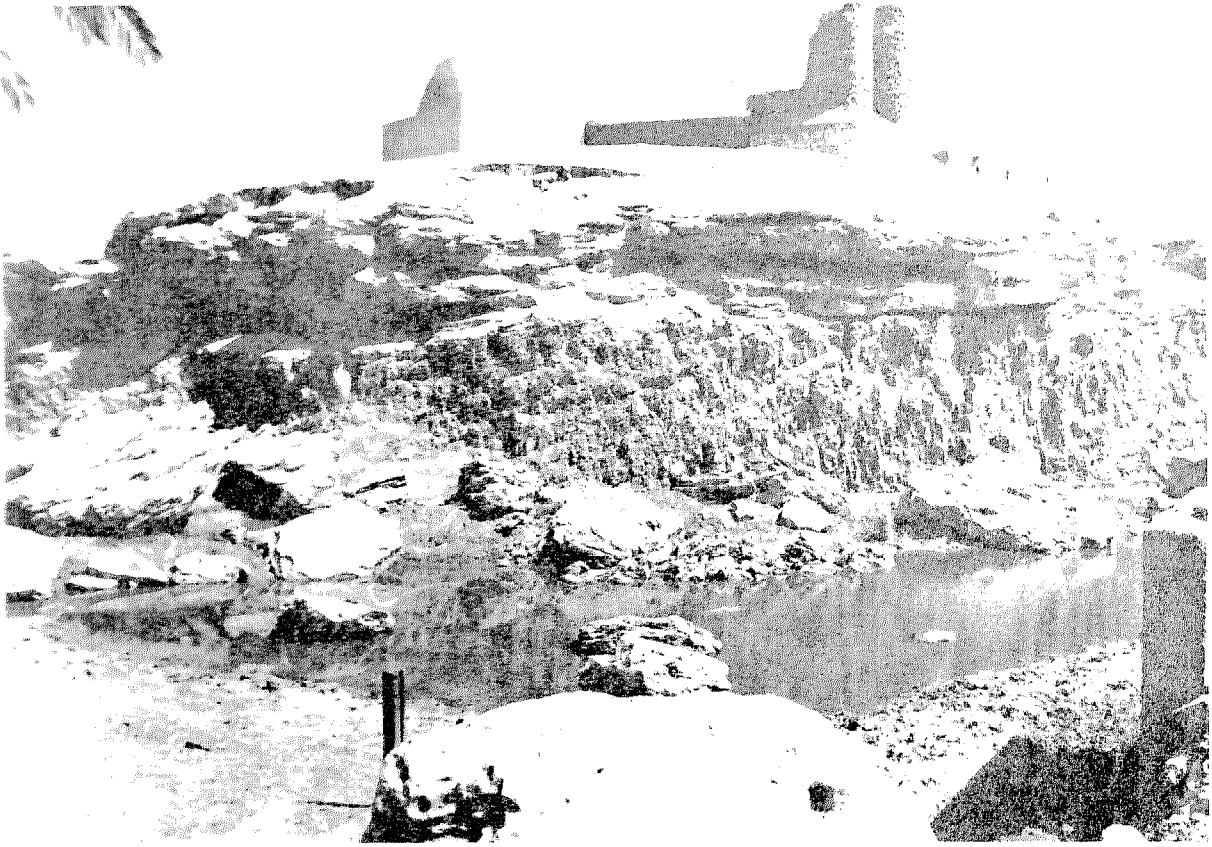
لوحة (١١٩) مئذنة جامع الحاكم الشهابية

لوحة (١٢٠، ١٢١) زخارف محصورة داخل جامات تزخرف قاعدة المئذنة الشهابية الغربية



لوحة (١٢٤) الشذنة الجنوبية الغربية جامع الخاكي





لوحة (١٢٣) منظر عام يبين مسجد التوبة بسفح الجبل الشرقى بقرية بوصير مركز الصف .

لوحة (١٢٤) محراب مسجد التوبة الفاطمي

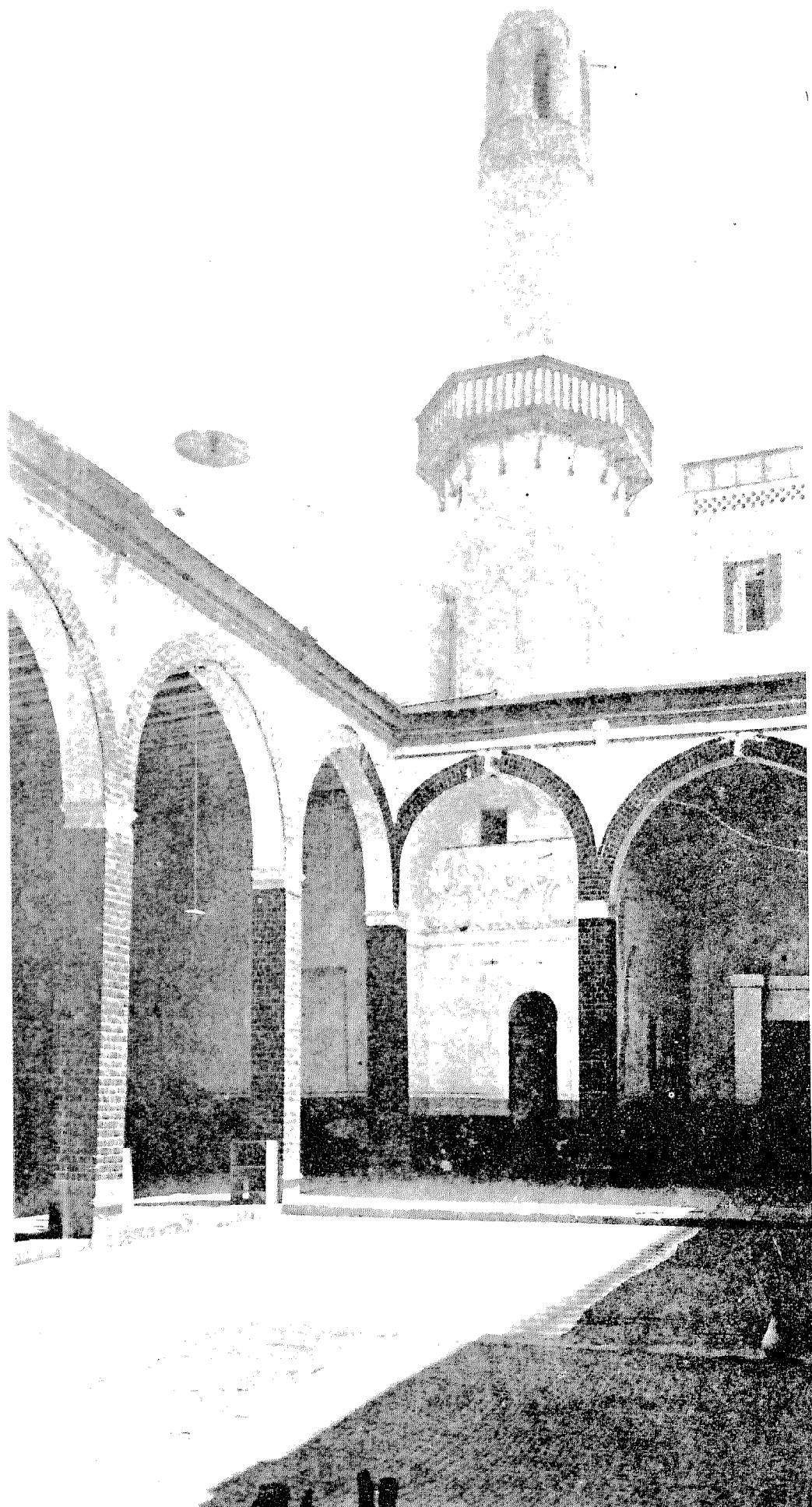


لوحة (١٢٥) مسجد التوبة المجدد

لوحة (١٢٦) مسجد سوهاج العتيق المعروف بالجامع العمري

١٢٥





لوحة (١٢٧ ، ١٢٨) مناظر
عامة تبين الواحات الخارجية
بمحافظة الوادي الجسدي

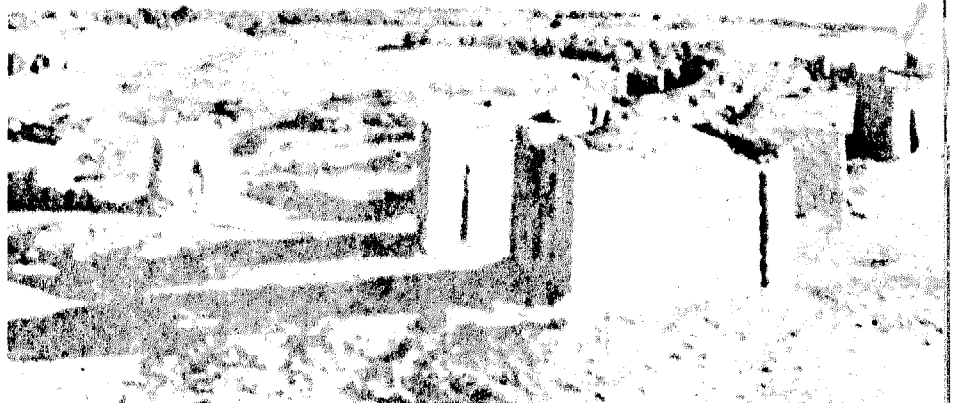


١٢٧

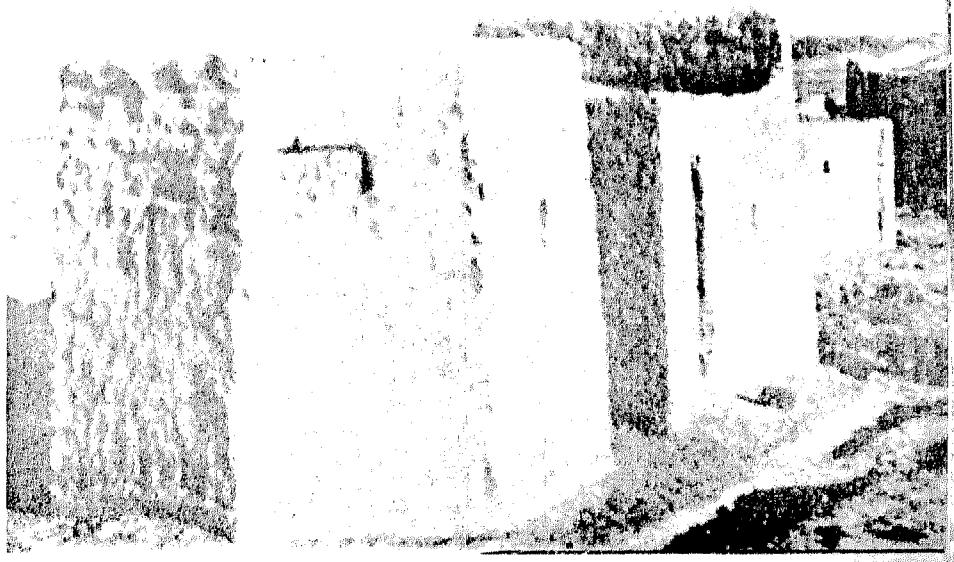


١٢٨

لوحة (١٢٩ ، ١٣٠) تبين
المباني الباقية من الجامع العمري



١٢٩



١٣٠



رُوحه (١٣١) مجموعہ من القباب القاصیہ فی حداب آمون القادسیہ

رُوحه (١٣٢) ضریح جہاننا آمون بین اولیٰ نحوونہ بلادہ القباب فی معبر القاصیہ



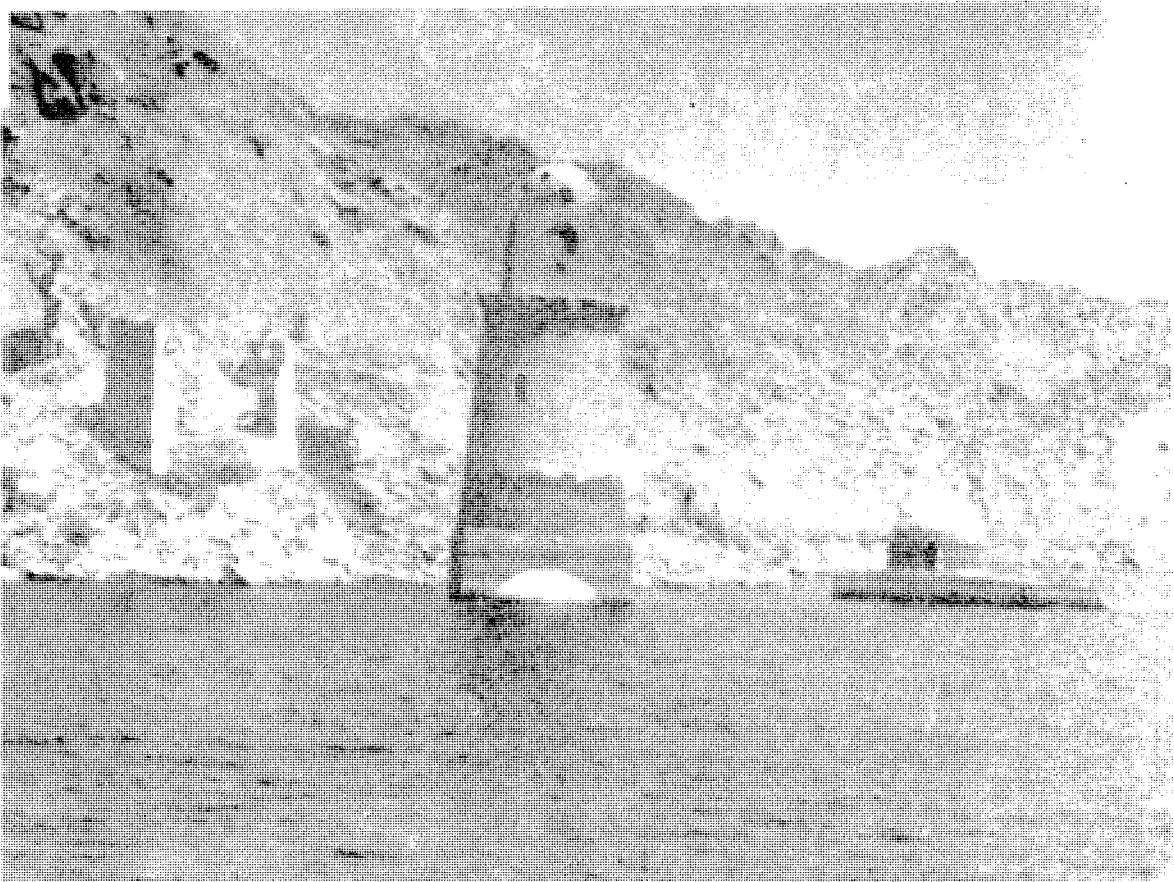
لوحه (١٣٣) بقايا مسجد الباب البحرى ومبذنته ببلاد النوبة بمحافظة أسوان



صاحه (١٣٤) مسجد الساب اعرفي ومشدته ببلاد التوبه
بأسوان وهو المعروف باسم مسجد بلال



نوحه (١٣٥) مسجد بلال ومشدته بعد إقامة السد العالي
بأسوان ١٣٤



١٣٥



لوحة (١٣٦) مسجد الجيوثي على سفح جبل المقطم وبجانبه كهف السودان

١٣٧





لوحة (١٣٨) قبة ومثدنة مسجد الجيوثى

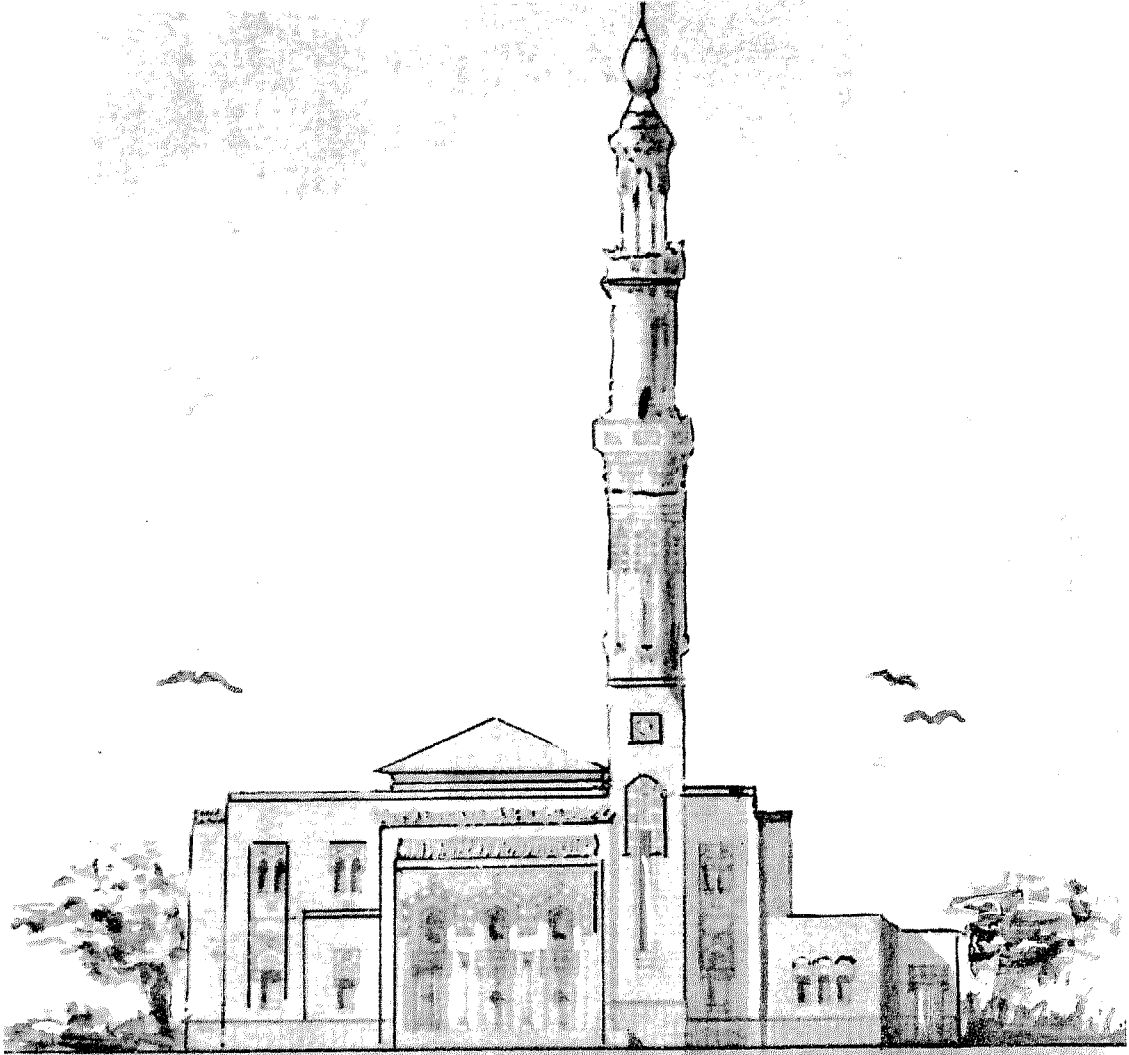
لوحة (١٣٧) جبل المقطم يشرف عليه مسجد الجيوثى

لوحة (١٣٩) مئذنة الجيوشي



لوحة (١٤٠) تفاصيل قبة جامع الجيوشي

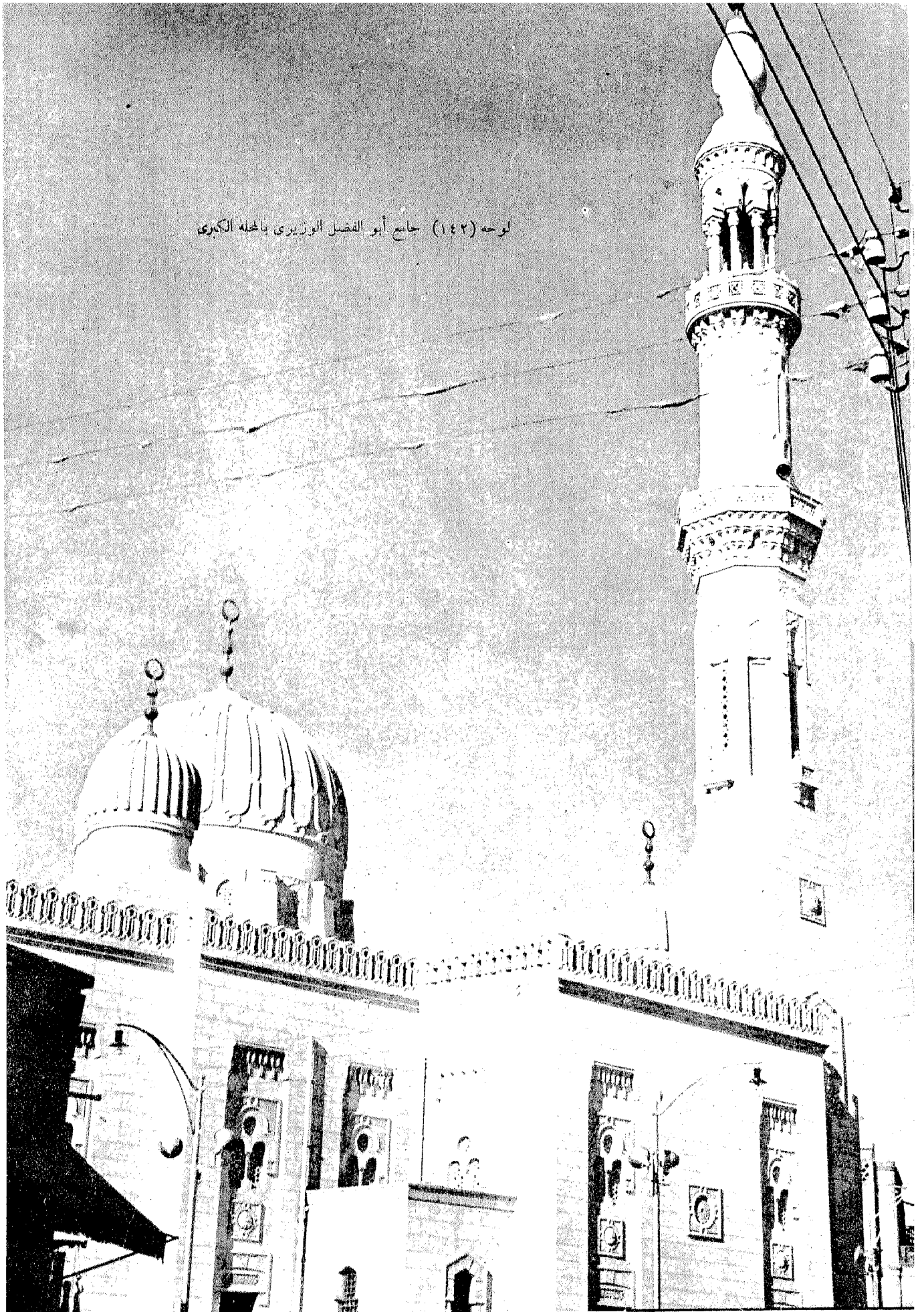




١٤١

لوحة (١٤١) جامع الشيخ عطية عز الدين بن يحيى المعروف بابي الريش بمدينة دمشق

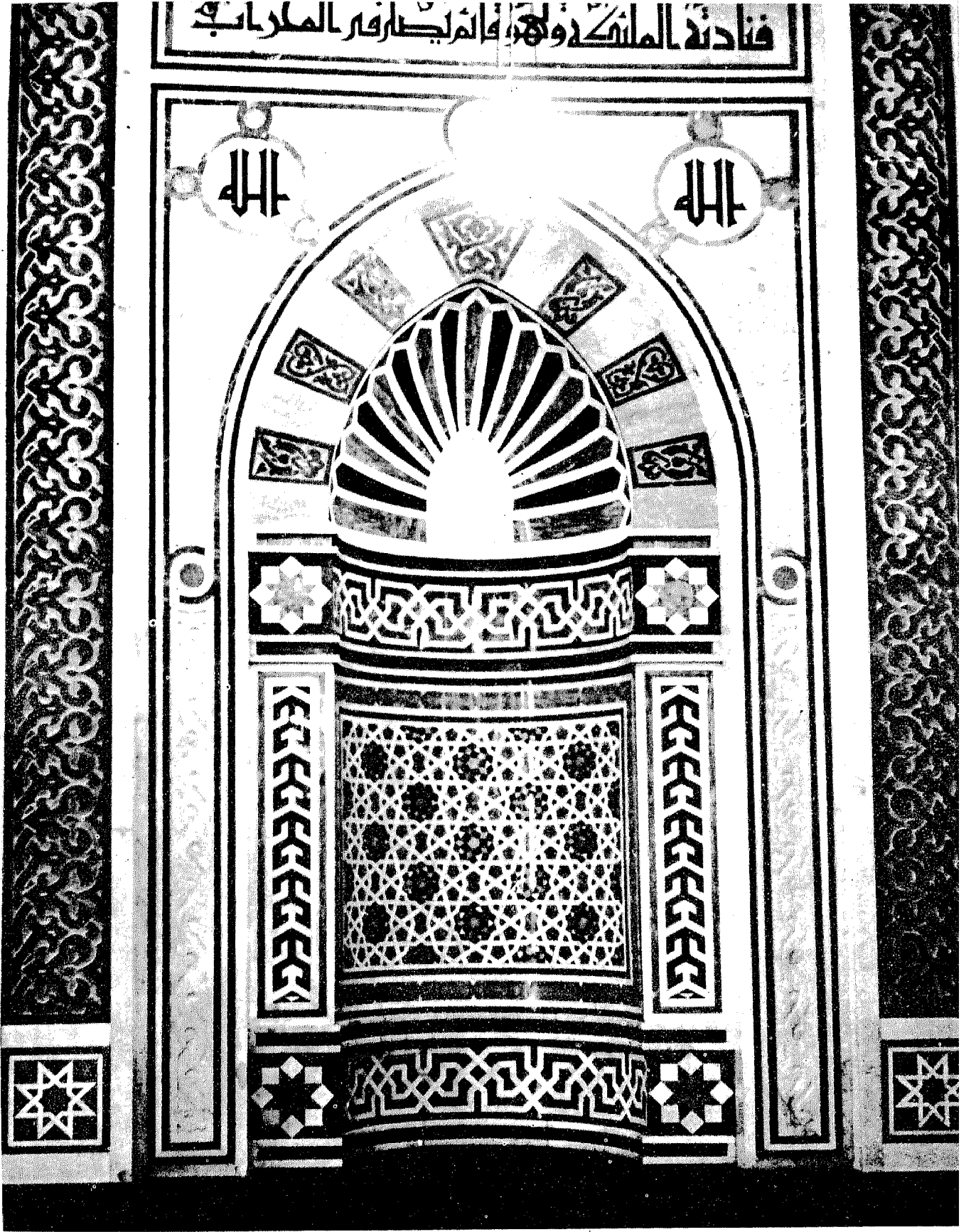
لوحة (١٤٢) جامع أبو الفضل الوزيري بالخلعة الكبرى



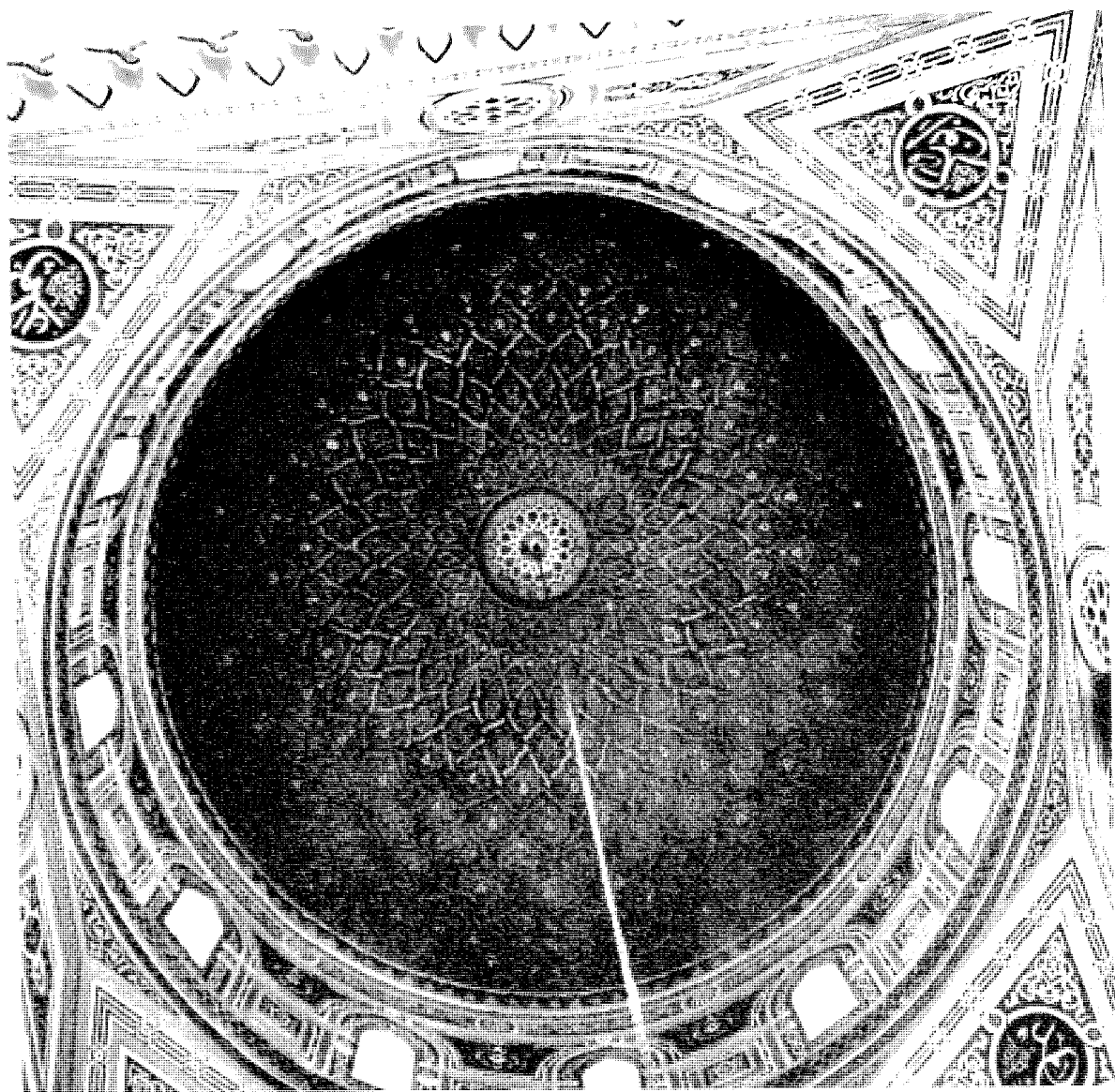


لوحة (١٤٣) المدخل الرئيسي لجامع (أبو الفضل الوزيري) بالواجهة الشمالية

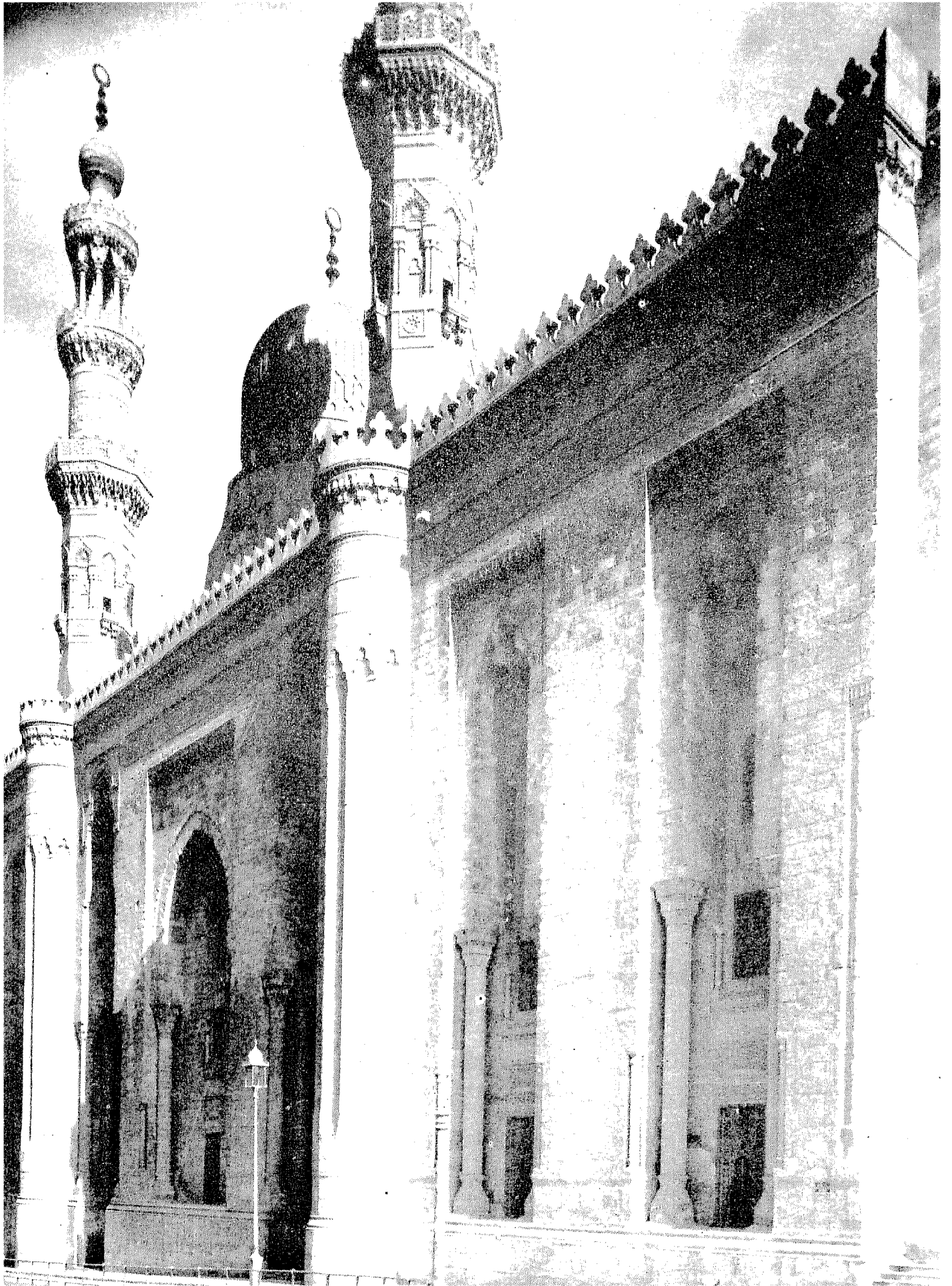
فنادية الملائكة ولله في امرهم عار الملائكة



لوحة (١٤٤) محراب مسجد أبو الفضل الزيري



لوحة (١٤٥) القبة التي تتوسط جامع (أبو الفضل الوزيري)

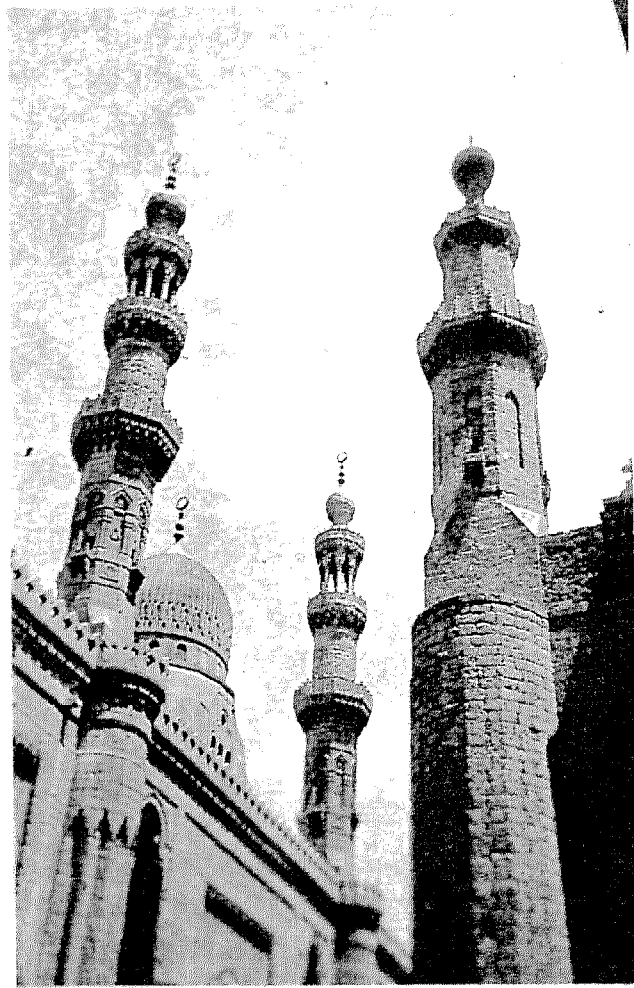




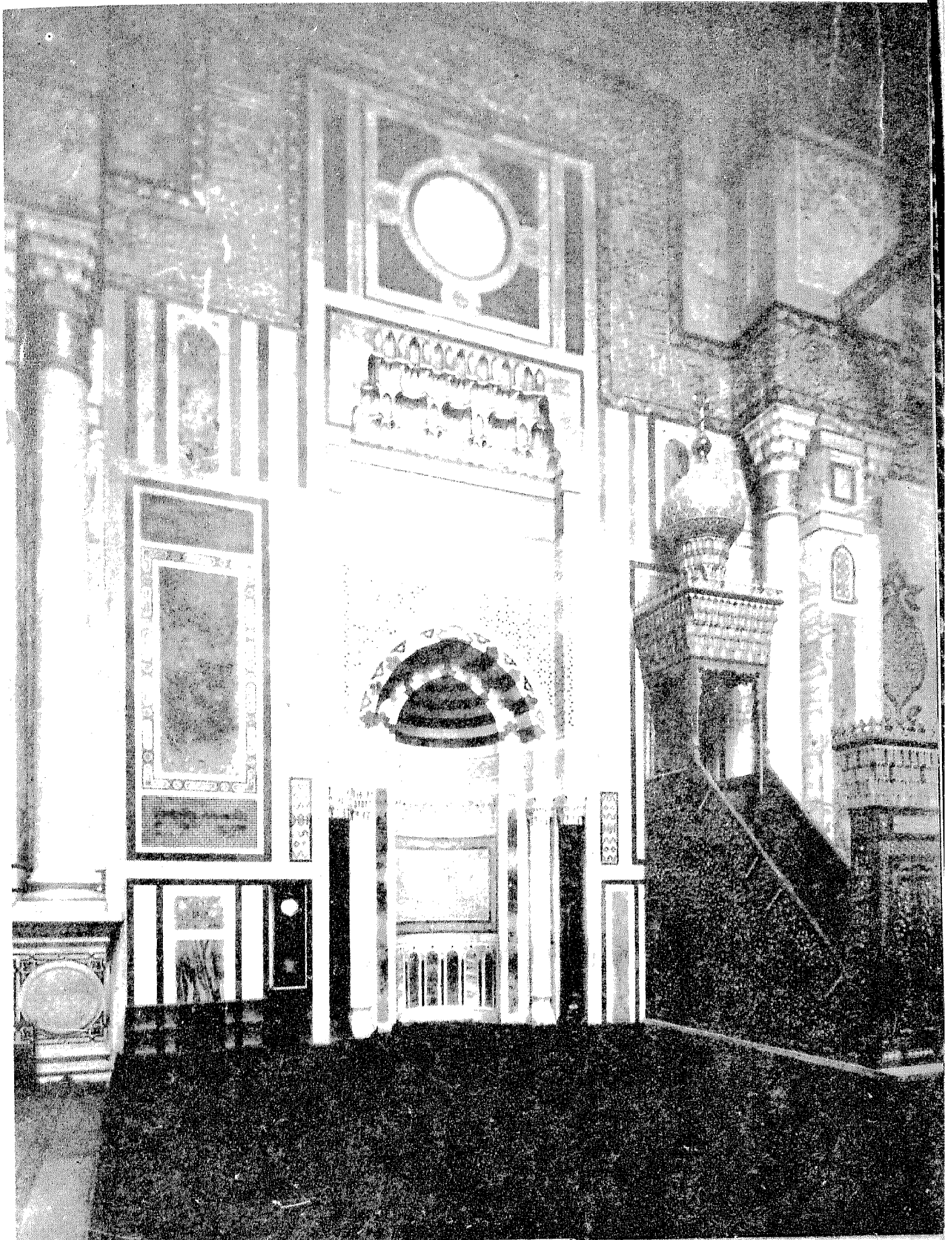
لوحة (١٤٧) جامع الرفاعي بميدان صلاح الدين بالقلمة

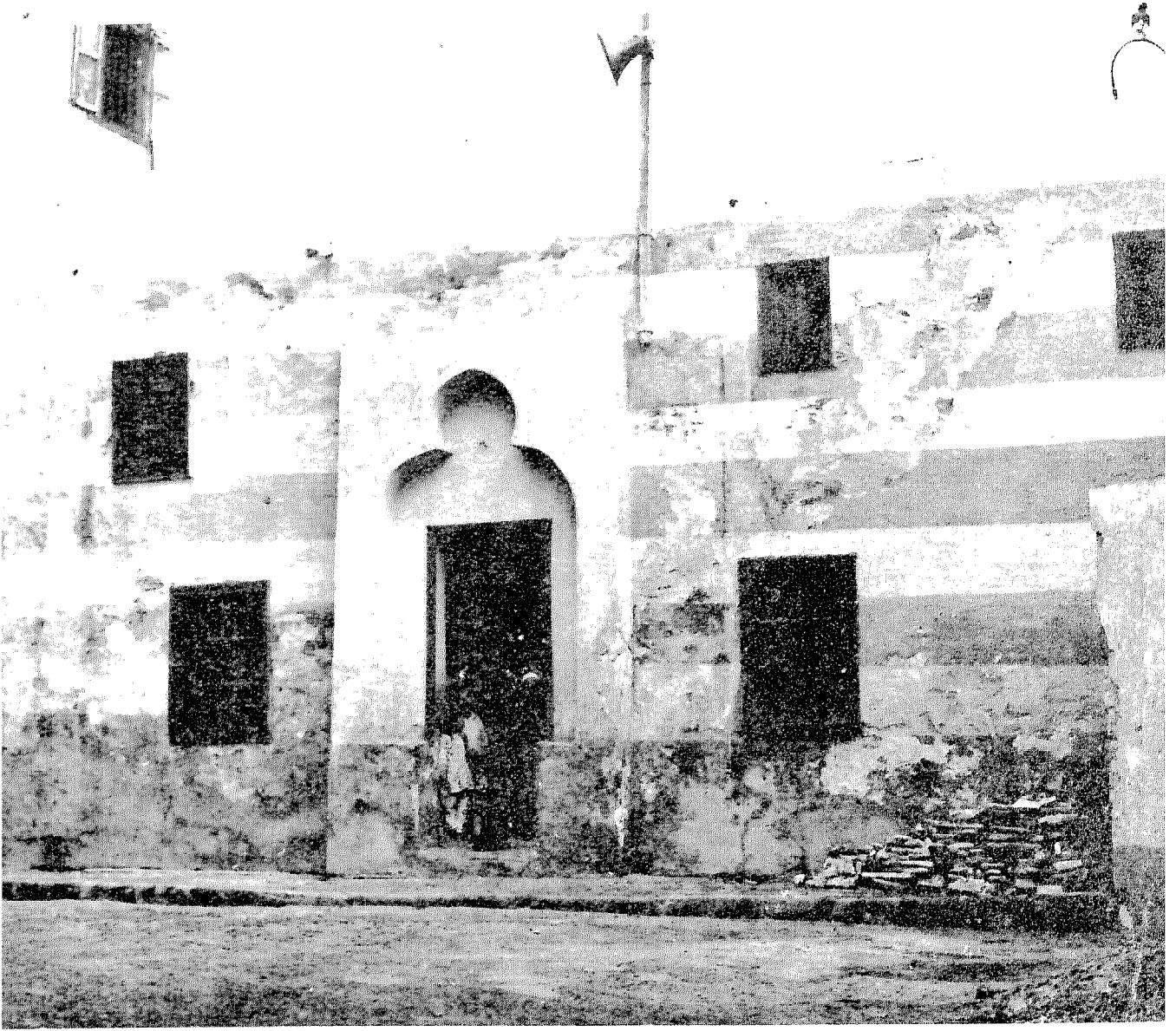
لوحة (١٤٦) الواجهة الجنوبية للجامع الرفاعي





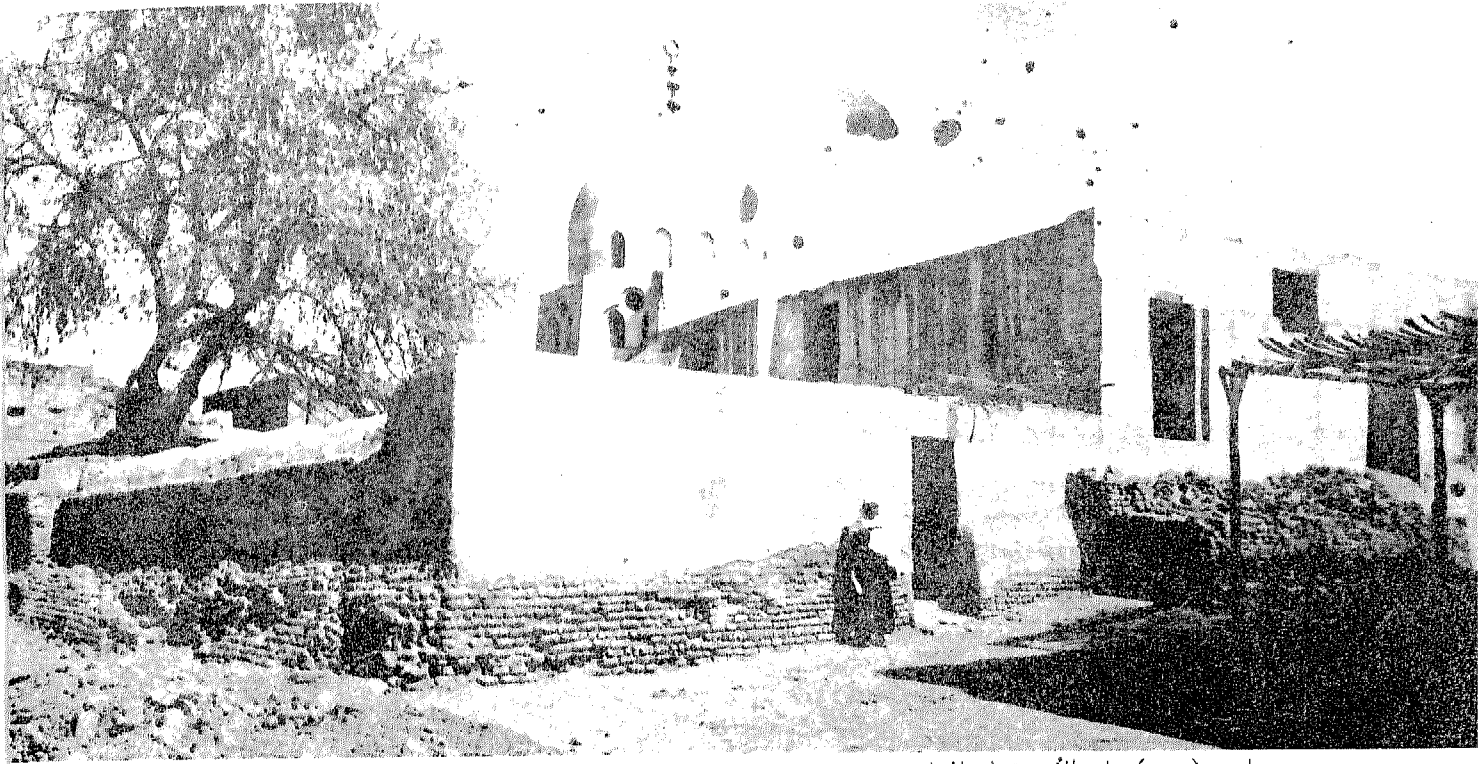
لوحة (١٤٩) جامع الرفاعي





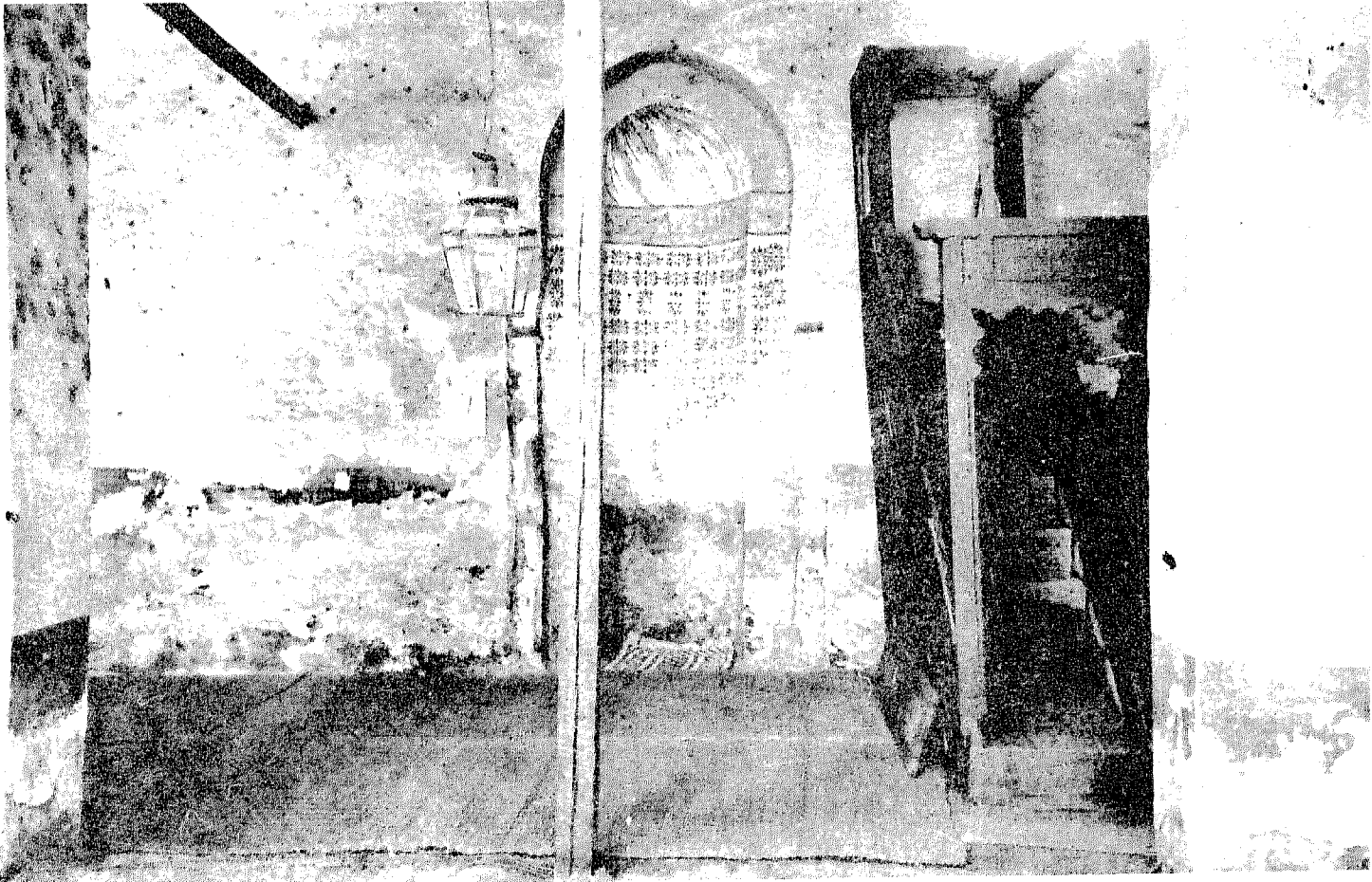
لوحة (١٥١) واجهة مسجد سيدى الطرطوشى بجى الباب الأخضر بالاسكندرية.

لوحة (١٥٠) محراب ومنبر جامع الرفاعى



لوحة (١٥٢) جامع الأمير زياد بالمدينة

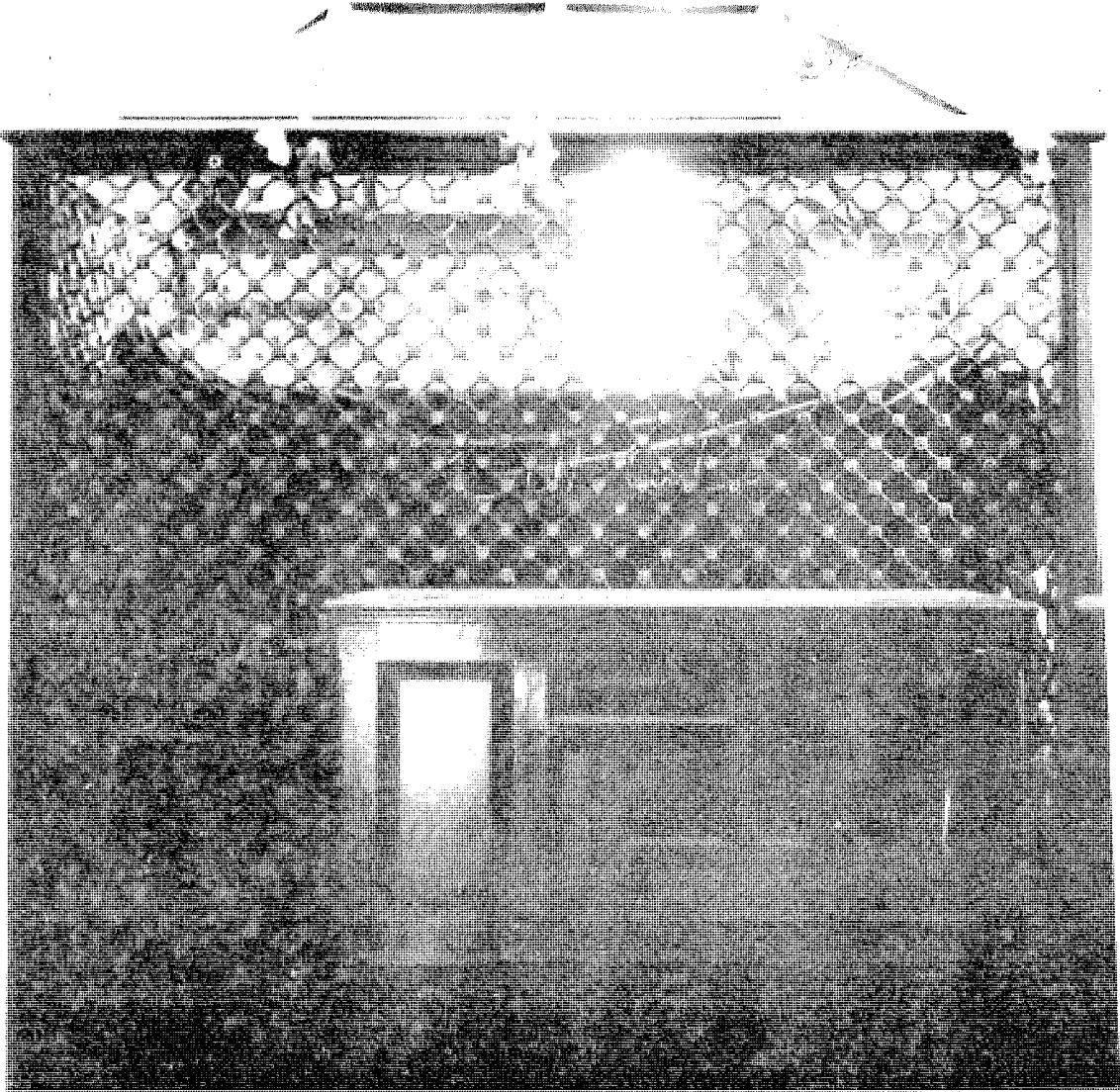
لوحة (١٥٣) محراب و منبر جامع الأمير زياد



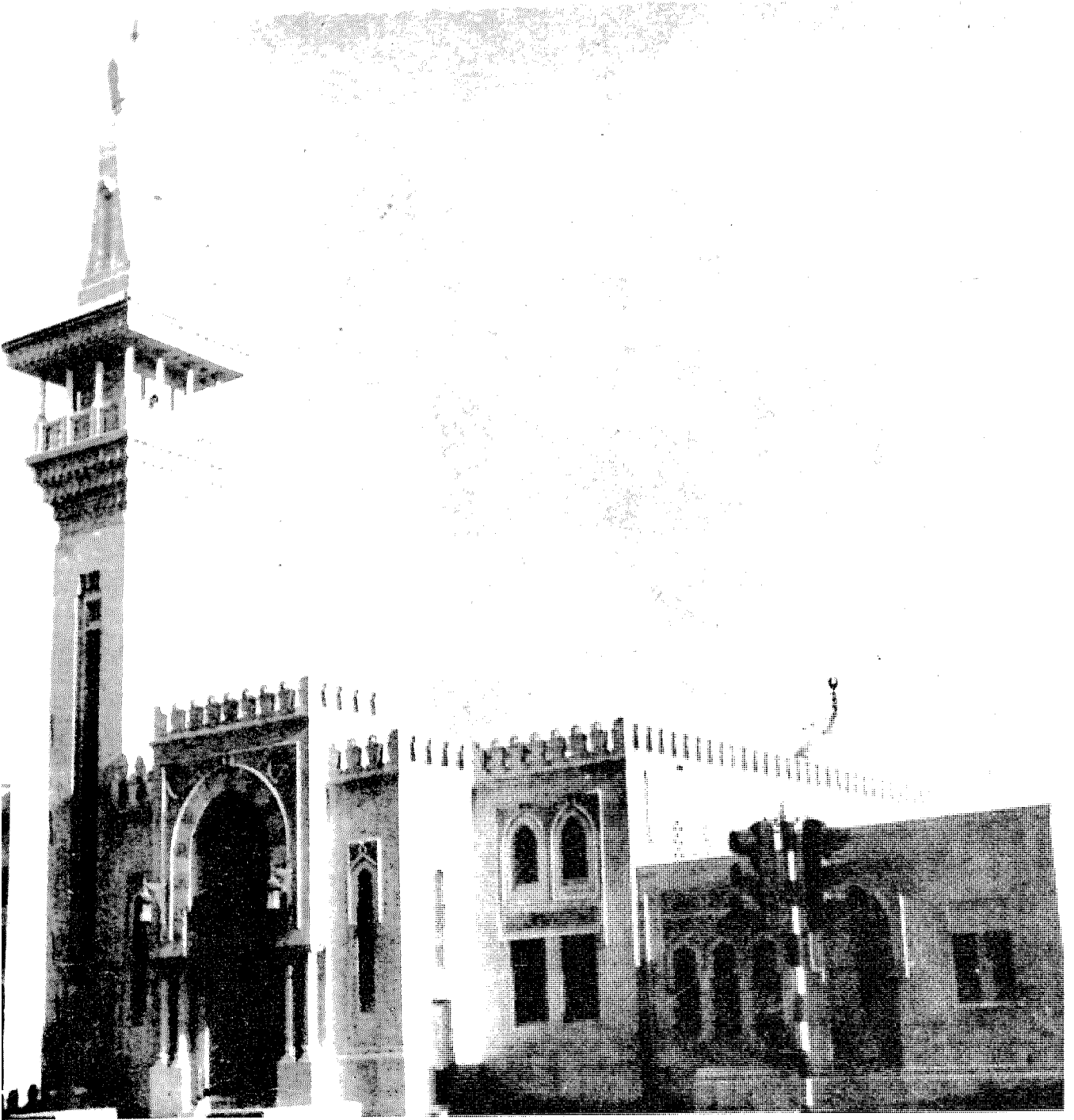
لوحة (١٥٤) عمود من الرخام عليه اسم الأمير زياد



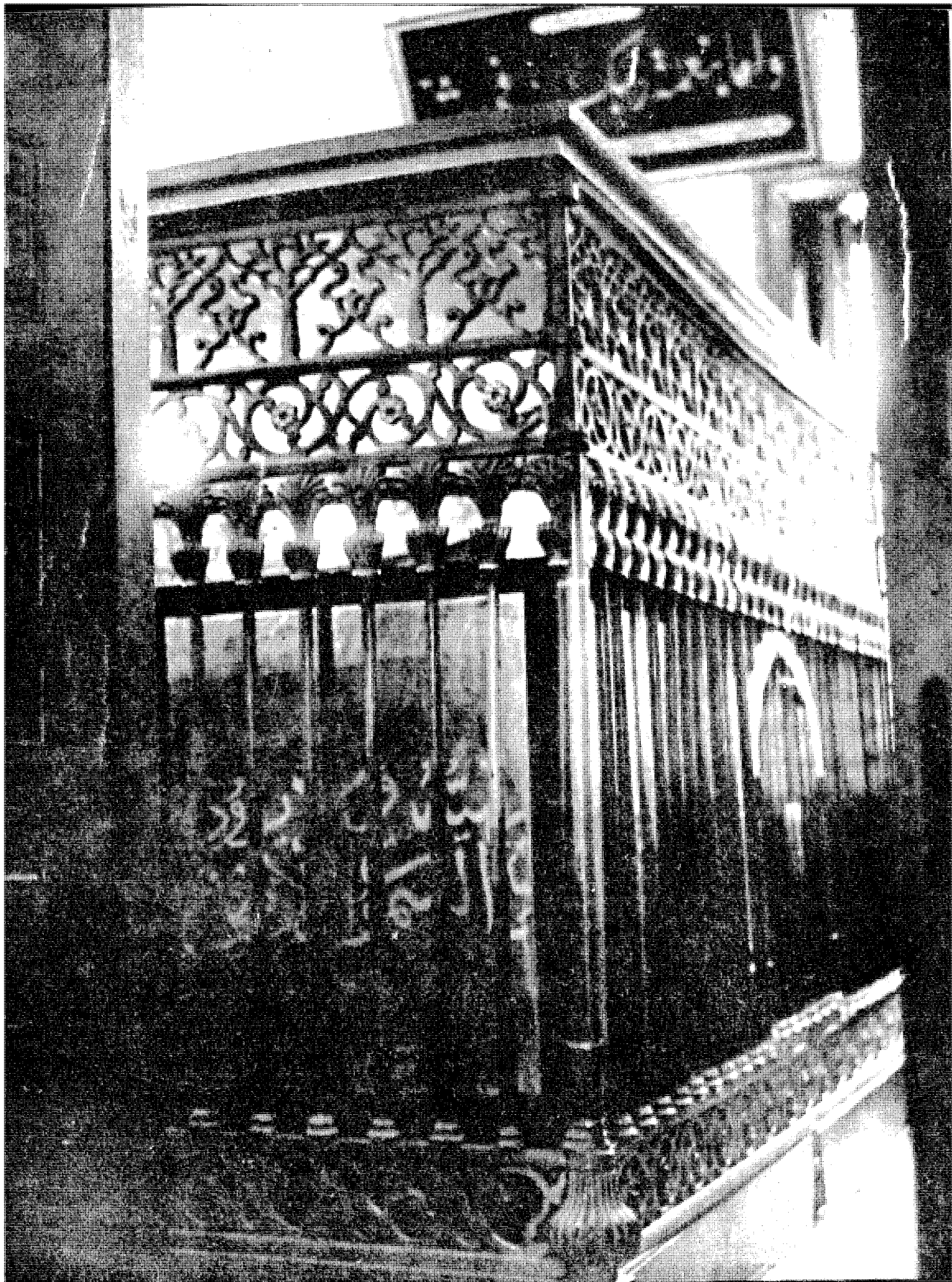
لوحة (١٥٥) لوحة تذكارية نقش عليها اسم
الأمير زياد والسلطان قايتباي



لوحة (١٥٦) مقصورة جامع سيدى بشر بالاسكندرية



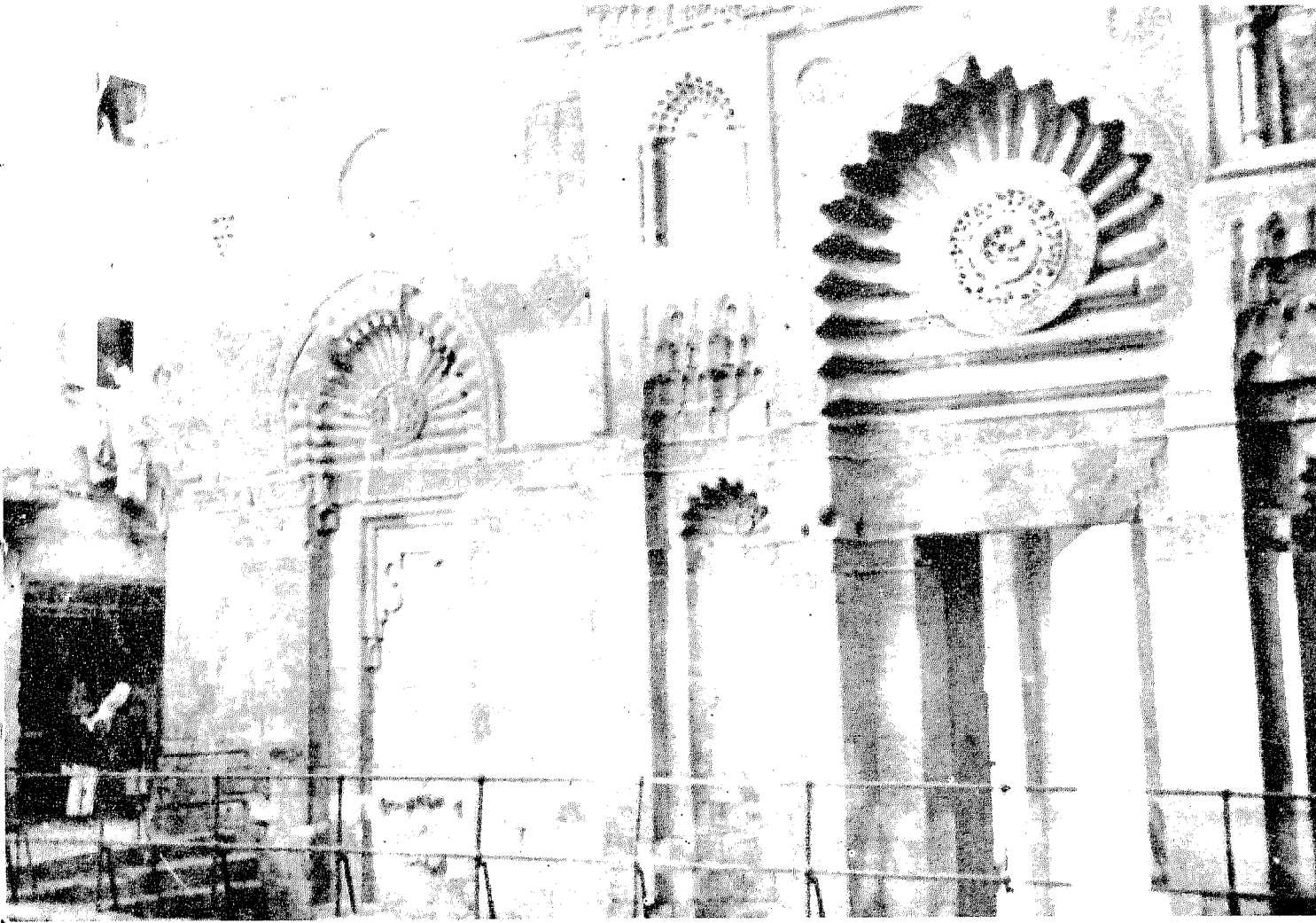
لوحة (١٥٧) واجهة جامع سيدى جابر الرئيسية بالاسكندرية



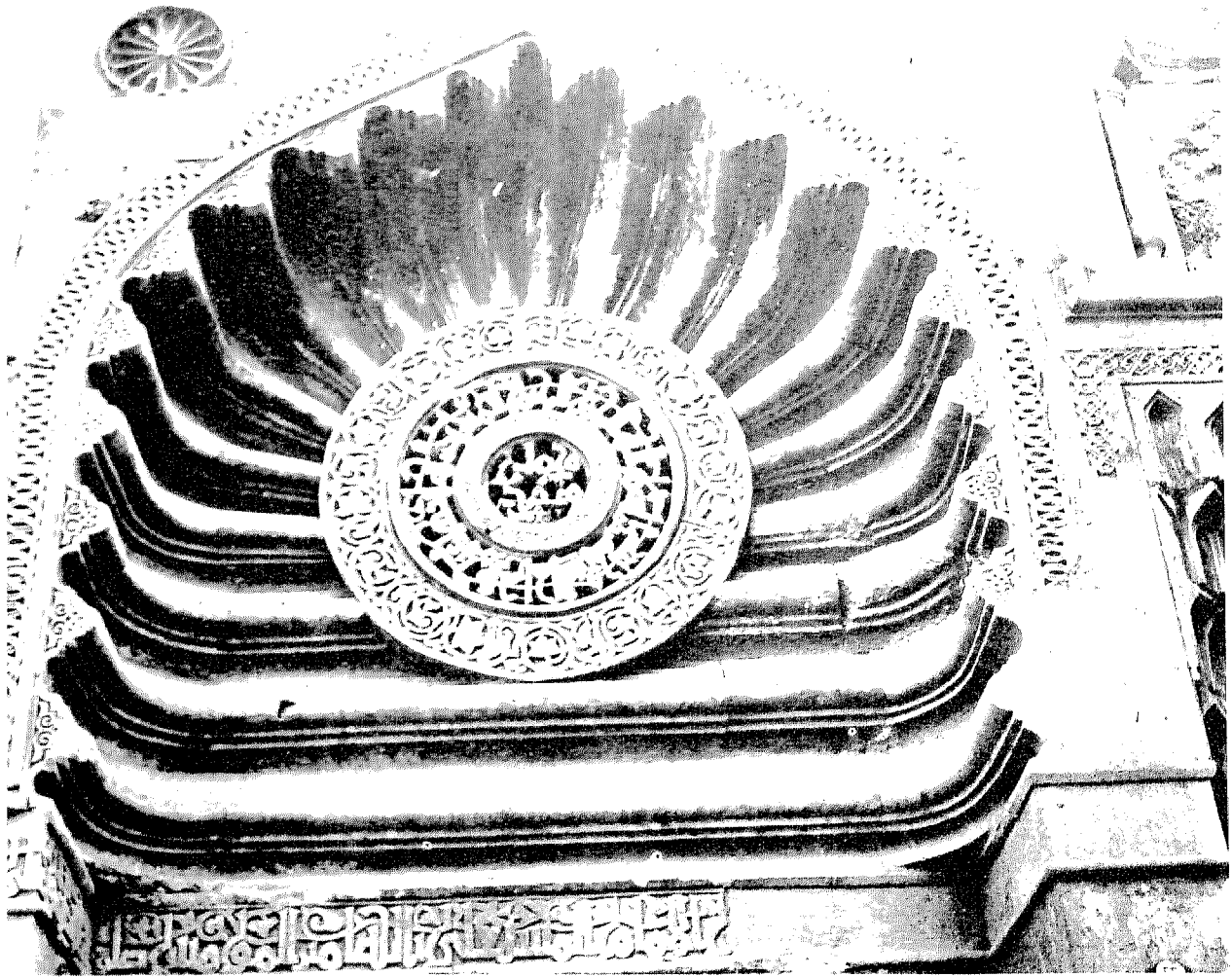
لوحة (١٥٨) بقصورة سيدى جابر

لوحة (١٥٩) جامع سيدى جابر من الداخل

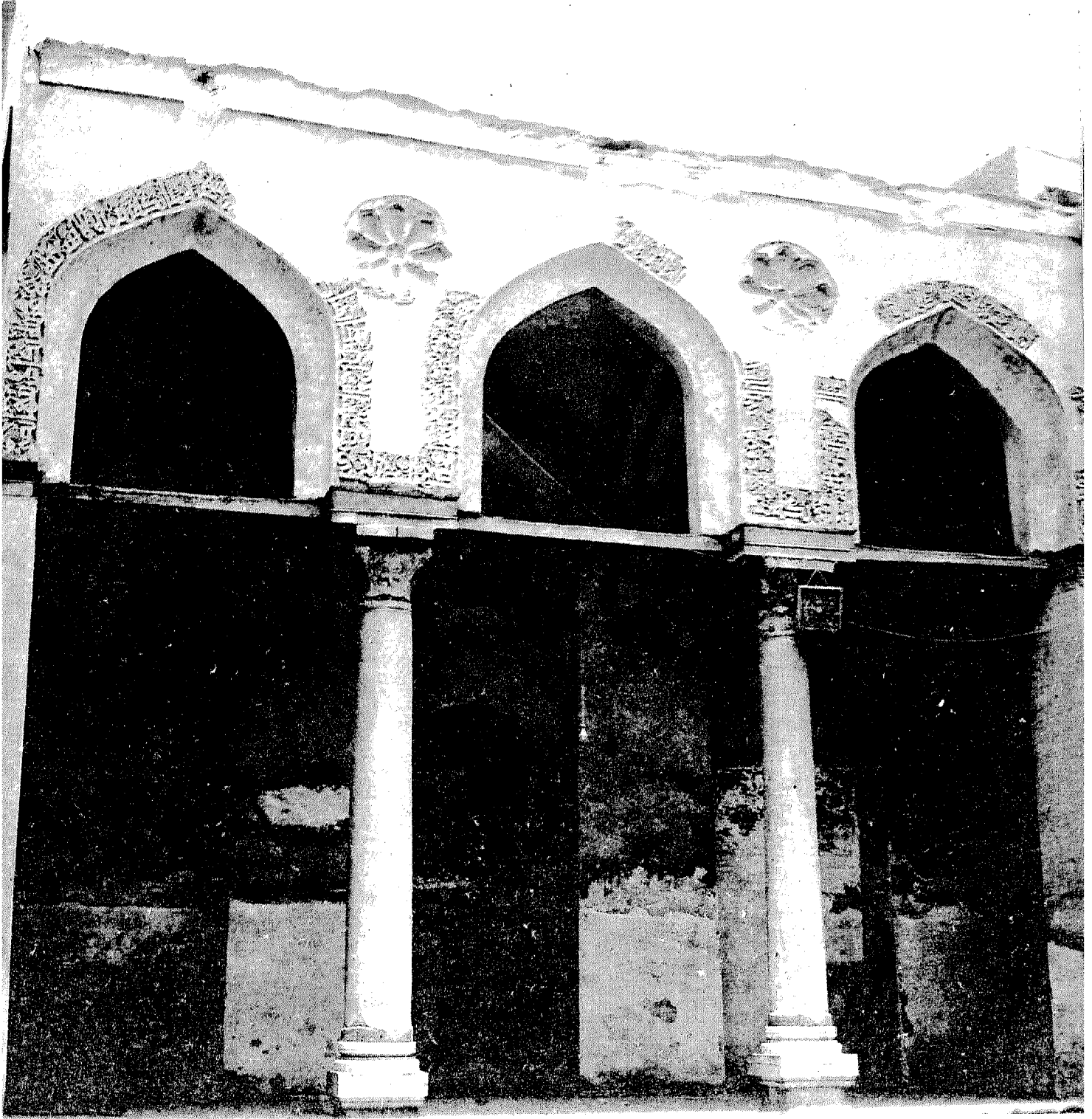




لوحة (١٦٠) الواجهة الرئيسية للجامع الأزهر بالنحاسين بالقاهرة



لوحة (١٦١) حنيه مفصصة تعلو المدخل الرئيسي لجامع الأقر





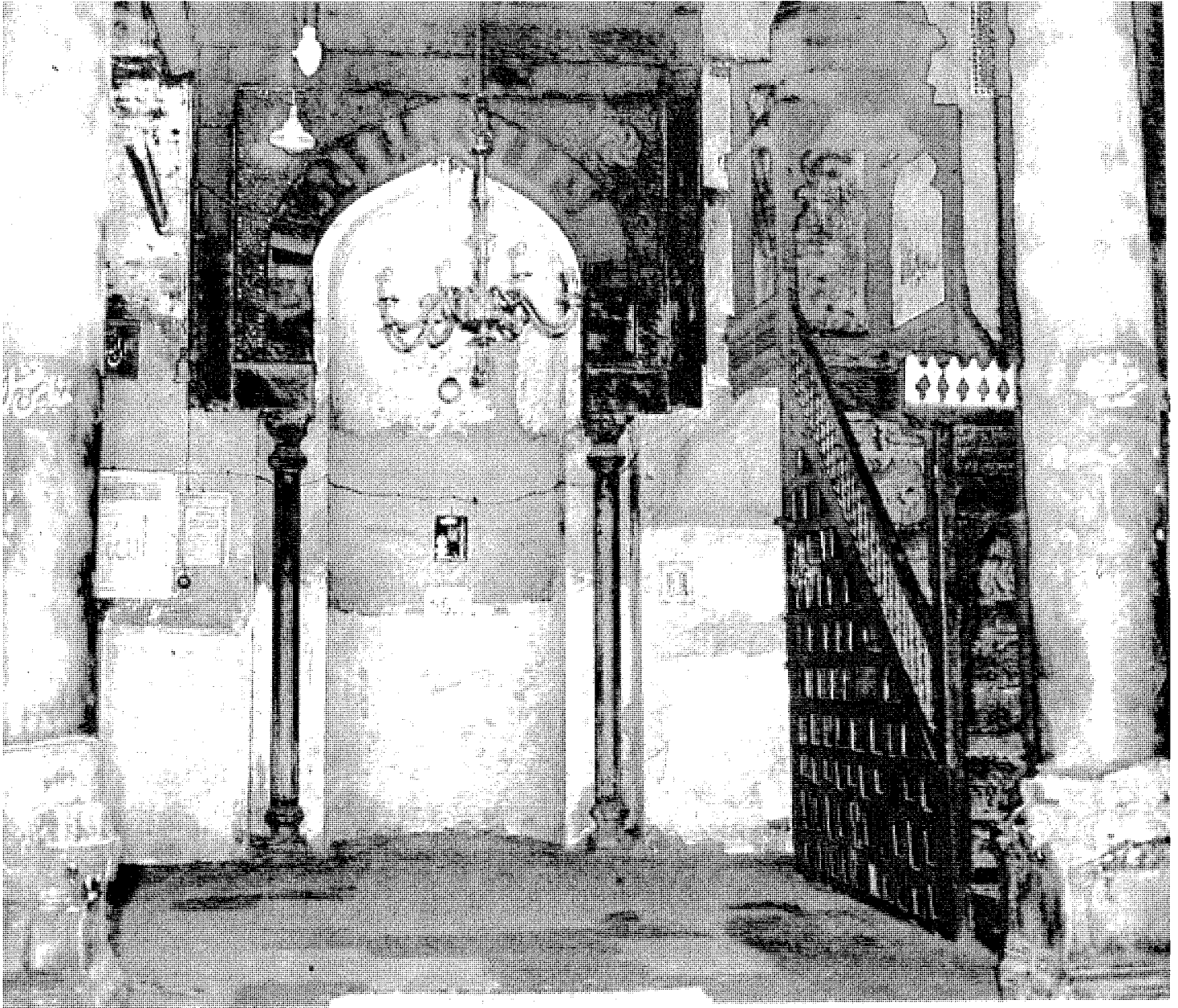
لوحة (١٦٣) سقف أروقة جامع الأقصر وهو عبارة عن مجموعة من القباب الفسحلية

لوحة (١٦٥) مقرنص في الشلطة السابقة كتب فيها (إن الله مع محمد وعلى) .



لوحة (١٦٤) شطفة في الركن الشمالى الغربى لجامع الأقصر





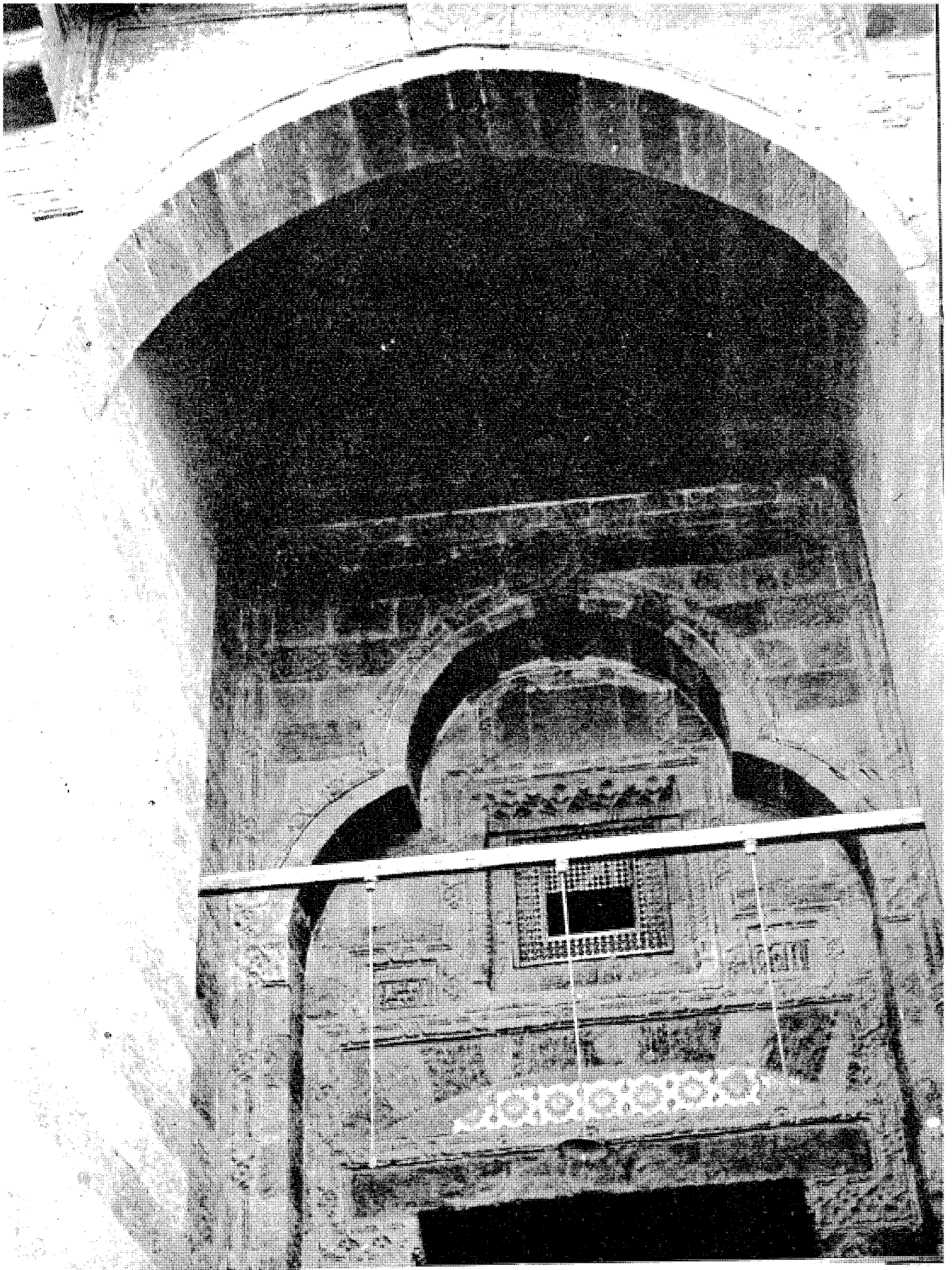
لوحة (١٦٦) محراب الجامع الأقر

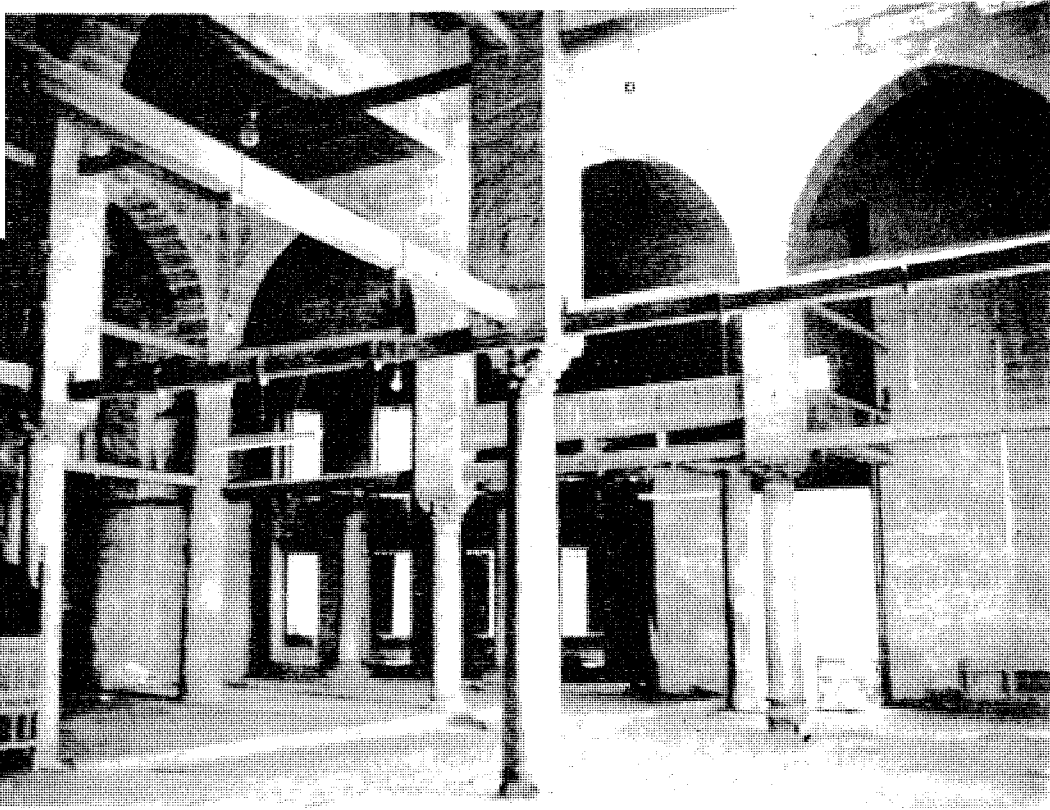


لوحة (١٦٧) دراب حائط في جامع الأقر



لوحة (١٦٨) واجهة جامع الفكهاني (الأفخر) بالدورية



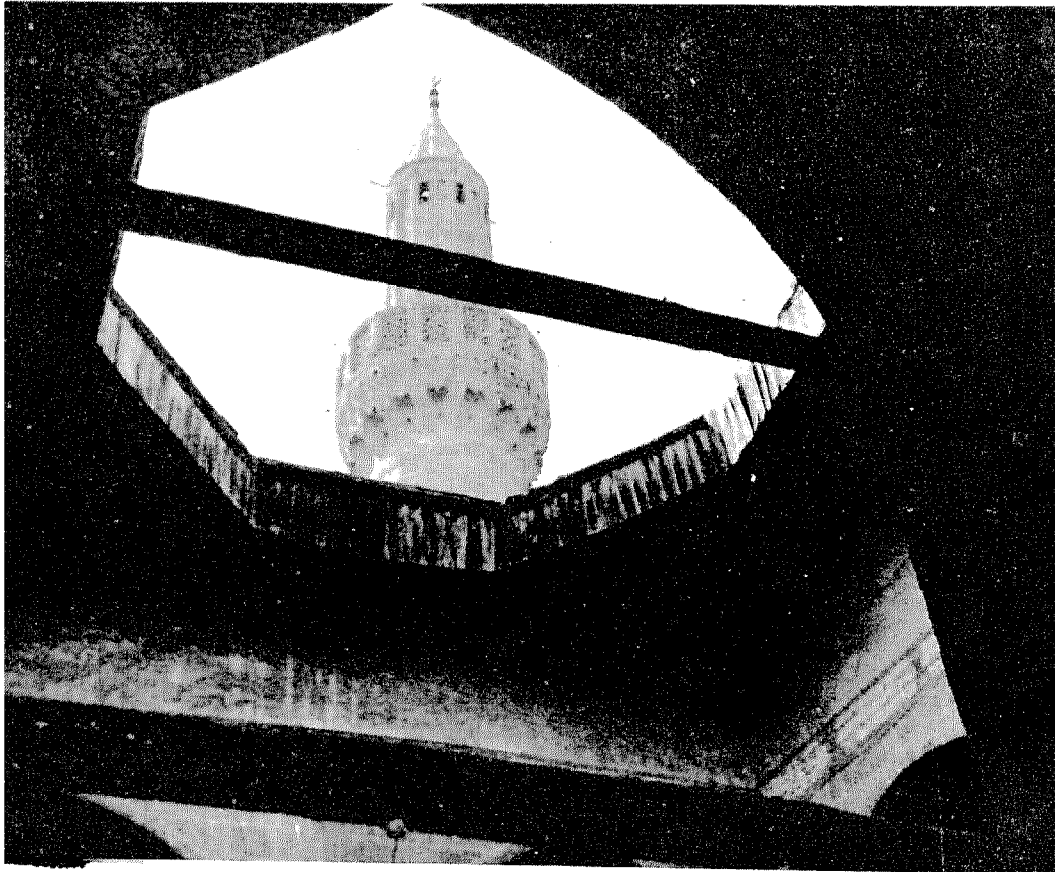


لوحة (١٦٩)

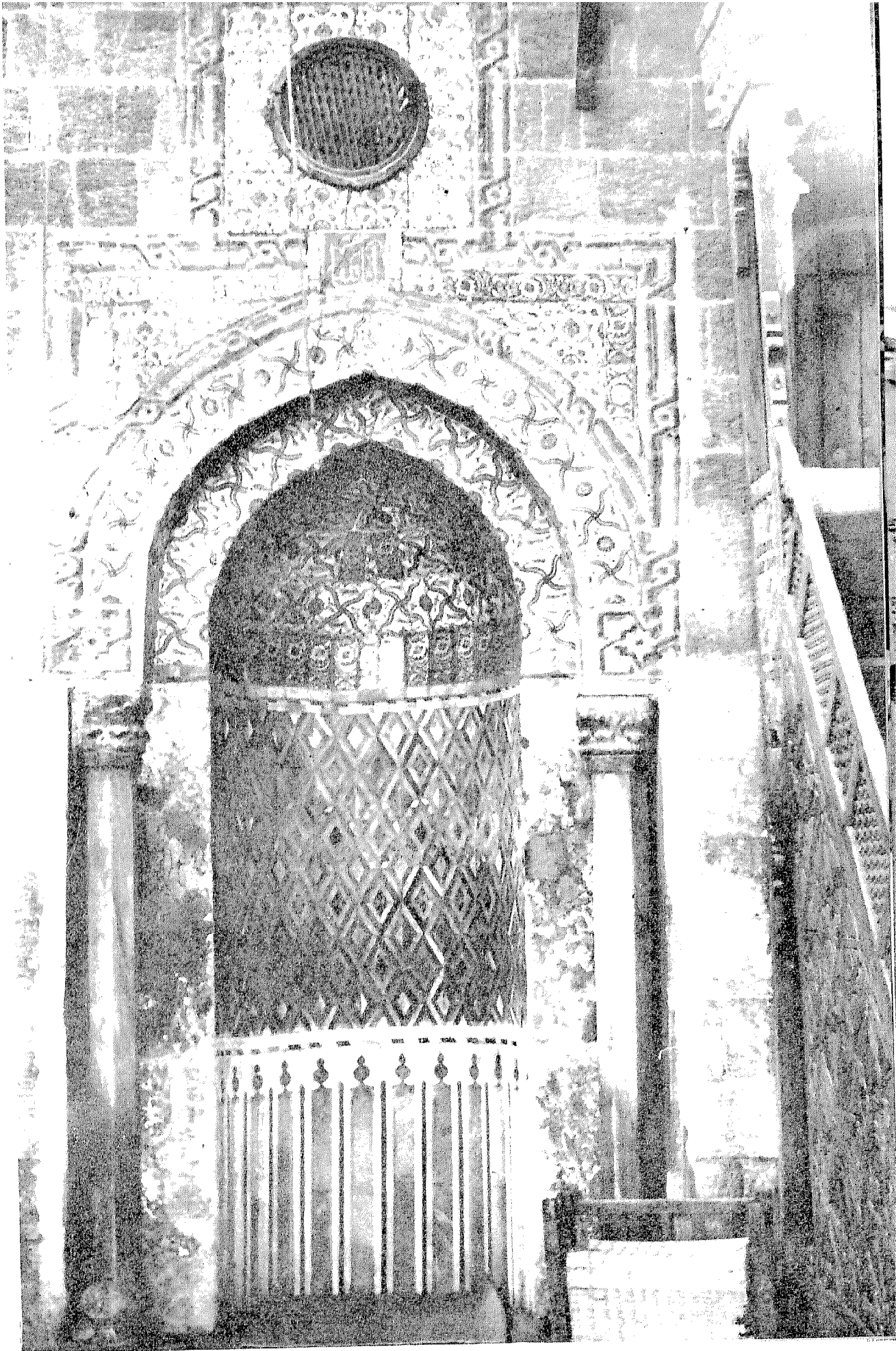
المدخل الرئيسي لجامع
الفكهاني في الجهة الغربية

لوحة (١٧٠) الجامع الأفخر من الداخل

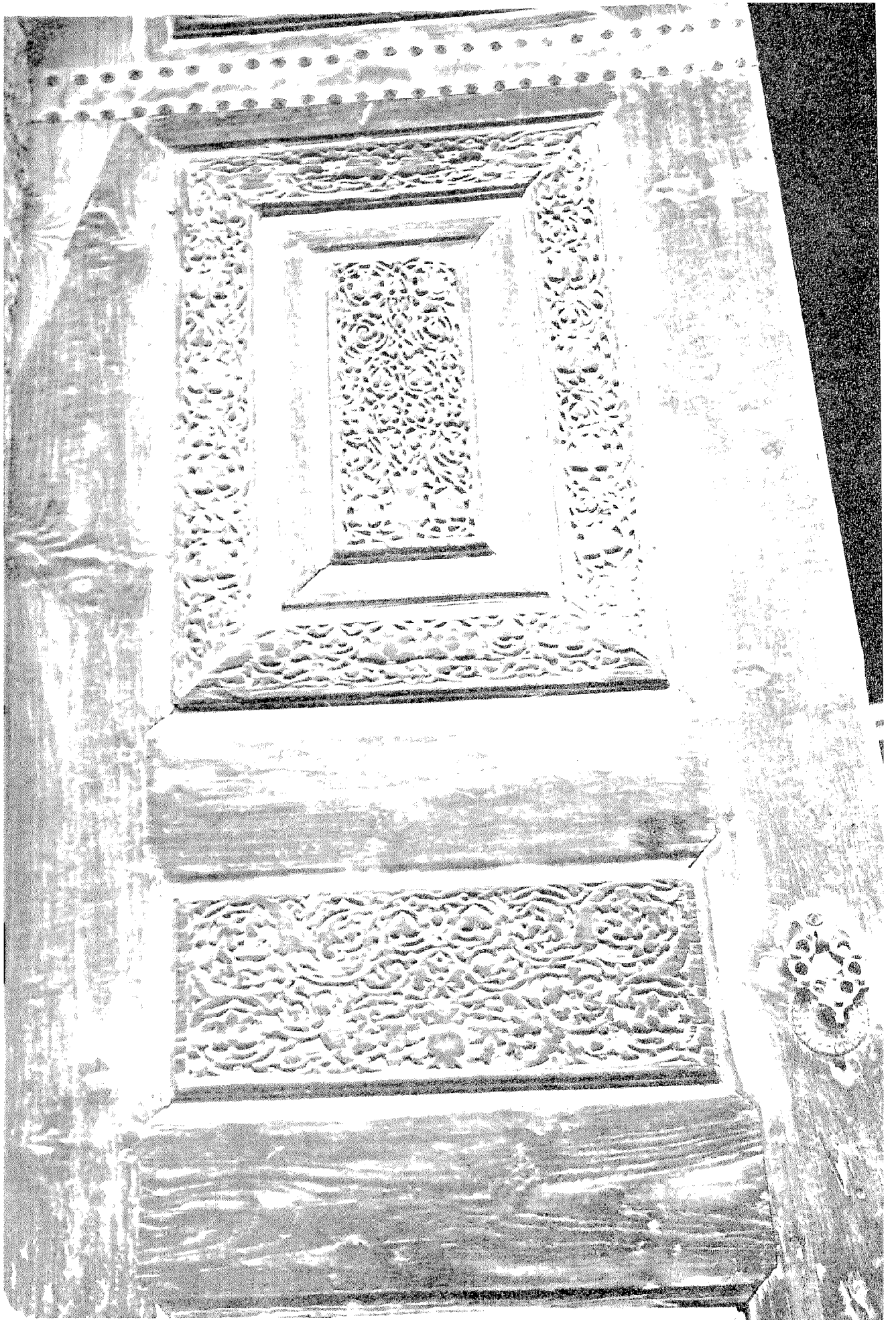
لوحة (١٧١) المنور الذي يتوسط صحن
جامع الأفخر



لوحة (١٧٢)
محراب جامع الأفخر

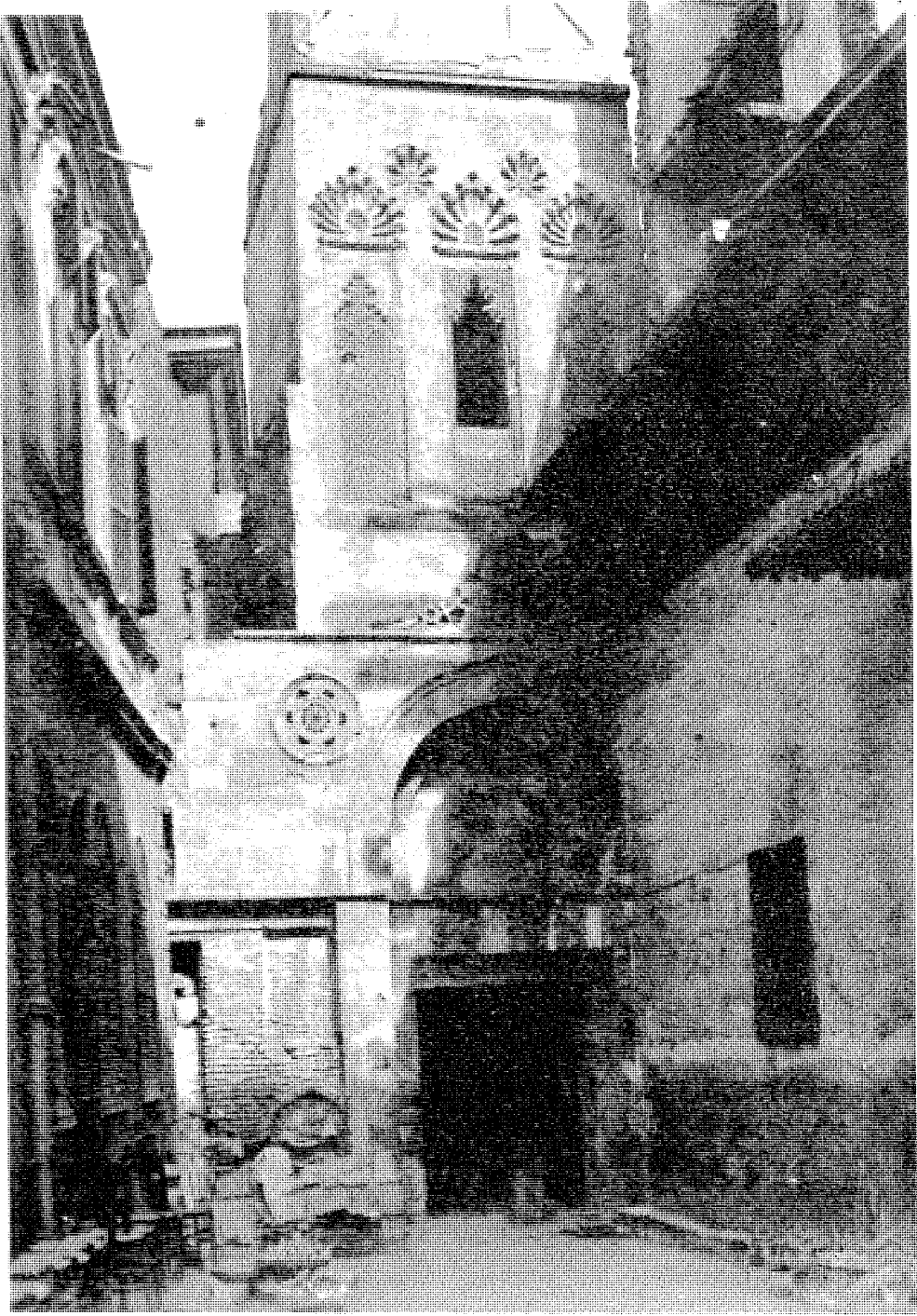


لوحة (١٧٣)
مصراع الباب
الحشبي للجامع الأفخر





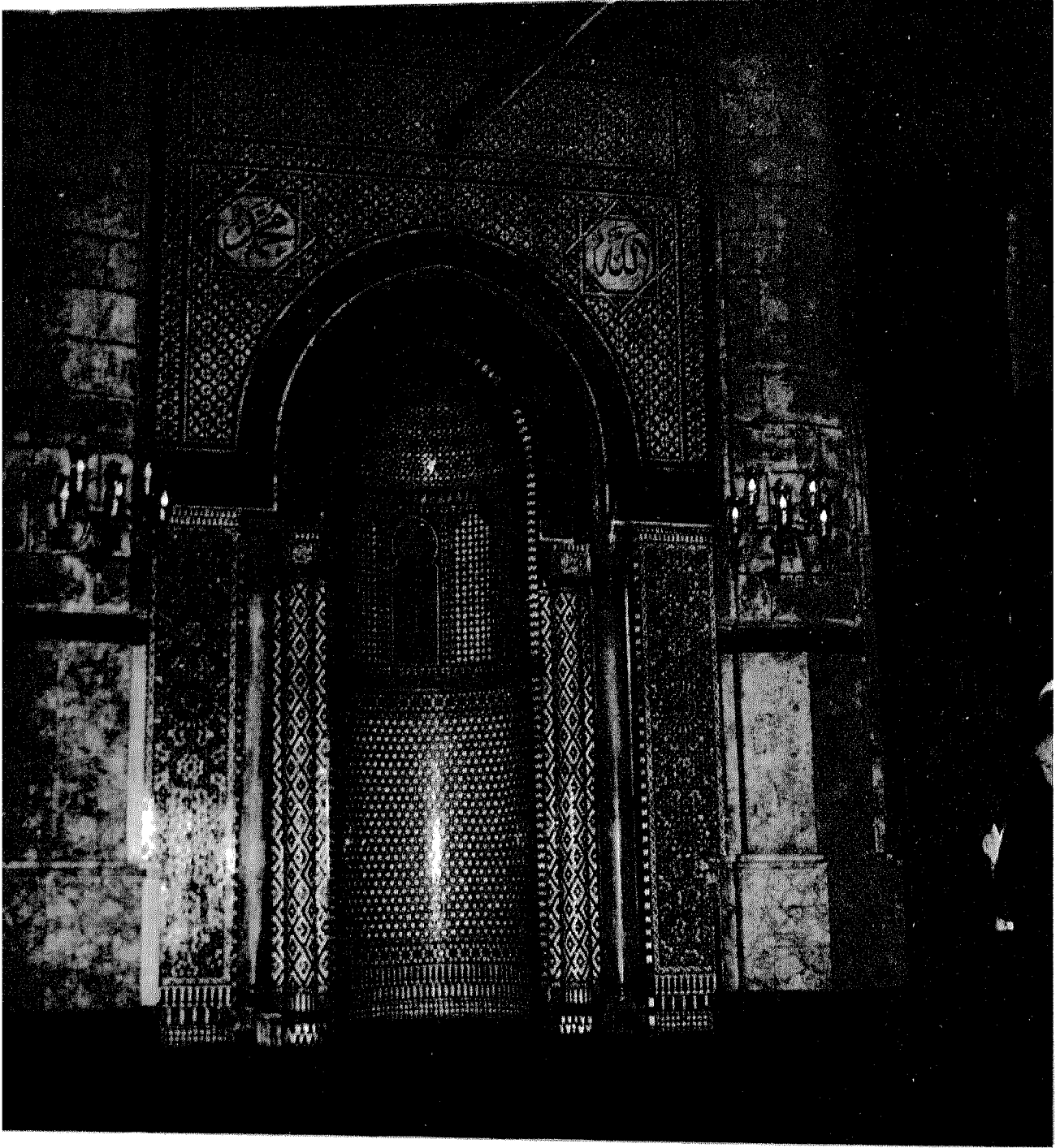
لوحة (١٧٤) الواجهة الجنوبية لجامع سيدنا الحسين



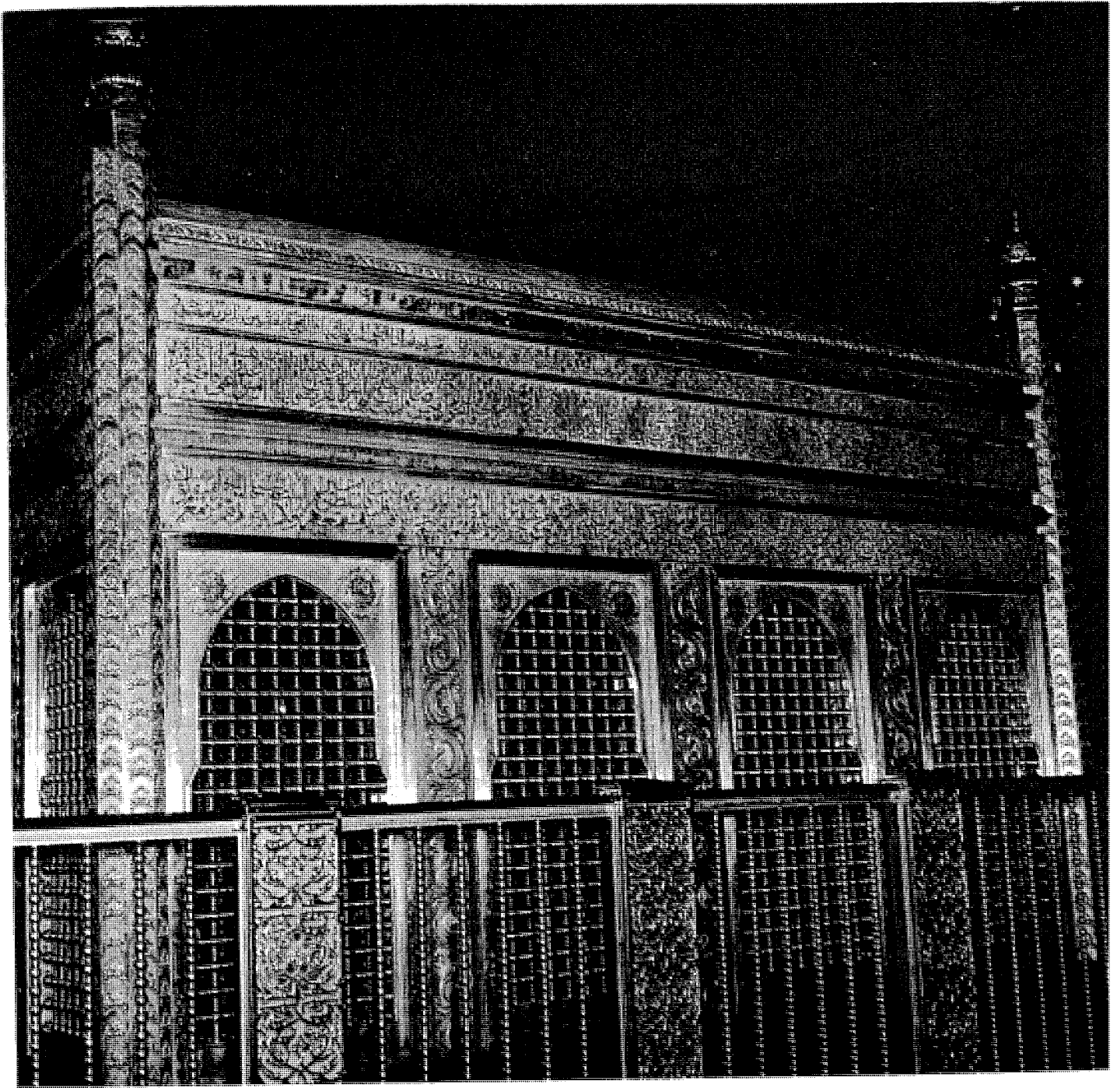
لوحة (١٧٥) مئذنة جامع سيدنا الحسين القديمة تعلو الباب الأخضر



رقم (١٧٢) مشكاتان موجودتان بمسجد
سيدنا الحسين عليهما اسم السلطان سعيد حقمق



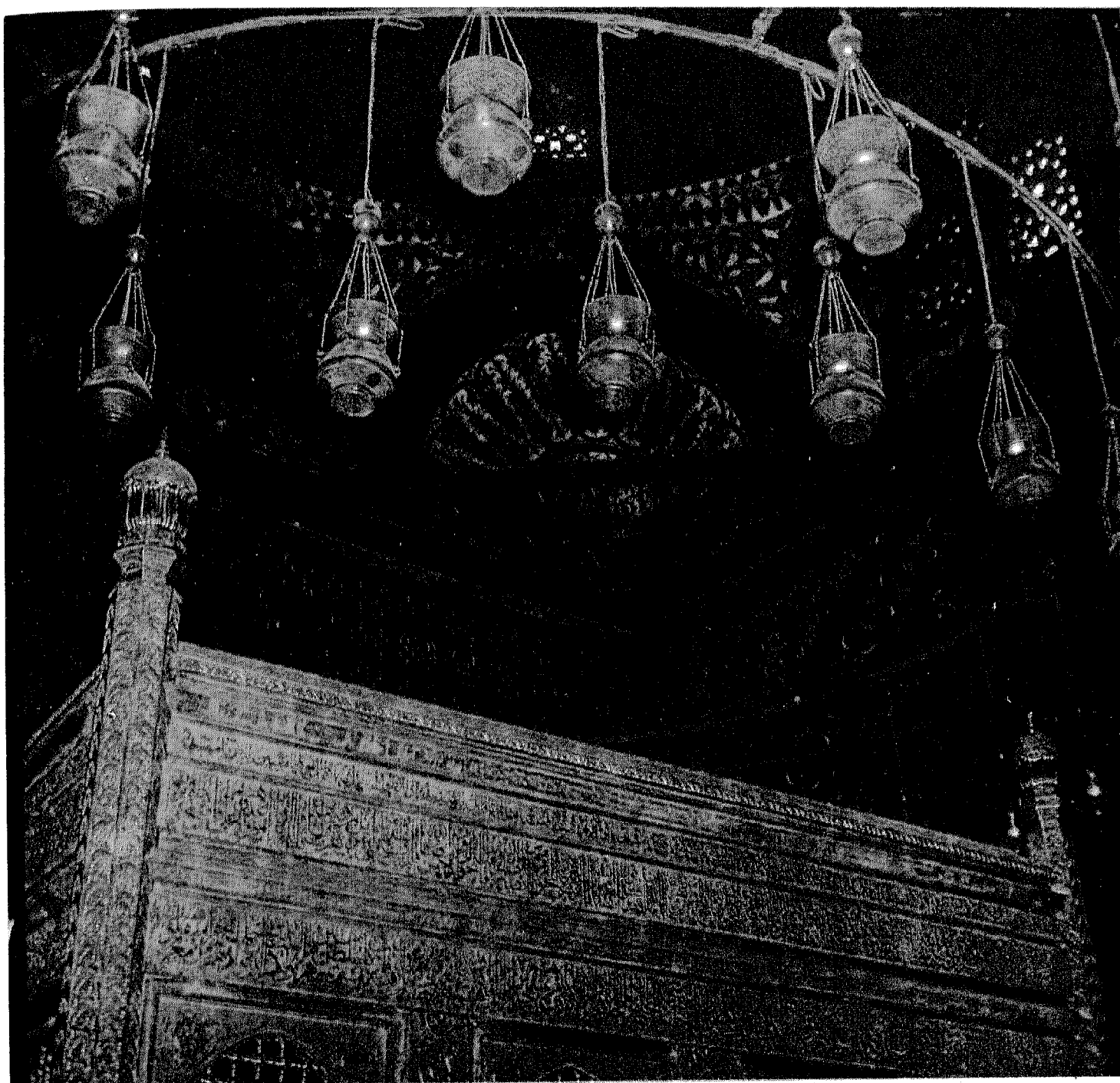
لوحة (١٧٧) محراب قبة سيدنا الحسين



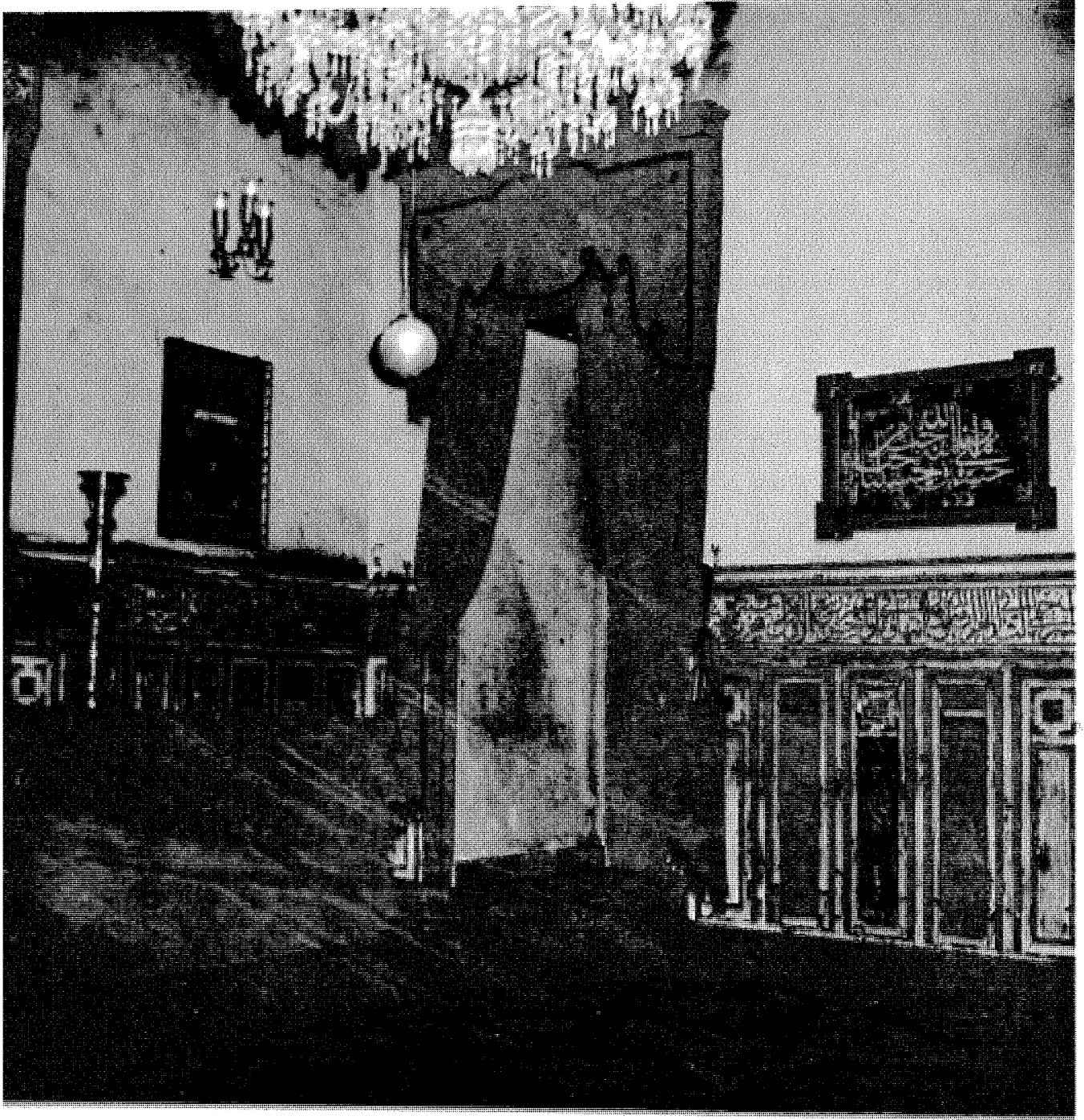
لوحة (١٧٨) مقصورة سيدنا الحسين الفضية



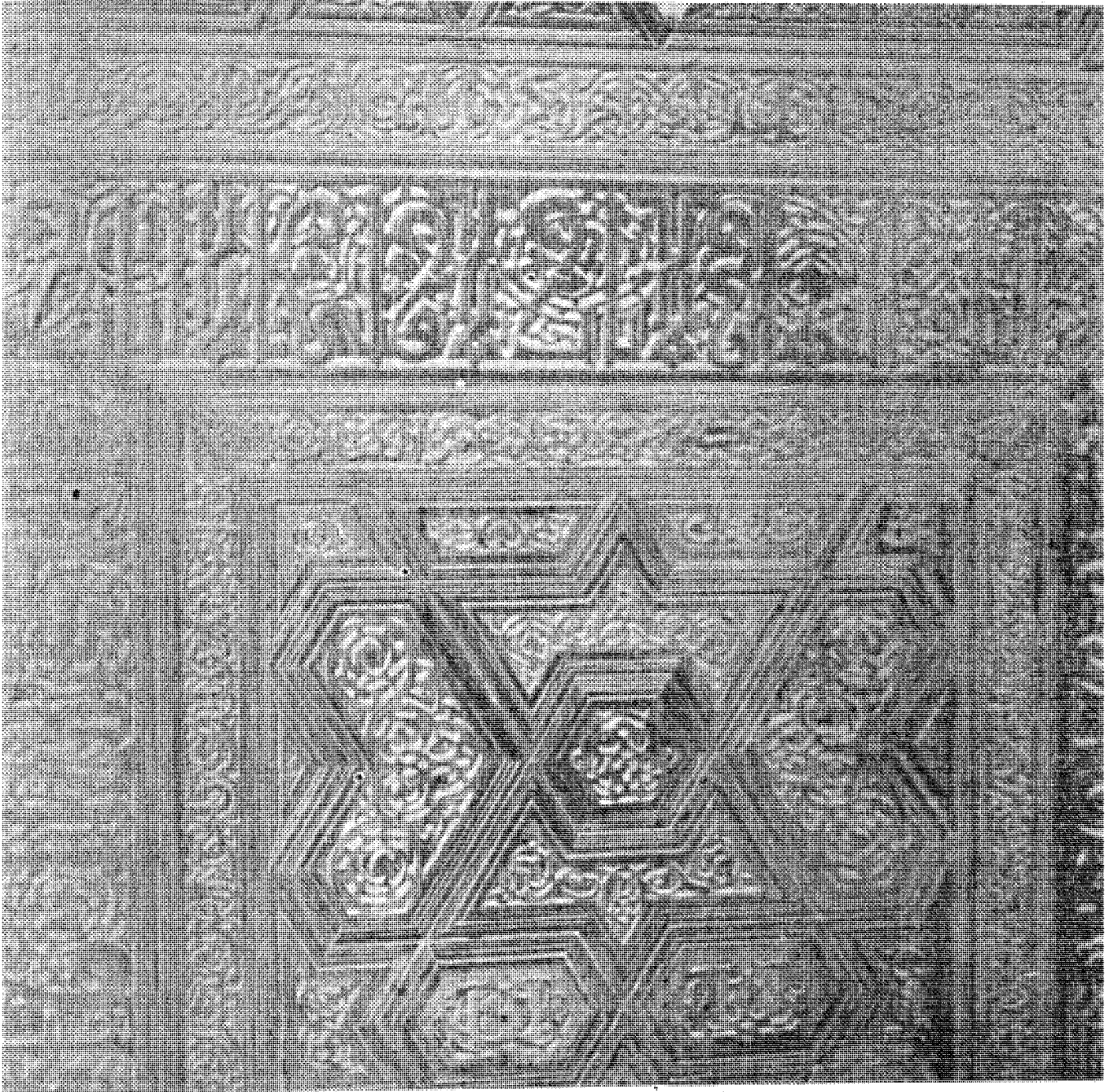
لوحة (١٧٩) باب غرفة خلفات الرسول صلى الله عليه وسلم بجامع الحسين



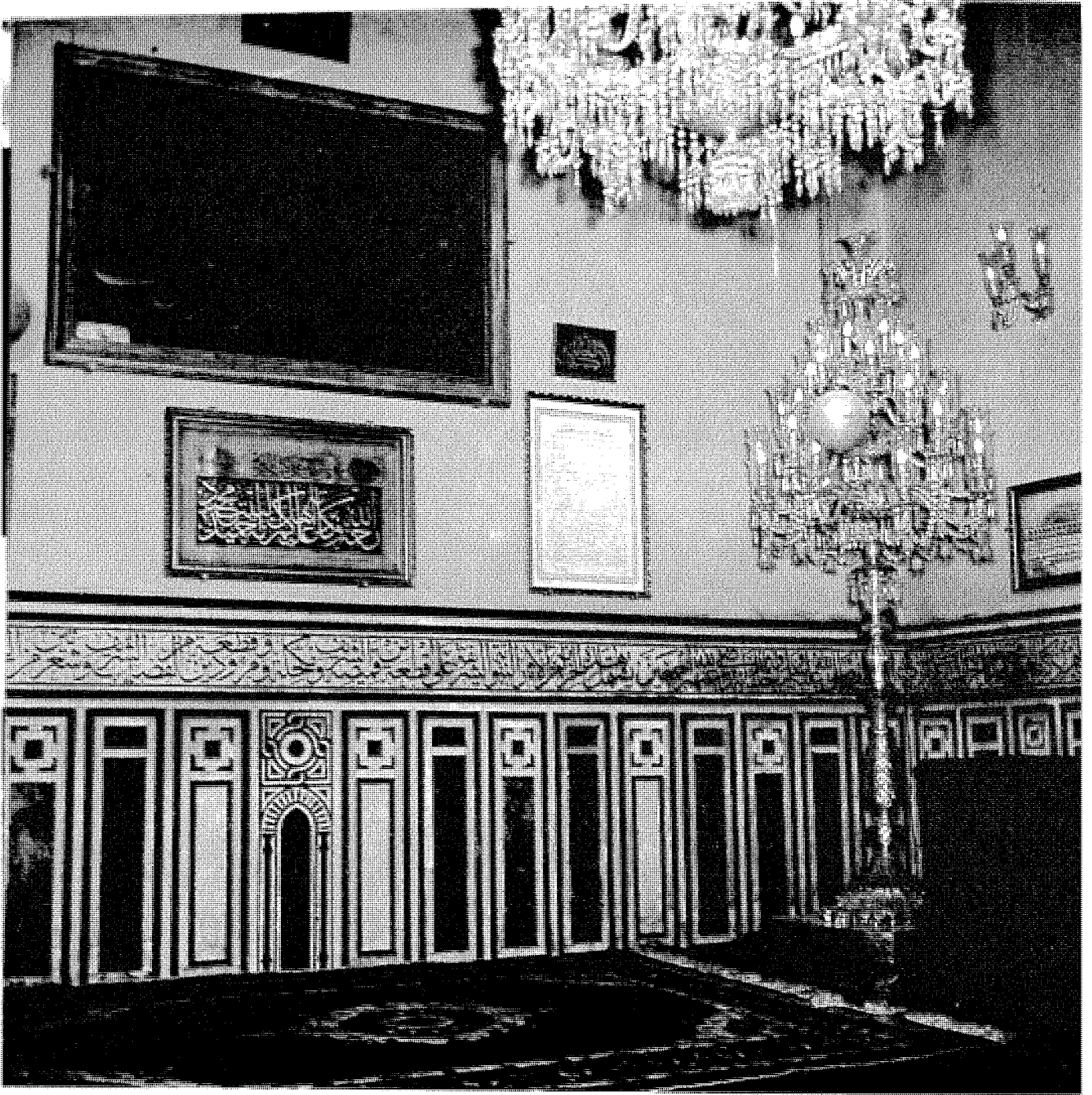
لوحة (١٨٠) قبة سيدنا الحسين وقد بدى في أركانها المقرنصات



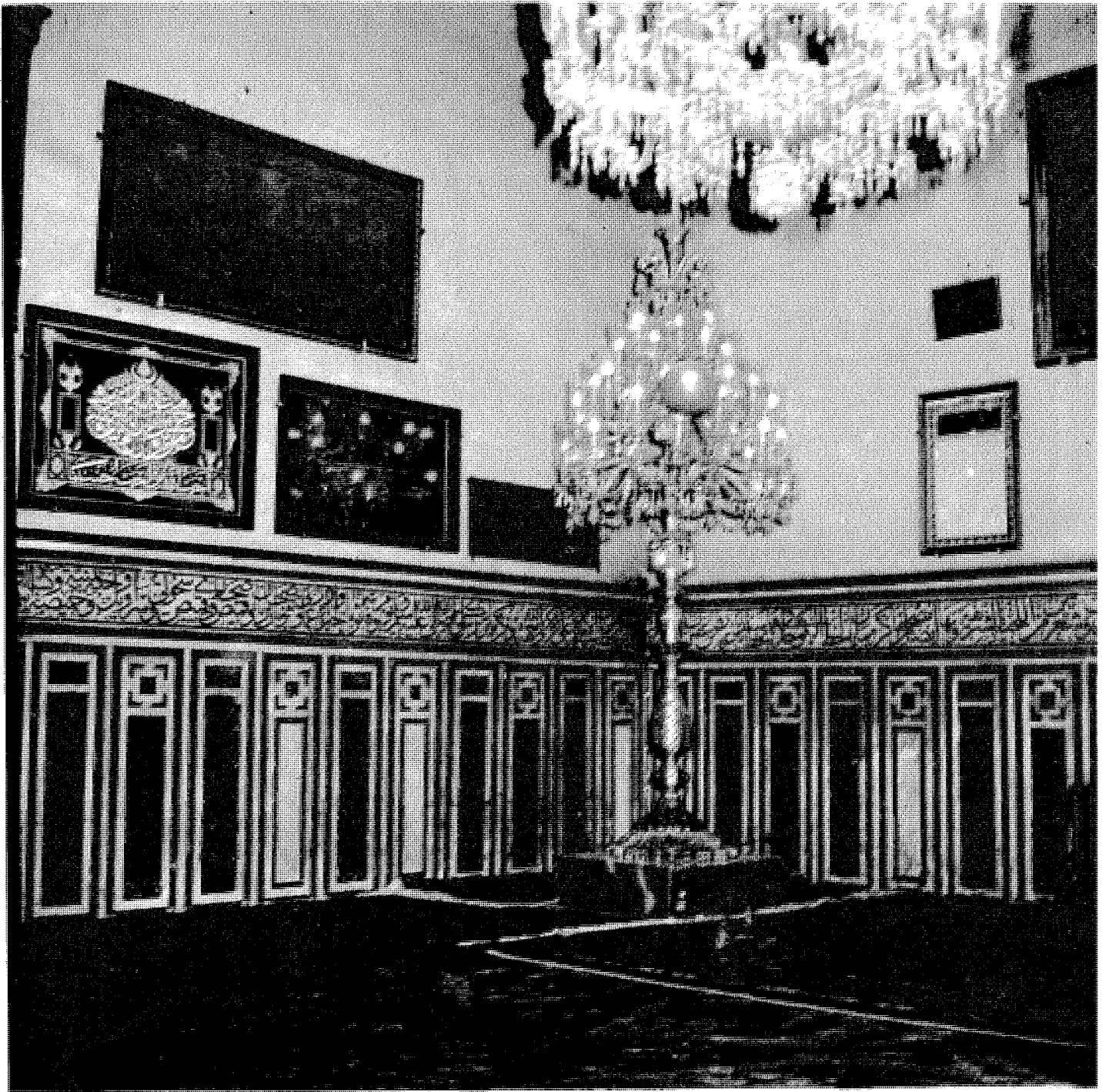
لوحة (١٨١) جانب من غرفة خلفات الرسول صلى الله عليه وسلم



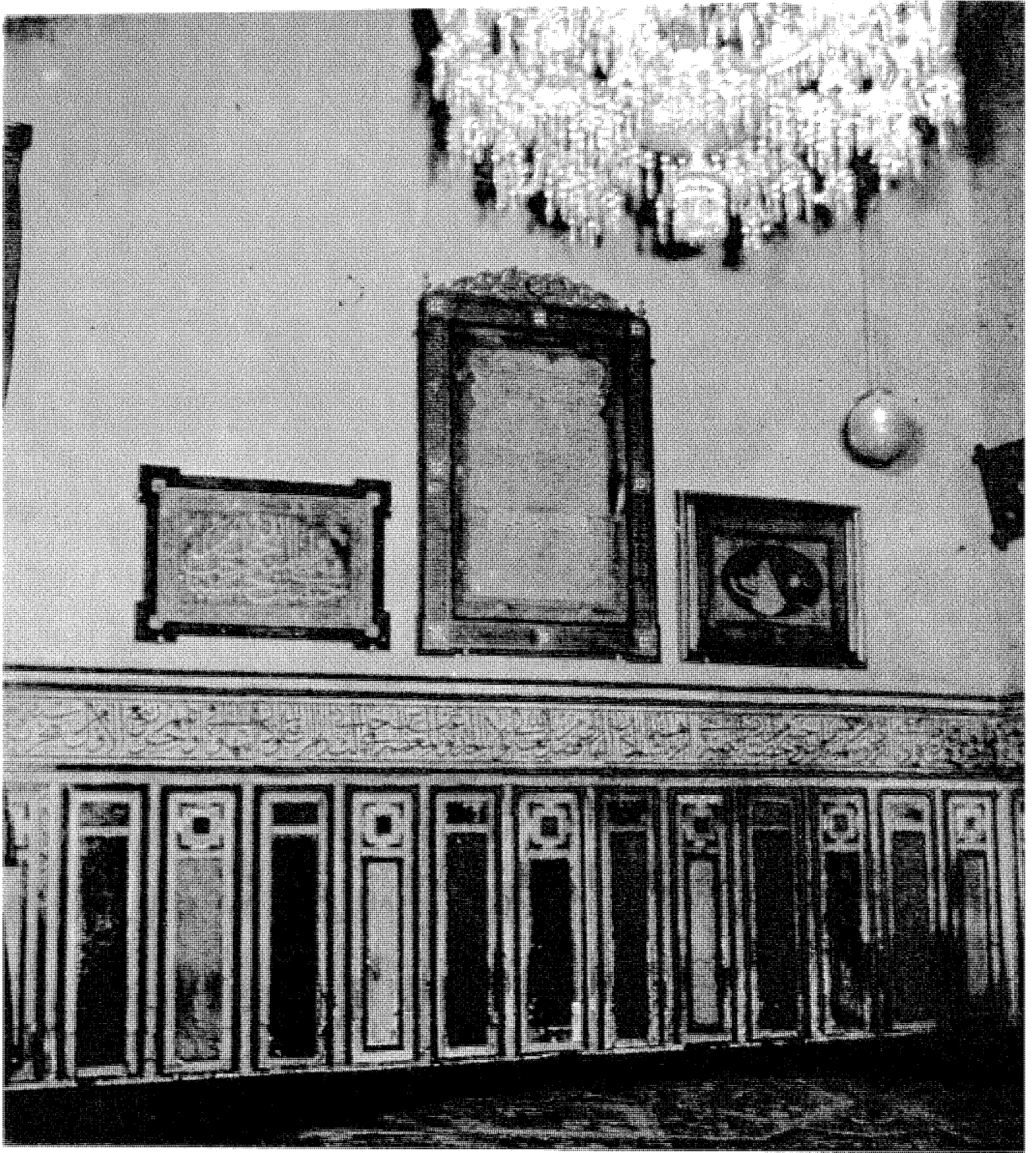
رقم (١٨٢١) جزء من تابوت سيدنا الحسين الخشبى



لوحة (١٨٣) الجانب الشرقى من غرفة خلفات الرسول صلى الله عليه وسلم

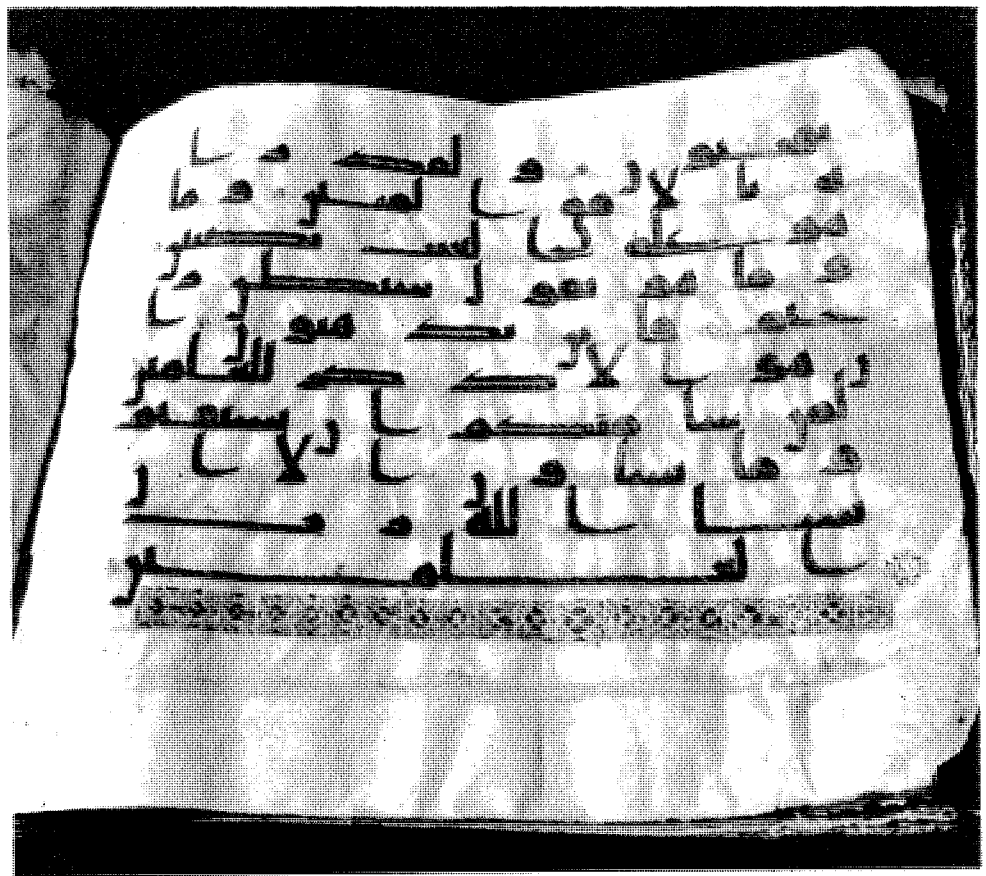


لوحة (١٨٤) جانب رابع من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم

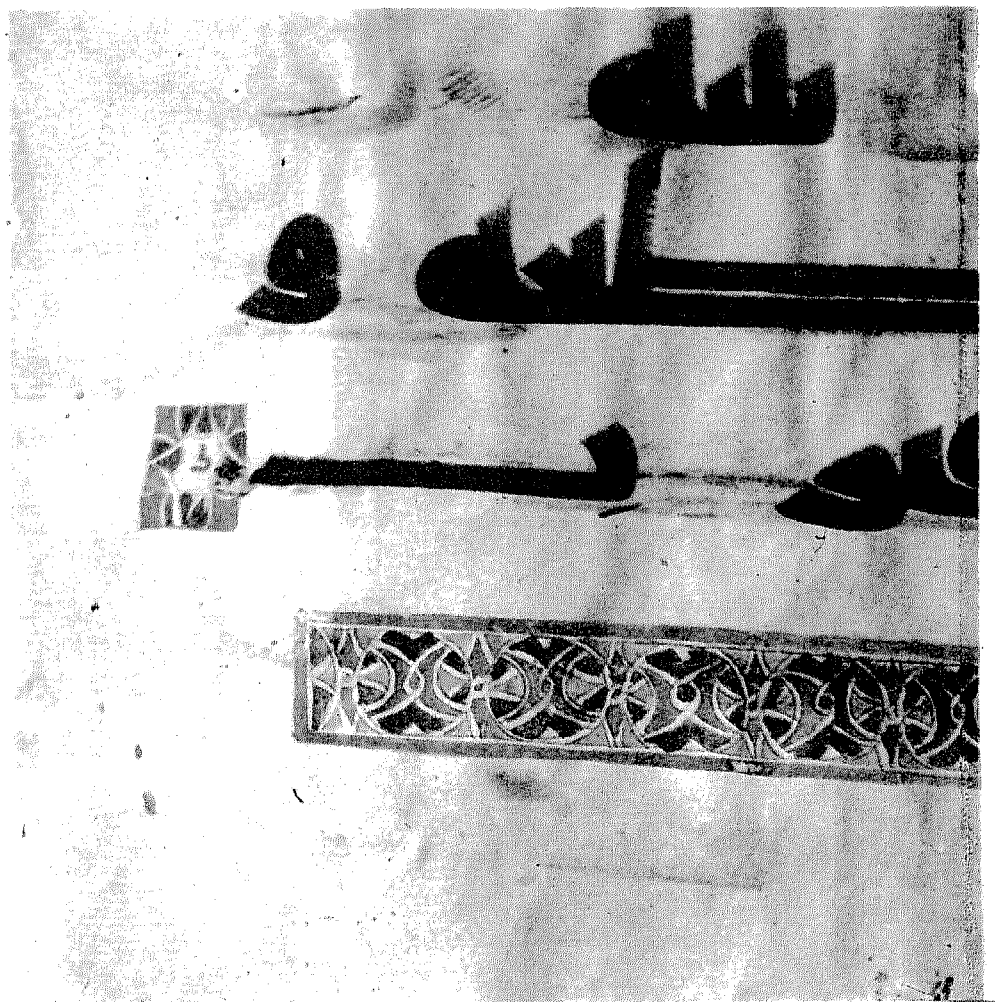


لوحة (١٨٥) جانب خامس من غرفة مَخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

لوحة (١٨٦) صفحة
من مصحف الإمام علي
الموجود بقرعة مخالقات الرسول
صلى الله عليه وسلم



لوحة (١٨٧) صفحة من
مصحف الإمام علي



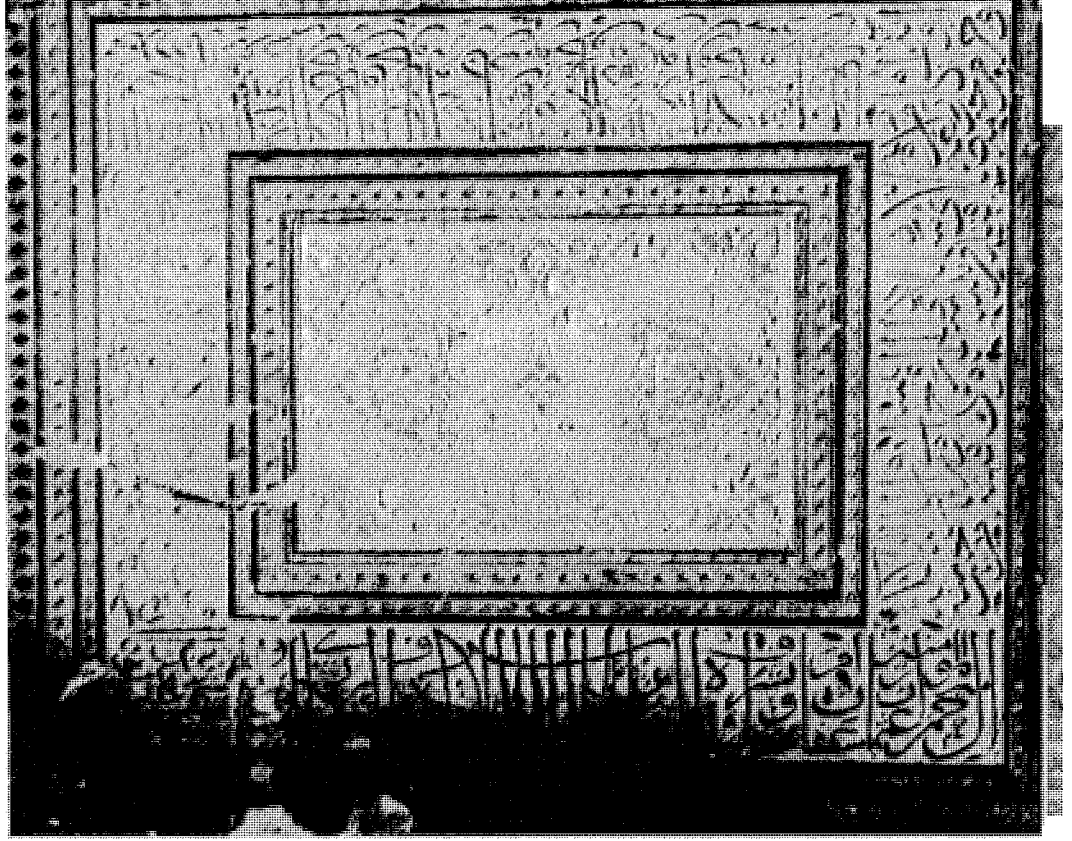
لوحة (١٨٨) صفحة من
مصحف الإمام علي



لوحة (١٨٩) الصفحة
الأولى من مصحف الإمام علي



لوحة (١٩٠) جلد مصحف
سيدنا عثمان الموجودة بفرقة
مخلفات الرسول صلى الله
عليه وسلم

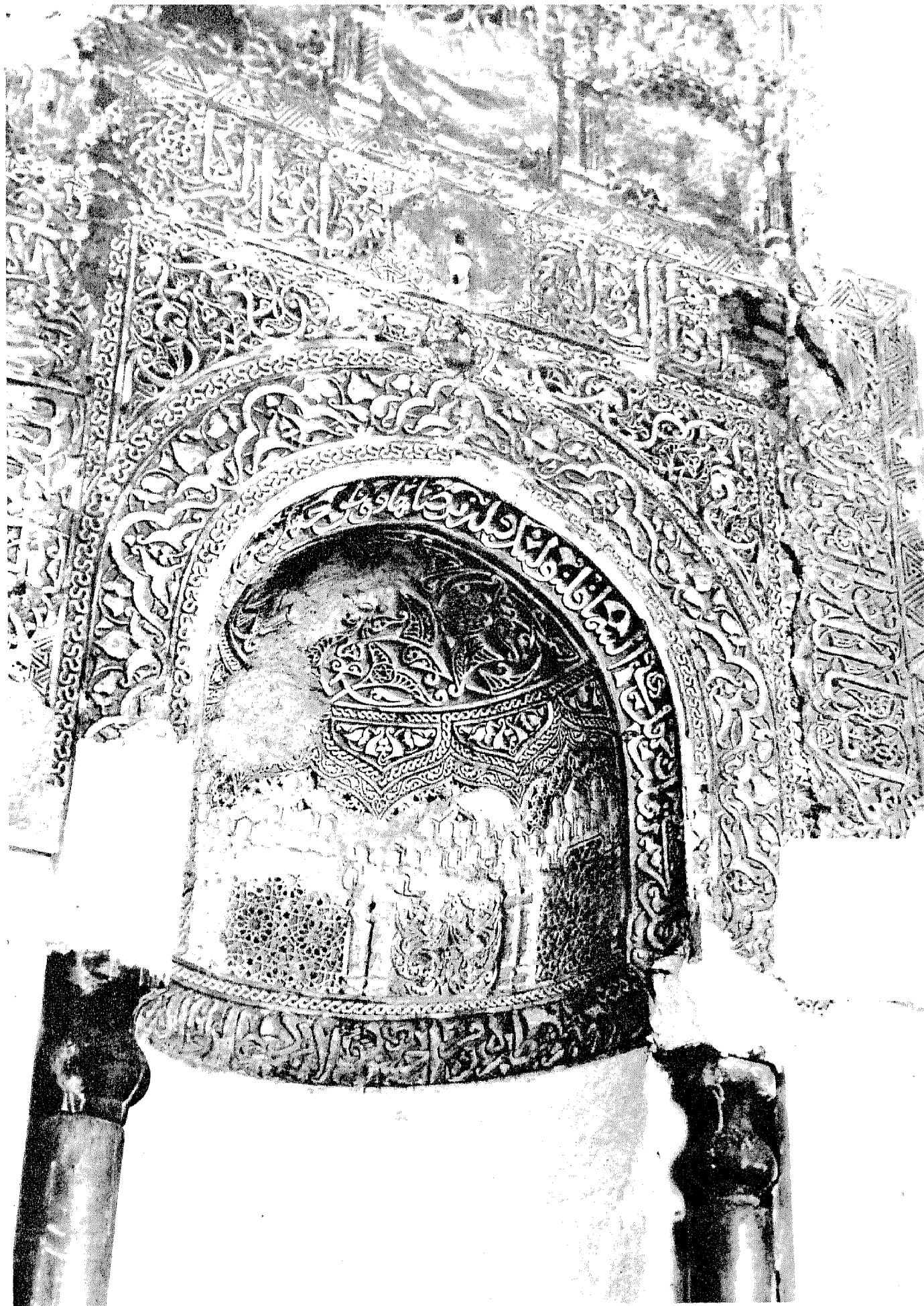


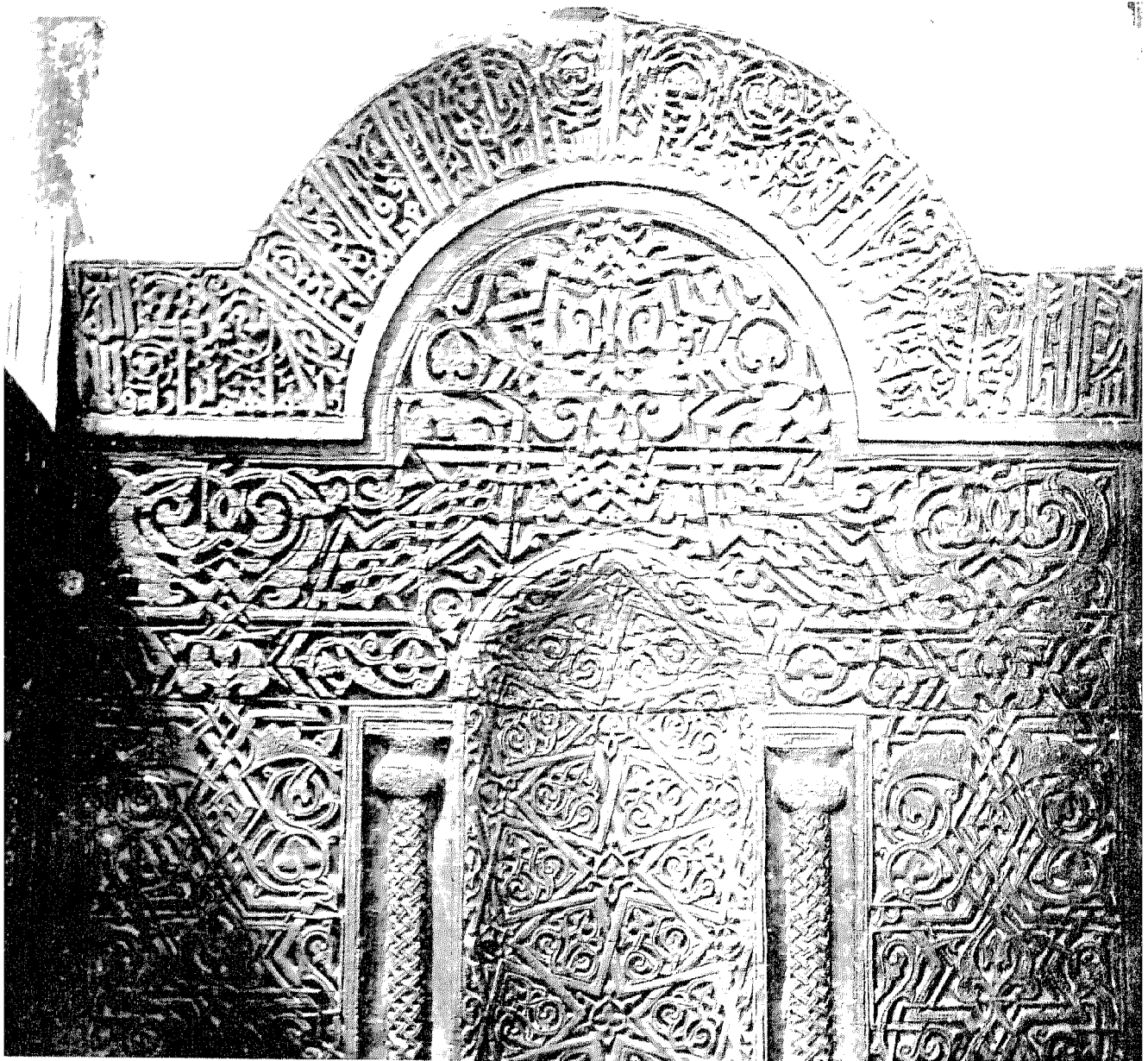
لوحة (١٩١) صفحة من
مصحف سيدنا عثمان





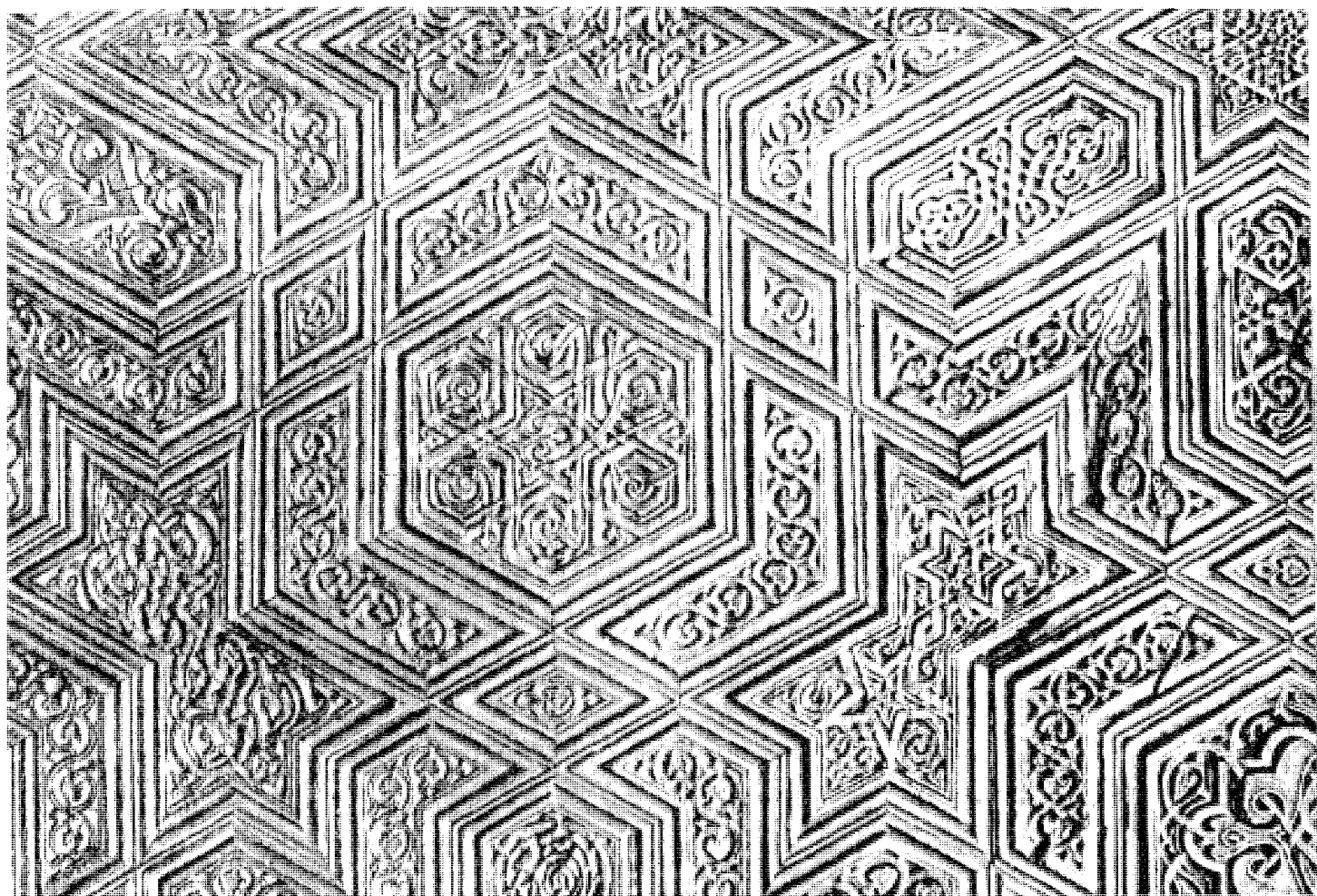
لوحة (١٩٢) الجامع
العمري بقوص



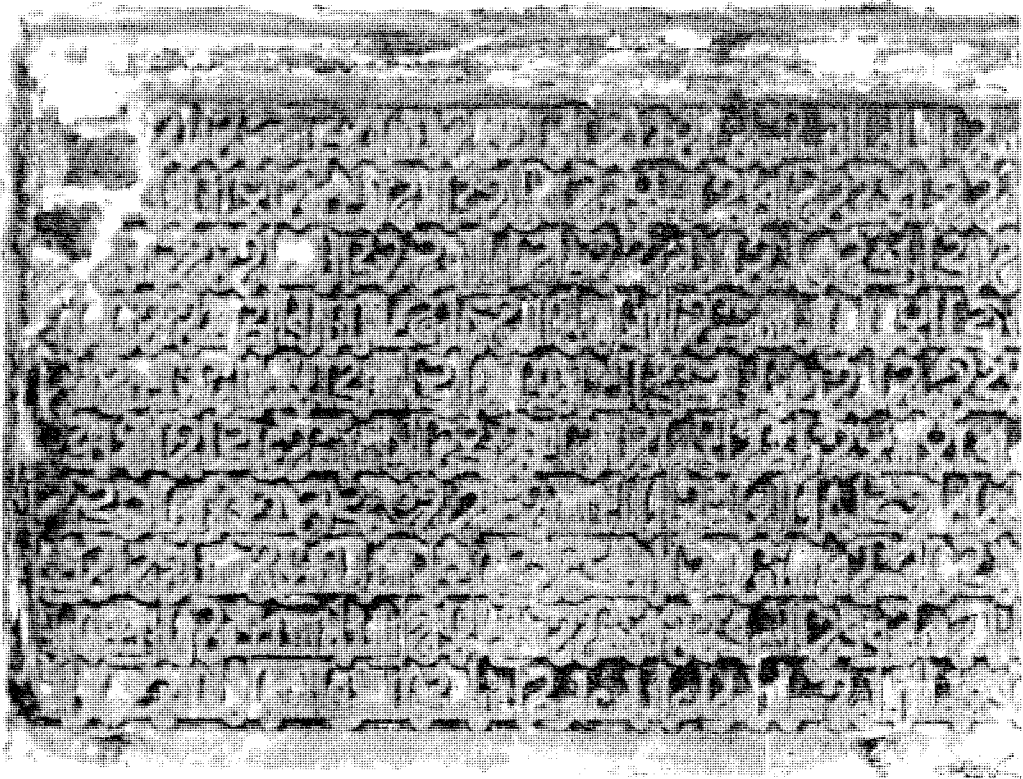


لوحة (١٩٤) ظهر جلسة نبر الجامع العمري بقوص ويرجع إلى العصر الفاطمي

(لوحة (١٩٣) محراب الجامع العمري بقوص ويرجع إلى العصر المملوكي)

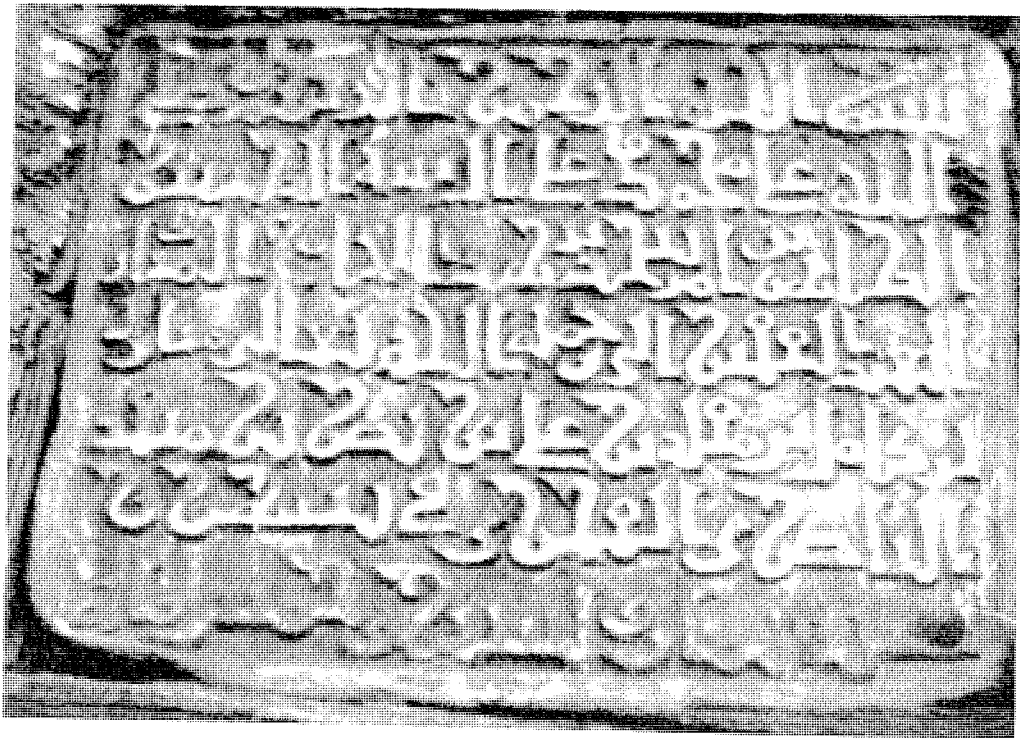


لوحة (١٩٥) جزء من جانب (ريشة) منبر جامع قوص ويرجع إلى العصر الفاطمي

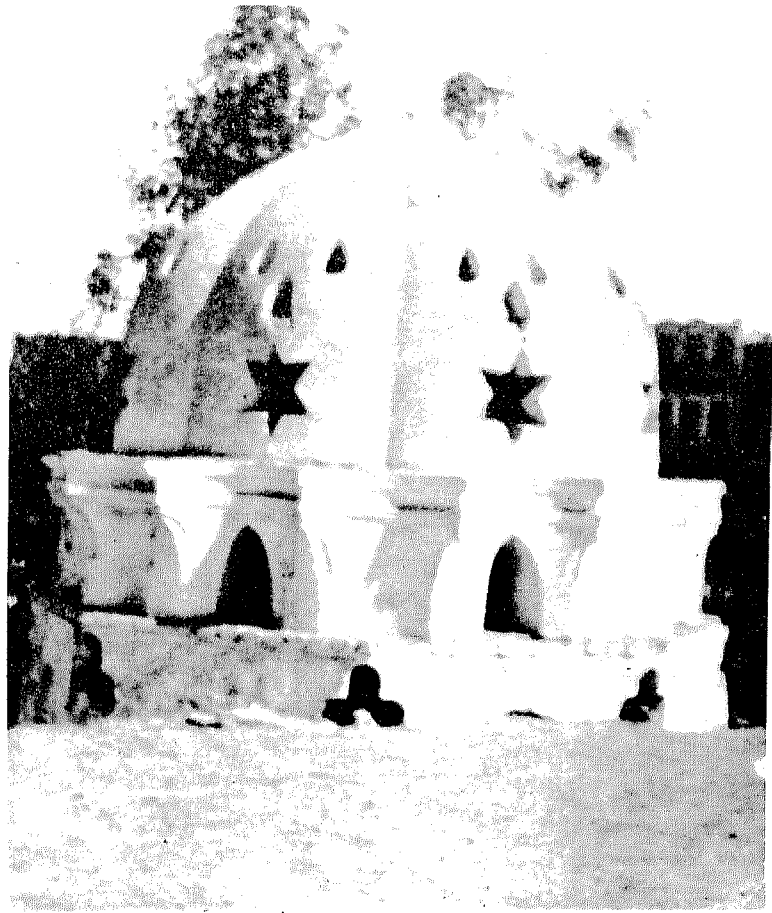


لوحة (١٩٦) اللوحة التأسيسية لجامع قوص مؤرخة سنة ٥٣٧٠ هـ

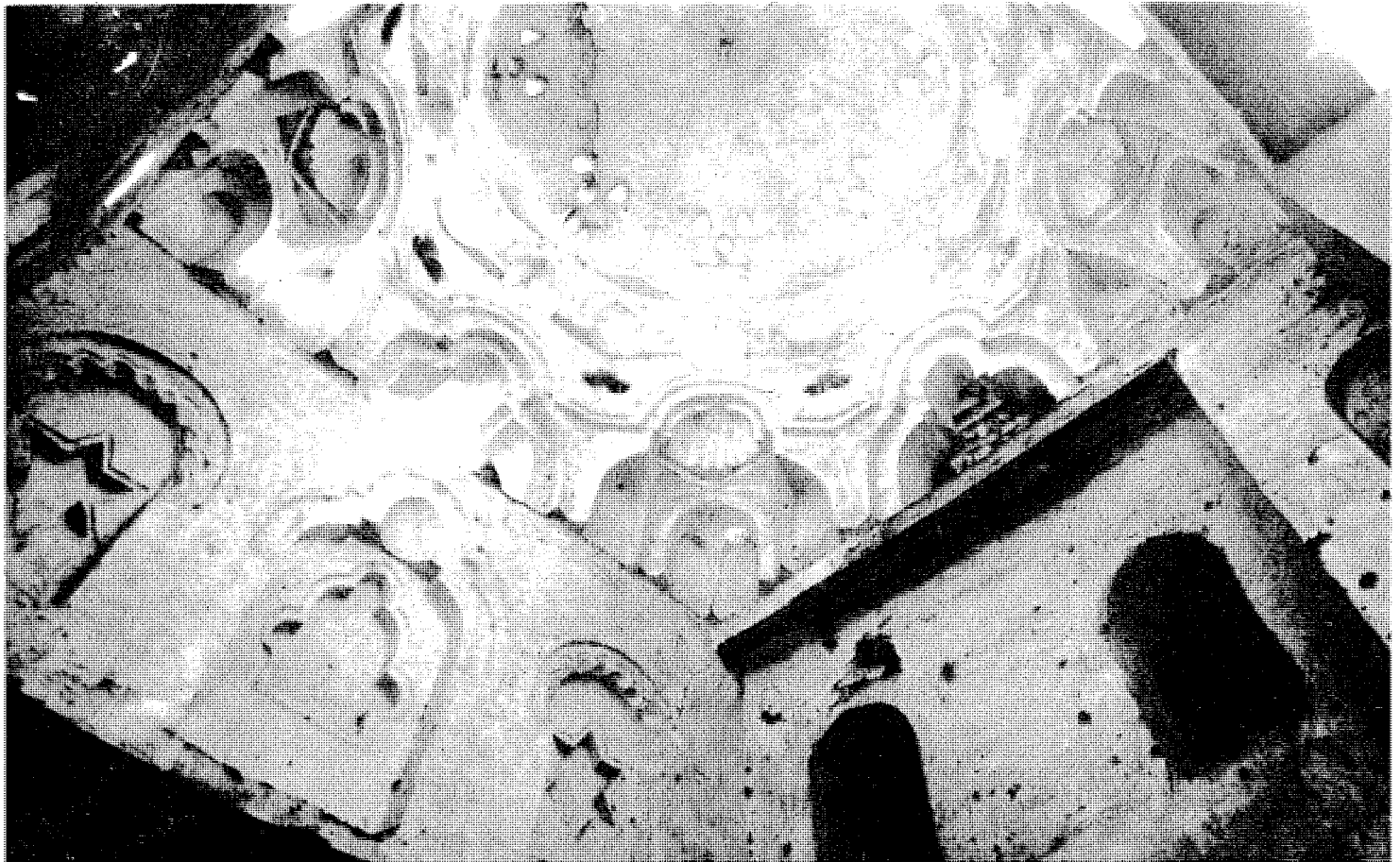
لوحة (١٩٧) لوحة أخرى لجامع قوص مؤرخة سنة ٥٥٦٨ هـ عليها اسم علي بن نصر بن منقذ



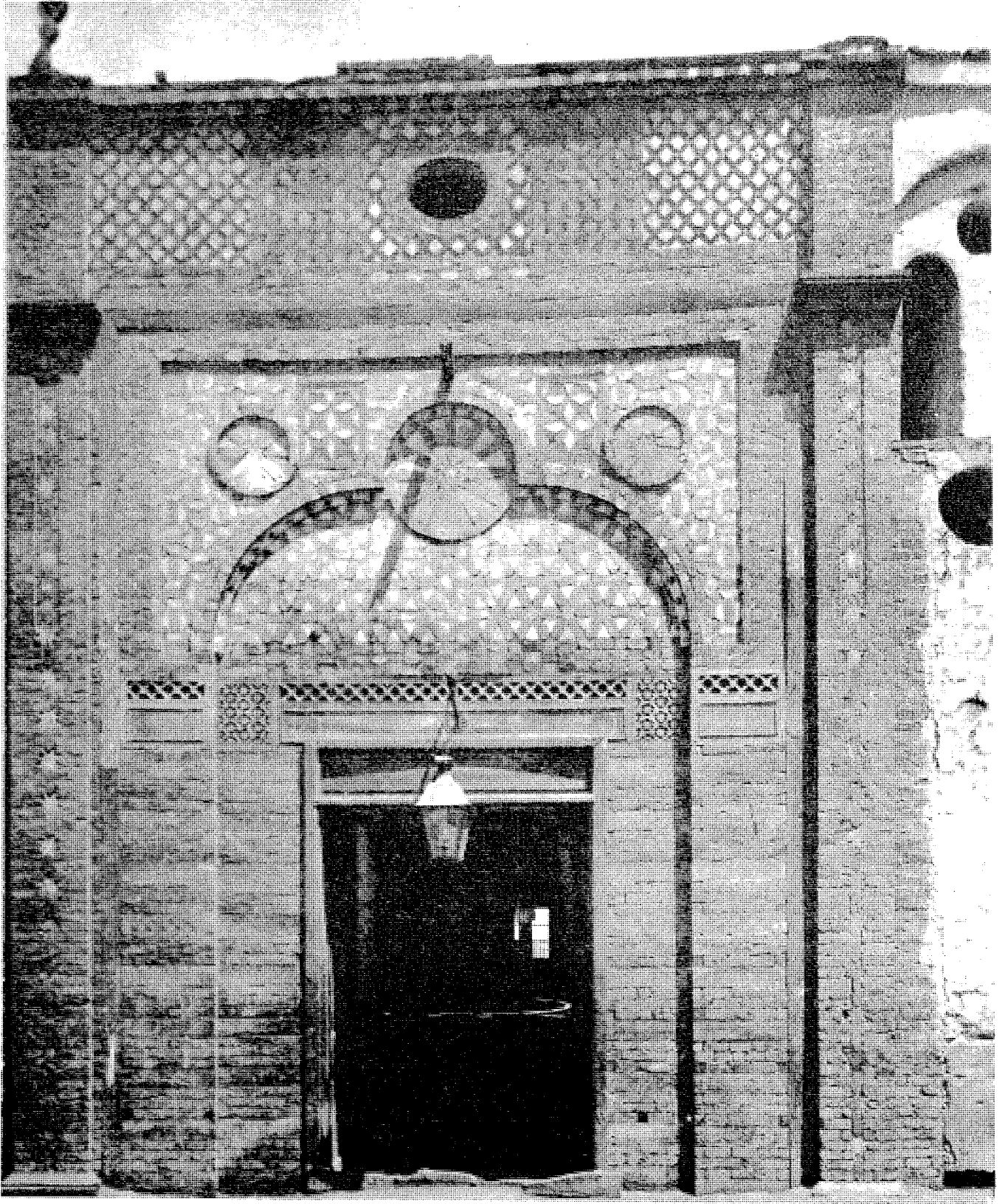
لوحة (١٦٩٨) قبة بجامع قوص
تراجع إلى العصر
الفاطمي



لوحة (١٩٩) القبة من الداخل ونرى بها المقرنصات ومنطقة الانتقال



لوحة (٢٠٠) المدخل الرئيسي لحامع إسنا العتيق





لوحة (٢٠٥) واجهة إيوان القبلة بجامع الصالح طلائع

لوحة (٢٠٦)
الأشرطة الكتابية تحيط
بمقود أروقة جامع
الصالح طلائع

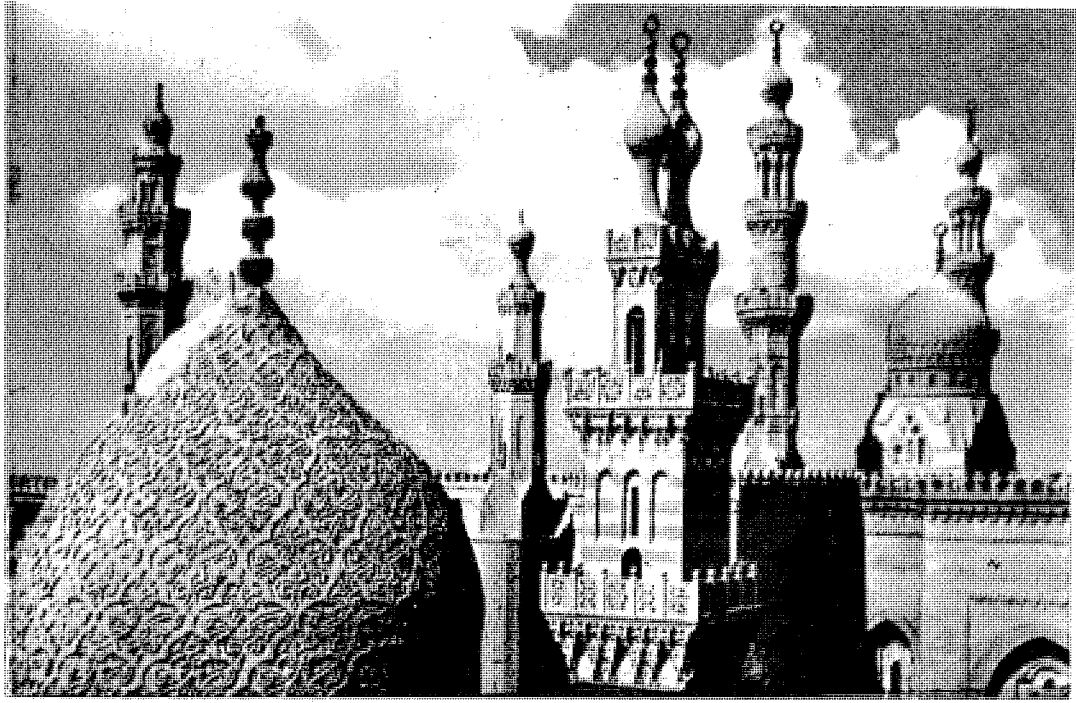




لوحة (٢٠٧) محراب جامع الصالح طلائع



لوحة (٢٠٨) مصراعا باب جامع
الصالح طلائع



لوحة (٢٠٩) مآذن مساجد مصر وقياب أضرحة أوليائها الصالحين

فهرس المراجع العربية والأفرنجية

(١)

(١) آدم مز	الحضارة الإسلامية (مترجم)	(١٩٥٧ م)
(٢) ابن الأثير	أسعد الغابه فى معرفة الصحابة	
(٣) » »	تاريخ الكامل	(بولاق (سنة ١٢٩٠ هـ)
(٤) ابن أبى أصيبعه	عيون الأنبياء فى طبقات الأطاء	(سنة ١٣٠٠ هـ)
(٥) ابن إياس	بدائع الرهور فى وقائع الدهور	(بولاق سنة ١٣١٣ هـ)
(٦) ابن تغرى بردى	النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة	(دار أنكتب)
(٧) » » »	المنهل الصافى فى المستوفى بعد الوافى	(دار الكتب)
(٨) ابن جبير	رحلة ابن جبير	(طبع مصر)
(٩) ابن بطوطة	رحلة ابن بطوطة	(١٢٨٧ هـ)
(١٠) ابن جرير الطبرى	تاريخ الرسل والملوك	(سنة ١٣٢٦ هـ)
(١١) » » »	القرى لقاصدأم القرى	(سنة ١٩٤٨ م)
(١٢) ابن الجيعان	التحفة السنية	(سنة ١٨٨٩ م)
(١٣) ابن حزم	الفصل فى الملل الأهواء والنحل	(سنة ١٣١٧ هـ)
(١٤) ابن الحاج	المدخل	(سنة ١٩٢٩ م)
(١٥) ابن الجوزى	المنتظم فى أخبار الملوك والأمم	(سنة ١٣٥٩ هـ)
(١٦) ابن حوفل	الممالك والمسالك	(سنة ١٨٣٣ م)
(١٧) ابن حجر العسقلانى	الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة	(سنة ١٣٤٩ هـ)
(١٨) » » »	الإصابة فى تمييز الصحابه	
(١٩) » » »	أنباء الغمر فى أنباء العمر	(المجلس الأعلى ١٣٩٠)
(٢٠) ابن خرواذبه	الممالك والمسالك	(سنة ١٣٠٩ هـ)
(٢١) ابن الأخواه	معالم القربه فى أحكام الحسبه	(سنة ١٩٣٧ م)
(٢٢) ابن خلدون	العبر وديوان المبتدأ والخبر	(سنة ١٢٨٤ هـ)
(٢٣) ابن خلكان	وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان	(بولاق سنة ١٢٧٥ هـ)

(طبعة بغداد)	الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة	(٢٤) ابن الزيات
(سنة ١٨٩٩ م)	العيون الدعج في أخبار دولة بني طفج	(٢٥) ابن زولاق
	فضائل مصر وأخبارها	(٢٦) » »
	الأعلاق النفيسة	(٢٧) ابن رسته
(سنة ١٣٤٦ هـ)	فوات الوفيات	(٢٨) ابن شاکر الکتبی
(م ١٨٩٠)	تقويم البلدان	(٢٩) ابن شاهنشاه
(سنة ١٢٨٧ هـ)	ألف باء	(٣٠) ابن الشيخ
(دار الكتب سنة ١٩٦٩ م)	الفضائل الباهرة	(٣١) ابن ظهيره
(بولاق سنة ١٣٠٩ هـ)	الانتصار لواسطه عقد الأمصار	(٣٢) ابن دقاق
(سنة ١٣٥١ هـ)	شذرات الذهب في أخبار من ذهب	(٣٣) ابن العماد
(بولاق سنة ١٢٩٣ هـ)	العقد الفريد	(٣٤) ابن عبد ربه
(سنة ١٩٢٥ م)	تاريخ المسلمين	(٣٥) ابن العميد
(سنة ١٣٤٨ هـ)	عيون الأخبار	(٣٤) ابن قتيبه
(طبع مصر)	البداية والنهاية	(٣٥) ابن كثير
(سنة ١٣٥٦ هـ)	ابن محمود السخاوي الحنفي تحفة الأحباب وبغية الطلاب	(٣٦)
	قوانين الدواوين	(٣٧) ابن ممانی
(سنة ١٩١٩ م)	أخبار مصر	(٣٨) ابن میسر
(سنة ١٣٤٨ هـ)	الفهرست	(٣٩) ابن النديم
(سنة ١٩٥٦ م)	الدرة الثمينة في أخبار المدينة	(٤٠) ابن النجار
(سنة ١٣٤٢ هـ)	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار	(٤١) ابن فضل الله العمري
(سنة ١٢٨٥ هـ)	تاريخ ابن الزردی	(٤٢) ابن الوردی
	أبو أحمد سعيد العسكري ت سنة ٣٨٢ هـ التصحيف	(٤٣)
(سنة ١٣٣٠ هـ)	الأخبار الطوال	(٤٤) أبو حنیفة الدنیوری
(سنة ١٢٨٨ هـ)	الروضتين في أخبار الدولتين	(٤٥) أبو محمد المقدسی
(سنة ١٩٠٨ هـ)	الولاية والقضاة	(٤٧) أبو محمد یوسف الکندی
(سنة ١٣٥٨ هـ)	سيرة أحمد بن طولون	(٤٩) أبو محمد عبد الله البلوی
(سنة ١٣٢٥ هـ)	المختصر في أخبار البشر	(٥٠) أبو الفداء
(دار الكتب)	الأغاني	(٥١) أبو الفرج الأصفهانی
(سنة ١٨٤٨ م)	آثار البلاد وأخبار العباد	(٥٢) أبو یحیی زکریا القزوینی
(١٣٤٨ هـ)	الآثار النبويه	(٥٣) أحمد تیمور باشا

(دار الكتب)	القاموس الجغرافي	(٥٤) أحمد رمزي
(دار المعارف)	المدخل للعمارة الإسلامية	(٥٥) أحمد فكري
(دار المعارف)	العمارة الفاطمية	(٥٦) أحمد فكري
	مرآة الحرمين	(٥٧) ابراهيم رفعت

(ب)

(سنة ١٨٦٦ م)	عقد اللجان في تاريخ أهل الزمان	(٥٨) بدر الدين الحسيني
(سنة ١٣١٦ هـ)	فتوح البلدان	(٥٩) البلاذري
(سنة ١٣١٦ هـ)	المحاسن والمساوي	(٦٠) البيهقي
(الهند سنة ١٣١٦ هـ)	السنن الكبرى	(٦١) البيهقي

(ت)

(نشر زياده والشيامل)	إغاثة الأمة بكشف الغمه	(٦٢) تقي الدين المقرئ
(سنة ١٩١٦ م)	البيان والاعراب	(٦٣) تقي الدين المقرئ
(بولاق سنة ١٢٧٠ هـ)	الخطط والآثار	(٦٤) تقي الدين المقرئ
(سنة ١٩٠٩ م)	اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء	(٦٥) تقي الدين المقرئ
(نشر زياده)	السلوك لمعرفة دول الملوك	(٦٦) تقي الدين المقرئ
(سنة ١٣٢٤ هـ)	طبقات الشافعية	(٦٧) تاج الدين عبد الوهاب السبكي

(ح)

(سنة ١٩٦٤ م)	تاريخ الإسلام السياسي ٤ أجزاء	(٦٨) حسن ابراهيم حسن
(دار الكتب سنة ٦٤)	تاريخ الدولة الفاطمية	(٦٩) حسن ابراهيم حسن
(بولاق سنة ١٢٩٥ هـ)	تاريخ المساجد الأثرية	(٧٠) حسن عبد الوهاب
	آثار الدول في ترتيب الدول	(٧١) الحسن عبد الله

(ز)

(سنة ١٩٤٨ م)	فنون الإسلام	(٧٢) زكي محمد حسن
----------------	--------------	---------------------

(س)

(سنة ١٣٨٥ هـ)	مخلفات الرسول في المسجد الحسيني	(٧٣) سعاد ماهر
(سنة ١٩٦٠)	الخصير في الفن الإسلامي	(٧٤) سعاد ماهر

- (٧٥) سعاد ماهر محافظات الجمهورية العربية في العصر الإسلامي (سنة ١٣٨٦ هـ)
- (٧٧) سعاد ماهر شواهد القبور ببيان أمسوان (تحت الطبع) (مع آخرين)
- (٧٨) سبط الجوزى مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (سنة ١٩٠٧ م)
- (٧٩) السمنهوى وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (سنة ١٣٢٦ هـ)
- (٨٠) السيوطى حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة (دار المعارف سنة ٧٠)

(ش)

- (٨١) الشبثى الديارات (نشر كوركيس عواد)
- (٨٥) شهاب الدين أحمد النويرى نهاية الدرب في فنون الأدب (دار الكتب)
- (٨٣) شمس الدين محمد السخاوى الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (سنة ١٣٥٤ هـ)
- (٨٤) الشهرستانى الملل والنحل (طبعة الأنجلو)

(ط)

- (٨٥) الطقطقى الفخرى في الآداب السلطانية (سنة ١٣١٧ هـ)

(ع)

- (٨٥) عبد الوهاب الشعرانى الطبقات الكبرى (سنة ١٢٧٦ هـ)
- (٨٦) عبد الوهاب الشعرانى « الصغرى
- (٨٧) عبد الرحمن الجبرتى عجائب الآثار في التراجم والأخبار (بولاغ سنة ١٢٩٧ هـ)
- (٨٨) عبد الرؤوف المناوى الكواكب الدرية في تراجم الساده الصوفيه (٣٥٧-١٩٣٨ م)
- (٨٩) عبد الرحمن السخاوى التبر المسبوك في ذيل السلوك (سنة ١٨٩٦ م)
- (٩٠) عبد الله أحمد الأسوانى النويه
- (٩١) عمر بن محمد الكندى فضائل مصر المحروسة
- (٩٢) على مبارك الخطط التوفيقية (بولاغ سنة ١٣٠٥ هـ)
- (٩٣) عبد الغنى البابلسى الحقيقة والحجاز (مخطوطه)
- (٩٤) العقاد عمرو بن العاص (مطبعة دار العروبة)

(غ)

- (٩٥) غرس الدين خليل بن شاهين زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (سنة ١٨٩٤ م)

(ق)

- ٩٦ القزويني آثار البلاد وأخبار العباد
٩٧ القضاعي عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف
٩٨ القلقشندی صبح الأعشى (بولاق سنة ١٩١٤)

(ك)

- ٩٩ كمال الدين الادفوى الطالع السعيد (سنة ١٩١٤ م)

(م)

- ١٠٠ محي الدين الخطيب الأزهر (سنة ١٣٤٥ هـ)
١٠١ محمد الصبان اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل
١٠٢ محمد توفيق البكري بيت السادات الوفاية (سنة ١٢٩٠ هـ)
١٠٣ محمد كامل حسين أدب مصر الفاطمية (سنة ١٣٣٦ هـ)
١٠٤ محمد بن عبد الله الزركشي (ألف كتاب)
١٠٥ محمد أحمد اعلام الساجد بأحكام المساجد (المجلس الأعلى سنة ١٣٨٥)
١٠٦ محمد عبد الحى الكنوى جامع عمرو بن العاص (بولاق سنة ١٩٣٨)
١٠٧ محمود عكوش تاريخ الجامع الطولوني (سنة ١٣٢٤ هـ)
١٠٨ محمود الببلاوى التاريخ الحسيني (سنة ١٩٢٧ م)
١٠٩ المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (سنة ١٣٢٤ هـ)
١١٠ المسعودي التنبية والإشراف (١٩٠٩ م)
١١١ المسعودي مروج الذهب (١٨٩٣ م)
١١٢ ناصر خسرو سفرنامه (تعريب يحيى الخشاب) (بولاق ١٢٨٣ هـ)
١١٣ نعوم شقير تاريخ سيناء (سنة ١٩١٦ م)

(ي)

- ١٤ (ياقوت الحموى مراصد الاطلاع في أسماء الأماكن والبقاع (سنة ١٨٧٩ م)
١١٥ يعقوبى تاريخ يعقوبى (سنة ١٣٥٨ هـ)
١١٦ يعقوبى البلدان (سنة ١٨٩٢ م)
١١٧ يعقوب بن ابراهيم كتاب الحراج (سنة ١٩٠٢ م)

REFERENCES

1. **Abu Saleh** : Churches and Monasteries of Egypt. (Oxford 1895)
2. **Ahmed Fakhry** : The Oasis of Siswa(Cairo).
3. **Ahmed Fakhry** : The Necropolis of El-Bagawat in Kharga Oasis (Cairo).
4. **Butler** : Churches of Egypt.
5. **Butler** : Ancient Coptic churches. (1884)
6. **Creswell** : Early Muslim Architecture, vol. I & II (Oxford).
7. **Creswell** : Muslim Architecture of Egypt (Oxford).
8. **Cost Pascal** : Architecture Arabe ou Monuments du Kaire (Paris 1839).
9. **David Weill** : Bois à epigraphes jusqu'à l'epoque Mamlouk.
10. **Devonshire** : La Mosquée de d'Amru (B.I.F.Tome XXXII 1931).
11. **Devonshire** : L'Egypt Musulmane et les founelateurs des ses mounments (Paris 1926).
12. **Dimand** : A Handbook of Muhammedan art (second edit. 1946).
13. **Dimand** : Studies in Islamic ornaments (Ars Islamica vol. IV).
14. **Hautecaur et Wiet** : Les mosquées du Caire (vol. I & II 1932).
15. **G.Wiet** : Deux inscriptions cofigues de Qous (Bulletin I.E. vol. XVII 1935 & 36).
16. **G.Wiet** : L'Egypte Arabe (Paris 1937).
17. **Gnohman A.** : Arabic Papri in the Egptian Library (Cairo 1932).
18. **Gouthier Henri** : Les nomes d'Egypt depuis Herodote jusqu'à la Conquete Arabe (Caire 1935).
19. **Lane-Poole** : Egypt in the Middle Ages.
20. **Lounme** : Fatimid wood work (B.I.E. XVIII 1935-36).
20. **Mayer** : Islamic wood carver and their work. (Albert, Geneva 1958).
21. **Monneret de Villard** : La Neeropli Musuluman di Aswan (Le Caire 1930).
22. **Pauty** : Le minbar de Qous (1940).
23. **Prisse D'avennes** : L'art. Arabe Atlas.
24. **Van Bereham** : Materiaux Pour un Corpus Itnscriptionum Arabicarum (M.M.A.F. du Caire).
25. Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe.
26. Encyclopaedia of Islam.

فهرس الأعلام

(١)

- أبو موسى الأشعري ص ١١ ، ٣٢١
 ألب أرسلان ص ١٣
 الأتابكة ص ١٣
 الأكراد ص ١٤
 ابن خلكان ص ١٤ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣
 ابن سلاص ص ١٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٢
 ابن مسرور ص ١٤ ، ١٨
 أحمد فكري ص ١٨
 أبو الحارث البثائري ص ٢٠
 أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ص ١٩
 أبو الفتح موسى ص ٢١
 أبو سعيد الخدري ص ٢٧ ، ٣٢
 ابن إسحاق ص ٢٧
 ابن أبي خيثمة ص ٢٧
 أبو بكر الصديق ص ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥١ ، ٥٢ ،
 ٥٣
 أبو أيوب ص ٢٨
 أنس ص ٢٦
 أهل الصفة ص ٣٠
 إمبراطور الروم ص ٣٣
 أقباط مصر ص ٣٣
 ابن زيالة ص ٣٣
 أبو جعفر المنصور ص ٣٣
 ابن رسته ص ٣٤
 أيلك الترجاني ص ٣٤
 ابن جبير ص ٣٤ ، ٢٤٣ ، ٣٦٩ ، ٣٩٠
- ابن اياس ص ٣٥ ، ٣٤ ، ٦١ ، ٢٠٢
 ابن فضل الله العمري ص ٣٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤
 أبو هريرة ص ٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤
 ابن الزيات ص ٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 ٢٩٣
 أبو بكر جدمسلم القاري ص ٤٦
 أحمد بن طولون ص ٤٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
 ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،
 ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣
 أبو الفضل جعفر بن الزيات ص ٤٧
 أبو الحسن بن الحسن بن عبد الله ص ٤٧
 أبو طاهر محمد بن علي القرشي القرقوبي ص ٤٧
 ابن حجر العسقلاني ص ٤٩ ، ٣٢١
 أبو عبيدة بن الحجاج ص ٥٣
 أبو الدرداء ص ٥٦
 أبو ذر الغفاري ص ٥٦
 أبو بصيرة ص ٥٦
 أهل الراية ص ٥٨
 أسامة بن زيد التنوخي ص ٥٩
 أبو العباس السفاح ص ٦٠
 ابن القرات ص ٦٧
 أم الخير الحجازية ص ٦٧
 أبو حبيب الحمص ص ٦٨
 ابن قتيبة ص ٦٩
 ابن الأثير ص ٦٩ ، ١٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٢

أبو الحسن بن النعمان ص ١٧٢
 أبو عبد الله القضاعي ص ١٧٣
 أبو القاسم الدعبي الشاطبي ص ١٧٣
 ابن بادي شاه النحوي ص ١٧٣
 أبو عبد الله محمد بن بركات ص ١٧٣
 الأمير اقبغا ص ١٩٦ ، ١٩٧
 أبو القاسم الحسين بن علي بن المغربي ص ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ٢٣٦
 أبو علي هارون بن عبد العزيز الاوارجي ص ٢٣٤
 أبو بكر محمد بن رائق ص ٢٣٥
 أبو الفتح العسقلاني ص ٢٣٩
 أبو قادوس الدمياطي ص ٢٣٩
 أبو بكر بن الحداد ص ٢٤٤
 الأسكندر المقدوني ص ٢٥٢ ، ٢٥٤
 الأدفوي ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٣٩١
 إسماعيل بن محمد بن حسان الأنصاري ص ٢٦٢
 ابن الصواف العلوي ص ٢٦٦
 أحمد بن طولون ص ٢٦٦ ، ٣٣١
 أبو الحسن علي بن أحمد بن النصر ص ٢٦٨ ، ٢٧٠
 أبو منصور سار تكين ص ٢٧٠
 أبو الفتح المسلم بن علي بن الحسن ص ٢٨٥
 الأفضل بن بدر الجمالي ص ٢٧٥ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٧
 الإمام أبو حنيفة ص ٢٢٤ ، ٢٨١ ، ٣٥٠
 إبراهيم ملوخ ص ٢٨٦
 أبو الفضل الوزيري ص ٢٨٧
 أبو عبد الله النفيس بن الأسعد قضائل ص ٢٨٧
 أبو الفقر القاسمي ص ٣٢٢
 أبو عبد الله محمد بن قاتك ص ٢٩١
 أبو البركات محمد بن عثمان ص ٢٩١
 ابن سمانه ص ٢٩١
 أحمد زمري ص ٢٩١
 أبو محمد عبد الله بن الارسوف ص ٢٩٣
 ابن الملقن ص ٢٩٤

هرقل ص ٦٩
 عساكر ص ٧٨ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦
 سعيد بن يونس ص ٧٩
 تعزى بردى ص ٨٠ ، ١٠٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٣ ،
 ٢٩١ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٧٩ ، ٣٩٨
 بصره الغفاري ص ٨٠
 عليه السلام ص ٨٧
 كلثوم ص ٨٧ ، ٨٨
 بنت الحسين بن علي ص ٩٢
 زلاق ص ٩٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٣
 إسحاق ص ٩٨
 مد زكي باشا ص ١٠٣
 ايم الجواد بن عبد الله ص ١٠٤ ، ١٠٥
 ايم عبد الله المحض ص ١٠٥
 الحسن الغمري ص ١٠٥
 ظهيره ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٣١٤
 ايم الدسوق ص ١٠٨ ، ٢٨٢
 جعفر المنصور ص ١٠٧ ، ٣٧١
 سبط الجوزي ص ١٠٩
 ام ابن حنبل ص ٣٧ ، ٢٨٠
 صبيح بن عبد الله بن مروان ص ٩٣
 ق المؤمن بن جعفر الصادق ص ١١٧ ، ١١٨
 كلثوم بنت إسحاق المؤمن ص ١١٧ ، ١١٨
 يونس ص ١٢٢
 المدبر ص ١٣١
 الداية ص ١٣٣ ، ١٤٩
 عبد الظاهر ص ١٣٦ ، ١٣٩ ، ٢٣٠
 مد الكاتب ص ١٣٩
 ام أحمد بن علي بن طباطبا ص ١٥٣ ، ٢٦٣
 زولاق ص
 ايم طباطبا بن إسماعيل الديباج ص ١٥٢ ، ١٥٧
 النحوي ص ١٥٤
 عبد الله الزبيدي ص ١٥٤
 محمد الحسن بن علي بن طباطبا ص ١٥٦

الأفضل بن أمير الجيوش ص ٣٦٧ ، ٣٩٨ ، ٣٧٤
 ابن المأمون ص ٣٧٤
 أبو القاسم بن بجي بن ناصر السكري المعروف
 بالزرزور ص ٣٧٨
 الخديو إسماعيل ص ٣٨٠
 ابن معصوم ص ٣٩٧
 الخليفة الحافظ لأحكام الله ص ٣٩٩
 ابن أبي شامه ص ٣٩٩
 الدولة الأموية ص ١١ ، ١٢ ، ١٠٩
 الدولة الأيوبية ص ١٦٢
 السلطان أبو النصر جمنبلاط ص ١٩١
 أبو محمد الحسن بن عمار زعيم كقمامه ص ٢٢٦
 القاضي أبو الحسن علي بن عرام الأسواني ص ٢٥٩
 الشيخ أحمد بن علي بن يوسف الشهابي الشهير بالطريفي
 ص ٢٨٦
 أبو بكر الطرطوشي ص ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨
 أبو الظاهر ص ٣٢٧
 أحمد كتنخدا مستحفظان ص ٣٤٦
 طائفة الإمامية الأثني عشرية ص ٣٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٩٧

(ب)

بنو أمية ص ٩٩ ، ٣٢٤
 بني عامر ص ٥٣
 الدولة البيزنطية ص ٩
 السلطان بيبرس الجاشنكير ص ٢٠ ، ٦٢ ، ١٢٥ ،
 ١٩٥ ، ٢٣٠
 البيهقي ص ٢٣
 بنو النجار ص ٢٨
 البخاري ص ٢٨
 بنو سلمه ص ٣٠
 البكري ص ٤٣
 بغا الأصغر ص ١٢٩

أبو محمد عبد الله الدسوقي الشاص ص ٢٩٦
 الإمام أحمد الرفاعي ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠
 ابن العربي ص ٢٩٩
 ابن خلكان ص ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٣٩٩
 ابن ممتي ص ٣٠٤
 ابن بطوطة ص ٣٠٤ ، ٣٦١
 ابن أبي منصور ص ٣١٠
 أبو المظفر ص ٣١٣
 انباء بنو إسرائيل ص ٣٢٠
 أولاد محروس ص ٣٣٦
 انبا الأنصاري ص ٣٤٠ ، ٣٤١
 ابن مصال المغربي ص ٣٤١
 أحمد بن حنبل ص ٣٤٨
 أبو هشام القتبان ص ٣٤٨
 أحمد بن سليمان بن علي البحراني ص ٣٤٩
 ابن سعد ص ٣٥٢
 ابن كثير ص ٣٥٣
 الدولة الأموية ص ١٣٥
 السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ص ١٤١
 الإمام أبو جعفر الطحاوي ص ١٤٨ ، ١٥١
 القاضي أبو الحسن علي بن النعمان ص ١٦٠
 الخليفة الأمر بأحكام الله ص ١٩٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ،

٣١١

السلطان الأشرف بارسباي ص ١٩٩ ، ٢٠٠
 الشيخ إبراهيم الباجوري ص ٢٠٦
 ابن قلائس ص ٣٤٢
 أحمد كتنخدا مستحفظان ص ٣٤٦
 ابن سعد ص ٣٥٢ ، ٣٦٢
 ابن كثير ص ٣٥٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩
 إسحق بن حيوه الخضري ص ٣٥٩
 ابن الطولوني ص ٣٦٤
 ابن أبي الدنيا ص ٣٦٥
 أبو مسلم الحراساني ص ٣٦٦
 ابن ميسر ص ٣٦٧

الأمير بكتمر الجوكندار ص ٤٠٣ ، ٤٠٤
الأمير بيسار ص ١٥
بحر بن كعب ص ٣٥٩
الإمام البخاري ص ٣٦٣
القاضي البقلاني ص ٣٦٩

(ت)

تاج الدين السطحي ص ٦٦
التار ص ١٦٣
السيدة تغريد زوجة الخليفة المغز ص ٢٨٩ ، ٢٩٤
تكتباي حاكم قوص ص ٣٩١

(ج)

الجعفرى ص ٢٠
خارجه بن زيد ص ٣٠
جيفر بن الحولندي ص ٥٢
الحبري ص ٦٣ ، ٦٤ ، ١٢١ ، ١٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥
٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
جعفر بن عبد الله ص ٨٨
الإمام جعفر الصادق ص ١٠٢
جوهر الصقلي ص ١٥٩ ، ١٨٨ ، ٢٢١
جمال الدين الأفغاني ص ١٨٤
جمال عبد الناصر ص ٦٨٧
جوهر الصقباني ص ١٩١ ، ٢٠٠
جمال الدولة بن عمار ص ٢٧٢
جاب الله ص ٣٣٣
الأمير جمال الدين ص ٣٧٩
جمال الدين محمد أفتاحي ص ٣٩٥
جيريل ابن الخليفة الحافظ ص ٣٤٢
الشيخ الجوهري الشافعي ص ٢٧٦
حاستون فيت ص ٣٩٥
جمال الدين محمد الناجي ص ٣٩٥

يكباك ص ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢
بكار بن قتيبه ص ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١
بشر بن ابني بكره بن الحارث بن مخلده ص ١٥١
بدر الدين محمد بن جماعة ص ١٤١
بنو النعمان ص ١٧٢
الأمير بهادر ص ١٩٨
بدر الجلي ص ٤٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ،
٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ،
٣٢٦ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥
بنو المغرب ص ٢٤٠
البلادري ص ٣٤ ص ٢٣٨
بطون قریش ص ٢٣٨
بهاء الدين أبو الحسن ص ٢٤٤
بنو الكنز ص ٢٥٩ ، ٢٦١
بنو السديد ص ٢٦٧
بنو الخطيب ص ٢٦٧
بنو الأشواق ص ٢٦٧
بنو النصر ص ٢٦٧
بهاء الدين هبة الله القفطقي ص ٢٦٧
بهاء الدين قرقوش الأسدي ص ٢٧٣
سيدى بشر ص ٣٣٠ ، ٣٣١
بشر بن أبي أرطاه ص ٣٣٠
بشر بن ربيعة الخنعمي ص ٣٤٠
بشر بن الحسين ص ٣٣٣ ، ٣٣٤
النايعة بنت عبد الله ص ٥٠
بنو سبهم ص ٤٩
برهان الدين بن إبراهيم بن عمر المحلى ص ٦٣
بحر بن كعب ص ٣٥٩
البياسيري ص ٣٧٥
البيلاوي ص ٣٧٥

الحاكم بأمر الله ص ٤٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٤٠ ، ١٦١ ،
١٦٥ ، ١٩١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٦٢ .

الإمام الحسن الأنور بن زيد الأبلح ص ١١٦ .
حسام الدين لاشين ص ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ .

(خ)

الخطابي ص ٢٧
خارويه ص ٤٧ ، ٦٠ ، ١٤٩
العصر الاخشيدى ص ٦٠
نحاتون بن يرجوج ص ١٣٠
السيدة خديجة أم المؤمنين ص ١٥٤
خديجة ابنة محمد بن طباطبا ص ١٥٥
خديجة ابنة محمد اسماعيل بن طباطبا ص ١٥٥
خليل افندى ابراهيم ص ٢٦٨
الإمام الخرنوبى ص ٢٩٨
الخوارح ص ٣٥٢
خليل الظاهرى ص ٣٦٥

(ذ)

ذو النون المصرى ص ٨٤ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .
ذخيرة الملك جعفر ص ٣٠١ .

(ر)

الدولة الرومانية ص ٩
الرسول عليه الصلاة والسلام ص ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ،
٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٥ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ١١٩ ،
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ٢١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٤٨ ،
٣٤٩
الخلفاء الراشدون ص ١١ ، ٢٨
رضوان بن الحسن ص ١٨

(ح)

السلطان الناصر حسن بن قلاوون ص ١٧ ، ١٨ ،
٢٣٢ ، ٣٠١
الحافظ ابن حجر ص ٢٧ ، ١٦٩
الحافظ أبو عبد الله الذهبي ص ٢٩ ، ١٠٦ ، ٣٠٨ ،
٣١١ ، ٣٦٤ ، ٣٩٨
الحمدانيون ص ٤٠
حسن بن أبي الحسن ص ٣٧
حسن عبد الوهاب ص ٦١ ، ٦٩ ، ١٤٣ ، ١٩٨ ،
٢٧٠ ، ٣٢٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٩ .
الإمام الحسين بن علي ص ٧٢ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ،
١٦٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ،
٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،
٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
الإمام الحسن بن علي ص ٨٦ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ٣٥٣ ،
الحسين بن مرجان ص ٩٠
الحسن المعنى ص ١٥٣
آلحسن بن الخطير الفارسى ص ١٧٣
الحرب بن يزيد ص ٣٥٧
الحملة الفرنسية ص ١٧٤
الحسن بن المنفى ص ١٥٣
الخليفة الحافظ لدين الله ص ١٩٢
حسن باشا الدفتر دار ص ٢٠٢
الشيخ جسونة التواوى ص ٢٠٨
حملة لويس التاسع ص ٢٤٠
الأمير حسام الدين طر نطاوى ص ٢٦٢
الحسن بن محمد بن عبد العزيز المفضل ص ٢٦٢
الحسن بن الهيثم ص ٢٦٢
الحسن بن عبد العزيز الفارسى ص ٢٨٩
حجر بن عدى ص ٣٥١
حاطب بن أبي بلتعه ص ٤٧

(س)

- الدولة الساسانية ص ٩
سعد بن أبي وقاص ص ١١ ، ٢٥
السلاجقة ص ١٣
السهلي ص ٢٧
السمهودي ص ٣٤
السلطان سليم الثاني ص ٣٦
سواده أم المؤمنين ص ٣٧
سفيان بن وهب الخلال ص ٤٤
السري بن الحكم ص ٤٧
سليمان باشا والي مصر ص ٤٨
سليمان بن عبد الملك ص ٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣
سعد الدولة بن سارتكين ص ٣٩٥
الأمير سلار ص ٦٣ ، ٦٧
السيدة سكينه ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦
السخاوي ص ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٨٦ ، ٣٦٩
السيوطي ص ١٢٦ ، ١٧٤ ، ٣٣٠ ، ٤٠٤
سنان بن أنس النخعي ص ٣٥٩
سليمان بن علي بن عبد الله المتبلي ص ٦٥٦
سراج الدين البلقيني ص ١٦٩
السلطان سليم الأول ص ٢٠٢
ست الملك بنت العزيز بالله ص ٢٢٧
سيف الدولة الحمداني ص ٢٣٥
السبعة وسبعين وليسا ص ٢٦٣
سليمان أغا السلحدار ص ٣١٩
ست الوفاء أو بنت المنا ص ٣٣٩
سبط بن الخوزي ص ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠
الأمير سيف المملكة تميم ص ٣٦٨ ، ٣٧٧
السلطان سليمان خان ص ٣٧٩

السيدة رقيه ص ٢٠

- رافع بن مالك ص ٥٦
ربيعة بن شرحبيل ص ٥٦
رباب بنت عمرو القيس ص ٩٢
رابعة العدوية ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٣٦ ، ١٢٦ ، ١٢٧
قبيلة ربيعة ص ٢٥٩
رضي الدين بن طاووس ص ٣٦٢
راتب باشا ص ٣٨١

(ز)

- السلطان زين الدين كتيبا ص ١٧
الزيركشي ص ٢٤
الزبير بن العوام ص ٥٤ ، ٣٤٠
الزبيريه ص ٧٢
السيدة زينب بن الإمام علي ص ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦
زين العابدين بن الحسن ص ٨٦
زيد بن الأرقم ص ٨٩
زياد بن ابيه ص ٩٣
الإمام زين العابدين ص ٩٨
الزيدية ص ٩٨ ، ٩٩ ، ٢٨٢
الزبير بن بكار ص ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧
زينب بنت يحيى المدونج ص ١١٦ ، ١١٧
زيد بن صوحان بن ضرة ص ١٢٤
الزرادشتيون ص ١٣٩
زيد بن المغيرة بن عمرو العنكي ص ٣٠٦
زرعة بن شريك التيمي ص ٣٥٩
زحر بن قيس ص ٣٦١

الإمام علي بن أبي طالب ص ٧٢ ، ١٠٣ ، ٣٢١ ، ٣٩٧
عبد الله بن الزبير ص ٧٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤
عبد الرحمن بن عتبية بن جحدم ص ٧٢
عتبه بن أبي سفيان ص ٧٩
عبد الله بن جعفر ص ٨٧ ، ٨٨
علي بن عبد الله ص ٨٨
عون بن عبد الله ص ٨٨
عبيد الله بن زياد ص ٨٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،
٣٦١
علي بن الحسين ص ٨٩
عبد الرحمن كتنخدا ص ٩١ ، ٩٧ ، ١٢١ ، ١٨٨ ،
١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧
عمر محمود الانصاري ص ٢٦٢
عبد الله بن عثمان بن عبد الله ص ٩٣
عبد الله بن الحسن ص ٩٣
عثمان أغا مستحفظان ص ١٠٠
عيسى بن موسى ص ١٠٥ ، ١٠٦
عبد الرحمن بدوي ص ١١٢
عبيد الله بن السري بن الحكم ص ١٢٠
العباس بن أحمد بن طولون ص ١٣٠
عبد الله بن يحيى بن خاقان ص ١٢٩
الخلفاء العباسيون ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٦٠
الملك العادل نور الدين زنكي ص ١٦٢
الأمير علاء الدين طيبرس ص ١٩٥
العقبة بن يعقوب ص ١٦١
عبد اللطيف البغدادي ص ١٦١
الأمير عثمان كتنخدا ص ٢٠٣
عمر مكرم ص ٢٣٢
عميرة بن وهب الجمخي ص ٢٣٨
الخدوي عباس تلمي الثاني ص ٢٠٨
الأمير علي بن الاخشيد ص ٢٤٣
علي بن رضوان بن علي بن جعفر ص ٢٤٤
الشيخ العارف بسوهاج ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣٣٦ ،
٣٣٧

السيدة عائشة ص ٣٢ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ١٠٣
عمر بن عبد العزيز ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٩ ، ١٣٨ ، ٣٦٤
عبد الله بن عاصم ص ٣٤
عبد الملك بن شبيب النساني ص ٣٤
عبد الله بن موسى الحمصي ص ٣٤
عبد الرحمن بن أبي بكر ص ٤١
عيسى عليه السلام ص ٤٤
عمر بن الفارض ص ٤٤
الخليفة العزيز بالله ص ٤٥ ، ١٤٠ ، ١٦١ ، ١٧٣ ،
١٩١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ،
٢٨٩ ، ٢٩٤
السلطان العادل الأيوبي ص ٤٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
العاصم بن وائل بن هاشم ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١
عثمان بن عفان ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٧٢ ، ١٢٤
عبد الله بن جدعان ص ٥٠
عباد بن الجلندي ص ٥١ ، ٥٢
عباس العقاد ص ٥٣ ، ٥٤
عباده بن الصامت ص ٥٦
عقبة بن عامر ص ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ٨٠
عبد الله بن أبي جعفر ص ٥٦
عمرو بن علقمة القرشي ص ٥٦
عبد العزيز بن مروان ص ٥٨ ، ٧٢ ، ٢٥٣
عبد الملك بن مروان ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٩٦ ، ٣٣٠
عكوش ص ٥٩
عبد الله بن طاهر ص ٦٠
عبد الله المقدسي ص ٦١
عبد الله بن موسى بن نصير اللخمي ص ٥٩
السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين ص ٦٦ ، ١٦١
علاء الدين الضرير ص ٦٦
عبد الله بن عمرو ص ٦٩ ، ٣٥٤
علي مبارك ص ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٣٢ ،
٢٤٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢ ، ٢٧٥ ، ٢٩٤ ، ٣٨٠ ،
٣٨١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
عبد الغني النابلسي ص ٦٩

(ع)

الغسانه ص ٩
السلطان الغورى ص ٢٥١ ، ٢٨٦ ، ٣٣٩

(ف)

الفرس ص ٩
الدولة الفاطمية ص ١٨ ، ٢٠ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٧٠ ،
٧١ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ٢٣٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ،
٣٧٤

السيدة فاطمة ص ٤١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ،
٣٤٨

فضاله بن عبيد ص ٥٦

الحملة الفرنسية ١٧٤

الفضل بن العباس ص ٧٤

فريد الدين العطار ص ١١١

الأمير فخر الدين آبان الزاهرى ص ١٩٧

القاضى الفاضل ص ٢٥٩ ، ٣٧٩

فريد وجدى ص ٢٩٩

فرج الدين الظاهرى ص ٣٢١

الفرنجيه ص ٢٤٠

الفرزدق ص ٣٥٦

الخليفة الفائز ص ٣٧٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠

(ق)

القلقشندى ص ١٤ ، ٧١ ، ٢٨١

الخليفة القائم بأمر الله العباسى ص ٢٠

القضاعى ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ١٠٥ ، ١١٧ ،

١٣٨ ، ١٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٨٩

قضاعه ص ٥١

قرة بن هبيرة ص ٥٣

قبيز ص ٢٥٢

قرة بن شريك العيسى ص ٥٩

قيس بن الاشعث ص ٥٩

عمر بن نجم الدين عمر الكنزى ص ٢٦٢

الشيخ عطيه عز الدين ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٢٨٣ ، ٢٨٢

عطيه يحيى بن محمود ص ٢٧٩

عبد الله العاصى ص ٢٨٦

عبد الغنى بن سعيد الحافظ ص ٢٩١

على اللقانى التكوورى ص ٢٩٣

العز بن عبد السلام ص ٢٩٦

عبد الله بن مانع بن مورع ص ٢٨٩

على أبو الشباك ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

عاليه زوجة المستنصر ص ٣٠٩

عرب نبى واصل ص ٣٣٦

عثمان شلبي ص ٣٤٦

الإمام عبد الله الحسين بن على بن أبي طالب ص ٢٤٢ ،
٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤

عتبه بن أبي سفيان ص ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤

عمر بن دينار ص ٣٥٢

عمر بن سعد بن أبي وقاص ص ٣٥٧

عمرو بن سعيد ص ٣٦٣

عثمان بن ملوخ ص ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٥

السلطان عبد الحميد خان ص ٣٦٥

عثمان بن عبد الرحمن ص ٣٦٥

عمر بن أبي المعالي اسعد بن عمار ص ٣٦٦

على بن أبي بكر المشهور بالسايح الهروى ص ٣٥٧

عمر بن سعيد ص ٣٦٣

عبد الرحمن كتخدا الفزوغلى ص ٣٧٥

السلطان سليمان خان ص ٣٧٩

السلطان عبد العزيز ص ٣٨٠

الخليفة العاضد ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠

عتر الربيعى ص ٤٠٠

(م)

المقول ص ١٤
المقریزی ص ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٤٣ ،
٤٤ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
٦٨ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،
١٤١ ، ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ،
٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٢ ،
٢٧٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ،
٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٨ ، ٣٧٥ ،
٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢

محمّد بن جزء الزبيدي ص ٥٦

ملك شاه ص ١٣

مسلم ص ٢٨

الخليفة السامون ص ٣٤ ، ٦٠

أم الخليفة العباسي المتتصر ص ٤٠

الخليفة المعز ص ٤٠

الخليفة المهدي ص ٤٠ ، ١٣٢

محمد بن موسى ص ٣٤ ، ٣٩

المقوقس ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧

السلطان محمود ص ٣٦

الخليفة المتوكل ص ٣٤ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٦ ، ٢٦٠

٣٧٢

السيدة مريم ص ٤٤

مسعود بن محمد ص ٤٧

محمود بن سالم ص ٤٧

الخليفة المستنصر الفاطمي ص ٤٨ ، ٦٢ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ،

١٤٣ ، ١٩٢ ، ٢٣٠ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ،

٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣٠٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٧٤ ،

٣٩٥

المقداد بن الأسود ص ٥٦ ، ٧٤

مسلمة بن مخلد الانصاري ص ٥٨ ، ٧٩

معاوية بن أبي سفيان ص ٥٨ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٨

المقرئ ص ٦٧

قر الدولة ناصف ص ١١١ ، ١١٢

القاسم بن اسحق الموثمن ص ١١٧ ، ١١٨

القشيري ص ١٢٢

القاسم الرسي ص ١٥٢ ، ١٥٣

السلطان قايتباي ص ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٤١ ، ٣٠٦

الأمير قاني باي السيني ص ١٩١

السلطان قنصوه الأشرف ص ٢٠١

السلطان قنصوه الغوري ص ٢٠٢ ، ٣٣٩

القرامطه ص ٢٢٦

السيدة قوشيار ص ٣٠٢

(ك)

كزويل ص ١٤ ، ١٥٧ ، ٣١٩ ، ٣٨٥

أم الملك الكامل ص ٢١

كعب الاحبار ص ٤٤

كافور الأنشيد ص ٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦

الكندي ص ٥٤ ، ٥٨ ، ٧٩

كمال الدين بن السمودي ص ٦٦

القاضي كريم الدين بن كبير ص ١٤٢

كلوت بك ص ١٤٢

الكندي ص ١٥١

كنز الدولة بن متوج ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١

الملك الكامل الأيوبي ص ٣٦٥

(ل)

الإمام الليث بن سعد ص ٤٣ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٢٨

لويس التاسع ص ٢٤٠

الحكيم لقمان ص ٣٢٢

القاضى محمد بن النعمان المغربي ص ٢٢٦
 المقدسى ص ٢٣٩ ، ٢٨٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧١
 الامبا ميخائيل أسقف دمياط ص ٢٣٩
 محمد بن محمد الملقب معين الدين ص ٢٤٠
 محمد بن عبد الله الخازن ص ٢٤٣
 مهذب من ممانى ص ٢٦٠
 الخليفة المقتدر بالله العباسى ص ٢٧٩
 محمد شمس الدين قضيبي ص ٢٨٢ ، ٢٨٣
 محمد الشبلى ص ٢٨٢
 محمد الخمل ص ٣٨٦
 المصور العصور ص ٢٩٠
 المصور بن عزيز ص ٢٩٠
 المأمون أبو عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحي
 ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤
 محمد داينال الموصلي ص ٣٢١
 المسعودى ص ٣٣٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧١
 الإمام مالك ص ٣٢٦
 مسلم بن عقيل بن أبي طالب ص ٣٥٥ ، ٣٥٦
 منصور البطائحي ص ٢٩٨
 محمد بن قاسم بن يعقوب ص ٣٦٤
 محمد بن عمر بن صالح ص ٣٦٥
 الشيخ الملوى المالكي ص ٣٧٦
 معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ بن حماويه ص ٣٨٧
 محمد باشا الشريف ص ٣٧٩
 السيد محمد أبو الأنوار الوفائي ص ٣٨٠
 الامير محمد كاشف ص ٣٩٥
 مبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن مقلد
 ص ٣٩٥
 المعز أيبك الركناني ص ٤٠٢

(ن)

السلطان الناصر محمد بن قلاوون ص ١٧ ، ٤٨ ، ٦٢ ،
 ٦٣ ، ٦٧ ، ١٢٠ ، ١٤٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٤٣ ،
 ٣٩١ ، ٢٦١
 ناصر وخسرو ص ٦٢

مروان بن محمد ص ٥٩
 محمود أحمد ص ٦٠ ، ٦٩
 موسى بن عيسى ص ٦٠
 مراد بك ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠
 مجد الدين أبو الاشبال الحارثي ص ٦٦
 معين الدين الدهروطي ص ٦٦
 مروان بن الحكم ص ٧٢
 محمد باشا أبو النور السلحدار ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤
 المرسي أبو العباس ص ٨٤
 الخليفة المنصور ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦
 مصعب بن الزبير ص ٩٣
 الإمام موسى الكاظم ص ١٠١
 مصطفى عبد الرازق ص ١١٥
 مجد الدين الناسخ ص ١١٩
 المعتصد بالله ص ١٢٠
 محمد بن اسماعيل المعروف بصاحب الدار ص ١٢٣
 موسى بن طولون ص ١٣٠ ، ١٣٢
 الخليفة المستعين بالله ص ١٣٠
 الإمام مالك ص ١٢٢ ، ١٨٠ ، ٢٩١
 الإمام محمد بن الحنفية ص ١٢٧
 الخليفة المعتمد ص ١٣٣ ، ١٣٨
 الخليفة الموفق ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٨
 موسى عليه السلام ص ١٣٦
 المسبحي ص ١٤٠ ، ١٧٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
 الخليفة المعز لدين الله ص ١٦٠ ، ١٧٣ ، ٢٢٣ ، ٢٩٤
 دولة المماليك البحرية ص ١٦٣
 دولة المماليك الشراكسة ص ١٩٨
 محمد المهدي العباسي ص ١٨٤
 محمود شلتوت ص ١٨٥ ، ١٨٧
 محمد الأحمدى الظواهري ص ١٨٥
 الخليفة المستعلي ص ١٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٧
 محب الدين الخطيب ص ٢٠٣ ، ٢٠٦
 الخواجه مصطفى بن محمود بن رستم الرومي ص ٢٠١
 محمد وداعة السناري ص ٢٠٦

الوليد بن عبد الملك ص ١٣٨ ، ٣٥٤
الواقدي ص ٣٣٠
الخليفة الوليد بن يزيد ص ٣٦٤

(ي)

يزيد بن أبي سفيان ص ٥٣ ، ٩٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ .
٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣
يزيد بن أبي حبيب ص ٥٤
يعقوب بن كلس ص ٦١ ، ١٦١ ، ١٩٥ ، ٢٣٠ .
ياقوت الحموي ص ٧٢ ، ٣٧١
يعقوب عليه السلام ص ٨٧
يوسف عليه السلام ص ٨٧
يحيى عليه السلام ص ٨٧
يزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ص ٩٣
اليميني ص ٩٩

يريد بن حاتم ص ١٠٦
يوسف بن عمر ص ٩٩
برجوج ص ١٣٢
الأمير بلغا الصمري الخاصكي ص ١٤١
الأمير الكبير أيدمر المحلي ص ١٩٦
قبيلة يافع ص ٢٤٣
يحيى الأنصاري ص ٣٠٢
يلغا السالمي ص ٣١٤ ، ٣١٦
يحيى بن حكم بن صفوان ص ٣٥٤
يوسف بن الخليفة الحافظ ص ٣٤٢
ياسين بن مصطفي القرظي ص ٣٦٣
الأمير يشبك من مهدي ص ٤٠٤

السيدة نفيسة ص ٢٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠
نبيه بن صواب ص ٥٦
نوح عليه السلام ص ٨٧
القاضي نجم الدين محمد حسين بن علي الاسعدي
ص ١٩٦

الناصر فرج بن برقوق ص ١٩٩
نصر بن معاوية ص ٣٢٨
الأمير نجم الدين عمر الكنزي ص ٢٦٢
السلطان المنصور قلاوون ص ٣٠٠
التذارية ص ٣١٢
النبي دانيال ص ٣٢٠ ، ٣٢٢
نصر بن عباس ص ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣
النعمان بن بشير الأنصاري ص ٣٥٤
نصر بن عباس ص ٣٩٨
الشيخ نجم الدين عبد الله البدر ص ٤٠٣

(ه)

هرقل ص ٥٣
هذيل ص ٥١
هارون الرشيد ص ٦٠
هشام بن عبد الملك ص ٩٨
قبيلة همدان ص ٢٤٣
هارون الرشيد ص ٢٧٩
هشام بن الكلبي ص ٣٦٢

(و)

الوليد بن عبد الملك ص ٥٩
وزارة الأوقاف ص ٧٥ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١١٥
السادات الوفاية ص ٨٢
واصل بن عطاء ص ٩٨

فهرس الأماكن والبقاع

(ب)

- باب الزهومة ص ١٦
 بيت القاضي ص ١٦
 باب الذهب ص ١٦
 البصرة ص ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ٢٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ،
 ١١٥ ، ١١٤ ، ١٤٦ ، ٢٣٥ ، ٢٩٨ ، ٣٥٢ ،
 ٣٥٤ ، ٣٧٥
 بلخ ص ١٣
 بغداد ص ١٣ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ٢٣٥ ، ٣٧٥
 باب زويلة ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٤١ ، ٣٦٩ ، ٣٧٥ ،
 ٣٧٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
 بليس ص ٢٨١
 باب جبريل ص ٣٢
 باب النساء ص ٣٢
 باب الرحمة ص ٣٢
 بيت المقدس ص ٢٩
 البحر الأبيض ص ٢٥٢
 البحر الأحمر ص ٤٣
 البنسنا ص ٢٠٦
 بيت المسال ص ٥٩ ، ٦٨
 باب الكحل ص ٦٠
 بانوفيس ص ٧١
 البساتين ص ٢٣٥
 بين القصرين ص ٣١٢
 البنساوية ص ٨٤
 بولاق ص ٨٤
 باب السيدة عائشة ص ١٠٢

(ا)

- الاسكندرية ص ١٨ ، ١٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤١
 الاسيلة ص ١٠
 أصفهان ص ١٣
 إيران ص ٤٠ ، ٣٢٠
 اجنادين ص ٥٣
 الاطفيحية ص ٨٤
 الاحميميه ص ٨٤
 افريقية ص ١٣٣ ، ٢٥٦
 اخميم ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٢٦٦
 أروقة الأزهر ص ٢٠٨
 الاندلس ص ١٦٤ ، ٢٥٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥
 اسبانيا ص ١٦٤
 الاشونين ص ٢٣٨
 اسوان ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
 ابريم ص ٢٥٩
 استا ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٤١٠
 أدفو ص ٢٦٦
 الاعمال القوصية ص ٢٧٠
 اصطبل عنتر ص ٢٩٤
 اشبيلية ص ٢٩٨
 امارة البحرين ص ٣٣٠
 أطف ص ٣٥٠ ، ٣٦٢

تابوت الإمام الشافعي ص ٣٨٩
 تربة الصالح طلائع ص ٤٠٠
 (ج)
 جزيرة التبل بسوهاج ص ٢٤٧
 جامع العارف ص ٢٤٨
 الجامع العمري بواحة سيوه ص ٢٥٢ ، ٢٥٦
 الحجاز ص ٢٥٩ ، ٣٧٤
 جبانة أسوان ص ٢٦٣
 الجامع العتيق ياسنا ص ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠
 جامع الضوى بأسنا ص ٢٦٧
 جامع أبو المعاطي ص ٢٣٨ ، ٢٤١
 جامع أبي الفضل الوزيري بالحملة الكبرى ص ٢٧٤
 جامع الأولياء ص ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٦
 الجامع العمري ص ٢٩١
 جبانة أسوان ص ٢٨٧
 جبانة سيدى عقبة ص ٢٩٢
 جامع الظاهر بمرس ص ٢٩٦
 جامع الرفاعي ص ٢٩٨ ، ٣٠١
 جزيرة أم عبيده ص ٢٩٨ ، ٣٠٠
 جامع الأمير زياد ص ٣٠٤ ، ٣٠٦
 جامع الأقمر ص ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩
 جامع الظافر أو الفاكهيين ص ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
 جامع الصالح طلائع ص ٢٧٧ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
 الجامع العمري بقوص ص ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦
 جامع عمرو ص ١٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ،
 ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ،
 ١٠٨ ، ١٧٥ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢٨١ ، ٣١٠
 الجامع الأموي ص ٣٩ ، ٦١
 جامع السيدة نفيسة ص ١١٦ ، ١٢٠
 جامع الحاكم ص ٢٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

باب دهليز الخدمة ص ٣٧٧
 باب القرافة ص ١٠٢ ، ٣٣١
 باغمري ص ١٠٤
 بركة الفيل ص ١٢٥
 البقيع ص ١١٨ ، ٣٦٣
 باب قايتباي بالأزهر ص ١٩٠
 باب الصعايدة بالأزهر ص ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧
 باب النصر ص ١٩١ ، ٢٧٣ ، ٤١٠
 باب المزينين بالأزهر ص ١٩٧ ، ٢٠٥
 باب سر الأزهر ص ٢٠٠
 الباب الأخضر بمشهد الحسين ص ٢٠٦ ، ٣٣١ ، ٣٨١
 ٣٨٦ ، ٣٨٢
 باب البرقيه ص ٢٠٦
 البيمارستان المنصوري ص ٢٠٦
 أبواب الأزهر ص ٢١٩
 باب الفتوح ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٧٤ ، ٣١٤
 باب الجامع الحامى ص ٢٣٠
 بو صير ص ٢٤٥
 بحيرة المنزلة ص ٢٣٨ ، ٢٣٩
 باب الشجرة ص ٣٣٢
 باب السدرة ص ٣٣٢
 باب العمود ص ٣٣٢
 بلنسية ص ٣٢٤
 باب القرايس ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥
 بيت المقدس ص ٣٦٧

(ت)

التكايا ص ١٠
 تل أبيض ص ٨٤
 تنفيس ص ٢٣٨ ، ٣٩٩
 تونه ص ٢٣٨
 تربة الزعفران ص ٣١٠
 تلول الرقية ص ٣٨٠

(ح)

- حى الجمالية ص ٢٠ ، ١٢٥
حمام البيصارى ص ١٥
حى بنى عمرو بن عوف ص ٢٨
حلوان ص ٤٢
حجرة السيدة عائشة ص ٣٢
الحجرة النبوية ص ٣٦
حمص ص ٥٣
حصن بابلون ص ٥٥
الحبشة ص ٧٤
حى السيدة زينب ص ٩١
حى الخليفة ص ٩٦
حى زين العابدين ص ١٠٠
الخمراء القصى ص ١٠٠
الجبانة ص ١٢٥
حارة كتامة المعروف بالدودارى ص ٢٠٤
حارات الأزهر ص ٢١٥
حلقا ص ٢٦٦
حوش أبو على ص ٢٩٢
حوش بردق ص ٣٠٢
حدره الجباسين ص ٢٩٣
حى باب الكرستة ص ٣٢٢ ، ٣٢٩
حلب ص ٣٦١ ، ٣٦٦

(خ)

- الخواتق ص ١٠
خانقاه صلاح الدين ص ٢٠
خانقاه الصالحية ص ٢٠
خانقاه بيبرس جاشنكير ص ٢٠ ، ١٢٥
خان حسن باشا ص ٨٢
خانقاه سعيد السعداء ص ١٢٤
نخزان أسوان ص ٢٦٢
نخطة المغافرة ص ٢٨٩

- الجامع الأزهر ص ٣٩ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٦٦ ، ١٧٧ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ،
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ ،
١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢٢٩ ،
٢٨٩

- جامع أحمد بن طولون ص ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤

- الجامع العتيق بسوهاج ص ٢٤٧

- جبانة أسوان ص ٤٠

- جبل المقطم ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦

- الجيزة ص ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
٢٤٦ ، ٢٨١

- جبال الشام ص ٤٤

- جامع محمود ص ٤٧ ، ٤٨

- الجامع العتيق ص ٦١ ، ٦٢

- جبانة الإمام الليث ص ١٢٨

- جامع سيدى شبل الاسود ص ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧

- جامع السيدة زينب ص ٨٦ ، ٩١

- جامع السيدة سكينه ص ٩٤

- جامع السيدة عائشة ص ١٠١

- جامع أمير الجيوش ص ٢٤٣

- الجوهر المكنون ص ٩٩

- جبل يشكر ص ١٣٦

- جامع سامرا ص ١٣٨

- جامع الرباط ص ٢٠٦

- جامع المديونى ص ٢٤١

- جامع أبى هريرة ص ٢٤٥

خطة الصدف ص ٢٩٣
خراسان ص ٣٦٦
الخليج الحاكى ص ٣٦٨

(٥)

دار العلم ص ١٣ . ١٤
دمشق ص ١٣ . ٥٣ . ٧٩ . ١٣٥ . ٢٣٥ . ٣٦١ .
٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ . ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣

دار سعيد السعداء ص ٢٠

دار ابن الزبير ص ٦٠

دار الذهب ص ٥٩

دكة القضاة ص ٤٧

دفتر الجوالى ص ٨٥

دفتر المتقاعدين ص ٨٤

دفتر المستحفظان ص ٨٤

درب السباع ص ١١٨

دار السيدة نفيسة ص ١١٨

دار أم هانئ ص ١١٧

دار الأمير فخر الدين أبان الزهرى ص ١٩٧ ، ٢٠٥

دمياط ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٩٩

دميرة ص ٢٣٨

دقهلة ص ٢٣٨

دار ابن لقمان ص ٢٤٠

دمهور ص ٢٧٩ ، ٢٨٢

انزق الاحباسيه ص ٨٤

الرس ص ١٥٢

الرقه ص ٢٣٥

دار جعفر الصادق ص ٣١٠

الروضة ص ٣١١

رشيد ص ٣٢٦

دار الكباش ص ٣٤٤

الرقه ص ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٣٧١

« ز »

الزاوية المحيدية ص ٦٦

الزاوية التاجية ص ٦٦

الزاوية المعينية ص ٦٦

الزاوية العلائية ص ٦٦

الزاوية الزينية ص ٦٦

زاوية الإمام الشافعى ص ٦٦ ، ٨٤

زاوية سيدى عقبة ص ٨٤ ، ٨٥

زاوية الإمام الليث ص ٨٤

زاوية أبى العباس المرسى ص ٨٤

زاوية السيدة نفيسة ص ٨٤

زاوية الشهداء ص ٨٤

الزيجورات ص ١٣٩

زاوية العميان بالأزهر ص ٢٠٣

زاوية الجيوشى ص ٢٧١ ، ٢٨٦

« س »

سوريا ص ١٣ ، ١٥

سوق النحاسين ص ١٦

سهارا ص ٤٠

السلاسل ص ٥١

سند بيس ص ٦٦

سرستا ص ٧٣

سوق السلاح ص ٨٢

السويس ص ٩١

(ر)

رحبه العيد ص ٢٠

الركن اليماني ص ٢٩

رحبه أبى أيوب ص ٦٠

رودس ص ٧٩

« ض »

- ضريح القاهرة ص ١٠٢
سر من رأى ص ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥
السد العالي ص ١٥٧
معين يوسف ص ٢٤٥ ، ٢٤٦
سوهاج ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٣٥ ،
٣٣٦
سويقة النصرى ص ٢٨٧
سوس ص ٣٢٠ ، ٣٢١
سرقسطة ص ٣٢٥
سوق السراجين ص ٣٤٤
سوق الشوابين ص ٣٤٤
- ضريح السيدة سكينه ص ٩٦
ضرحه الروثيا ص ٩٧ ، ١١٥
ضريح ذى النون ص ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨
ضريح القاضي بكار ص ١٥١
ضريح أبى عبد الله النفيس بن الأسعد ص ٢٨٨
ضريح خضرة الشريفة ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
ضريح يحيى الأنصارى ص ٣٠٢

« ط »

- الطائف ص ٦٩
طموه ص ٨٤
طبرستان ص ٩٨
الطره السكينية ص ٩٦
طرسوس ص ١٣٠
طنطا ص ٢٣٢
طريق الغاضرية ص ٣٦٠
طرطوشة ص ٣٢٤

« ع »

- العراق ص ١٣ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ١٢٣ ، ٣٩٧
العسكر ص ٥٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٨
العريش ص ١١٧
عمان ص ٥٣

« ش »

- شبه الجزيرة العربية ص ٢٣٨ ، ٩
الشام ص ١١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ١٣٣ ، ١٦٢ ،
شارع المعز ص ١٦
شبين الكوم ص ٧٢
الشهداء ص ٧٢ ، ٧٣
شبين القناطر ص ٨٤
شارع السيدة عائشة ص ٨٤
شلقان ص ٨٤
شارع البرنس ص ١٠٨
شارع ماهر ص ١٠٨
شيخ الجامع الأزهر ص ١٦٤
شارع بين القصرين ص ٢٠٦
شطا ص ٢٣٨
شارع السكة الجلديدة ص ٣٨٠

« ص »

- الصنم سواع ص ٥٠ ، ٥١
صحن الأزهر ومآذنه ص ٢١٧
الصف ص ٢٤٦
الصحراء الغربية ص ٢٥٣
صلاة العيد في العصر الفاطمى ص ٤٠٤

قبة الصخرة ص ٤٠
 قصر الزمرد ص ٣٧٧
 القرافة الصغرى بالإمام الشافعى ص ٢٧٦
 قصر العاشق ص ٤٠
 قصر اللؤلؤة ص ٣١٣
 مدينة قم ص ٤٠
 قرافة الإمام الشافعى ص ٤٢ ، ١١٥
 قرافة سيدى عقبة ص ١٤٦
 قبر الحسين ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٧٢
 قرافة الإمام الليث ص ١٤٦
 قرافة الغفير ص ٤٢
 القاهرة ص ٤٢ ، ٤٥ ، ١٠٢ ، ١٥٩ ، ١٧٣
 ١٧٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٣٦١
 ٣٧٨ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧
 القسطنطينية ص ٣٨٢
 القطائع ص ٥٦
 قوص ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥
 القصر النافعى ص ٣١٠
 قبر عبد الله بن عمرو ص ٦٩
 قبر دانيال ص ٣٢١ ، ٣٢٢
 قبر عقبة بن عامر ص ٨٢
 قبر الحكيم لقمان ص ٣٢٢
 قبر أبي بصره البخارى ص ٨٠
 قرطبة ص ٣٢٤
 القرافة الكبرى ص ٨٠ ، ١٢٦
 قصبه رضوان ص ٤٠٣
 قبر السيدة عائشة ص ١٠٢
 قنطرة السباع ص ٩١
 قبر الخليل ص ١١٧
 قبر رابعة العدوية ص ١٢٧
 قبر الإمام أحمد بن على بن طباطبا ص ١٥٣
 قبر الإمام محمد بن الحنفية ص ١٢٧
 قبر أبي محمد الحسن بن على بن طباطبا ص ١٥٦
 قلعة الرها ص ١٣٠

عين الصيره ص ١٥٧
 عيذاب ص ٢٥٩
 عكا ص ٢٧٢ ، ٣٠٩
 عسقلان ص ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ،
 ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧

« غ »

الغربية ص ٢٨٥ ، ٢٨٦
 الغرى ص ٣٦٠
 غرفة الآثار بالمشهد الحسينى ص ٣٨٧

« ف »

الفسطاط ص ١٠ ، ٢٦ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٩٠ ،
 ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ،
 ١٨٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٣١ ، ٣٩٣

فلسطين ص ٥٣
 قم الخليج ص ٩١

« ق »

قاعة شيخ الخنابلة ص ١٦
 قاعة الخيم ص ١٦
 القصر الشرقى ص ١٦
 قصور الفاطميين ص ١٥
 القبة المنصورية ص ١٧
 قنبا ص ٢٦٥ ، ٢٦٦
 قبه الإمام الشافعى ص ٢١
 قبة المشهد الحسينى ص ٣٨٥
 القلعة ص ٢٢ ، ٤٨ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٢٧٦
 قنطرة سليمان ص ٣٢٠
 القبة الخضراء ص ٣٦
 قبة الديلم بالقصر الفاطمى ص ٣٦٨ ، ٣٧٧
 قبة الصليبية ص ٤٠

مثذنة بلال ص ١٥٧
 مدارس الشام ص ١٦٢
 مدارس حلب ص ١٦٢
 المدرسة القمحية ص ١٦٢
 المدرسة الاقبغوية ص ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٥
 المدرسة الطيرسية ص ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
 المدرسة الجوهريية ص ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
 مكتبة الجامع الأزهر ص ١٧٤
 مثذنة قايتباي بالأزهر ص ١٩٠
 منارة مدرسة أبو النصر جانبلاط ص ١٩١
 مدفن الست السطوحية ص ٢٠٦
 مثذنة الغوري بالأزهر ص ١٩١ ، ٢٠٢
 منارة قاني باي السني ص ١٩١
 متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ص ١٩٢
 متحف الجزأر ص ١٩٤
 مسجد سيدى الدسوق ص ٢٠٣
 محراب الدرديري بالأزهر ص ٢٠٣
 محراب إدارة حفظ الآثار ص ٢٠٣
 محاريب الأزهر ص ٢١٦
 المنصورية ص ٢٢٣
 مشهد السبع بنات ص ٢٣٤ ، ٢٣٧
 مسجد العيني ص ٢٤٠
 مسجد التوبة أو موسى ص ٢٤٢ ، ٢٤٥
 مسجد همدان ص ٢٤٣
 مقياس الروضة ص ٢٤٢
 محافظة مرسي مطروح ص ٢٥٣
 مدرسة أسوان ص ٢٦٢
 المدرسة السيفية ص ٢٦٢
 المدرسة النجمية ص ٢٦٢
 مثذنة جامع اسنا ص ٢٧٠
 الموصل ص ٢٣٥
 المنشية ص ٢٤٠
 منطقة البساتين ص ٢٧٦
 مسجد الشيخ عطية عز الدين يحيى بدمهور ص ٢٧٩ ،
 ٢٨٣

قبر سليمان بن علي بن خند الله المتبلى ص ١٥٦
 القوائم ص ١٣٥ ، ٢٢٣
 قصور الخلفاء القاطمين ص ١٣٦

« ك »

الكوفة ص ١٠ ، ١١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٩ ،
 ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
 ٣٦٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ .
 كنيسة عكا ص ١٧
 الكعبة ص ٢٩ ، ٣٠
 كهف السودان ص ٤٦
 كربلاء ص ٧٢ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠ ،
 الكنوز ص ٢٦٦

« ل »

اللوح الأخضر ص ٦٠

« م »

مسجد سيدى بشر ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
 مسجد العارف بالله ص ٣٣٦
 مسجد الرأس بدمش ص ٣٦٤
 المسجد الأموى ص ٣٦٥
 مقبرة وعلة ص ٣٢٢
 مقبرة ديماس ص ٣٢٢
 موقعة صفين ص ٣٣٠
 مقابر الشاطبي ص ٣٣٢
 المدرسة السلفية ص ٣٣٣
 موقعة الجمل ص ٣٥٢
 مرو ص ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢
 مخازن السلاح ص ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
 مشهد الخليلي بالقدس ص ٣٧٤
 مشهد الإمام علي ببنجف ص ٣٩٧
 مصلى الصالحين بأسوان ص ٤١٠

مينة مطر ص ١٠٤
 المطرية ص ١٠٨
 مسجد رابعة العدوية ص ١١٥
 الموصلة ص ١١٧
 مسجد سيدى عقبة بن عامر ص ١٢٨
 منفوليا ص ١٢٩
 المطبق ص ١٣٨
 منارة جامع سمرا ص ١٣٩
 معابد الزرادشتين ص ١٣٩
 منارة جامع ابن طولون ص ١٣٩ ، ١٤٥
 المسجد الأموى ص ١٤٣
 مشهد القاضى بكار ص ١٤٦
 مشهد الإمام الحسين ص ١١٩ ، ١٧٥ ، ٢٠٥ ، ٣٤٧ ،
 ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،
 ٤٠٢
 مشهد طبا طبا ص ١٥٢ ، ١٥٧ ، ٢٦٣
 مسجد الإمام الشافعى ص ١٥٧
 مشهد السبعة وسبعين ولياً ص ١٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٦٣
 مشهد السيدة سكينة ص ٢٠٦
 مسجد التقوى ص ٢٧
 مكة ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٣٠ ،
 ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
 ٣٥٦
 مريد سهل وسهيل ص ٢٩
 المنبر النبوى ص ٣٦
 المئذنة المجيدية ص ٣٦
 مساكن أمهات المؤمنين ص ٣٢
 مصر القديمة ص ٤٤
 محراب ابن الفقاخى ص ٤٦
 مسجد التنور ص ٤٦
 مسجد اللؤلؤة ص ٤٦ ، ٤٧
 مقام اليسع وروبييل ص ٤٧
 مغاره ابن العارق ص ٤٦
 الميزاب ص ٣٠

مسجد الذخيرة ص ٢٩٨ ، ٣٠٢
 مسجد الطريبي ص ٢٨٦
 مسجد القبة ص ٢٩٤
 مسجد عبد الله عاصى ص ٢٨٦
 المغرب الأقصى ص ٢٧٩
 موقعة فخ ص ٢٧٩
 المحلة الكبرى ص ٢٨٤ ، ٢٨٦
 المحراب الأخضر ص ٢٩١
 مصر القديمة ص ٢٩٢
 مشهد القباب السبع ص ٢٩٣
 المنيا ص ٣٠٤
 مينة الخصيب ص ٣٠٤
 مسجد النبي دانيال ص ٣٢٠
 مسجد الخضرة ص ٣٢٠
 مسجد أبو بكر الطرطوشى ص ٣٢٢ ، ٣٢٤
 مشهد الجيوشى ص ٤٨
 المدرسة الكمالية ص ٦٦
 المنوفية ص ٧١ ، ٧٢
 منوف ص ٧١ ، ٧٢
 ما نوفيس ص ٧٥
 مقابر الشهداء ص ٧٢ ، ٧٣
 المساجد التركية ص ٧٥
 مصحف عثمان ص ٧٩
 محافظة الجيزة ص ٨٠
 ميت عقبة ص ٨٠
 مسجد الإمام الليث ص ٨٠
 مشهد الإمام زين العابدين ص ٩٨
 ميدان السيدة عائشة ص ١٠١
 مدينة المقطم ص ١٠٣
 مشاهد الموصل ص ١٠٣
 المحرقة ص ٨٤
 المشهد الزينبي ص ٢٠٦
 موقعة صفين ص ٨٨
 مسجد بتر بالمطرية ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧

« ن »

نيسابور ص ١٣
النجف ص ٤٠
نهر دجلة ص ٤٠
نهبيا ص ٨٤
ناحية الكنيسة ص ٨٤
النهر وان ص ٨٨

« ه »

هرات ص ١٣
الهند ص ٢٥٩
الهودج ص ٣١١

« و »

وادي التيه ص ٤٢
وادي دجلة ص ٤٢ ، ٤٦
وادي أبو سالي ص ٤٧
وادي الرشيد ص ٤٢
وادي حراوى ص ٤٢
وادي خوف ص ٤٢
وادي مسجد موسى ص ٤٢
وادي المستضعفين ص ٤٥
وادي القرقوبي ص ٤٦
وادي الملك ص ٤٦
وادي هس ص ٤٦
وادي الشياطين ص ٤٦
وادي الأردن ص ٥٣
وكالة النظرون ببولاق ص ٨٥
واسط ص ١٠٦ ، ١٣٠ ، ٢٩٨
واحة سيوة ص ٢٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

« ي »

اليمن ص ٩ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٨ ، ٣٧٤
يُرب ص ٢٨
الرموك ص ٥٣

عادي ص ٤٢ .

تُشهد النفيسي ص ٤١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،
١٢١ ، ٢٠٦
مسجد موسى ص ٤٧
مسجد الفقاعي ص ٤٧
مسجد الكنز ص ٤٧
مسجد سليمان باشا ص ٤٨
مسجد الرسول ص ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٩
المحراب المخوف ص ٥٩
المخاريب المتنقلة ص ٦١
المدارس ص ١٠
المدرسة البيهقية ص ١٣ ، ١٨
المدرسة العيدية ص ١٣ ، ١٨
مدرسة أبو سعيد الاسطربلابي ص ١٣
مدرسة أبو إسحاق الأصفهاني ص ١٣ ، ١٨
مدرسة سنية ص ١٤
المدرسة الكاملية ص ١٥
المدرسة الصالحية ص ١٥ ، ١٦ ، ١٦٢
المدرسة الظاهرية ص ١٦
المدرسة الناصرية ص ١٧ ، ٤٨
مدرسة السلطان حسن ص ١٧
المصليات السلجوقية ص ٢٢
المصليات ص ١٠
المساجد ص ١٠
المدينة المنورة ص ١٠ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ،
٥١ ، ٥٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٥٢ ،
٢٨٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٠
مريد تمر ص ١٠
مصر ص ١١
المسجد الأموي ص ١٢
الموصل ص ١٣
مسجد سنان باشا ص ٢٢
مسجد محمد علي باشا ص ٢٢
مسجد السلطان أحمد بأستانبول ص ٢٢
مسجد قباء ص ٢٧

فهرس اللوحات

- لوحه (١) الحرم المكى يتوسطه الكعبة الشريفة .
- لوحه (٢) قبة السيدة خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعلاة بمكة .
- لوحه (٣) مسجد الكهف بالقرب من مكة .
- لوحه (٤) القبة التى أقيمت فى المكان الذى ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه خيمته عند هجرته إلى المدينة المنورة .
- لوحه (٥) فى هذا المكان من مكة كان يوجد المنزل الذى ولد به الرسول صلى الله عليه وسلم .
- لوحه (٦) فى نهاية هذا الشارع كان يوجد منزل الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجه خديجة .
- لوحه (٧) أحد شوارع مكة القديمة .
- لوحه (٨) فى هذا الشارع كان يوجد حانوث سيدنا أبو بكر الصديق .
- لوحه (٩) ضواحي المدينة المنورة . وفى الوسط قبة ثنية الوداع .
- لوحه (١٠) المدينة المنورة وفى الجانب الأيمن الحرم النبوى .
- لوحه (١١) القبة الخضراء بمسجد الرسول .
- لوحه (١٢) الإيوان الغربى للحرم النبوى .
- لوحه (١٣) إيوان القبلة للحرم النبوى .
- لوحه (١٤) بلاطات من القاشانى التركى تمشى جدران المسجد النبوى
- لوحه (١٥) سور مسجد قباء بالقرب من المدينة المنورة .
- لوحه (١٦) محراب من القاشانى الصفوى بالمسجد النبوى .
- لوحه (١٧) بلاطات من الخزف الصفوى بالمسجد النبوى .
- لوحه (١٨) مشكاة من صناعة مصر فى القرن ١٣ مهدها للمسجد .
- لوحه (١٩) سجادة صلاة تركية من صناعة كولا فى القرن .
- لوحه (٢٠) بوابة قصر الشمع (حصن بابليون) .
- لوحه (٢١) الواجهة الغربية لجامع عمرو بن العاص .
- لوحه (٢٢) الباب المتوسط بالواجهة الغربية لجامع عمرو .
- لوحه (٢٣) المحراب الخارجى لجامع عمرو الذى بناه الأمير سلاار
- لوحه (٢٤) مبنى بيت المال يتوسط صحن جامع عمرو .
- لوحه (٢٥) واجهة إيوان القبلة لجامع عمرو .
- لوحه (٢٦) داخل إيوان القبلة .
- لوحه (٢٧) واجهة الإيوان الغربى .
- لوحه (٢٨) بقايا الأروقة . . القديمة فى إيوان القبلة .

- لوحة (٢٩) الضريح المنسوب لسيدى عبد الله بن عمرو بن العاص .
- لوحة (٣٠) الواجهة الشمالية لجامع سيدى شبل الأسود .
- لوحة (٣١) القبة القديمة الفاطمية لسيدى شبل الأسود .
- لوحة (٣٢) مثذنة جامع سيدى شبل الأسود .
- لوحة (٣٣) ضريح سيدى شبل الأسود .
- لوحة (٣٤) محراب ومنبر سيدى شبل الأسود .
- لوحة (٣٥) مثذنة سيدى عقبة تعلو المدخل الرئيسى .
- لوحة (٣٦) المدخل الرئيسى وخلفه القبة التى تعلو ضريح سيدى عقبة .
- لوحة (٣٧) ضريح سيدى عقبة بن عامر الجهنى .
- لوحة (٣٨) الواجهة الغربية لجامع السيدة زينب .
- لوحة (٣٩) مثذنة جامع السيدة زينب .
- لوحة (٤٠) الواجهة الشمالية لجامع السيدة زينب .
- لوحة (٤١) مثذنة وقبة السيدة زينب .
- لوحة (٤٢) مقصورة السيدة زينب .
- لوحة (٤٣) الرواق الفاصل بين الجامع القديم والإضافة الجديدة بجامع السيدة زينب .
- لوحة (٤٤) منبر ومحراب جامع السيدة زينب القديم .
- لوحة (٤٥) محراب الإضافة الجديدة بجامع السيدة زينب .
- لوحة (٤٦) سقف المنور (الشخشيخة) بجامع السيدة زينب وقد زخرف بالرسوم الزيتية .
- لوحة (٤٧) القبة وما يحيط بها من مقرنصات فى أركانها بجامع السيدة زينب .
- لوحة (٤٨) القبة وما تحويه من زخارف ورسوم فى الجزء المضاف بجامع السيدة زينب
- لوحة (٤٩) نافذة مملوءة بالزجاج المعشق بالجص والمتعدد الألوان بجامع السيدة زينب .
- لوحة (٥٠) سقف أروقة جامع السيدة زينب .
- لوحة (٥١) الواجهة الجنوبية لجامع السيدة سكينة يعلوها المثذنة .
- لوحة (٥٢) مثذنة وقبة جامع السيدة سكينة .
- لوحة (٥٣) محراب السيدة سكينة .
- لوحة (٥٤) باب مقصورة السيدة سكينة .
- لوحة (٥٥) مقصورة السيده سكينة .
- لوحة (٥٦) الجزء العلوى من مقصورة السيدة سكينة .
- لوحة (٥٧) مشهد الإمام زيد بن زين العابدين .
- لوحة (٥٨) قبة ومثذنة مشهد زين بن زين العابدين .
- لوحة (٥٩) قبة مسجد التبر من الداخل .
- لوحة (٦٠) الواجهة الجنوبية لمسجد التبر حيث يوجد المدخل الرئيسى .

- لوحة (٦١) مدخل مسجد السيدة رابعة العدوية .
- لوحة (٦٢) مسجد السيدة رابعة العدوية من الداخل .
- لوحة (٦٣) محراب ومقصورة السيدة رابعة العدوية .
- لوحة (٦٤) الواجهة الرئيسية لجامع السيدة نفيسة بالضلع الغربي .
- لوحة (٦٥) الباب الخارجى القديم لمسجد السيدة نفيسة .
- لوحة (٦٦) الباب الذى يوجد فى نهاية الردهة المؤدية إلى ضريح السيدة نفيسة .
- لوحة (٦٧) باب ضريح السيدة نفيسة .
- لوحة (٦٨) باب ثان لضريح السيدة نفيسة .
- لوحة (٦٩) مقصورة السيدة نفيسة .
- لوحة (٧٠) محراب جامع السيدة نفيسة .
- لوحة (٧١) جزء من خشب الخراط الذى كان يملأ مقصورة السيدة نفيسة .
- لوحة (٧٢) شاهد قبر المتصوف المصرى ذى النون المصرى .
- لوحة (٧٣) شاهد قبر خادم مسجد وضريح ذى النون المصرى فى القرن (٧) هـ .
- لوحة (٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦) أجزاء مفصلة من شاهد قبر ذى النون المصرى .
- لوحة (٧٧) حى جامع ابن طولون .
- لوحة (٧٨) مثذنة جامع ابن طولون .
- لوحة (٧٩) جامع ابن طولون يتوسط مدينة القطائع .
- لوحة (٨٠) زوايق القبلة لجامع ابن طولون وقد ظهر به المنبر والمحراب
- لوحة (٨١) اللوحة التأسيسية لجامع ابن طولون .
- لوحة (٨٢) محراب الخليفة المستنصر ووزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى بجامع ابن طولون
- لوحة (٨٣) تفاصيل منبر جامع ابن طولون .
- لوحة (٨٤) بعض الأشرطة الكتابية التى تحيط بجامع ابن طولون .
- لوحة (٨٥) أحد أروقة قبلة جامع ابن طولون .
- لوحة (٨٦) تفاصيل لإحدى نوافذ جامع أحمد ابن طولون .
- لوحة (٨٧) تفاصيل للزخارف الحصية بجامع ابن طولون .
- لوحة (٨٨) مثذنة جامع ابن طولون فى الزيادة الغربية .
- لوحة (٨٩) عقود مجاز جامع الأزهر .
- لوحة (٩٠) التجويف الداخلى لمحراب المعز لدين الله الفاطمى .
- لوحة (٩١) الباب الرئيسى للجامع الأزهر فى الواجهة الغربية وهو المعروف باسم (باب المزينين) .
- لوحة (٩٢) الرواق الغربى للجامع الأزهر وتعلوه مثذنتا قايتباى والغورى .
- لوحة (٩٣) سطح الجامع الأزهر تعلوه القباب والمآذن .
- لوحة (٩٤) باب السلطان قايتباى فى الضلع الغربى الداخلى للجامع الأزهر .

- لوحة (٩٥) الرواق الغربي للجامع الأزهر .
- لوحة (٩٦) صحن الجامع الأزهر .
- لوحة (٩٧) محراب المدرسة الأقبغاوية بالجامع الأزهر .
- لوحة (٩٨) قبة المدرسة الأقبغاوية .
- لوحة (٩٩) القبة التي تملو مجاز الجامع الأزهر .
- لوحة (١٠٠) مقدم المجاز من الداخل .
- لوحة (١٠١) قبة المدرسة الجوهريية بالجامع الأزهر .
- لوحة (١٠٢) المجاز الذي يقسم رواق القبلة إلى نصفين .
- لوحة (١٠٣) محراب الجامع الأزهر القديم .
- لوحة (١٠٤) رواق القبلة بالجامع الأزهر .
- لوحة (١٠٥) محراب الزيادة التي أضافها عبد الرحمن كنتخدا في الجامع الأزهر .
- لوحة (١٠٦) محراب الدردير بالجامع الأزهر .
- لوحة (١٠٧) داخل مدرسة جوهر القنبتاقي بالأزهر .
- لوحة (١٠٨) تفاصيل مثذنة قايتباي بالجامع الأزهر .
- لوحة (١٠٩) لوح من الرخام نقش عليه المرسوم الذي أصدره الملك الطاهر برفوق .
- لوحة (١١٠) ضريح السبع بنات .
- لوحة (١١١) تفاصيل من مشهد السبع بنات .
- لوحة (١١٢) واجهة رواق القبلة بجامع الحاكم بأمر الله .
- لوحة (١١٣) جزء من المياني التي أقامها عمر مكرم .
- لوحة (١١٤) القبة التي توجد عند نهاية المجاز وأمام محراب الجامع الحاكمي .
- لوحة (١١٥) القبة تتوسط الرواق الأول بإيوان القبلة بجامع الحاكم .
- لوحة (١١٦) مثذنة جامع الحاكم الغريية .
- لوحة (١١٧) إحدى بوائك إيوان القبلة بجامع الحاكم
- لوحة (١١٨) الزخارف الكتابية التي تملو البوائك بجامع الحاكم .
- لوحة (١١٩) مثذنة جامع الحاكم الشمالي .
- لوحة (١٢٠ ، ١٢١) زخارف محصورة داخل جامات تزخرف قاعدة المثذنة الشمالية الغريية .
- لوحة (١٢٢) المثذنة الجنوبية الغربية لجامع الحاكم .
- لوحة (١٢٣) منظر عام يبين مسجد التوبة بسفح الجبل الشرق بقريية بوصير مركز الصف .
- لوحة (١٢٤) محراب مسجد التوبة القاطمي .
- لوحة (١٢٥) مسجد التوبة المجدد
- لوحة (١٢٦) مسجدسوهاج العتيق المعروف بالجامع العمري .
- لوحة (١٢٧ ، ١٢٨) مناظر عامة تبين الواحات الخارجية بمحافظة الوادي الجسديد

- لوحة (١٢٩ ، ١٣٠) تبين المباني الباقية من الجامع العمري
- لوحة (١٣١) مجموعة من القباب الفاطمية في جبانة أسوان القديمة .
- لوحة (١٣٢) ضريح بجبانة أسوان يبين أول محاولة لإقامة القباب في العصر الفاطمي .
- لوحة (١٣٣) بقايا مسجد الباب البحري ومثذته ببلاد النوبة بمحافظة أسوان
- لوحة (١٣٤) مسجد الباب الغربي ومثذته ببلاد النوبة بأسوان وهو المعروف باسم مسجد بلال .
- لوحة (١٣٥) مسجد بلال ومثذته بمد إقامة السد العالي بأسوان .
- لوحة (١٣٦) مسجد الجيوشي على سفح جبل المقطم وبجانبه كهف السنودان .
- لوحة (١٣٧) جبل المقطم يشرف عليه مسجد الجيوشي .
- لوحة (١٣٨) قبة ومثذنة مسجد الجيوشي .
- لوحة (١٣٩) مثذنة الجيوشي .
- لوحة (١٤٠) تفاصيل قبة جامع الجيوشي .
- لوحة (١٤١) جامع الشيخ عطية عز الدين بن يحيى المعروف بابن الريش بمدينة دمنهور .
- لوحة (١٤٢) جامع أبو الفضل الوزيري بالمحلة الكبرى
- لوحة (١٤٣) المدخل الرئيسي لجامع (أبو الفضل الوزيري) بالواجهة الشمالية .
- لوحة (١٤٤) محراب مسجد أبو الفضل الوزيري .
- لوحة (١٤٥) القبة التي تتوسط جامع (أبو الفضل الوزيري) .
- لوحة (١٤٦) الواجهة الجنوبية لجامع الرفاعي .
- لوحة (١٤٧) جامع الرفاعي بميدان صلاح الدين بالقلمة .
- لوحة (١٤٨) مثذنتا جامع الرفاعي .
- لوحة (١٤٩) جامع الرفاعي .
- لوحة (١٥٠) محراب مؤنبر جامع الرفاعي .
- لوحة (١٥١) واجهة مسجد سيدى الطرطوشى بجى الباب الأخضر بالاسكندرية .
- لوحة (١٥٢) جامع الأمير زياد بالميتيا .
- لوحة (١٥٣) محراب ومؤنبر جامع الأمير زياد
- لوحة (١٥٤) عامود من الرخام عليه اسم الأمير زياد .
- لوحة (١٥٥) لوحة تذكارية نقش عليها اسم الأمير زياد والسلطان قايتباى .
- لوحة (١٥٦) مقصورة جامع سيدى بشر بالاسكندرية
- لوحة (١٥٧) واجهة جامع سيدى جابر الرئيسية بالاسكندرية .
- لوحة (١٥٨) مقصورة سيدى جابر .
- لوحة (١٥٩) جامع سيدى جابر من الداخل .
- لوحة (١٦٠) الواجهة الرئيسية للجامع الأقر بالنحاسين بالقاهرة .
- لوحة (١٦١) حنية مفصصة تملو المدخل الرئيسى للجامع الأقر

- لوحة (١٦٢) واجهة رواق القبلة بجامع الأقر .
- لوحة (١٦٣) سقف أروقة جامع الأقر وهو عبارة عن مجموعة من القباب الفسحة .
- لوحة (١٦٤) شطقة في الركن الشمالى الغربى لجامع الأقر .
- لوحة (١٦٥) مقرنص في الشطقة السابقة كتب فيها (إن الله مع محمد وعلى) .
- لوحة (١٦٦) محراب الجامع الأقر .
- لوحة (١٦٧) دولا ب حائط في جامع الأقر .
- لوحة (١٦٨) واجهة جامع الفكهانى (الأخرى) بالقورية .
- لوحة (١٦٩) المدخل الرئيسى لجامع الفكهانى في الجهة الغربية .
- لوحة (١٧٠) الجامع الأخرى من الداخل .
- لوحة (١٧١) المنور الذى يتوسط صحن جامع الأخرى .
- لوحة (١٧٢) محراب جامع الأخرى .
- لوحة (١٧٣) مصراع الساب الخشبى لجامع الأخرى .
- لوحة (١٧٤) الواجهة الجنوبية لجامع سيدنا الحسين .
- لوحة (١٧٥) مثذبة جامع سيدنا الحسين القديمة تعلو الباب الأخضر .
- لوحة (١٧٦) مشككاتان موجودتان بمسجد سيدنا الحسين اسم السلطان سعيد حقمق .
- لوحة (١٧٧) محراب قبة سيدنا الحسين .
- لوحة (١٧٨) مقصورة سيدنا الحسين الفضية .
- لوحة (١٧٩) باب غرفة مخلقات الرسول صلى الله عليه وسلم بجامع الحسين .
- لوحة (١٨٠) قبة سيدنا الحسين وقد بدى في أركانها المقرنصات .
- لوحة (١٨١) جانب من غرفة مخلقات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- لوحة (١٨٢) جزء من تابوت سيدنا الحسين الخشبى .
- لوحة (١٨٣) الجانب الشرقى من غرفة مخلقات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- لوحة (١٨٤) جانب رابع من غرفة مخلقات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- لوحة (١٨٥) جانب خامس من غرفة مخلقات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- لوحة (١٨٦) صفحة من مصحف الإمام على الموجود بفرقة مخلقات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- لوحة (١٨٧) صفحة من مصحف الإمام على .
- لوحة (١٨٨) صفحة ثانية من مصحف الإمام على .
- لوحة (١٨٩) الصفحة الأولى من مصحف الإمام على .
- لوحة (١٩٠) جلد مصحف سيدنا عثمان الموجود بفرقة مخلقات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- لوحة (١٩١) صفحة من مصحف سيدنا عثمان .
- لوحة (١٩٢) الجامع العمري بقوص
- لوحة (١٩٣) محراب الجامع العمري بقوص ويرجع إلى العصر المملوكى .
- لوحة (١٩٤) ظهر جلسة منبر الجامع العمري بقوص ويرجع إلى العصر الفاطمى .
- لوحة (١٩٥) جزء من جانب (ريشة) منبر جامع قوص ويرجع إلى العصر الفاطمى .

- لوحة (١٩٦) اللوحة التأسيسية لجامع قوص مؤرخه سنة ٨٣٧٠ هـ .
- لوحة (١٩٧) لوحة أخرى بجامع قوص مؤرخه سنة ٨٥٦٨ عليها اسم علي بن نصر بن منقذ .
- لوحة (١٩٨) قبة بجامع قوص ترجع إلى العصر الفاطمي .
- لوحة (١٩٩) القبة من الداخل ونرى بها المقرنصات و منطقة الانتقال .
- لوحة (٢٠٠) المدخل الرئيسي لجامع إسنا العتيق .
- لوحة (٢٠١) أروقة جامع إسنا .
- لوحة (٢٠٢) محراب جامع إسنا وقد زخرف بالطوب (المنجور) .
- لوحة (٢٠٣) الواجهة الرئيسية لجامع الصالح طلائع .
- لوحة (٢٠٤) صحن جامع الصالح طلائع تحيط به الأروقة .
- لوحة (٢٠٥) واجهة إيوان القبلة بجامع الصالح طلائع .
- لوحة (٢٠٦) الأشرطة الكتابية تحيط بعقود أروقة جامع الصالح طلائع .
- لوحة (٢٠٧) محراب جامع الصالح طلائع .
- لوحة (٢٠٨) مصراعا باب جامع الصالح طلائع .
- لوحة (٢٠٩) مآذن مساجد مصر وقياب أضرحة أوليائها الصالحين .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١١
تطور العماثر الإسلامية الدينية بتطور وظائفها	١٥
المسجد	٢٩
المسجد النبوى	٣٢
زيارة الأضرحة فى المواسم والأعياد	٤٤
جبل المقطم وما به من المساجد والزوايا	٤٨
جبل المقطم وما به من الأودية والمساجد	٥١
جامع عمرو بن العاص بالفسطاط	٥٥
قبر عبد الله بن عمرو بن العاص	٧٥
جامع سيدى شبلى الأسود بالشهداء بمحافظة المنوفية	٧٧
جامع سيدى عقبة بن عامر بقرافة سيدى عقبة	٨٤
جامع السيدة زينب بنت الامام على بن أبى طالب عقيلة بنى هاشم	٩٢
جامع السيدة سكينة بالقاهرة	٩٨
مشهد الامام زين العابدين بحى زين العابدين بالقاهرة	١٠٤
جامع السيدة عائشة بميدان السيدة عائشة بالقلعة	١٠٧
مسجد تبر بالمطرية أو جامع سيدى ابراهيم	١١٠

الصفحة	الموضوع
١١٥	مسجد رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي بمدينة نصر بالقاهرة
١٢٢	جامع السيدة نفيسة
١٢٨	ضريح ذى النون المصرى بقرافة سيدى عقبة
١٣٥	جامع أحمد بن طولون
١٥٢	مشهد القاضى بكار بالقرب من سيدى عقبة بقرافة الإمام الليث
١٥٨	مشهد طباطبا بقرافة الإمام الشافعى
١٦٥	الجامع الأزهر
١٩٤	وصف الجامع الأزهر
٢١٤	أروقة الأزهر وحرارته
٢٢٣	صحن الأزهر وماآذنه
٢٢٥	أبواب الأزهر
٢٢٨	جامع الحاكم بأمر الله
٢٤٠	مشهد القباب السبع أو السبع بنات بالقرافة الكبرى جنوب القسطنطينية
٢٤٤	مسجد أبو المعاطى بدمياط
٢٤٨	مسجد التوبه ببوصير بمركز الصف
٢٥٣	الجامع العتيق بمحافظة سوهاج
٢٥٨	الجامع العمرى بواحة سيوه بمحافظة مرسى مطروح
٢٦٤	مشهد السبع وسبعين وليا بمدينة أسوان
٢٧١	الجامع العتيق بإسنا بمحافظة قنا
٥٨١	

الصفحة	الموضوع
٢٧٧	مسجد زاوية الجيوش بسفح جبل المقطم
٢٨٥	مسجد الشيخ عطية عز الدين بن يحيى المعروف بأبي الريش بمدينة دمنهور
٢٩٠	جامع أبي الفضل الوزيري بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية
٢٩٥	جامع الأولياء بالقرافة الكبرى
٢٩٩	مسجد خضره الشريفة
٣٠٤	مسجد الذخيرة - جامع الرفاعي الآن بالقلعة
٣١٠	جامع الأمير زياد بقرية الشيخ زياد بمحافظة المنيا
٣١٤	جامع الأقمر
٣٢٦	مسجد النبي دنيال بمحافظة الاسكندرية
٣٣٠	مسجد أبو بكر الطرطوشي بمحافظة الاسكندرية
٣٣٦	مسجد سيدى بشر بالرمل بمحافظة الاسكندرية
٣٤١	جامع الظافر أو جامع الفاكهيين بالغورية
٣٤٨	مشهد الإمام الحسين
٣٥٥	خروج الحسين ومقتله
٣٦١	رأس الحسين وقبره
٣٧٨	المشهد الحسينى بالقاهرة
٣٨٦	القبعة
٣٩١	الجامع العمرى بقوص بمحافظة قنا
٣٩٨	جامع الصالح طلائع

الصفحة	الموضوع
٤٠٨	صلاة العيد في العصر الفاطمي
٤١٣	رباط الآثار بأثر النبي بالقاهرة
٤١٦	اللوحيات
٥٤٥	فهرس المراجع العربية والافرنجية
٥٥١	فهرس الأشكال
٥٥٢	فهرس الاعلام
٥٦٤	فهرس الأماكن والبقاع
٥٧٣	فهرس اللوحات
٥٨٠	فهرس الكتاب